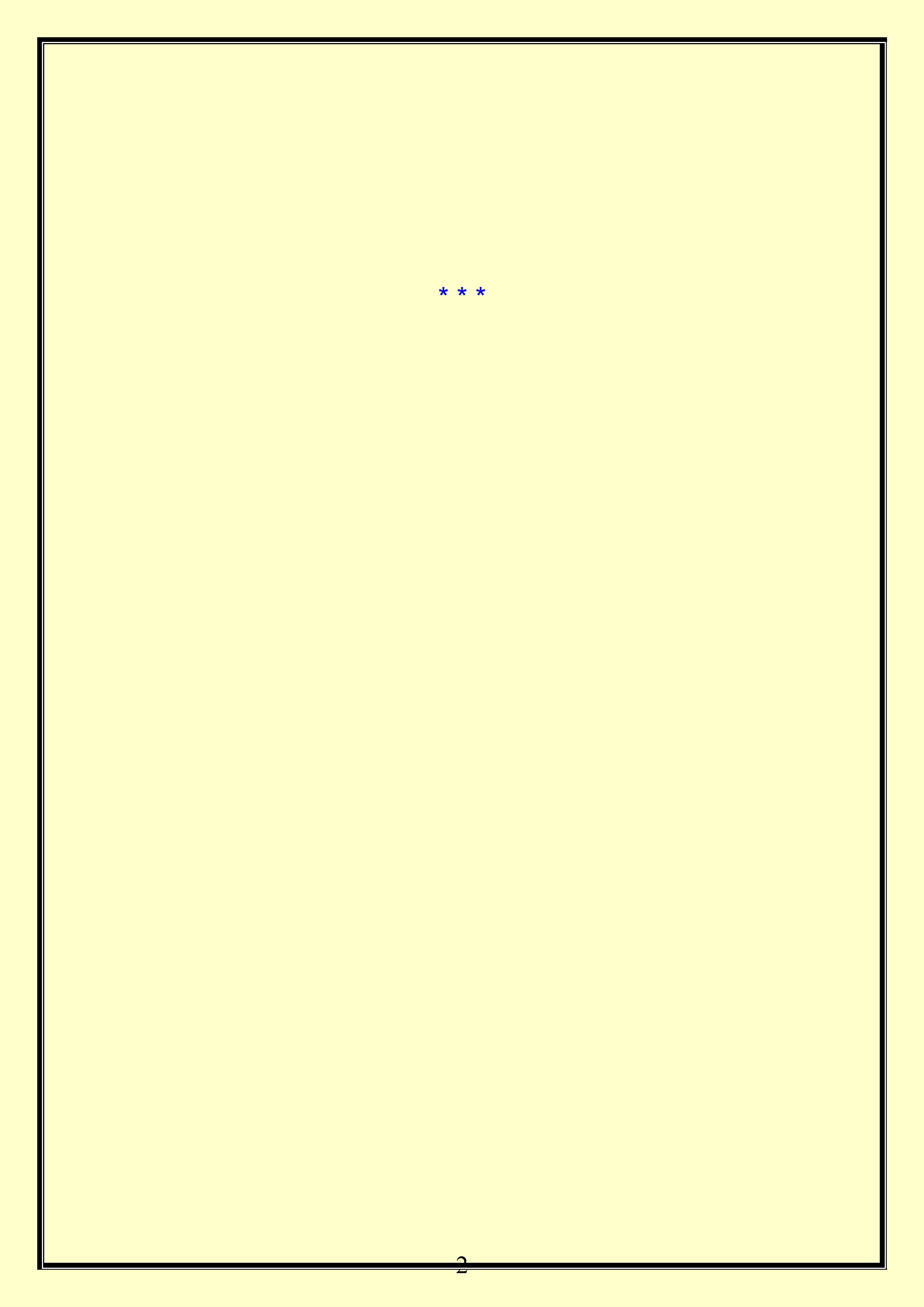
الإمام الجنيد سيد الطائفتين

الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد ابن الجنيد
الخراز القواريري قدس الله روحه

إعداد وتحقيق
الشيخ أحمد فريد المزيدي



* * *

مقدمة الشيخ أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمد لله الذي طهّر من درن الجهالة قلوب عباده الأبرار ، ونوّر بصائرهم بنور الهداية ، حتى اقتبست منها جلابيب الأنوار ، وشرّفهم بتخصيص الولاية حين اصطفاهم لمعرفته ، فهم من المصطفين الأخيار ، وصفّى ضمائرهم من كدورات الأغيار ، فتفجرت منها عجائب الأسرار ، ونزّه هممهم العلية عند مجاري الأقدار عن حلول الأغيار ، وحلاهم بالسكينة والوقار ، والخضوع والانكسار ، والذل له والافتقار ، وجعلهم أئمة عباده ، وهداة وسادة ودعاة إلى الخير بعد الابتلاء والامتحان ، ووسمهم بمحاسن الشريعة عن دنس تأويل الجهالة ، فهم على بصيرة وإيقان .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى العدول عن مسالك البوار ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وعترته من المهاجرين والأنصار ، وسلم عليه وعليهم سلاما كثيرا كثيرا ما تعاقب الليل والنهار .

وبعد . .

منذ أن عرفت طريق الاقتداء بالسادة الفضلاء ، وقتما كنت في تيه الجمود والتعصب الغير محمود ، باسم السلف ، وأنا متتبع ومولع لأخبار الإمام الجنيد قدس الله سره ، وذلك عن كتب الزهد والرقائق والمواعظ مثل مصنفات الحافظ ابن رجب وابن القيم وابن تيمية وغيرهم ، فلو قرأت ما قرأت ، وسمعت ما سمعت ما عرفت من هو الإمام الجنيد وأنا حينئذ في بداية الطلب منتسب لتلك الطائفة التي لم تفهم من هو حقا الجنيد وما هو منهجه وسلوكه ،

حتى منّ الله علي وأنعم بتوفيقه ، وألهمني لسلوك طريقه ، وشرفني بأن جعلني من جملة من أدخله تحت صحبة أوليائه وإرادة شيخي قدس الله روحه ، فحصل لي الشرف التام لانتمائي إلى السادة الأصفياء ، من كان شيخهم وقدوتهم الإمام الجنيد سيد الطائفتين ، السلف والخلف ، أهل الفقه والأثر ، والكشف .

فأخذت في جمع فوائده من آثاره وأقواله وكتبه ورسائله وأخباره ، وترجمته وذكر أقرانه ومشايخه وتلامذته وذكرت ما تيسر لي من أخبارهم وبالأخص أقوالهم الذي به يتضح منهجهم وسلوكهم ، فيتعرف بذلك على ماهية معاصريه والنهج الذي دعي إليه ، وساروا عليه .

بعد وقوفي على بركة هذه الدرر في حفظها وسمعها ؛ لأصون به ذكره نفع الله به عن تأويل الجهالة من متعسفي أهل العصر ، وجعلتها وسيلة لطلب الدعاء ممن وقف عليها بالمغفرة والتجاوز عن الوزر ؛ إذ هي لا يحيد عن متنها صوابا ، ولا يعدم سالكها بدعوة الداعي ثوابا .
فلي آمال بذلك معلقة ، وأبواب الجود غير مغلقة ، وإن كان دهري قد أرهقني صعودا ، والخطب قد عاقني مرقى وصعودا .
فحررتها بصحيح العقل جهد الاستطاعة تحرير الجهد ، ونقّحتها بالإتقان ، والمحافظة تنقيح المجد ، واعتمدت فيما ذكرت منها عن الثقات والأولياء والعلماء العارفين والرواة والمؤرخين ، ورتبت الأقوال على ترتيب الرسالة القشيرية للأستاذ أبي القاسم القشيري ،
وأضفت الكثير من الفصول والأبواب ، حتى يتم النفع والوقوف على المعرفة للطلاب ، وقد قمت بعزو الأقوال إلى مصادرها من الرسائل والكتب قدر المستطاع ، وإن لم أقصد الاستفاضة ، فقد هذّبت ما أسندته عن الأفاضل بالحقيقة المستفاضة .
وقد سبق لي أن حققت كتاب روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني ، وهو مخطوط طبع لأول مرة ، وكان سببا من الأسباب التي دفعتني لجمع **وتحقيق أقوال الإمام الجنيد حتى يعرف الناس من هو القطب الجنيد قدس الله سرّه العزيز .**
وإن كان سبقني لهذا العمل غيري في القديم والحديث ،
إلا أن عملي هذا أشمل وأوسع ما جمع عن الإمام على حدّ علمي ، وكما اتفق على ذلك الكثير من أهل العلم الذين نظروا فيه وباركوه .
وآخرا لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر لشيخي الولي العارف بالله الإمام الرباني سيدي مصطفى بن عبد السلام الملوي حفظه الله تعالى ونفع به العلم وأهله .

ترجمة سيد الطائفتين

اسمه ولقبه ونسبه ومولده :

هو سيد الطائفتين ومفتي الفريقين وإمامهم وتاجهم وطاووس العباد وقطب العلم والعلماء :

أبو القاسم الجنيد بن محمد ابن الجنيد الخراز القواريري قدس الله روحه ونوّر ضريحه . وكان أبوه يبيع الزجاج ، فلذلك كان يقال له : القواريري ، وكان هو خرازا .

لقبه الأستاذ أبو القاسم القشيري قدّس الله روحه في رسالته بسيد الطائفة وإمامهم ، ولقّبه جماعة من الشيوخ بتاج العارفين في حكاية .

وقال الشيخ الفرغاني : كان الجنيد وأبو الحسين النوري يسميان ببغداد طاووسا العباد .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله : كان الجنيد قطبا في العلم ، أصله من نهاوند وهي مدينة من الجبل قيل : إن نوحا عليه السلام بناها ، ومولده ومنشأه بالعراق ، وكان شيخ وقته ، وفريد عصره ، ومن كبار أئمة القوم وسادتهم ، ومقبول على جميع الآل ، وكلامه في الحقائق مشهور .مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

تفقّه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي ، وكان يفتي في حلقته ، وقيل : بل كان فقيها على مذهب سفيان الثوري .

وصحب قدس الله روحه خاله أبا الحسن السري السقطي ، والحارث المحاسبي وغيرهما من المشايخ . وأفتى وهو ابن عشرين سنة .

وصحبه أبو العباس بن سريج الفقيه الشافعي ، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين ،

فيقول : أتدرون من أين لي هذا ؟ هذا من بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد .

قال الشيخ ابن عجيبة : وكان شيخ العارفين وقدوة السالكين وعلم الأولياء في زمانه .

وقال أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادي : كان الجنيد بن محمد قد سمع الحديث الكثير من الشيوخ ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة ، ورزق من الذكاء وصواب الجوابات في فنون العلم ما لم ير في زمانه مثله عند أحد من قرنائه ، ولا ممن أرفع سنا منه

ممن كان ينسب منهم إلى العلم الباطن والعلم الظاهر في عفاف وعزوف عن الدنيا وأبنائها ، لقد قيل لي إنه قال ذات يوم : كنت أفتي في حلقة أبي ثور الكلبي الفقيه ولي عشرون سنة .
وكان ورده في كل يوم ثلاثمئة ركعة وكذا كذا ألف تسبيحة .
وقال ابن الأطعاني : وقد تخرّج بصحبته خلائق في سلوك طريق الله لو ذكرتهم لطال الكلام .
وقال ابن عجيبة : وكلامه وحقائقه مدون في الكتب ، ثم انتشر التصوف في أصحابه وهلم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين .
وقال أبو نعيم : اشتغل بالعبادة ولازمها حتى علت سنّه وصار شيخ وقته وفريد عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية وطريقة الوعظ ، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة .
وله مكاتبات كثيرة مشتملة على درر من المعارف والحقائق في غاية النفاسة يطول ذكرها .
وقال جعفر الخلدي : قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لي فيه حظا ونصيبا .
وكان الجنيد شيخ الطائفة يتكلم على بضع عشر ، قال : وما تم في أهل مجلسه عشرون .
وأفتى وهو ابن عشرين سنة .
قلت : وقد منّ الله علي في هذا الكتاب الذي بين أيدينا أن ذكرت الكثير منهم ولله الحمد والمنة .
وقد أجمع على الاقتداء بعلماء لجمعهم بين علمي الظاهر والباطن ، وهم :
الحارث بن أسد المحاسبي ،
وأبو القاسم الجنيد ،
وأبو محمد رويم ،
وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي ،
وابن عطاء .
ومما ذكره الإمام ابن الأطعاني أن الإمام الجنيد صحب الحارث بن أسد المحاسبي ، والمحاسبي صحب أستاذه بشر بن الحارث الحافي ، وهو صحب أستاذه عامر بن

شعيب ، وهو صحب أستاذه الحسن البصري قدس الله أرواحهم ، وبشر الحافي صحب أيضا الفضيل ابن عياض ، وهو صحب جعفر الصادق ، وكان ممشاذ الدينوري فصحب أيضا أبو عبد الله أحمد بن يحيى بن الجلاء ، وهو بغدادي الأصل أقام بالرملة ودمشق ، وكان من أجلة مشايخ الشام ، وكان عالما ورعا ، وابن الجلاء صحب أبا تراب عسكر بن حصين النخشبي من أجلة مشايخ خراسان المذكورين وكبارهم والمشهورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع ، مات بالبادية فنهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين ، وهو صحب حاتما بن عبد الرحمن بن عنوان ، ويقال : حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان ، قيل : إنه لم يكن أصم ، وإنما تصامم مرة فسمي به ، وهو صحب أبا علي شقيق بن إبراهيم البلخي من كبار مشايخ خراسان له لسان في التوكل حسن الكلام فيه ،
وقيل : هو أول من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان ، وهو صحب أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم وناهيك به ، وهو صحب أبا عمران موسى بن زيد الداعي ببلخ ، وهو صحب أويسا القرني ، وهو صحب أميري المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع "1" .
وقال فيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الماجري :

أبو القاسم الحبر الجنيد الذي له * معال على عدّ الحصى كثرة تربي

ونقل الشيخ الماجري ما يدل على عظم قدر الإمام الجنيد ومكانة طريقته المرضية العلية بقوله : فمما نقلته من كلام الشيخ أبي محمد صالح - تلميذ سيدي أبي مدين الغوث قدس الله أسرارهم - أنه قال : لما قدمت من بلاد المشرق وأخذت في استعمال هذا الطريق ، أنكر عليّ ذلك فقهاء الوقف ، وبدّعوني حتى ضاق صدري ، وعيل صبري ، فدعوت الله تعالى إن كان ما أنا عليه من هذا الطريق مما يقربني إليه فييسره عليّ ،
فرأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لي :
« لا تلتفت إلى هؤلاء الفقهاء المنكرين ، ولا تسألهم إلا في مسائل الفقه ، فكلهم أرضيون ما فيهم سماوي ، ثم عليك برسالة القشيري وحقائق السلمي ومنهاج العابدين ؛ ففيها ما تطلبه ، وخذ الطريق عن أربابه ، مثل محمد بن واسع ، وسفيان الثوري ، ومالك بن دينار ، والجنيد ، وشقيق ، وإبراهيم ، والفضيل ، وغيرهم » .

....
(1) انظر : روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد وأبي يزيد طيفور (ص 111) بتحقيقنا .

فاستخرت الله في ذاك واستعنته ، وعالجت منه ما قدر حتى فتح الله لي بما هو حظي منه .
وقال السراج الطوسي : إن الجنيد البغدادي مع كثرة علمه وتبحره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه بالعلم والدين ، فكم من مرة طلب وأخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
وقال التادلي حينما ترجم له في كتاب المعزى : وهذا الإمام ممن اتفق على جلالته المتقدمون والمتأخرون وله كرامات وآيات أضربنا عنها اختصارا إذ الجبل لا يحتاج إلى مرساة .

وفاته وحاله عند انتقاله :

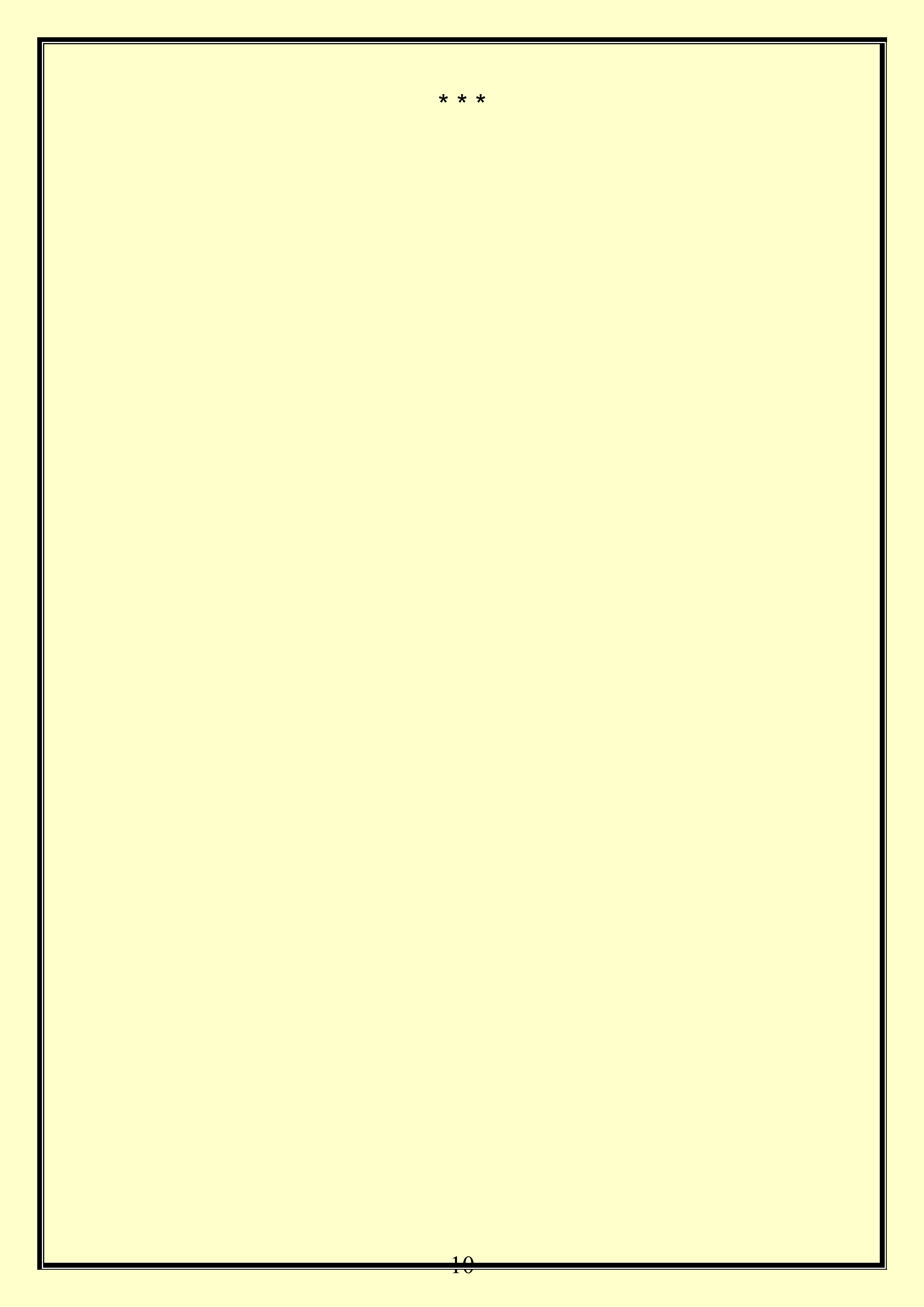
توفي قدّس الله روحه يوم السبت ، وكان نيروز الخليفة سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقيل : ثمان وسبعين ، آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد ، ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله وشيخه سري السقطي رضي الله عنهما ، وقبره بها ظاهر يزوره الخاص والعام ، وكان عند موته قد ختم القرآن الكريم ، ثم بدأ من سورة البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات « 1 » .
وقال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى : كنت عند الجنيد حال نزعه ، وكان يوم جمعة ، ويوم نيروز ، وهو يقرأ القرآن فختم ، فقلت له : في هذه الحالة يا أبا القاسم ، **فقال :** ومن أولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي « 2 » ؟
وقيل له حال نزعه قل : لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيته فأذكره « 3 » .
وقال أبو بكر العطار : حضرت وفاة الجنيد مع جماعة من أصحابه ، وفيهم أبو محمد الجريري فنظر إلى الجنيد وهو منشغل بما هو فيه من درس القرآن والركوع والسجود ، فقال له : يا أبا القاسم لو رفقت بنفسك ،
فقال : يا أبا محمد حالة وصلت بها إلى الله تعالى في بدء أمري لا أفارقها أبدا حتى ألحق بالله ، ثم قال له الجنيد : يا أبا محمد لي إليك حاجة

....

(1) أورده القشيري في رسالته (1 / 108) ، وطبقات الحنابلة لابن رجب (1 / 127) .
(2) أورده البغدادي في تاريخ بغداد (7 / 248) ، وابن العماد في شذرات الذهب (2 / 229) ، والقشيري في الرسالة القشيرية (2 / 590) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (2 / 222) ، والغزالي في الإحياء (4 / 482) ، وابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (2 / 266) ، والعاقبة لأبي الخير الإشبيلي (ص 133) .
(3) انظر : العاقبة لأبي الخير الإشبيلي (ص 134) .

إذا مت فغسلني وكفني وصلّ عليّ ، قال : فبكى الجريري وبكينا ، ثم قال : وحاجة أخرى :
تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة ، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بهم التشتت .
قال : فبكى الجريري بكاء شديدا ،
ثم قال : والله لأن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منا اثنان أبدا ، وقال أبو جعفر الفرغاني : فكان والله كذلك ما اجتمع اثنان بعد وفاته ، وإنما كان ذلك ببركة الشيخ ورؤيته .
وقال جعفر الخلدي : رأيت الجنيد في المنام بعد موته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟
فقال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار « 1 » .
وسئل عمن أخذت هذا العلم ؟
فقال : أما في أول أمري فعن خالي سري السقطي ، ثم عن أدبي مع الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة تحت هذه الدرجة ، فأعلم السائل أولا بنسبة الوراثة ثم ثانيا بما أورثته صحتها من الأدب الموجب للذوق والوجدان ؛ لأن علم أهل التحقيق يؤخذ وراثة وإلقاء ، وتعلما وذوقا ووجدا .
ودفن بالشونيزية بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وزاي وآخره ياء النسبة ، مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، وقد دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين منهم جعفر الخلدي ورويم وسمنون المحب وهناك خانقاه للصوفية قدس الله أسرارهم .
وحرز الجمع الذي صلّى عليه فكان ستين ألفا .
قال صاحب مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار : قبره يزوره الخاص والعام وإليه المرجع في هذا الطريق .

....
(1) انظره في : صفة الصفوة (2 / 424) ، تاريخ بغداد (7 / 248) ، طبقات الحنابلة (1 / 129) ، حلية الأولياء (10 / 257) ، إحياء علوم الدين (4 / 508) ، طبقات الشافعية الكبرى (2 / 267) ، الكواكب الدرية (1 / 584)



* * *

شيوخ سيد الطائفة الإمام الجنيد
الشيخ المجتهد أبو ثور صاحب الشافعي
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الشيخ المجتهد الإمام الحافظ الحجة الفقيه :
إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أبو ثور الكلبي الفقيه البغدادي المجتهد ، مفتي العراق ، صاحب الشافعي رضي الله عنه ناقل الأقوال القديمة عنه ، كان أحد الأعلام الثقات المأمون له في المذهب الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه ، وكان مبدأ اشتغاله بمذهب أهل الرأي ، الحنيفة ، حتى قدم الشافعي رضي الله عنه إلى العراق فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول .
قال الإمام أحمد : هو عندي كسفيان الثوري ، وقال ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا ، صنف الكتب وفرع على السنن ، وذبّ عنها .
له مصنفات كثيرة منها ، كتاب ذكر اختلاف مالك والشافعي ، وذكر مذهبه في ذلك ، وهو أكثر ميلا إلى الشافعي رضي الله عنه .
وسمع من سفيان بن عيينة ، وعبيدة بن حميد ، وأبي معاوية الضرير ، ووكيع بن الجراح ، وابن علية ويزيد بن هارون ، ومعاذ بن معاذ ، وروح بن عبادة ، وأبي قطن ، وأبي عبد الله الشافعي ، وطبقتهم .
حدث عنه أبو داود وابن ماجة ، وقاسم بن زكريا المطرز وأحمد بن الحسن الصوفي وأبو القاسم البغوي ومحمد بن إسحاق السراج ، ومحمد بن صالح بن ذريح العكبري وخلق سواهم وجمع وصنف .
وتوفي سنة أربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب الكنائس رحمه الله تعالى « 1 » .

....

(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (6 / 65) ، وميزان الاعتدال (1 / 15) ، وسير أعلام النبلاء (12 / 7) ، وتذكرة الحفاظ (2 / 87) ، وطبقات الشافعية لابن هداية (23) ، وشذرات الذهب (2 / 93) ، والوافي بالوفيات للصفدي (2 / 354) ، ووفيات الأعيان (1 / 7) ، والانتقاء لابن عبد البر (ص 107) ، وطبقات الشافعية للسبكي (1 / 275) .

الشيخ الحارث المحاسبي الصوفي
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

علم العارفين في زمانه وأستاذ السائرين ، الجامع بين علمي الباطن والظاهر ، شيخ الجنيد .

قال الذهبي : هو العارف شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي صاحب التصانيف الزهدية .

وقال الحافظ : كان عالما فهما ، وقال ابن العماد الحنبلي : الزاهد الناطق بالحكمة ، له مصنفات نفيسة في السلوك والأصول .

يروي عن يزيد بن هارون يسيرا . روى عنه ابن مسروق وأحمد بن القاسم والجنيد وأحمد بن الحسن الصوفي وإسماعيل بن إسحاق السراج وأبو علي بن خيران الفقيه إن صح .

قال ابن الصلاح : ذكره الأستاذ أبو منصور في الطبقة الأولى ، فيمن صحب الشافعي ، **وقال :** كان إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام وكتبه في هذه العلوم أصول لمن يصنف فيها ، وإليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية ،

ثم قال : لو لم يكن في أصحاب الشافعي في الفقه والكلام والأصول والقياس والزهد والورع والمعرفة إلا الحارث المحاسبي لكان مغبرا في وجوه مخالفيه ، والحمد لله على ذلك .

قال الخطيب : له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة والرد على المعتزلة والرافضة .

قال الجنيد : خلف له أبوه مالا كثيرا فتركه وقال لا يتوارث أهل ملتين وكان أبوه واقفيا .

قال أبو الحسن بن مقسم : أخبرنا أبو علي بن خيران قال : رأيت المحاسبي معلقا بأبيه يقول : طلق أمي فإنك على دين وهي على غيره .

قال الجنيد : قال لي الحارث : كم تقول عزلتي أنسي ، لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت لهم أنسا ، ولو أن النصف الآخر نأوا عني ما استوحشت ، واجتاز الحارث يوما بي فرأيت في وجهه الضر من الجوع فدعوته وقدمت له ألوانا فأخذ لقمة فرأيته يلوكها فوثب وخرج ولفظ اللقمة فلقيته فعاتبته فقال أما الفاقة فكانت شديدة ولكن إذا لم يكن

الطعام مرضيا ارتفع إلى أنفي منه زفرة فلم أقبله ، وعن حارث قال : جوهر الإنسان الفضل وجوهر العقل التوفيق .

من كلامه :

ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين وتركها مع نسيانها صفة العارفين .
العلم يورث المخافة ، والزهد يورث الراحة ، والمعرفة تورث الإنابة .
صفة العبودية ألا ترى لنفسك ملكا ، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا .
حسن الخلق : احتمال الأذى ، وقلة الغضب ، وبسط الوجه ، وطيب الكلام .
وقال أيضا : الظالم نادم وإن مدحه الناس ، والمظلوم سالم ، وإن ذمه الناس ، والقانع غني ، وإن جاع ، والحريص فقير ، وإن ملك .
خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ، ولا دنياهم عن آخرتهم .

من كتبه :

الرعايا ، وبدء الإنابة ، وآداب النفوس ، ودواء القلوب ، والمراقبة ، واليقين ، والصبر والرضا ، وفهم القرآن ومعانيه ، ومائية العقل ، ومحاسبة النفوس ، والتوهم ، وغيرها .

وتوفي الشيخ المحاسبي سنة 243 هـ ليفارق الخلق إلى الخالق ، ويلقى رب الناس بعد أن استوحش من الناس « 1 » .

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (ص 56) ، وحلية الأولياء (10 / 73) ، والفهرست (236) ، وتاريخ بغداد (8 / 211) ، والرسالة القشيرية (2 / 367) ، والوافي بالوفيات (5 / 717) ، وصفوة الصفوة (2 / 367) ، ووفيات الأعيان (2 / 57) ، وتهذيب الكمال (215) ، وميزان الاعتدال (1 / 430) ، والعبر (1 / 440) ، وسير أعلام النبلاء (12 / 110) ، ومرآة الجنان (2 / 142) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 275) ، وطبقات الأولياء (ص 175) ، والتهذيب (2 / 134) ، والنجوم الزاهرة (2 / 316) ، وشذرات الذهب (2 / 103) .

الشيخ السري السقطي
قدّس الله روحه ونور ضريحه « 1 »

هو أبي الحسن سري بن المغلس أبو الحسن السقطي .
أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة ، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد .
وهو خال الجنيد وأستاذه ، صحب معروفا الكرخي ، وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد وهو أول من تكلم فيها ببغداد ، وإليه ينتمي أكثر المشايخ .
وحكي عن عبد الله بن الفضل أنه قال : حضرت السري السقطي وهو يجود بنفسه فلحظني بعينه فرآني أبكي ، فقال لي : ما لك تبكي ؟ فقلت : لما أرى بك ؟ فقال : لا تبك لأني قد حسبت حسابي مع الله عزّ وجل ، كنت أطلبه عشرين سنة حتى وجدته ، فلما وجدته استخدمني عشر سنين ، ثم أبكاني فبكيت عشر سنين ، ثم شوقني فاشتقت إليه عشر سنين ، ثم أفناني ففنيت عشر سنين ، وأنا الآن أؤمل أن أراه فأبقى له وبه ومعه ، فينبغي يا أبا محمد أن تهنيني .
وحكي أنه لما توفي رؤي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ ، فقال : غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي ، قال الرائي : فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك ، قال فأخرج درجا درجا ونظر فيه فلم ير فيه اسمي ، فقلت : بلى قد حضرت فنظر ، فإذا اسمي في الحاشية .

وسبب زهده :
أنه كان يجول في السوق ويتردد إلى معروف الكرخي .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 116 ، 126) الرسالة القشيرية (ص 112) ، وفيات الأعيان (1 / 251) ، وصفة الصفوة (2 / 209 ، 218) ، وتاريخ بغداد (9 / 187 ، 192) والبداية والنهاية (11 / 13) ، ومرآة الجنان (2 / 158) ، وشذرات الذهب (2 / 127) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) ، والوافي في الوفيات للصفدي (18 / 2129) .

قال : فجاءه معروف يوما وهو في حانوته ومعه صبي يتيم ، فقال : اكس هذا اليتيم ،
قال السري : فكسوته ففرح معروف بذلك ، وقال : بغّض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه ، فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إلي من الدنيا ، وكل ما أنا فيه من بركات معروف .
قال الجنيد : ما رأيت أعبد من السري : أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت .
وكان أيضا يقول لنا السري ونحن حوله : أنا لكم عبرة يا معشر الشباب ، اعملوا فإنما العمل في الشبيبة ، وكان إذا جن عليه الليل دافع أوله ، ثم دافع ، فإذا غلبه النوم أخذ في النحيب والبكاء .
وقال الجنيد أيضا : سألني السري يوما عن المحبة ؟ فقلت له : قال قوم هي الموافقة
وقال قوم : هي الإيثار ، وقال قوم كذا ، فأخذ السري جلدة ذراعه ومده فلم تمتد ، ثم قال :
وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشي عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق ، وكان السري به أدمة .
وقال الجنيد أيضا : سمعت السري يقول في بعض دعائه : اللّهمّ ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب .
وقال السريّ : أنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة من قولي مرة : الحمد لله ، قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : وقع الحريق ببغداد فاستقبلني رجل وقال : نجا حانوتك ، فقلت : الحمد لله فأنا من ذلك الأوان نادم على قولي حيث أردت لنفسي خيرا دون المسلمين .
وقال الجنيد : دخلت يوما على السريّ وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟
قال : جاءتني البارحة الصبية ، فقالت : يا أبت هذه ليلة حارة فأعلق الكوز لعله يبرد فتفطر عليه ، ثم حملتني عيناي ، فنمت فرأيت في المنام جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء ، فقلت : لمن أنت ؟
قالت : لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان ، وتناولت الكوز فضربت به الأرض ،
قال الجنيد : فرأيت الخزف المكسور لم يمسه ولم يرفعه حتى عفى عليه التراب .
وقال أيضا : جاء رجل إلى السري ، فقال له : كيف أنت ؟
فأنشأ يقول :
من لم يبت والحبّ حشو فؤاده * لم يدرك كيف تفتت الأكباد

وقال عليّ بن الحسين : بعثني أبي إلى السري بشيء من حبّ السعال لسعال كان به ، **فقال لي :** كم ثمنه ؟ فقلت : لم يخبرني بشيء **!**
قال : اقرأ عليه السلام وقل له : نحن نعلّم الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم فترانا نأكل اليوم بديننا ؟ ولم يأخذه .
قال السري : صليت وردي ليلة من الليالي ، ثم مددت رجلي في المحراب ، فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك .
قال : فضممت رجلي ، ثم قلت : وعزتك لا مددت رجلي أبدا .
وروي أن السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت يوما ، **فقال لها :** لم أبطأت ؟ قالت : لأن غزلي ما اشترى ، وذكروا أنه مخلط ، فامتنع من أكل طعامها ، فدخلت عليه أخته يوما فرأت عجوزا تكنس بيته ، وقد حملت له رغيفين فخرجت شكته إلى أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فقال أحمد ذلك للسري ، فقال : لما امتنعت من طعام أختي قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني .
وقال : اعتللت بطرسوس علة الدرب فدخل علي فقراء القراء يعودوني وجلسوا فأطالوا فأذاني جلوسهم ، ثم قالوا : إن رأيت أن تدعو الله **!** فمددت يدي وقلت : اللّهمّ علّمنا كيف نعود المرضى .
وقال الجنيد : سمعت السري يقول : خفيت علي علة ثلاثين سنة ، وذلك أنا كنا جماعة نبكر على الجمعة ولنا أماكن معروفة بنا لا نكاد نخلو عنها ، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأصبحت قد تخلفت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة ، فلما قربت من الجامع قالت لي نفسي : الآن يرونك وقد أصبحت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي ،
فقلت لنفسي : أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنالا أدري ، فتركت ذلك المكان الذي كنت أصلي فيه وجعلت أصلي من أماكن مختلفة ، لئلا يعرف مكاني ، وقضيت صلاة الجمعة ثلاثين سنة .
وقال أيضا : دخلت يوما على السري فرأيته متغيرا فقلت : ما لك ؟
فقال : دخل علي شاب فسألني عن التوبة ؟ فقلت له : أن لا تنسى ذنبك ، فعارضني ، **وقال :** لا بل التوبة أن تنسى ذنبك ، فقلت : إن الأمر عندي على ما قاله الشاب ، فقال لم ؟
فقلت : لأني إذا كنت في حال الجفا ثم نقلني إلى حال الوفا ، فذكر الجفا في وقت الوفا خفا .

قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله كلاما معناه أن كلام السري رحمه الله أتم من كلاميهما ، لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات ، وكذلك القدوة يلزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها ، وإنما تأتي النهايات من البدايات ، والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة ، كذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهاياتهم ، فكلامهما يخص حالهما وكلام السري مهيع مورود للسالكين ، والله أعلم .

وقال السري : كنت أطلب رجلا صدّيقا مدة من الزمان ، فمررت ببعض الجبال فإذا بجماعة زمنى وعميان ومرضى ، فسألت عن حالهم ؟

فقالوا : هنا رجل صدّيق يخرج في كل سنة مرة واحدة يدعو لهم فيجدون الشفاء ، فصبرت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء ، فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له : بي علة باطنة فما دواؤها ؟

فقال : حلّ يا سري عني فإنه غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه .

وقال الجنيد : دفع إليّ السري رقعة ، وقال : هذه خير لك من سبع مائة قصة ، وإذا فيها :

ولمّا ادّعيت الحبّ قالت * كذبتني ، فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحبّ ! حتّى يلصق القلب بالحشا * وتذبل حتّى لا تجيب المناديا
وتنحل حتّى لا يبقي لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها ، وتناجيا

ثم قال : لا تصحّ المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر : يا أنا .

وقال الجنيد أيضا : دخلت يوما على السري فأمرني بحاجة فقضيتها سريعا ثم رجعت إليه فناولني رقعة وزاد فيها سمعت حاديا يحدو في البادية ويقول :

أبكي ، وهل يدريك ما يبكيني * أبكي حذارا أن تفارقيني
وتقطعي حبلي وتهجريني « 1 »

قال علّان الخياط : كنت يوما جالسا مع السري السقطي فوافته امرأة فقالت له : يا أبا الحسن أنا في جوارك ، وقد أخذ ابني الطائف البارحة ، وأنا أخشى أن يؤذيه ، فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه .

....
(1) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 634) .

قال علاّن : فتوقعت أن يبعث إليه ! فقام وكبّر وطول في صلاته .
فقالت المرأة : يا أبا الحسن الله الله فيّ هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان . فسلم وقال لها : أنا في حاجتك .
قال علان : ورأيت منه أعجب من هذا ، وذاك أنه اشترى مرة كرّ لوز بستين دينارا ، وكتب ثلاثة دنانير ربحه ، فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وقال له : إن ذلك اللوز أريده ، فقال : خذه ، قال : بكم ؟ فقال : بثلاثة وستين دينارا .
فقال له الدلال : إنه قد صار الكرّ بتسعين دينارا ، فلا الدلّال اشترى منه ولا سري باعه منه .
قال علان : فكيف لا يستجاب دعاء من هذا فعله ؟
وقال الحسن بن محمد : كنت يوما عند السري أعوده من علة اعتلها ، فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :
كيف أشكو إلى طبيبي ما بي * والذي بي أصابني من طبيبي
قال الحسن بن محمد : فأخذت المروحة أروّحه بها
فقال لي : كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق من داخله ،
ثم قال :
القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له * ما جناه الهوى والشّوق والقلق
يا ربّ إن يك شيء فيه لي فرج * فامنن عليّ به ما دام بي رمق
قال السري : صحبت رجلا من سر يعرف بالواله ، مدة سنة ، فلم أسأله عن مسألة ، **ثم قلت له يوما** : إيش المعرفة التي ليس فوقها معرفة ؟
فقال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء وأن تمحي من سرائرك وظواهرك كل شيء غيره ، فقلت له : بأي شيء يوصل إلى هذا ؟
فقال : بزهدك فيك وبرغبتك فيه .
قال سري : فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر .
وقال إن إبليس قال : زينت لأمة محمد صلى الله عليه وسلّم الذنوب فقطعوا ظهري بالاستغفار ، فغويتهم بالأهواء فإنها ذنوب يقاتلون عليها ولا يستغفرون منها .

وكان للسري تلميذة : وكان لها ولد عند المعلم في الكتّاب ، فبعث به المعلم إلى الرحا فنزل الفتى إلى الماء فغرق ، فجاء المعلم إلى سري فأخبره بذلك .
قال سري : قوموا بنا فذهبوا إلى أمه فجلسوا عندها ، وتكلم عليها سري في علم الصبر ثم في علم الرضا قالت له : يا أستاذ وإيش تريد بهذا ؟ فقال لها : إن ابنك قد غرق ، فقالت : ابني ؟
قال لها : نعم ، قالت إن ربي ما فعل هذا ، ثم عاد سري في كلامه في الصبر والرضا مثل ذلك . فقالت : قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر ، فقالت : أين غرق ؟ قالوا :
هاهنا فصاحت : ابني محمد ! فأجابها : لبيك يا أماه ، فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها ، فالتفت سري إلى الجنيد ، وقال : إيش هذا ؟ فقال : جنيد : أقول ؟ فقال : قل .
قال : إن المرأة مراعية لما لله عليها ، وحكم من كان مراعيا لما لله عليه أن لا تحدث حادثة حتى يعلمه بذلك ، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك ، فقالت : إن ربي ما فعل هذا أو كلاما هذا معناه .
وقال ابن أبي الورد : كان سري يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس ، فاعتل فعدته عيادة السنّة يعني بين كل ثلاثة أيام ، فنظرت في وجهه ، فرأيت على لسانه شيئا ، فهملت عيناي وسقط من دموعي على وجهه ، ففتح عينيه ونظر إلي ، فقلت له : رحمك الله أوص بشيء أحفظه عنك !
فقال : احذر ثم احذر أن تعرف الأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار ، وكان ذلك آخر كلامه .
وقال بعضهم : دخلت على السري ، فرأيته يكنس بيته بخرقة ويتمثل بهذين البيتين :
وما رمت الدخول عليه حتّى * حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل
وحكى أبو القاسم الجنيد قال : بت ليلة عند السري رضي الله عنه ، فلما كان بعض الليل ، قال لي : يا جنيد أنت نائم ؟ قلت : لا ،
فقال : الساعة أوقفني الحق عزّ وجل بين يديه ، وقال لي : يا سري خلقت الخلق كلهم ، فادعوا محبتي ، فخلقت الدنيا فاشتغل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عني بالدنيا ، وبقي ألف فخلقت الجنة ، فاشتغل بالجنة عني من الألف تسعمائة ، وبقي مائة فسلطت عليهم شيئا من البلاء ، فاشتغل عني من المائة تسعون بالبلاء

وبقي عشرة ، فقلت لهم : لا الدنيا أردتم ولا الآخرة رغبتم ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا : إنك لتعلم ما نريد ، فقال : إني أنزل عليكم من البلاء ما لا تطيقون ولا تحمله الجبال الرواسي فتثبتون لذلك ،
فقالوا : أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا ، بك نحمل وفيك نحمل ما لا تطيقه الجبال ، فقال لهم : أنتم عبيدي حقا رضي الله عنهم ونفعنا بهم .
وقال ابن مسروق : سمعت سريا يقول : بينما نحن نسير في بلاد الشام إذ ملنا عن الطريق إلى ناحية جبل عليه عابد فجئنا إليه فوجدناه يبكي ، قال سري : فقلت له : ما أبكى العابد ؟
فقال : وما لي لا أبكي وقد توعرت الطرق ، وقل السالكون فيها ، وهجرت الأعالي ، وقل الراغبون فيها ورفض الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال ، وقد افترش الرخص وتمهد التأويل واعتل بذلك العاصون ، ثم صاح صيحة ،
وقال : كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السماوات ؟ ثم ولى صارخا وهو يقول :
واغمّاه من فتنة العلماء ، واكرباه من حيرة الأدلاء ، وجال جولة ثم قال : أين الأبرار من العباد ، بل أين الأخيار من الزهاد ؟ ثم بكى ،
وقال : شغلهم والله طول الوقوف ، وهمّ الجواب عن ذكر الجنة والنار وذكر الثواب ،
ثم قال : أنا استغفر الله من شهوة الكلام .
تنحّوا عني ، فخليناه وهو يبكي وقد ملئنا منه هما وغما .
وقال الجنيد : سمعت سريا يقول : بدوت يوما من الأيام وأنا حدث فطاب وقتي وجن علي الليل وأنا بفناء جبل لا أنيس به فناداني في جوف الليل مناد : لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب .
قال : فتعجبت ، وقلت : أجنّي يناديني أو إنسي ؟ فقال : بل جني مؤمن بالله ومعي إخواني ، قلت : فهل عندهم ما عندك ؟ قال : نعم وزيادة .
قال : فناداني الثاني منهم : لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة .
قال : فقلت في نفسي : ما أبلغ كلامهم ، فناداني الثالث منهم : من أنس به في الظلام نشر له غدا الأعلام .
قال : فصعقت ، فما أفقت إلا برائحة الطيب ، فإذا أترجة على صدري فشممتها ،
فأفقت فقلت : وصية رحمكم الله ! فقالوا جميعا : أبى الله إلا أن تحيا به قلوب المتقين ، فمن

طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع ، ومن اتبع طبيبا مريضا دامت علته ، ومن اتبع الدليل الحائر رجع وهو كليل ، وفقنا الله وإياك .
وودّعوني ومضوا وقد أتى علي حين فلا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري .
قال الجنيد : دخلت يوما على السري ، فقال لي : ما أوائل أحوال الصديقين ؟ قلت : لا أدري فقال : ثلاثة من أحوال الصديقين : أن يكونوا بما في أيديهم وإخوانهم سواء ، ويطالبون نفوسهم بما لله عليهم ، وإذا عرض أمران لله فيهما رضا حملوا أنفسهم على أصعبهما وأشدهما ، وإن كان فيه تلف نفوسهم .
وقال أبو إسحاق الحبلى : دخلت على علي بن عبد الحميد الغضايري رحمه الله فوجدته من أفضل خلق الله تعالى ، وكان لا يتفرغ من الصلاة آناء الليل والنهار فانتظرت فراغه ،
وقلت : إنا تركنا الآباء والأمهات والأهل والوطن بالرحلة إليك ، فقد تفرغت ساعة فتحدثنا بما عندك عما آتاك الله تعالى من العلم ،
فقال : أدركني دعاء الشيخ الصالح سري السقطي ، وذلك أني جئت إليه يوما فقرعت بابه ، فقال : من ذا ؟
فقلت : أنا ، فسمعته يقول قبل أن يخرج إلي : اللّهمّ من جاءني يشغلني عنك فاشغله بك عني ، فما رجعت من عنده حتى جئت على الصلاة والاشتغال بذكر الله تعالى حتى لا أتفرغ إلى شيء سواه ببركة ذلك الشيخ .
وقال قدّس الله روحه : اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر ، واستجلب نور القلب بدوام الخوف ، والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف ، وألح في المسالة عند وجل القلوب ، وإياك والتسويف ، ونافس الأبرار في إقامة الفرض ، ونافس المقربين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال ، واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب وجمع الهمم ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر ، وأكثر الحسنات الحديثات للسيئات القديمات ، واستبق الحسنات بقلة التبعات ، وسارع في الخيرات ، واحذر ما يوجب عليك العقوبات .
وقال : التصوف اسم لثلاث معان :
- وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه .
- ولا يتكلم في علم باطن ينقضه عليه ظاهر الكتاب .

- ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله .
وقال : أعرف طريقا مختصرا قصدا على الجنة .
فقيل له : ما هو ؟ قال : لا تنال من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ، ولا يكون معك شيء تعطي أحدا .
وقال : التوكل : الانخلاع من الحول والقوة ،
وأربع من أخلاق الأبدال :
استقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق ، والنصيحة لهم ،
وأربع خصال يرفع الله بها : **العلم والأدب والدين والأمانة .**
وقال : من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم ، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها ، وقليل في سنة خير من كثير في بدعة ، وكيف يقل عمل مع تقوى .
وقال : الأمور ثلاثة : أمر بان لك رشده فاتبعه ، وأمر بان لك غيه فاجتنبه ، وأمر أشكل عليك فقف عنده وكله إلى الله وليكن الله دليلك ، واجعل فقرك إليه تستغني به عمن سواه .
وقال : لسانك ترجمان قلبك ، ووجهك مرآة قلبك ، فيبين على الوجه ما يضمر القلب .
والقلوب ثلاثة :
- قلب مثل الجبل لا يزيله شيء .
- وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها .
- وقلب كالريشة تميل مع الريح يمينا وشمالا .
وقال : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها ، فيقال يا أمة موسى ، ويا أمة عيسى ، ويا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، غير المحبين لله فإنهم ينادون : يا أولياء الله هلموا إلى الله ، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا .
وقال : خير الرزق ما سلم من الآثام في الاكتساب والمذلة والخضوع في السؤال والغش في الصناعة ، وإتيان ألد المعاصي . ومعاملة الظلمة .
وقال : وأحسن الأشياء خمسة :
البكاء على الذنوب ،
وإصلاح العيوب ،
وطاعة علام الغيوب ،
وجلاء الرين من القلوب ،
وأن لا يكون لما تهوى ركون .

وقال : خمسة أشياء لا يسكن معها في القلب غيرها :
الخوف من الله وحده ، وإذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثم كتب الحديث فتر ، وإذا ابتدأ بكتبه الحديث ثم تنسك نفد ، وأجلد الناس من ملك غضبه ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى .
وقال : لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار عليها كلما خلق الله من الأطيار يخاطبه كل طير منها بلغة ، وقال له : السلام عليك يا ولي الله ، ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان في يدي نفسه أسيرا .
توفي ببغداد في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سبع وخمسين ومائتين ، وقبره بالشونيزية ظاهر يزار .

* * *

الشيخ أبو جعفر القصّاب « 1 »
قدّس الله روحه ونور ضريحه

هو الشيخ الأستاذ أبو جعفر محمد بن علي القصاب البغدادي ، الصوفي .
كان أستاذ الجنيد ، وكان الشيخ الجنيد يقول : الناس ينسبونني إلى سري ، وكان أستاذي محمدا القصاب .
وقد تتلمذ أيضا على يديه : **الشيخ النوري ، والشيخ سمنون بن حمزة .**
مما أثر عنه قوله : التصوف هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم ، من رجل كريم ، مع قوم كرام .
وتوفي رحمه الله سنة 275 هـ .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (ص 155 ، 164 ، 198) ، وطبقات الأولياء (ص 137) ، وتاريخ بغداد (3 / 62) .

الشيخ أبو جعفر الكرنبي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الشيخ أبو جعفر بن الكرنبي الصوفي .
قال أبو نعيم الحافظ : هو من صوفية البغداديين فرفع منه جدّا .
وقال : فاق أقرانه في الاجتهاد وكثرة الأوراد ، وتأدب أكثر نساك بغداد بآدابه وتوارثوا منه شريف الآداب وحميد الأخلاق .
وقال أبو نعيم : وحدثني أبو مقسم عن جعفر الخلدي قال : ذهب الجنيد إليه يوما بصرة دراهم عرضها عليه ، فأبى ابن الكرنبي أن يأخذها منه ، وذكر غناه عنها
فقال له الجنيد : إن وجدت غنى عنها ففي أخذها سرور رجل مسلم ، فأخذها .
قال أبو نعيم : وكان ابن الكرنبي من تلامذة أبي عبد الله البراثي .
قال الجريري : سمعت ابن الكرنبي يقول : إن الفقير الصادق ليحذر من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغني يحذر من الفقر حذرا أن يدخل عليه ، فيفسد غناه عليه .
قال أبو الحسن علي بن محمد بن بشار : سمعت ابن الكرنبي يقول : فررت في أيام المحنة بديني ، قال : وكان كبير اللحية وكان عليه جبة ثقيلة ، وكان إذا لقيه من يخاف منه وضع لحيته في فمه وحرك رأسه فيقال هو مجنون فخرج إلى عبادان قال : فرأيت رجلا معه غلمان وهو من أبناء الدنيا ، ففزعت منه وفزع مني ،
قال ابن بشار : فقلت له : هو فزع منك من منظرك ، وأنت لم فزعت منه ؟
قال : خشيت أن يمتحنني ؟
قال : فإذا قوم من بغداد من قطيعة الربيع ، وإذا هو فرّ بدينه فوانسته وقلت له في
قول : لن تراني بعين فانية في جسد فان في دار فانية ولكن تراني بعين باقية في جسد باق في دار باقية يرى الباقي الباقي **قال :**
فقال ابن الكرنبي لو لم يكن محنة إلا أن أخرج أسمع هذا لما كان كثيرا .

....
(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (14 / 213) .

قال الجنيد : سمعت ابن الكرنبي يقول : أصبت ليلة جنابة احتجت أن أغتسل ، وكانت ليلة باردة ، فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا وحدثتني نفسي : لو تركت حتى تصبح فيسخن لك الماء أو تدخل الحمام وإلا أعنت على نفسك
فقلت : واعجباه أنا أعامل الله في طول عمري ، يجب له علي حق لا أجد المسارعة إليه واجد الوقوف والتباطؤ والتأخر آليت لا اغتسلت إلا في نهر وآليت لا اغتسلت إلا في مرقعتي هذه وآليت لا نزعتها وآليت لا عصرتها وآليت لا جففتها في شمس أو كما قال .

قال جعفر الخلدي : حدثنا ابن حباب أبو الحسن صاحب ابن الكرنبي قال : أوصى لي ابن الكرنبي بمرقعته فوزنت فردكم من كمامها فإذا فيه أحد عشر رطلا قال جعفر وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكبل .

أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد أخبرنا محمد بن الحسين بن موسى **النيسابوري قال :** سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت جعفر الخلدي
يقول : جلس الجنيد عند رأس أبي جعفر الكرنبي عند وفاته ، فرفع الجنيد رأسه إلى السماء فقال له أبو جعفر بعد **!** فطأطأ رأسه إلى الأرض
فقال أبو جعفر : بعد معناه : أن الحق أقرب إلى العبد من أن يشار إليه في جهة .
* * *

الشيخ أبو علي المسوحي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو شيخ الزّهاد أبو علي الحسن بن علي البغدادي الصوفي المسوحي .
كان من العاملين بالتحقيق والقائمين بالتصديق أحكم علم الأصول وسهل له سبيل الوصول .
حكى عن بشر بن الحارث ، وصحب سريا السقطي ، وكان أول من عقدت له حلقة ببغداد للكلام في الحقائق ، حكى عنه الجنيد وابن مسروق وأبو محمد الجريري والقاضي أبو عبد الله المحاملي ، وقيل : صحبه أبو حمزة البغدادي .

قال ابن الأعرابي : سمعت غير واحد سمعوا أبا حمزة يقول كثيرا : حسن أستاذنا رحم الله حسنا ، وقال أيضا : كانت له حلقة في جامع بغداد ، ثم بعده حلقة أبي حمزة البغدادي ، وكان المسوحي لا يجاوز علم الوصول والعبادات والإرادات والأحوال دون المعارف .
وقال غيره : كان عذب العبارة قانعا زاهدا يأوي إلى المسجد .
وحكي عن الجنيد أنه لم يكن له منزل يأوي إليه ، وكان يأوي باب الكناس في مسجد يكنّه من الحر والبرد .
وحكي عنه أنه استلقى يوما في مسجده فكظمه الحرّ فغلبته عيناه ، فرأى كأن سقف المسجد انشق فنزلت منه جارية عليها قميص فضة يتخشخش ، ولها ذؤابتان فجلست عند رجلي ، فقبضت رجلي عنها فمدت يدها ومست رجلي ،
فقلت لها يا جارية : أنت لمن ؟ قالت : أنا لمن دام على مثل ما أنت عليه .

وقال السلمي : سمعت أبا العباس البغدادي حدثنا جعفر الخلدي سمعت الجنيد يقول : كلمت حسنا المسوحي في شيء من الأنس ،
فقال لي : ويحك الأنس ! لو مات من تحت السماء ما استوحشت ، توفي المسوحي رحمه الله بعد سنة 260 هـ .

....
(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 366) ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (10 / 322) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (12 / 580) .

قران الإمام الجنيد
الشيخ الكامل الوارث قطب الأحوال
أبي يزيد قدّس الله روحه ونوّر ضريحه « 1 »

ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن ، وقال : **ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب ، وهام فآب ، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات** ، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية ، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة ، ولمنكريها فاتنة .

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيا فأسلم

وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان ،

وقال له : رجل مجوسي تصاحبه ؟

فقال لوالده : هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك ، فقال له والده :

قل له : إن أبي يجيئك ضيفا ، فأخبره

فقال : نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة ، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام .

قال له : لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي .

قال : وما ذاك ؟ . قال : أن تسلم . قال : أفعل وكرامة ،

وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده رسوله ، فكان هذا سبب إسلامه .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 33 ، 40) ، وفيات الأعيان (1 / 301) ، صفة الصفوة (4 / 89 ، 94) ، المنتظم (5 / 28) ، الرسالة القشيرية (17) ، طبقات الصوفية للسلمي (8) ، ميزان الاعتدال (1 / 481) ، الكواكب الدرية (1 / 24) ، البداية والنهاية (11 / 35) ، مرآة الجنان (2 / 173) ، نفحات الأنس (56) ، الطبقات الكبرى للشعراني (1 / 89) ، طبقات الأولياء (108) ، النجوم الزاهرة (3 / 35) ، جامع كرامات الأولياء (2 / 40) ، نتائج الأفكار القدسية (1 / 104) ، رشحات عين الحياة (14) ، معجم البلدان (1 / 623) ، درر الأبكار (ص 120) ، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص 18) بتحقيقنا .

وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه ، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركا واستسعادا ، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور ، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله .

قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى .

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السّلمي رحمه الله : مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة ، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات ، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح ويكون مقولا عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة . مات سنة إحدى وستين ومائتين ، وقيل : أربع وثلاثين ومائتين .

ذكر معنى أقواله المشهورة عنه في الشطح : « سبحاني سبحاني ما أعظم شاني » .

قال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله : وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك ، وعلى تقدير صحة ذلك ،

فنقول : قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله عز وجلّ أنه يقول : سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول : لا إله إلا أنا فاعبدني ، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن ، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه ، وكذلك لو سمعنا دائما أبا يزيد وغيره وهو يقول : سبحاني سبحاني ، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه .

وكذا قال : الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف : وما يحكى عن أبي يزيد قوله : سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى .

قال : وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق .

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يزيد يسرف في الكلام ، وقال : وما بلغكم عن إسرافه في كلامه ؟

قيل يقول : **« سبحاني سبحاني ما أعظم شأني » .**

فقال الجنيد :
إن الرجل مستهلك في شهود الإجلال ، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته ، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنا من الحق به ، ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه ؟
فقال : ليلى ، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إياه فيه ، وقيل له : من أنت ؟
قال : أنا من ليلى ومن ليلى أنا .
وأما ما حكي عنه قوله : « ضربت خيمتي بإزاء العرش » فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحت العرش ، أو بإزاء العرش يعني : وجهت وجهي نحو ملك العرش ، ولا يوجد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش ، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن .

وأما ما حكي عنه أنه قال : « خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله » فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم ، ونذكر هنا ما قاله الشيخ الكبير أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه فإنه أقرب إلى أفهام الناس .
قال : إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام ، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض ، أي : فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا .
وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد .
وقد قال : إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق ملئ عسلا ، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء .
وقال : والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة ، والقيام بكمال الأدب .
وحكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المسجد ينتظره ، فجاء ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به ،
وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله ، وما جاء

عن الأكابر أولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحسن طريقتهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلّم :
« ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا "1"»
انتهى كلامه قدّس الله سرّه العزيز .

وأما قوله في بعض كلامه : رفعني وأقامني بين يديه ، يعني : أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك ؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهم نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له ، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة ، والله تعالى أعلم .

وأما قوله : قال لي وقلت له ، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار .

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر خطر بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك ، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار ، ما يقع في القلوب بدؤه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله ، فهذا على هذا المعنى ، والله أعلم .
وفيما ذكرته كفاية وهذا الباب واسع ، وقد شرح الشيوخ ما نسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم .
قال الجنيد قدّس الله روحه : الحكايات عن أبي يزيد مختلفة ، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون ، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله ، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه .

....
(1) قلت : إنما هو من كلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، من ثماني عشرة كلمة كلها حكم ، وقد روى الجزء الذي ذكره المصنف ، المحاملي في أماليه (ص 395) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (1 / 45) ، تاما عن عمر .
ورواها بتمامها البيهقي في الشعب (6 / 323) ، من طريق يحيى بن سعد عن سعيد بن المسيب قال : كتب إلى بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن صنع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت . . . فذكر الأثر .

وقال الجنيد أيضا :
وكأن كلام أبي يزيد رحمة الله عليه بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به ، وجعل ذلك البحر له وحده .
وقال الجنيد أيضا : كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا .
وقال أبو الحسين : ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبة لا يجوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها .
وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي : سمعت علي بن بندار ، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول : بلغني أن أبا حفص قدم على أبي يزيد ،
فقال له : يا أبا يزيد : يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكرة ،
فقال : إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي ، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي ، والله أعلم .

* * *

الشيخ أحمد بن وهب الزيات « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو من مشايخ الصوفية أيضا قال محمد بن الحسين : أحمد بن وهب الزيات من أصحاب بشر يعني ابن الحارث الحافي ، وسري بن المغلس السقطي ، وحارث بن أسد المحاسبي ،
قال : وكان من أقران الجنيد ، وكان يقعد معه في المسجد الجامع ببغداد حتى مات أحمد بن وهب ، وكان الجنيد يبجله ويقدمه على نفسه .

....
(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (5 / 190) .

الشيخ أبو جعفر الحدّاد « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو من مشايخ الصوفية الكبار ، كان شديد الاجتهاد معروفا بالإيثار ، قال محمد بن عبد الله الزعفراني : سمعت أبا جعفر الحداد يقول : مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل ، وأنا أعمل في السوق آخذ كل يوم أجرتي ولا أنتفع منها بشربة ماء ، ولا بدخلة حمام ، وكنت أجيء بأجرتي إلى الفقراء في الشونيزي ، وأكون على حالي .

قال أبو عمر الأنماطي :

مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يكسب كل يوم دينارا يتصدق به أو قال : ينفقه على الفقراء وهو أشد الناس اجتهادا ويخرج بين العشاءين فيتصدق من الأبواب ولا يفطر إلا في وقت أحل الله عليه الميتة وكان من رؤساء المتصوفة .

قال أبو عبد الرحمن : أبو جعفر الحداد الكبير بغدادي من أقران الجنيد ، ورويم ، وكان أستاذ أبي جعفر الحداد الصغير .

قال محمد بن الهيثم : قال لي أبو جعفر الحداد : كنت أحب أن أدري كيف تجري أسباب الرزق على الخلق ، فدخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوما لم آكل فيها شيئا فضعفت عن المشي ، فبقيت أياما أخر لم أذق فيها شيئا حتى سقطت على وجهي وغشي علي وغلب علي القمل ، شيئا ما رأيت مثله ، ولا سمعت به ، فبينا أنا كذلك إذ مر بي ركب فرأوني على تلك الحال ، فنزل أحدهم عن راحلته ، فحلق رأسي ولحيتي وشق علي ثوبي وتركني في الرمضاء ، وساروا ، فمرّ بي ركب آخر فحملوني إلى حيهم ، وأنا مغلوب فطرحوني ناحية ، فجاءتني امرأة وحلبت على رأسي وصبت اللبن في حلقي ، ففتحت عيني قليلا ،

وقلت لهم : أقرب موضع منكم أين ؟

قالوا : جبل الشراة فحملوني إلى الشراة ، قال أبو جعفر وحين سقطت وكنت قد قبضت على حصاة وجهدوا في البادية أن يفتحوا يدي فلم يطيقوا إذا هي حصاة كلما هممت برميها لم أجد إلى رميها سبيلا ، فدخلت بيت المقدس ، فاجتمع حولي الصوفية والحصاة في يدي أقلبها ، فأخذه مني بعض الفقراء وضرب بها الأرض فتفتت وأنا أنظر إليها فقلت : نعم ، يا سيدي لم تطلعني على سبب مجاري الأرزاق إلا بعد حلق رأسي ولحيتي .

....

(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (14 / 210) ، والحلية (10 / 339) .

الشيخ ذو النون المصري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الشيخ الزاهد شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم ، وقيل : فيض بن أحمد ، وقيل :
فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي يكنى : أبا الفيض ويقال : أبا الفياض ، ولد في أواخر أيام المنصور .
وروى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسالم الخواص وسفيان بن عيينة وطائفة . وعنه أحمد بن صبيح الفيومي وربيعة بن محمد الطائي ورضوان بن حميد وحسن بن مصعب والجنيد بن محمد الزاهد ومقدام بن داود الرعيني وآخرون .
وقال ابن يونس : كان عالما فصيحا حكيما .
وقال السلمي : حملوه على البريد من مصر إلى المتوكل ليعظه في سنة 244 هـ . وكان إذا ذكر بين يدي المتوكل أهل الورع بكى .
وقال يوسف بن أحمد البغدادي : كان أهل ناحيته يسمونه الزنديق فلما مات أظلت الطير جنازته فاحترموا بعد قبره .
عن أيوب مؤدب ذي النون قال : جاء أصحاب المطالب ذا النون ، فخرج معهم إلى قفط وهو شاب ، فحفروا قبرا فوجدوا لوحا فيه اسم الله الأعظم ، فأخذه ذو النون وسلّم إليهم ما وجدوا .
قال يوسف بن الحسين الرازي : حضرت ذا النون فقيل له : يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك ؟ قال : نمت في الصحراء ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة في أحدهما سمسم وفي الأخرى ماء

....

(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (8 / 393) ، والحلية (9 / 331) ، وسير أعلام النبلاء (11 / 532) ، وطبقات الصوفية (ص 15) ، ووفيات الأعيان (1 / 126) ، وصفوة الصفوة (4 / 287) ، وشذرات الذهب (2 / 107) ، والبداية والنهاية (10 / 347) ، ومرآة الجنان (2 / 149) ، والطبقات الكبرى للشعراني (1 / 81) .

فأكلت وشربت فقلت : حسبي فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني .
قال السلمي في محن الصوفية : ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وهجره علماء مصر وشاع أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف وهجروه حتى رموه بالزندقة ،
فقال أخوه : إنهم يقولون : إنك زنديق
فقال : وما لي سوى الإطراق والصمت حيلة ووضعي كفي تحت خدي وتذكاري .
قال محمد ابن الفرخي : كنت مع ذي النون في زورق ، فمر بنا زورق آخر ،
فقيل لذي النون : إن هؤلاء يمرون إلى السلطان يشهدون عليك بالكفر ،
فقال : اللّهمّ إن كانوا كاذبين فغرقهم فانقلب الزورق وغرقوا فقلت له : فما بال الملاح ؟
قال : لم حملهم وهو يعلم قصدهم ، ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور ، ثم انتفض وتغير وقال : وعزتك لا أدعو على أحد بعدها ثم دعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرضي أمره وطلبه المتوكل ، فلما سمع كلامه ولع به وأحبه .
قال علي بن حاتم : سمعت ذا النون يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .
وقال يوسف بن الحسين : سمعت ذا النون يقول : مهما تصور في وهمك ، فالله بخلاف ذلك . **وسمعته يقول :** الاستغفار جامع لمعان
أولهما : الندم على ما مضى ،
الثاني : العزم على الترك ،
والثالث : أداء ما ضيعت من فرض لله ،
الرابع : رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها ،
الخامس : إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام ،
السادس : إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية .
وعن عمرو بن السرح قلت لذي النون : كيف خلصت من المتوكل وقد أمر بقتلك قال : لما أوصلني الغلام
قلت في نفسي : يا من ليس في البحار قطرات ، ولا في ديلج الرياح ديلجات ، ولا في الأرض خبيئات ، ولا في القلوب خطرات إلا وهي عليك دليلات ولك شاهدات وبربوبيتك معترفات وفي قدرتك متحيرات ، فبالقدرة التي تجير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد وأخذت قلبه عني فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني
ثم قال : أتعبناك يا أبا الفيض .

وقال يوسف بن الحسين : حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل ، وكان مولعا به يفضله على الزهاد ، فقال : صف لي أولياء الله ؟ قال : يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته وجللهم بالبهاء من إرادة كرامته ، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته ، فذكر كلاما طويلا .

ومن كلامه أيضا :

قال : إياك أن تكون بالمعرفة مدعيا ، أو تكون بالزهد محترفا ، أو تكون بالعبادة متعلقا .

وسئل ما أخفى الحجاب وأشده ؟ قال : رؤية النفس وتدبيرها .

وسئل عن المحبة ؟ فقال : أن تحب ما أحب الله ، وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير كله ، وترفض كل ما يشغل عن الله ، وألا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين ، والغلظة على الكافرين ، واتباع رسول الله في الدين .

وسئل عن الصوفي ؟

فقال : من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق ، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق .

وكان يقول : الأنس بالله من صفاء القلب مع الله ، والتفرد بالله الانقطاع من كل شيء سوى الله .

وقال : من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله ، فإنها تذوب وتصفو ، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه ، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته .

وقال : لم أر أجهل من طبيب يداوي سكران في وقت سكره لن يكون لسكره دواء حتى يفيق فيداوى بالتوبة .

وقال : لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى ، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله ، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من أركان الصدق .

وقال : من علامات المحبة لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه .

وقال أيضا : إذا صحّ اليقين في القلب صحّ الخوف فيه .

الشيخ سهل التستري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

قال السلمي : سهل بن عبد الله التستري وهو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى ابن عبد الله بن رفيع وكنيته أبو محمد أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال ، صحب خاله محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة . وأسند الحديث .

من كلامه :

قال المالكي البصري : سمعت سهل بن عبد الله يقول : ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجه ودنياه وآخرته .

وقال سهل : أدنى الأدب أن تقف عند الجهل ، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة .

وقال سهل : شكر العلم العمل وشكر العمل زيادة العلم .

وقال : ما من قلب ولا نفس إلا والله مطلع عليها في ساعات الليل والنهار ، فأيما قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس .

وقال : الذي يلزم الصوفي ثلاثة أشياء حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره .

وقال : الله قبلة النية والنية قبلة القلب والقلب قبلة البدن والبدن قبلة الجوارح والجوارح قبلة الدنيا .

وقال سهل : ليس في الضرورة تدبير فإذا صار إلى التدبير خرج من الضرورة .

....

(1) انظر في ترجمته : الحلية (10 / 189) ، وسير أعلام النبلاء (11 / 532) ، وطبقات الصوفية (ص 206) ، ووفيات الأعيان (1 / 273) ، وصفوة الصفوة (4 / 46) ، وشذرات الذهب (2 / 182) ، والطبقات الكبرى للشعراني (1 / 90) ، والمنتظم (5 / 162) .

وقال : من لم تكن ضرورته لربه فهو مدع لنفسه .
وقال : لا يستحق إنسان الرياسة حتى يجتمع فيه أربع خصال : يصرف جهله عن الناس ويحمل جهلهم ، ويترك ما في أيديهم ، ويبذل ما في يده لهم .
وقال : من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم ولا يشبعون بطونهم ، وإذا وعدوا لم يخلفوا ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم ولا يمزحون أصلا .
وقال : ذروا التدبير والاختيار ، فإنهما يكدران على الناس عيشهم .
وقال : اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد لفساد ما عليه أهل الزمان .
وقال : أعمال البر يعملها البرّ والفاجر ولا يجتنب المعاصي إلا صدّيق .
وقال سهل : من ظن حرم اليقين ، ومن تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق ، ومن شغل جوارحه بغير ما أمره الله به حرم الورع .
وحكى أبو بكر الفرغاني عن سهل بن عبد الله أنه قال : الفتن ثلاثة : فتنة العامة من إضاعة العلم ، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات ، وفتنة أهل المعرفة من أن يلزمهم حق في وقت فيؤخروه إلى وقت ثان .
وقال سهل : الآيات لله والمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء والمغوثات للمريدين والتمكين لأهل الخصوص .
وقال سهل : العيش على أربعة أوجه : عيش الملائكة في الطاعة ، وعيش الأنبياء في العلم ، وانتظار الوحي ، وعيش الصديقين في الاقتداء ، وعيش سائر الناس عالما كان أو جاهلا زاهدا كان أو عابدا في الأكل والشرب .
وقال : الضرورة للأنبياء ، والقوام للصديقين ، والقوت للمؤمنين ، والمعلوم للبهائم .
وقال سهل : الأعمال بالتوفيق ، والتوفيق من الله ، ومفتاحها الدعاء والتضرع .
توفي قدّس سرّه العزيز سنة ثلاث وثمانين وقيل : سنة ثلاث وتسعين ومائتين وأظن أن ثلاثا وثمانين أصح ، والله أعلم .

الشيخ أبو سعيد الخراز « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

واسمه أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد ، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم .
قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء .
أخذ عن إبراهيم بن بشار الخراساني ومحمد بن منصور الطوسي ، روى عنه علي بن محمد الواعظ المصري وأبو محمد الجريري وعلي بن حفص الرازي ومحمد بن علي الكتاني وآخرون .
وقد صحب سريّا السقطي وذا النون المصري ، قال أبو القاسم عثمان بن مردان النهاوندي : أول ما لقيت أبا سعيد الخراز سنة اثنتين وسبعين فصحبته أربعة عشر سنة .
قال السلمي : هو إمام القوم في كل فن من علومهم له في مبادئ أمره عجائب وكرامات ، وهو أحسن القوم كلاما خلا الجنيد فإنه الإمام .
قال القشيري : صحب ذا النون والسري والنباجي وبشرا الحافي .
قال ومن كلامه : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل .
وقال ابن الطرسوسي : أبو سعيد الخراز قمر الصوفية .
وعنه قال : أوائل الأمر التوبة ، ثم ينتقل إلى مقام الخوف ، ثم إلى مقام الرجاء ، ثم منه إلى مقام الصالحين ، ثم إلى مقام المريدين ، ثم إلى مقام المطيعين ، ثم منه إلى المحبين ، ثم ينتقل إلى مقام المشتاقين ، ثم منه إلى مقام الأولياء ، ثم منه إلى مقام المقربين .
قال السلمي : أنكر أهل مصر على أبي سعيد وكفّروه بألفاظه ، فإنه قال في كتاب السر : فإذا قيل لأحدهم : ما تقول ؟
قال : الله ، وإذا تكلم قال : الله ، وإذا نظر قال : الله فلو

....
(1) انظر في ترجمته : الحلية (10 / 246) ، وسير أعلام النبلاء (13 / 421) ، وطبقات الصوفية (ص 228) ، وصفوة الصفوة (4 / 245) ، وشذرات الذهب (2 / 192) ، والطبقات الكبرى للشعراني (1 / 117) ، والمنتظم (5 / 105) ، والبداية والنهاية (11 / 58) ، وتاريخ بغداد (4 / 276) .

تكلمت جوارحه ، قالت : الله ، وأعضاؤه مملوءة من الله . فأنكروا عليه هذه الألفاظ وأخرجوه من مصر . قال ثم ردّ بعد عزيزا .

ويروى عن الجنيد قال : لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا ، فقيل لإبراهيم بن شبيان : ما كان حاله ؟ قال : أقام سنين ما فاته الحق بين الخرزتين .

وعن المرتعش قال : الخلق عيال على أبي سعيد الخراز ، إذا تكلم في الحقائق .ومن كلامه :

قال الكتاني : سمعت أبا سعيد يقول : من ظنّ أنه يصل بغير بذل المجهود فهو متمني ، ومن ظنّ أنه يصل ببذل المجهود فهو متعنّي .

وقال أبو سعيد الخراز : إن الله تعالى عجّل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره ، والوصول إلى قربه ، وعجّل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم ، وأجزل نصيبهم من كل كائن فعيش أبدانهم عيش الجنانيين ، وعيش أرواحهم عيش الربانيين ، لهم لسانان لسان في الباطن ، يعرفهم صنع الصانع في المصنوع ، ولسان في الظاهر ، يعلمهم علم المخلوقين ، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم ، ولسان الباطن يناجي أرواحهم .

وسئل أبو سعيد عن الأنس ما هو ؟ فقال : استبشار القلوب بقرب الله تعالى ، وسرورها به ، وهدوؤها في سكونها إليه وأمنها معه من حيث الروعات ، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه حتى يكون هو المشير لأنها ناعمة به ، ولا تحمل جفاء غيره .

وكان أبو سعيد الخراز نائما فانتبه وقال : اكتبوا ما وقع لي في هذا النوم ، إن الله تعالى جعل العلم دليلا عليه ليعرف ، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ، ليؤلف ، فالعلم دليل إلى الله ، والمعرفة دالة على الله ، فبالعلم تنال المعلومات ، وبالمعرفة تنال المعروفات ، والعلم بالتعلم ، والمعرفة بالتعرف ، فالمعرفة تقع بتعريف الحق ، والعلم يدرك بتعريف الخلق ، ثم تجري الفوائد بعد ذلك .

وقال أيضا : مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف ، فإن حركته تظهر ما تحته من الحمأة ، وكذلك النفس تظهر عند المحن ، والفاقة والمخافة ، ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه ؟

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثمانين ومائتين ، وقيل : بل توفي سنة سبع وسبعين ومائتين .

الشيخ سمنون الخواص المحب « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو سمنون بن حمزة ويقال : سمنون بن عبد الله ، كنيته أبو القاسم .
صحب سريا السقطي ومحمد بن علي القصاب وأبا أحمد القلانسي ، ووسوس .
وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام ، وشدة وجد ، وهو من كبار مشايخ العراق ، مات بعد الجنيد .
قال الخطيب : سمعت أبا نعيم الحافظ يقول : سمنون هو بن حمزة الخواص أبو الحسن .
وقيل : أبو بكر . بصري ، سكن بغداد ، ومات قبل الجنيد ، سمى نفسه سمنونا الكذّاب بسبب أبياته التي قال فيها :
فليس لي في سواك حظّ * فكيفما شئت فامتحني
فحصر بوله من ساعته فسمى نفسه سمنون الكذّاب .

وقيل : كان سمنون في هيجانه يشطح وينشد :
ضاعف عليّ بجهدك البلوى * وأبلغ بجهدي غاية الشكوى
وأجهد وبالغ في مهاجرتي * وأجهر بها في السر والنجوى
فإذا بلغت الجهد فيّ فلم * تترك لنفسك غاية القصوى
فانظر فهل حال بي انتقلت * عمّا تحبّ بحالة أخرى
قال : فعوقب على ذلك بقطر البول فرأى في منامه كأنه يشكو حاله إلى بعض المتقدمين الصالحين ،
فقيل له : عليك بدعاء الكتاتيب ، فكان بعد ذلك يطوف على الكتاتيب وبيده قارورة يقطر فيها بوله ، ويقول للصبيان : ادعوا لعمكم المبتلى بلسانه .

....
(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 238) ، وتاريخ بغداد (14 / 314) ، والبداية والنهاية (11 / 126) ، وصفوة الصفوة (4 / 84) ، وطبقات الصوفية (6) ، وشذرات الذهب (2 / 425) .

ومن كلامه :

قال أبو الحسن بن زرعان : كنت عند سمنون فشهق شهقة ثم قال : لو صاح إنسان لشدة وجده بحبه لملأ ما بين الخافقين صياحا .

وقال سمنون : إذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه ، وإذا أبدى عينا من عيون الجود ألحق المسئ بالمحسن .

وقال أبو القاسم الهاشمي : سمعت سمنون يقول : كنت ببيت المقدس ، وكان برد شديد وعلي جبة وكساء ، وأنا أجد البرد والثلج يسقط ، فإذا شابّ مارّ في الصحن عليه خرقتان ، فقلت : حبيبي ! لو استترت ببعض هذه الأروقة ، فيكنك من البرد ! فقال لي : يا أخي سمنون :

ويحسن ظنّي أنني في فنائه * وهل أحد في كنه يجد القرّا

قال إبراهيم بن المولد قال سمنون المحب : لا يعبر عن الشيء إلا بما هو أرق منه ولا شيء أرق من المحبة فبم يعبر عنها ؟

وسئل سمنون عن الفقير الصادق فقال الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر .

* * *

الشيخ رويم بن أحمد البغدادي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

رويم بن أحمد بن يزيد ، كنيته أبو محمد ، ويقال : رويم بن محمد بن أحمد ، والأول أصح .

وهو من أهل بغداد من جلة مشايخهم ، وجده رويم بن يزيد حدث عن ليث بن سعد وغيره وقيل : كنيته أبو بكر .

وكان فقيها على مذهب داود الأصبهاني ، وكان مقرئا فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحدّاد .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 296) ، وتاريخ بغداد (8 / 430) ، وصفوة الصفوة (2 / 249) ، والبداية والنهاية (11 / 125) ، وطبقات الصوفية (5) ، والطبقات الشعرانية (1 / 103) ، والمنتظم (6 / 136) .

من كلامه :

قال محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان : سمعت رويما وقد سئل عن أدب المسافر ؟ فقال : لا يجاوز همه قدمه ، وحيثما وقف قلبه يكون منزله .

وكان رويم بن أحمد يقول : لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا ، فإن اصطلحوا هلكوا .

وقال رويم : من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم ، والتضييق على نفسه من حكم الورع .

وقال أيضا : إن الله تعالى غيب أشياء في أشياء : غيب مكره في حلمه ، وغيب خداعه في لطفه ، وغيب عقابه في كرامته .

وقيل له : هل ينفع الولد صلاح الوالدين ؟ فقال : من لم يكن بنفسه لا يكون بغيره ، بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه .

وسئل رويم عن الشاطر ؟ فقال : من شطرت نفسه عن الباطل .

وسئل رويم عن حقيقة الفقر ؟

فقال : أخذ الشيء من جهته ، واختيار القليل على الكثير عند الحاجة .

وقال رويم : قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق ، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه ، نزع الله نور الإيمان من قلبه .

وقال رويم : لما عظمت فيهم البلية استحكمت عليهم الفتنة ، واستصغروا عند ذلك كل مقام وعزب عنهم التدبير والنظام .

وكان رويما يقول : الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل .

وسئل رويم عن الفتوة ؟

فقال : أن تعذر إخوانك في زلاتهم ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه .

وقال محمد بن خفيف : سألت رويم بن أحمد فقلت له : أوصني ؟

فقال : أقل ما في هذا الأمر بذل الروح ، فإن أمكنك الدخول مع هذا فيه ، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية .

وقال إبراهيم بن فاتك : قال رويم : الصبر ترك الشكوى .
وقال رويم : الرضا استلذاذ البلوى .
وقال رويم : اليقين هو المشاهدة .
وقال رويم : يعاتب الخلق بالإرفاق ، ويعاتب المحب بالغلظة .
وقال رويم : التوكل إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى العلائق .
وسئل عن المحبة ؟ فقال : الموافقة في جميع الأحوال .
وقال رويم : الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك .
وقيل له : كيف حالك ؟ فقال : كيف يكون حال من دينه هواه ، وهمته شقاه ليس بصالح تقي ولا عارف نقي .
وقال رويم : من أحب لعوض بغّض العوض إليه محبوبه .
وسئل رويم عن الشوق ؟ فقال : أن تشوقه آثار المحبوب ، وتفنيه مشاهدته .
مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثمائة .

* * *

الشيخ أبو الحسين النوري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو أحمد بن محمد وقيل : محمد بن محمد ، وأحمد أصح .
بغدادي المنشأ والمولد ، خراساني الأصل يعرف بابن البغوي .
قال ابن الأعرابي : أبو الحسين النوري خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الرّوذ يقال لها : بغشور ، لذلك كان يعرف بابن البغوي .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (2) ، (ص 164) ، وحلية الأولياء (10 / 149) ، وصفوة الصفوة (2 / 294) ، والمنتظم (6 / 77) ، وتاريخ بغداد (5 / 130) ، والبداية والنهاية (11 / 106) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 26) .

وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاما .
صحب سريا السقطي ومحمد بن علي القصاب ورأى أحمد بن أبي الحواري .

من كلامه :

قال النوري : الجمع بالحق تفرقة عن غيره والتفرقة عن غيره جمع به .
وقال علي بن عبد الرحيم : سمعت النوري يقول : التصوف ترك كل حظ للنفس .
قال : وسمعت النوري يقول : من وصل إلى وده انس بقربه ، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد .
وسئل النوري عن الحبيب والخليل ؟ فقال : ليس من طولب بالتسليم كمن بادر بالتسليم .
وقال أبو الحسين النوري : رأيت غلاما جميلا ببغداد ، فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له : تلبسون النعال الصرارة ، وتمشون في الطرقات ، قال : أحسنت أتجمش (أتلاعب) بالعلم .
وقال إبراهيم بن فاتك : سمعت النوري يقول : مقامات أهل النظر في النظر شتى فمنهم من كان نظره نظر التسلي ، ومنهم من كان نظره نظر استفادة ، ومنهم من كان نظره نظر عيان المكاشفة ، ومنهم من كان نظره نظر المنافسة في المشاهدة ، ومنهم من كان نظره نظر المشاكلة والمماثلة ، ومنهم من كان نظره نظر طيبة وملاحظة ، ومنهم من كان نظره نظر إشراف ومطالعة وكل واحد منهم أهل النظر .
وقال علي بن عبد الله البغ قال : وقال النوري : أعز الأشياء في زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقته .
قال : وقال النوري : من عقل الأشياء بالله فرجوعه في كل شيء إلى الله .
قال وسئل النوري عن الفقير الصادق ؟
فقال : الذي لا يتهم الله تعالى في الأسباب ويسكن إليه في كل حال .
قال : وأحضر النوري مجلسا للسلطان فقال له : من أين تأكلون ؟ فقال : لسنا نعرف

الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق نحن قوم مدبرون .
وقال علي بن عبد الله البغدادي : سمعت فارسا الجمال يقول : لحق أبا الحسين النوري علة ، والجنيد علة ، فالجنيد أخبر عن وجده ، والنوري كتم فقيل له : لم لم تخبر كما أخبر صاحبك ؟ فقال : ما كنا نبتلى ببلوى فنوقع عليها الشكوى .
ثم أنشد يقول :
إن كنت للسقم أهلا * فأنت للشكر أهلا
عذب ، فلم يبق قلب * يقول للسقم : مهلا

فأعيد على الجنيد ذلك فقال : ما كنا شاكين ولكن أردنا أن نكشف عين القدرة فينا .
ثم بدأ يقول :
أجل ما منك يبدو * لأنّه عنك جلا
وأنت يا أنس قلبي * أجلّ من أن تجلا
أفنيتني عن جميعي * فكيف أرعى المحلّا

وقال أبو عمر الأنماطي : اعتلّ النوري فبعث إليه الجنيد بصرة فيها دراهم وعاده ، فردّه النوري ، ثم اعتل الجنيد بعد ذلك ، فدخل عليه النوري عائدا ، فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته فعوفي من ساعته ،
فقال النوري للجنيد : إذا عدت إخوانك فارفقهم بمثل هذا البر .
وقال جعفر الخلدي : سمعت الجنيد يقول : سمعت النوري يقول : كنت بالرقة فجاءني المريدون الذين كانوا بها وقالوا : نخرج ونصطاد السمك فقالوا لي : يا أبا الحسين هات مع عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص ،
فقلت لمولاي : إن لم يخرج لي الساعة سمكة فيها ما قد ذكر وإلا أرمين بنفسي في الفرات ، فأخرجت سمكة فوزنتها ، فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان ، قال الجنيد :
فقلت له يا أبا الحسين : لو لم تخرج كنت ترمي بنفسك ؟ قال : نعم .
توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وتسعين ومائتين .
* * *

الشيخ أحمد بن أبي الحواري الدمشقي « 1 »

قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

كنيته أبو الحسن ، وأبو الحواري اسمه ميمون ، من أهل دمشق .
صحب أبا سليمان الداراني وغيره من المشايخ . فسمع من سفيان بن عيينة وعبد الله ابن إدريس وأبي معاوية والوليد بن مسلم وعبد الله بن وهب وأبي الحسن الكسائي ووكيع وحفص بن غياث وشعيب بن حرب ، ومروان بن معاوية الفزاري ومضاء بن عيسى وبشر ابن السري وأبي عبد الله النّباجي ، وطبقتهم ، ودخل دمشق فصحب الشيخ أبا سليمان الداراني مدة ، وأخذ عن مروان بن محمد وأبي مسهر الغساني وطائفة .
ثم أقبل على العبادة والتأله .
حدّث عنه : سلمة بن شبيب وأبو زرعة الدمشقي وأبو زرعة الرازي وأبو داود وابن ماجة في سننهما وأبو حاتم وسعيد بن عبد العزيز الحلبي ومحمد بن المعافى الصيداوي وأبو الجهم بن طلاب ومحمد بن محمد الباغندي وابنه عبد الله بن أحمد وعمر بن بحر الأسدي ومحمد بن خريم ويوسف بن الحسين الرازي وإبراهيم بن نائلة الأصبهاني ومحمد بن علي ابن خلف وأبو بكر بن أبي داود وخلق كثير .
وله أخ يقال له : محمد بن أبي الحواري يجري مجراه في الزهد والورع ، وابنه عبد الله ابن أحمد بن أبي الحواري من الزهاد وأبوه أبو الحواري كان من العارفين الورعين أيضا ، فبيتهم بيت الورع والزهد .
قال الذهبي : الإمام الحافظ القدوة شيخ أهل الشام أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد أحد الأعلام أصله من الكوفة ، وقد قال : سألني أحمد بن حنبل متى مولدك
قلت : في سنة أربع وستين ومائة قال : هي مولدي .
قلت : عني بهذا الشأن أتم عناية . وأسند الحديث .
قال هارون بن سعيد الأيلي عن يحيى بن معين وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال : أهل الشام به يمطرون .

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (12) ، (ص 99) ، وحلية الأولياء (1 / 5) ، وصفوة الصفوة (4 / 212) ، والبداية والنهاية (10 / 348) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 96) ، وسير أعلام النبلاء (12 / 87) ، ومرآة الجنان (2 / 153) ، وشذرات الذهب (2 / 11) .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يحسن الثناء عليه ويطنب فيه .
وقال فياض بن زهير : سمعت يحيى بن معين وذكر أحمد بن أبي الحواري ، فقال : أظن أهل الشام يسقيهم الله به الغيث .
قال محمود بن خالد وذكر أحمد بن أبي الحواري ، فقال : ما أظن بقي على وجه الأرض مثله .
وروي عن الجنيد قال : أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام .

من كلامه :

قال سعيد بن عبد العزيز الحلبي : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها ، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه .
وبهذا الإسناد قال أحمد : أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة أو بكاء على ما سبق له من المخالفة .

وبهذا الإسناد سمعت أحمد يقول : من عمل بلا اتباع السنة ، فباطل عمله .
وقال أبو الفضل العباس بن حمزة : حدثنا أحمد بن أبي الحواري : قال : من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه .

وبهذا الإسناد قال أحمد : علامة حب الله طاعة الله ، وقيل : حب ذكر الله ، فإذا أحب الله العبد أحبه ، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له وذلك حين عرف منه الاجتهاد في مرضاته .
وبهذا الإسناد قال أحمد : من لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور .
وبهذا الإسناد قال أحمد : ما ابتلى الله عبدا بشيء أشد من الغفلة والقسوة .
وبهذا الإسناد قال أحمد : في الرباط والغزو نعم المستراح ، إذا ملّ العبد من العبادة استراح إلى غير معصية .
وبهذا الإسناد قال أحمد : إن الله إذا أحب قوما أفادهم في اليقظة والمنام ، لأنهم طلبوا رضاه في اليقظة والمنام .
وبهذا الإسناد قال أحمد : كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

وبهذا الإسناد قال أحمد : إنما كره الأنبياء الموت لانقطاع الذكر عنهم .
وبهذا الإسناد قال أحمد : إذا مرض قلبك بحب الدنيا ، وكثرة الذنوب فداوه بالزهد فيها وترك الذنوب .
وبهذا الإسناد قال أحمد : إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها ، فهو خدعة ، وإذا حدثتك نفسك بتركها عند إقبالها فذاك .
وبهذا الإسناد قال أحمد : إذا رأيت من قلبك قسوة ، فجالس الذاكرين ، واصحب الزاهدين ، وأقلل مطمعك ، واجتنب مرادك ، وروّض نفسك على المكاره .
وبهذا الإسناد قال أحمد : الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف ، والمحب لها لا يزايلها بحال .
وبهذا الإسناد قال أحمد : من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به ، فقد أشرك في عبادته ، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه .
وبهذا الإسناد قال أحمد : إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية فيحار عقلي فيها ، وأعجب من حفّاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا ، وهم يتلون كلام الرحمن ، أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به ، لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا ووفّقوا .
قال أحمد بن عطاء : سمعت عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري يقول : كنا نسمع بكاء أحمد بن أبي الحواري بالليل حتى نقول : قد مات ، ثم نسمع ضحكه حتى نقول : قد جن .
ومات رحمه الله تعالى سنة ثلاثين ومائتين .

* * *

الشيخ أبو حفص الحدّاد النيسابوري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

أبو حفص النيسابوري ، اسمه عمرو بن سلم ، ويقال : عمرو بن سلمة وهو الأصح إن شاء الله . وقيل اسمه : عمر .
كان أحد المتحققين له الفتوة الكاملة والمروءة الشاملة ، تخرّج به عامة الأعلام النيسابوريون ، منهم :
أبو عثمان النيسابوري ، وشاه الكرماني ، صحب عبيد الله الأباوردي ، وكان من رفقاء أحمد بن خضرويه المروزي .من كلامه :
قال أبو حفص : المعاصي بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت .
وقال مخمش الجلاب : صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط ، وما كان يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة ، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله ، حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره .
وقال مرة وقد ذكر الله تعالى وتغير عليه حاله فلما رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين ، فما أظن أن محقّا يذكر الله عن غير غفلة ، ثم يبقى بعد ذلك حيا ، إلا الأنبياء فإنهم أيدوا بقوة النبوة ، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم .
وكان أبو حفص يقول : من إهانة الدنيا أني لا أبخل بها على أحد ، ولا أبخل بها على نفسي ، لاحتقارها ، واحتقار نفسي عندي .
وقال محمد بن بحر الشجيني ، أخو زكريا : كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال ، فقال لي يوما أبو حفص : إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يغنيك ، فذهب خوف الفقر من قلبي رأسا .

....
قال أبو حفص : الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه وارد
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (15) ، (ص 115) ، وحلية الأولياء (10 / 229) ، وصفوة الصفوة (4 / 98) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 96) ، ومرآة الجنان (2 / 179) ، وشذرات الذهب (2 / 150) .

يشغله عن حكم وقته ، يستوحش منه وينفيه .
وقال أبو حفص : ما أعز الفقر إلى الله وأذل الفقر إلى الأشكال ، وما أحسن الاستغناء بالله وأقبح الاستغناء باللئام .
وكان أبو حفص إذا غضب تكلم في حسن الخلق حتى يسكن غضبه ، ثم يرجع إلى حديثه .
وقال عبد الرحمن بن الحسين الصوفي : بلغني أن مشايخ بغداد اجتمعوا عند أبي حفص وسألوه عن الفتوة ؟
فقال : تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان ، فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة .
فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف .
فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته .
وقال عبد الرحمن : بلغني أنه لما أراد أبو حفص الخروج من بغداد ، شيّعه من بها من المشايخ والفتيان ، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ما هي ؟
فقال :
الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة لا نطقا ، فتعجبوا من كلامه .
وسئل أبو حفص هل للفتى من علامة ؟
قال : نعم من يرى الفتيان ولا يستحى منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى .
قال أبو حفص : ما دخل قلبي حق ولا باطل ، منذ عرفت الله .
وقال أبو حفص : تركت العمل فرجعت إليه ، ثم تركني العمل ، فلم أرجع إليه .
وقال أبو حفص : الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله لاحتياجك إليه .
وقال رجل لأبي حفص : إن فلانا من أصحابك أبدا يدور حول السماع ، فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه ، فقال أبو حفص : أيش يعمل الغريق يتعلق بكل شيء ، يظن نجاته فيه .
وقال أبو حفص : حرست قلبي عشرين سنة ، ثم حرسني قلبي عشرين سنة ، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعا .
وقال أبو حفص : من تجرّع كأس الشوق يهيم هياما لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء .

وقال أبو حفص : إذا رأيت المحب ساكنا هادئا ، فاعلم أنه وردت عليه غفلة ، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ بل يزعجه في الدنو والبعد واللقاء والحجاب .
وقال أبو حفص : التصوف كله آداب لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول .
وقال أبو عمرو بن حمدان : وجدت في كتاب أبي قال أبو حفص : الحال لا يفارق العلم ولا يقارن القول .
وذكر أبو عثمان الحيري النيسابوري عن أبي حفص أنه قال : من يعطي ويأخذ فهو رجل ، ومن يعطي ولا يأخذ فهو نصف رجل ، ومن لا يعطي ولا يأخذ ، فهو همج لا خير فيه ، فسئل أبو عثمان عن معنى هذا الكلام ؟
فقال : من يأخذ من الله ، ويعطي لله فهو رجل ، لأنه لا يرى فيه نفسه بحال ، ومن يعطي ولا يأخذ فإنه نصف رجل ، لأنه يرى نفسه في ذلك ، فيرى أن له - بأن لا يأخذ - فضيلة ومن لا يأخذ ولا يعطي فهو همج ، لأنه يظن أنه الآخذ والمعطي دون الله تعالى .
وقال أبو محمد المرتعش : سمعت أبا حفص يقول : ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه .
وسئل أبو حفص عن البخل ؟
فقال : ترك الإيثار عند الحاجة إليه .
وسئل أيضا من الولي ؟
فقال : من أيد بالكرامات ، وغيّب عنها .
وقال أبو حفص : ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح .
وسئل عن أحكام الفقر وآدابها على الفقراء ؟
فقال : حفظ حرمات المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر ، وترك الخصومات في الأرزاق وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار ، وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة في أمور الدين والدنيا .
وسئل أبو حفص من العاقل ؟ فقال : المطالب نفسه بالإخلاص .
وسئل أبو حفص عن العبودية ؟ فقال : ترك ما لك والتزام ما أمرت به .
وقال أبو حفص : من رأى فضل الله عليه في كل حال أرجو ألا يهلك .

وقال أبو حفص : لا تكن عبادتك لربك سببا لأن تكون معبودا .
وسئل أبو حفص ما البدعة ؟
فقال : التعدي في الأحكام ، والتهاون بالسنن ، واتباع الآراء ، وترك الاقتداء والاتباع .
توفي سنة سبعين ، وقيل : أربع وستين ، وقيل : سبع وستين ومائتين .
* * *

الشيخ خير النساج « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الزاهد الكبير أبو الحسن البغدادي ، كان أصله من سامراء ، وأقام ببغداد .
كانت له حلقة يتكلم فيها على الصوفية . صحب أبا حمزة البغدادي ، والجنيد والنوري ومن في طبقته . وعمّر طويلا . حكى عنه أحمد بن عطاء الروذباري ، ومحمد بن عبد الله الرازي .
ويقال : لقي سريا السقطي . وكان رحمه الله أسود اللون .
ويقال : إنه حج فأخذه رجل بالكوفة وقال : أنت عبدي ، واسمك خير ، فما نازعه بل انقاد معه ، فاستعمله مدة في النساجة ، وكان اسمه محمد بن إسماعيل ، ثم بعد زمان أطلقه ، وقال : ما أنت عبدي ، فيقال : ألقي عليه شبه ذاك العبد مدة .
فلذلك سمي خير النساج . وكان يقول : لا أغير اسما سماني به رجل مسلم .
عاش مائة وعشرين سنة ، وله أحوال وكرامات ، وكان يحضر السماع سماع المشايخ .
وكان إبراهيم الخواص تاب في مجلسه وكذلك الشبلي تاب في مجلسه .من كلامه :
قال أبو بكر الرازي : سمعت خيرا النساج يقول : من عرف من الدنيا قدرها ، وجد من الآخرة حقها ، ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (17) ، (ص 222) ، وحلية الأولياء (10 / 307) ، وصفوة الصفوة (2 / 255) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 120) ، ومرآة الجنان (2 / 285) ، وشذرات الذهب (2 / 294) ، ووفيات الأعيان (1 / 219) ، والبداية والنهاية (11 / 181) ، وسير أعلام النبلاء (15 / 269) ، وتاريخ بغداد (8 / 345) ، والمنتظم (6 / 274) .

وقال خير النساج : الصبر من أخلاق الرجال ، والرضا من أخلاق الكرام .
وقال خير : شرح صدور المتقين وكشف بصائر المهتدين بنور حقائق الإيمان .
وقال خير : من لاحظ شكره استصغر نعمه .
وقال خير : من سبق بخطوة لا يدرك إذا كان صادقا مجتهدا .
وقال خير : الإخلاص هو الذي لا يقبل عمل عامل إلا به .
وقال خير : العمل الذي يبلغ الغايات ، هو رؤية التقصير والعجز والضعف .
وقال خير : لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده ، فلم يعصمه ، ولا علم أشرف من علم من علّمه الله الأسماء كلها ، فلم ينفعه في وقت جريان القدر والقضاء عليه ، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس لم ينجه ذلك من المسبوق عليه .
وقال خير : الخوف سوط الله في الأرض يقوم به أنفسا ، قد تعودت سوء الأدب ، ومتى ما أساءت الجوارح الأدب ، فهو من غفلة القلب وظلمة السر .
توفي رحمه الله في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

* * *

الشيخ يحيى بن معاذ الرازي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ . يكنى أبا زكريا نزيل الري .
تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه ، وروى الحديث .
وكانوا ثلاثة أخوة : يحيى وإسماعيل وإبراهيم ، وأكبرهم سنا إسماعيل ، ويحيى أوسطهم ، وأصغرهم إبراهيم ، وكلهم كانوا زهادا .
وإبراهيم خرج مع يحيى إلى خراسان .من كلامه :
قال محمد بن محمود السمرقندي : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : الكلام الحسن

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (14) ، (ص 107) ، وحلية الأولياء (1 / 51) ، وصفوة الصفوة (4 / 71) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 94) ، وشذرات الذهب (2 / 138) ، وتاريخ بغداد (14 / 208) ، ووفيات الأعيان (2 / 296) .

حسن ، وأحسن من الحسن معناه ، وأحسن من معناه استعماله ، وأحسن من استعماله ثوابه ، وأحسن من ثوابه رضا من يعمل له .
قال : وسمعت يحيى يقول : إلهي حجتي حاجتي ، وعدتي فاقتي ، ووسيلتي إليك نعمتك علي ، وشفيعي إليك إحسانك إلي .
وقال طاهر بن إسماعيل : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل ، وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همة .
وكان يحيى بن معاذ يدعو : اللّهمّ لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ، ويهرب منك بالقلوب ، يا أكرم الأشياء علينا ، لا تجعلنا أهون الأشياء عليك .
وكان يحيى بن معاذ يقول : عمل كالسراب ، وقلب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد الرمل والتراب ، ثم تطمع في الكواعب الأتراب ، هيهات أنت سكران بغير شراب ، ما أكملك لو بادرت أملك ، ما أجلك لو بادرت أجلك ، ما أقواك لو خالفت هواك .
وقال محمد بن إسماعيل بن موسى : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ، ولا أراك تمتنع بذنبي من العطاء .
وقال الحسن بن علوية الدامغاني : سمعت يحيى بن معاذ يقول يوما : ذنب أفتقر به إليه أحب إلي من طاعة أفتخر بها عليه .
وقال عبد الله بن سهل : سمعت يحيى بن معاذ يقول : ليكن حظ المؤمن منك ثلاثا إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تفرحه فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تذمه .
وقال الحسن بن علوية : سمعت يحيى بن معاذ يقول : على قناطر الفتن جاوزوا إلى خزائن المنن .
وسمعته يقول : إلهي كيف أفرح وقد عصيتك ، وكيف لا أفرح وقد عرفتك ، وكيف أدعوك وأنا خاطئ ، وكيف لا أعودك وأنت كريم .
وقال جامع بن أحمد : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : ليكن بيتك الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة ، فإما أن تموت بدائك ، أو تصل إلى دوائك .
وقال يحيى بن معاذ : الكيس من عمّال الله يلهج بتقويم الفرائض ، والجاهل يعني بطلب

الفضائل ، وتقويم الأعمال في تصحيح العزائم .
وقال يحيى بن معاذ الرازي : هلم يا ابن آدم إلى دخول جوار الله تعالى بلا عمل ، ولا نصب ولا عناء ، أنت بين ما مضى من عمرك ، وما بقي فالذي مضى تصلحه بالتوبة ، والندم ، وليس شيئا عملته بالأركان ، فإذا أنت إنما هو أمر نويته ، وتمتنع فيما بقي من الذنوب ، وامتناعك إنما هو شيء نويته ، وليس شيئا عملته بالأركان ، فإذا أنت نجوت بغير عمل مع القيام بالفرائض ، وهذا ليس بعمل ، وهو أكبر الأعمال ، لأنه عمل القلب والجزاء لا يكون إلا على عمل القلب .
وقال الحسن بن علوية : سمعت يحيى بن معاذ يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتفكر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .
وسمعته يقول : إذا كنت لا ترضى عن الله ، كيف تسأله الرضا عنك ؟
وقال يحيى بن معاذ : لولا أن العفو من أحب الأشياء إليه ، ما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه .
وكان يحيى بن معاذ يقول : كم من مستغفر ممقوت ، وساكت مرحوم ، ثم قال يحيى : هذا استغفر الله وقلبه فاجر ، وهذا سكت وقلبه ذاكر .
وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول : حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ، ولا تنقص بالجفاء .
وقال يحيى بن معاذ : الناس ثلاثة :
رجل شغله معاده عن معاشه ،
ورجل شغله معاشه عن معاده ،
ورجل مشتغل بهما جميعا ،
فالأولى درجة الفائزين ، والثانية درجة الهالكين ، والثالثة درجة المخاطرين .
وقال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من ربه العفو .
وقال يحيى بن معاذ : الزاهدون غرباء الدنيا ، والعارفون غرباء الآخرة .
وكان يحيى بن معاذ يقول : يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كفيتها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها ، فاعقل شأنك .
وقال عبد الله بن سهل الرازي : سمعت يحيى بن معاذ يقول : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب ، وسمعته يقول : يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقا

ما دام قلبك بحبّ الدنيا متعلقا .
وسمعته يقول : وقد قيل له من أي شيء دوام غمك ؟
قال : من شيء واحد ، قيل : ما هو ؟ قال : خلقني ولا أدري لم خلقني .
وسمعته يقول : لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة .
وسمعته يقول : من سعادة المرء أن يكون خصمه فهما ، وخصمي لا فهم له ،
قيل له : ومن خصمك ؟
قال : نفسي تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة .
وسمعته يقول : للتائب فخر لا يعادله فخر ، فرح الله بتوبته .
وقال يحيى بن معاذ الرازي : لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت ، وقد سددت طرقاتها بالذنوب .
وسمعته يقول : إلهي إن كانت ذنوبي عظمت في جنب نهيك ، فإنها صغرت في جنب عفوك .
وسمعته يقول : لو سمع الخلق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزنا ، ولو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقا ، ولو أدركت القلوب كنه المحبة لخالقها ، لا نخلعت مفاصلها ولها ، ولطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشا ، سبحان من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء ، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء .
قال الحسن بن علي : سمعت يحيى بن معاذ يقول : الليل طويل ، فلا تقصره بمنامك ، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك .
وقال عبد الله بن سهل : سمعت يحيى بن معاذ يقول : حفت الجنة بالمكاره ، وأنت تكرهها ، وحفت النار بالشهوات ، وأنت تطلبها ، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء ، إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية ، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنا .
وقال عبد الله بن محمد بن وهب : سمعت يحيى بن معاذ يقول : ألا إن العاقل المصيب من عمل ثلاثا : ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى ربه قبل أن يلقاه .

وكان يقول : إلهي كيف لا أرجوك تغفر لي ذنبا ، رجاؤك ألقاني فيه .
وسمعته يقول : إن الحكيم يشبع من ثمار فيه .
وسمعته يقول : كيف أحب نفسي ، وقد عصتك ؟ وكيف لا أحبها وقد عرفتك ؟
وسمعته يقول إلهي ضيعت بالذنب نفسي فارددها بالعفو علي .
وسمعته يقول : إلهي ارحمني لقدرتك علي أو لحاجتي إليك .
وسمعته يقول : مسكين من علمه حجيجه ولسانه وفهمه القاطع لعذره .
وسمعته يقول ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة ثم قال إلهي سلامة إن لم تكن كرامة .
وسمعته يقول : وقد سئل ما العبادة ؟ فقال حرفة ، حانوتها الخلوة ، وربحها الجنة .
وسمعته يقول : يا من رباني في الطريق بنعمه ، وأشار لي في الورود إلى كرمه معرفتي بك دليلي عليك ، وحبي لك شفيعي إليك .
وسمعته يقول : يا من أعطانا خير ما في خزائنه الإيمان به قبل السؤال ، لا تمنعنا عفوك مع السؤال .
وسمعته يقول : إلهي إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو ، وإنك لا تغيظه بشيء هو أنكأ له من عفوك ، فاعف عنا يا أرحم الراحمين .
وسمعته يقول : يا من يغضب على من لا يسأله ، لا تمنع من قد سألك .
وتوفي فيما بين نيسابور وبلخ ، وقيل : إنه مات في بعض بلاد جوزجان ، وخرج يحيى إلى بلخ ، وأقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور .
ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين .

* * *

الشيخ أبو العباس أحمد بن عطاء « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو سيدي ابن عطاء الزاهد العابد المتأله أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي البغدادي ، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم له لسان في فهم القرآن يختص به ، وأسند الحديث .
صحب إبراهيم المارستاني والجنيد بن محمد ومن فوقهما من المشايخ .
وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه .
وقال حسين بن خاقان : كان ينام في اليوم والليلة ساعتين .
من كلامه :
قال أبو سعيد الخراز : التصوف خلق ، وليس إنابة ، وما رأيت من أهله إلا الجنيد ، **وابن عطاء** ، مات سنة تسع وثلاثمائة أو إحدى عشرة وثلاثمائة ، في ذي القعدة .
حدث عن يوسف بن موسى القطان ، وعنه محمد بن علي بن حبيش .
وكان له في كل يوم ختمة ، وفي رمضان تسعون ختمة ، وبقي في ختمة مفردة بضع عشرة سنة يتفهم ويتدبر .
وسئل ابن عطاء ما المروءة ؟ فقال : ألا تستكثر لله عملا ؟
وقال أبو العباس بن عطاء : في البيت مقام إبراهيم ، وفي القلب آثار الله تعالى ، وللبيت أركان ، وللقلب أركان ، وأركان البيت من الصخر ، وأركان القلب معادن ، أنوار المعرفة .
وقال أبو العباس بن عطاء : من ألزم نفسه آداب السنة ، نوّر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه ، والتأدب بآدابه قولا وفعلا وعزما ، وعقدا ونية .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (2) ، (ص 265) ، وحلية الأولياء (10 / 302) ، وصفوة الصفوة (2 / 250) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 111) ، وشذرات الذهب (2 / 257) ، وتاريخ بغداد (5 / 26) ، ومرآة الجنان (6 / 160) ، وسير أعلام النبلاء (14 / 255) ، وشرح الأنفاس الروحانية للديلمي (يسر الله إتمام تحقيقه) .

وسئل إلى ما تسكن قلوب العارفين ؟
فقال : إلى قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم لأن في بسم الله هيبته ، وفي اسمه الرحمن عونه ، ونصرته ، وفي اسمه الرحيم ، محبته ومودته ، ثم قال : سبحان من فرّق بين هذه المعاني في لطافتها في هذه الأسامي في غوامضها .
وأنشد :
إذا ما وجود الناس فات علومهم * فعلمي لوجدي صاحب وقرين
وقال ابن عطاء : من عامل الله تعالى على رؤية ما سبق منه إليه ، لم يكن بعجيب أن يمشي على الماء أو في الهواء ، وكل أمر الله عجب ، وليس شيء منه بعجب .
وقال أبو العباس : الإنصاف فيما بين الله وبين العبد في ثلاثة : في الاستعانة ، والجهد ، والأدب ، فمن العبد الاستعانة ، ومن الله القربة ، ومن العبد الجهد ، ومن الله التوفيق ، ومن العبد الأدب ، ومن الله الكرامة .
وقال أبو العباس بن عطاء : من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة ، ومن تأدب بآداب الأولياء ، فإنه يصلح لبساط القربة ، ومن تأدب بآداب الصديقين ، فإنه يصلح لبساط المشاهدة ، ومن تأدب بآداب الأنبياء ، فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط .
وقال ابن عطاء : لما عصى آدم بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة ، فأوحى الله تعالى إليهما لم لم تبكيا على آدم ؟
فقالا : ما كنا نبكي على من يعصيك فقال عز وجل وعزتي وجلالي : لأجعلن قيمة كل شيء بكما ، ولأجعلن ابن آدم خادما لكما .
وقال ابن عطاء : إن الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير أحواله ، وإن الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أوفدته على شر أحواله .
وقال ابن عطاء : أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه وغفلته عن أوامره ، وغفلته عن آداب معاملته .
وقال ابن عطاء : أصح العقول عقل وأفق التوفيق ، وشر الطاعات طاعة أورثت عجبا وخير الذنوب ذنب أعقب توبة وندما .
وقال ابن عطاء : السكون إلى مألوفات الطبائع يقطع بصاحبها عن بلوغ درجات الحقائق .
وقال ابن عطاء : من وحشة القلوب عن مصادر الحق أنسها بالأجناس ، ومن أنس قلبه بالله استوحش مما سواه .

وقال أبو العباس بن عطاء : ادن قلبك من مجالسة الذاكرين لعله ينتبه من غفلته ، وأقم شخصك في خدمة الصالحين لعله يتعود ببركتها طاعة رب العالمين .
وقال أبو العباس بن عطاء : السكون إلى الأسباب اغترار والوقوف مع الأحوال يقطع بك عن محولها .

* * *

الشيخ أبو حمزة البزّاز « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الإمام الحافظ شيخ القراء : أبو حمزة البغدادي البزاز ، صحب الجنيد والسري بن المغلس السقطي وبشرا الحافي ، كان يتكلم ببغداد في مسجد الرصافة قبل كلامه في مسجد المدينة ، وكان ينتمي إلى حسن المسوحي ، وكان عالما بالقراءات ، وتكلم يوما في جامع المدينة ، فتغير عليه حاله وسقط عن كرسيه ، ومات في الجمعة الثانية ، ومات قبل الجنيد ، وكان من رفقاء أبي تراب النخشبي في أسفاره ، وهو من أولاد عيسى بن أبان ، وكان أحمد ابن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم يقول لأبي حمزة : ما تقول فيها يا صوفي ؟ ودخل البصرة مرارا .من كلامه :
قال إبراهيم بن علي المريدي : سمعت أبا حمزة يقول : من المحال أن تحبه ثم لا تذكره ، ومن المحال أن تذكر ثم لا يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره .
وقال أبو إسحاق بن الأعمش قال رجل لي سألت أبا حمزة : فقلت : أسأل ؟ فقال : سل ؟ فقلت : لم أسأل ، فقال : لأنك تسأل أن تسأل .
وقال خير النساج : سمعت أبا حمزة يقول : خرجت من بلاد الروم ، فوقفت على راهب فقلت له : عندك من خبر من قد مضى ؟
قال : نعم فريق في الجنة ، وفريق في السعير .
قال : وسمعت أبا حمزة يقول : استراح من أسقط عن قلبه محبة الدنيا ، وإذا خلا القلب من محبة الدنيا دخله الزهد ، وإذا دخله الزهد أورثه ذلك التوكل .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية للسلمي (10) ، (ص 295) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 116) ، ونتائج الأفكار القدسية (1 / 177) .

قال : وسمعت أبا حمزة يقول : من رزق ثلاثة أشياء مع ثلاثة أشياء ، فقد نجا من **الآفات :** بطن خال مع قلب قانع ، وفقر دائم مع زهد حاضر ، وصبر كامل مع ذكر دائم .

وقال محمد بن عبد الله بن المتأنق البغدادي : سمعت الجنيد يقول : وافى أبو حمزة من مكة ، وعليه وعثاء السفر ، فسلمت عليه ، وشهيّته ، فقال : سكباج ، وعصيدة تخليني بهما ، فأخذت مكوك دقيق ، وعشرة أرطال لحم ، وباذنجان ، وخلا وعشرة أرطال دبس ، وعملنا له عصيدة وسكباجة ، ووضعناها في حير لنا ، وأسبلت الستر ، فدخل وأكله كله ، فلما فرغ دخلت عليه ، وقد أتى على كلّه فقال لي : يا أبا القاسم لا تعجب ! فهذا من مكة الأكلة الثالثة .

قال : وسمعت أبا حمزة يقول : ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم ، إنما السخاء أن يعطي المعدم الواجد .

قال : وسمعت أبا حمزة يقول : حب الفقر شديد ولا يصبر عليه إلا صديق .

قال : وسمعت أبا حمزة يقول : إذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير ، فالزمه ، وإياك أن تنظر إليه ، وتفتخر به ، ولكن اشتغل بشكر من وفقك لذلك ، فإن نظرك إليه يسقطك عن مقامك ، واشتغالك بالشكر يوجب لك منه المزيد ، لأن الله تعالى يقول :لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ[إبراهيم : 7] .

قال : وسمعت أبا حمزة يقول : من علم طريق الحق ، سهل عليه سلوكها ، وهو الذي علمها بتعليم الله إياه ، ومن علمها بالاستدلال ، فمرة يخطئ ومرة يصيب ، ومن تبع فيه أثر الدليل الصادق الناصح ، بلغ عن قريب إلى مقصده ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول في أحواله وأفعاله وأقواله .

قال : وسمعت أبا حمزة يقول : إذا سلمت منك نفسك ، فقد أديت حقها ، وإذا سلم منك الخلق ، فقد أديت حقوقهم .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثمانين ومائتين .

* * *

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الخواص « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، كنيته أبو إسحاق .
أحد من سلك طريق التوكل ، وكان أوحد المشايخ في وقته ، ومن أقران الجنيد ، والنوري ، له في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها .
قال محمد بن عبد الله الرازي : مرض إبراهيم الخواص بالري في المسجد الجامع ، وكان به علة القيام ، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد ، ويركع ركعتين فدخل الماء ليغتسل ، فخرجت روحه وهو في وسط الماء .من كلامه :
قال جعفر بن محمد الخلدي : سمعت إبراهيم الخواص يقول : من لم يصبر لم يظفر .
قال وسمعته يقول : من لم تبك الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه .
وقال أبو بكر الرازي : سمعت إبراهيم الخواص يقول : ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العالم من اتبع العلم ، واستعمله واقتدى بالسنن ، وإن كان قليل العلم .
وسئل عن الورع ؟ فقال : ألا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أم رضي ، ويكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى .
قال : وقال إبراهيم : العلم كله في كلمتين : لا تتكلف ما كفيت ، ولا تضيع ما استكفيت .
قال : وقال إبراهيم : المتاجر برأس مال غيره مفلس .
وقال أبو عبد الله الرملي : سمعت الخواص يقول : ليكن لك قلب ساكن ، وكف فارغة ، وتذهب النفس حيث شاءت .

....

وقال أبو الحسين الزنجاني : سمعت إبراهيم يقول : رأيت شيخا من أهل المعرفة عرج
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (7) ، (ص 584) ، والطبقات الشعرانية الكبرى (1 / 113) ، ونتائج الأفكار القدسية (1 / 175) ، والكواكب الدرية (1 / 184) ، وتاريخ بغداد (6 / 107) ، وحلية الأولياء (10 / 325) ، وصفوة الصفوة (4 / 80) .

بعد سبعة عشر يوما على سبب في البرية ، فنهاه شيخ كان معه ، فأبى أن يقبل ، فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب .

وكان إبراهيم يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

وقال إبراهيم : على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله ، يلبسه الله من عزه ، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين ، وذلك قوله تعالى :وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ[المنافقون : 8] .

وقال إبراهيم : عقوبة القلب أشد العقوبات ، ومقامها أعلى المقامات ، وكرامتها أفضل الكرامات ، وذكرها أشرف الأذكار ، وبذكرها تستجلب الأنوار ، وعليها وقع الخطاب وهو المخصوص بالتنبيه والعتاب .

وقال إبراهيم : اختار من اختار من عباده ، لا لسابقة لهم إليه ، بل لإرادة له فيهم ، ثم علم ما يخرج منهم وما يبدو عليهم ، فقال عز وجلّ :اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ[الدخان : 32] : أي منا بما فيهم من أنواع المخالفات ، لأن من اشترى سلعة يعلم عيوبها لا يردها .

مات رحمه الله تعالى في جامع الرّي ، وبها قبره ، سنة إحدى وتسعين ومائتين إن صحّ .

وقال الخطيب : ذكر أنه مات سنة أربع وثمانين ومائتين .

وتولى أمره في غسله ودفنه يوسف بن الحسين .

* * *

الشيخ أبو بكر الزّقاق المصري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير ، من أقران الجنيد ، ومن كبار مشايخ مصر .

كان مؤيدا بالألطاف والإرفاق .

وقال محمد بن داود الرقي : سمعت أبا بكر الزقاق يقول : كان سبب ذهاب بصري ، أني خرجت في وسط السنة أريد مكة ، وفي وسطي نصف جل ، وعلى كتفي نصف جل ،

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 344) ، وصفوة الصفوة (4 / 80) .

فرمدت إحدى عيني ، فمسحت الدموع بالجل ، فقرح المكان ، فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وقرحتي ، وأنا من سكر إرادتي لم أحس به ، وإذا أثرت الشمس في يدي قلبتها ، ووضعتها على عيني رضاء مني بالبلاء ، وكنت في التيه وحدي ، فخطر بقلبي أن علم الشريعة يباين علم الحقيقة ، فهتف بي هاتف من شجر البادية : يا أبا بكر كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر .

وقال أبو علي الروذباري يحكي عن أبي بكر الزقاق قال : بقيت بمكة عشرين سنة وكنت أشتهي اللبن ، فغلبتني نفسي ، فخرجت إلى عسفان ، واستضفت حيا من أحياء العرب ، فوقفت علي جارية حسناء ، فنظرت إليها بعيني اليمنى ، فأخذت بقلبي فقلت لها :

قد أخذ كلي كلك فما في لغيرك فضل ، فقالت : يا شيخ بك تقبح الدعاوى العالية ، لو كنت صادقا لذهبت عنك شهوة اللبن ، فقلعت عيني التي نظرت بها إليها ،

فقالت : مثلك من نظر الله ، فرجعت إلى مكة ، فطفت سبعا ، فأريت في منامي يوسف الصديق عليه السلام ، فقلت له : يا نبي الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا ،

فقال : يا مبارك بل يقرّ الله عينك بسلامتك من العسفانية ، ثم تلا يوسف :وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ[الرحمن : 46] ،

فصحت من رخامة صوت يوسف وقراءته فأفقت وإذا عيني المقلوعة صحيحة .من كلامه :

كان يقول : ليس السخاء عطية الواجد للمعدوم ، إنما السخاء عطية المعدوم للواجد .

وكان يقول : ما عقدت عقدة واحدة مع الله خوف أن لا أفي به فيكذبني على لساني .

* * *

الشيخ أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو المحبر بالوصل المحفوظ في الفضل ، أبو الحسن علي بن سهل .
كان للحق مجيبا واصلا وعن النفس مغيبا راحلا .
قال أحمد بن رستم : كان علي بن سهل ممن أيد على مخالفة النفس ، فارتاض نفسه رياضة هذبها بعد أن كان منشؤه نشئ المترفين أبناء النعمة والرفاهة ، فكان ربما يحبسه عن الأكل عشرين يوما يبيت فيها قائما هائما عن الخلق مشغولا ، وفيما يعانيه محمولا .من كلامه :
وقال أحمد بن إسحاق الشعار : سمعت علي بن سهل يقول : ما احتكمت قط إلا بولي وشاهدين .
وقال علي بن سهل : استولى علي الشوق فألهاني عن الأكل ، وقطعني عن العمل في ابتداء أمري ، فرأيت في بعض الليالي في غفوتي أني دخلت الجنة ، فرأيت قصرا عظيما ، رفيعا ، فقلت : لمن هذا القصر ؟
فقيل : لمحمد بن يوسف ، ثم أفضيت إلى قصر آخر مثله ، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل لي : لك يا أبا الحسن ، فاطلعت على لعبة غلب ضوء وجهها كل شيء ، فنظرت إليها ، فأدبرت وهي تقول : أنت لا ترغب فينا ، وإذا أنا بصوت ما سمعت نغمة أشجى ولا أحزن منه ، وهي تقول :
مقيم للجليل بكل قلب * على الرضراض للخطر العظيم
فظننت أنها تعنيني .
وكان رحمه الله : له الحال المكين ، والبيان المبين .
وقال علي بن هارون صاحب أبي القاسم الجنيد بن محمد : قرأت ما كتب به علي بن سهل إلى الجنيد في خطابه وصدر كتابه : توجك الله تاج بهائه ، وحلّاك حلية أهل بلائه ، وأودعك ودائع أحبائه ، وجعلك من أخلص خلصائه ، وأشرف بك على عظيم بنائه ، وهداك وهدى بك إلى كل حال مع ما يرده عليك من دوام الإقبال ، وحباك مع ذلك بالوصل والاتصال ، لتكون يا أخي لديه راضي البال ، ورفعك بعلوه على كل حال .

....
(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 404) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 87) .

وقال : من وقت آدم إلى قيام الساعة ، والناس يقولون : القلب . القلب . وأنا أحب أن أرى رجلا يصف لي : إيش القلب ، وكيف القلب ؟ فلا أرى .

* * *

الشيخ أبو يعقوب يوسف بن حسين الرّازي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو يوسف بن الحسين الرازي الإمام العارف شيخ الصوفية ، إمام الري والجبال في وقته .

كان أوحد في طريقته في إسقاط الجاه وترك التصنع واستعمال الإخلاص ، أكثر الترحال ، وأخذ عن ذي النون المصري ، وأحمد ابن حنبل ، وأحمد ابن أبي الحواري ، ودحيم وأبي تراب عسكر النخشبي ، وعنه أبو أحمد العسال وأبو بكر النقاش ومحمد بن أحمد بن شاذان وآخرون .

قال السلمي : كان إمام وقته لم يكن في المشايخ أحد على طريقته في تذليل النفس وإسقاط الجاه ، وترك التصنع واستعمال الإخلاص .

وقال أبو القاسم القشيري : كان نسيج وحده في إسقاط التصنع يقال : كتب إلى الجنيد لا أذاقك الله طعم نفسك ، فإن ذقتها لا تفلح ، وقال : إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص ، فاعلم أنه لا يجيء منه شيء .

وقيل : كان يسمع الأبيات ويبكي .من كلامه :

قال أبو جعفر محمد بن أحمد الرازي : سمعت يوسف بن الحسين يقول : علم القوم بأن الله يراهم ، فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئا سواه .

وقال يوسف : من ذكر الله بحقيقة ذكره نسي ذكر غيره ، ومن نسي ذكر كل شيء في ذكره حفظ عليه كل شيء إذ كان الله له عوضا من كل شيء .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 238) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 105) ، وصفوة الصفوة (4 / 84) ، وتاريخ بغداد (14 / 314) ، والبداية والنهاية (11 / 126) .

وقال يوسف : إذا رأيت الله قد أقامك لطلب شيء وهو يمنعك ذلك ، فاعلم أنك معذب .
وسئل يوسف بماذا يقطع الطريق إلى الله ؟
قال : به وبخطاب كراماته ، ولطائف جذبه إلى ساحات توحيده ، ومروج كراماته .
وقال يوسف : يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة ، فيما يجري الله لك من الطاعات .
وقال : خفة المعدة من الشهوات ، والفضول قوة على العبادة .
وسئل يوسف عن الفقير الصادق ، فقال : من آثر وقته ، فإن كان فيه تطلع إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر .
وقال : أرغب الناس في الدنيا أكثرهم ذما لها عند أبنائها لأن المذمة لها حرفة عندهم .
وقال : أصل العقل الصمت ، وباطن العقل كتمان السر وظاهر العقل الاقتداء بالسنة .
وقال يوسف : كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنهم أفتن الفتن .
وقال يوسف : أذل الناس الفقير الطموع والمحب لمحبوبه .
وقال : الخير كله في بيت ومفتاحه : التواضع ، والشر كله في بيت ومفتاحه : التكبر ، ومما يدلك على ذلك أن آدم عليه السلام تواضع في ذنبه ، فنال العفو والكرامة ، وأن إبليس تكبّر فلم ينفعه معه شيء .
وقال : بالأدب تفهم العلم ، وبالعلم يصح لك العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تفهم الزهد ، وتوفق له وبالزهد تترك الدنيا ، وبترك الدنيا ترغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال رضا الله .
قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان : بلغني أن يوسف بن الحسين كان يقول : إذا أردت أن تعرف العاقل من الأحمق ، فحدثه بالمحال ، فإن قبل فاعلم أنه أحمق .
وقال : إن عين الهوى عوراء .
وقال يوسف بن الحسين : عارضني بعض الناس في كلام ، وقال لي : لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب ، فقلت مجيبا : لو أن التوبة طرقت بابي ما أذنت لها على أني أنجو

بها من ربي ، ولو أن الصدق والإخلاص كانا لي عبدين لبعتهما زهدا مني فيهما لأني إن كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم أتخلف باقتراف الذنوب والمآثم ، وإن كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي ، وإخلاصي وصدقي ، وإن الله خلقني إنسانا بلا عمل ، ولا شفيع كان لي إليه ، وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه ،
فقال :وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ[آل عمران : 85] فاعتمادي على فضله وكرمه أولى بي إن كنت حرا عاقلا من اعتمادي على أفعالي المدخولة ، وصفاتي المعلولة لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل .
قال : وقال يوسف : لولا أني مستعبد بترك الذنوب ، لأحببت أن ألقاه بذنوب العباد أجمع ، فإن هو عذبني كان أعذر له في عذابي مع أنه لو عذب الخلق جميعا ، كان عدلا منه وإن عفا عني كان أظهر لكرمه عندهم في عفوي مع أنه لو لم يعف عن أحد من خلقه لكان ذلك منه فضلا وكرما ، وكانت له الحجة البالغة ، وذلك أن الملك ملكه والسلطان سلطانه ، والخلق مترددون بين عدله وفضله ، بل الكل كرم وإفضال ، فقد أحسن مع الكل حيث قال :أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ[غافر : 46] ، فمن عفا عنه فبفضله ، ومن عذبه فبعدله ، وهو إلى الفضل أقرب :لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ[الأنبياء : 23] ،

وقال يوسف : في الدنيا طغيانان : طغيان العلم ، وطغيان المال ، فالذي ينجيك من طغيان العلم العبادة ، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه .
وسئل يوسف عن قول النبي صلى الله عليه وسلّم : « أرحنا بها يا بلال » ؟
فقال : معناه أرحنا بها من أشغال الدنيا وحديثها لأنه كان قرة عينه في الصلاة .
مات رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثمائة .
* * *

الشيخ أبو حمزة الخراساني « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

كان أصله من نيسابور ، من محلة ملقاباذ ، صحب مشايخ بغداد ، وهو من أقران الجنيد .

وسافر مع أبي تراب النخشبي وأبي سعيد الخراز ، وهو من أفتى المشايخ ، وأورعهم .من كلامه :

وقال أبو جعفر الفرغاني يقول : قال أبو حمزة الخراساني : من نصح نفسه كرمت عليه ، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه .

وسئل أبو حمزة الخراساني عن الأنس ؟ فقال : ضيق الصدر عن معاشرة الخلق .

وقال أبو حمزة الخراساني : الغريب المستوحش من الإلف .

وقال أبو حمزة الخراساني : من استشعر ذكر الموت حبب إليه كل باق ، وبغض إليه كل فان .

وقال أبو حمزة الخراساني : العارف يخاف زوال ما أعطى ، والخائف يخاف نزول ما وعد والعارف يدافع عيشه يوما ليوم ، ويأخذ عيشه يوما ليوم .

وسئل أبو حمزة الخراساني عن الصوفي ؟

فقال : من صفى من كل درن ، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال .

وقال أبو حمزة : من استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه .

وقد سأله رجل فقال : أوصني ؟

فقال أبو حمزة : هيئ زادك للسفر الذي بين يديك فكأني بك وأنت في جملة الراحلين عن منزلك وهيئ لنفسك منزلا تنزل فيه إذا نزل أهل الصفوة منازلهم لئلا تبقى متحسرا .

وقال أبو حمزة لبعض أصحابه : خف سطوة العدل ، وارج رأفة الفضل ، ولا تأمن من مكره ، وإن أنزلك الجنان ، ففي الجنة وقع لأبيك آدم ما وقع ، وقد يقطع بقوم فيها فيقال لهم :كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ[الحاقة : 24] ، فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ، ولا حسرة أعظم منه .

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (18) ، (ص 327) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 105) .

وقال أبو حمزة الخراساني : من خصه الله تعالى بنظرة شفقة ، فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة وتزينه بالصدق ظاهرا وباطنا .
وسئل أبو حمزة الخراساني هل يتفرغ المحب إلى شيء سوى محبوبه ؟
فقال : لا لأنه بلاء دائم وسرور متقطع وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها .

وقال : سمع أبو حمزة بعض أصحابه ، وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجده ، وغلبة الحال عليه وإظهار سره في مجلس فيه بعض الأضداد ، فقال أبو حمزة : أقصر يا أخي فالوجد الغالب يسقط التمييز ، ويجعل الأماكن كلها مكانا واحدا ، والأعيان عينا واحدة ، ولا لوم لمن غلب عليه وجده ، فاضطره إلى أن يبديه ، وما أحسن ما قال ابن الرومي فدع المحب من الملامة ، إنها بئس الدواء لموجع مقلاق لا تطفئن جوى بلوم إنه كالريح يغري النار بالإحراق .

* * *

الشيخ أبو عبد الله بن الجلاء « 1 »

قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

واسمه أحمد بن يحيى من أهل بغداد ، لكنه انتقل فسكن الشام ، وكان عالما ورعا قال إسماعيل بن نجيد : كان يقال : إن في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم :
الجنيد ببغداد ،
وأبو عثمان بنيسابور ،
وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام .
وقد صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وغيرهما .

من كلامه :

وقال أبو عمرو الدمشقي : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول الحق استصحب أقواما للكلام ، وأقواما للخلة ، فمن استصحبه الحق لمعنى ابتلاه ، بأنواع المحن فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر .

....
(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 314) ، طبقات الصوفية (4) ، (ص 176) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 152) ، والمنتظم (6 / 148) ، وتاريخ بغداد (5 / 213) ، والبداية والنهاية (11 / 129) ، وصفة الصفوة (2 / 250) .

قال أبو عمرو الدمشقي : سمعت ابن الجلاء يقول : قلت لأبي وأمي : أحب أن تهباني لله ، فقالا : قد وهبناك لله فغبت عنهما مدة ، ثم رجعت من غيبتي ، وكانت ليلة مطيرة ، فدققت عليهما الباب ، فقالا من ؟ قلت : ولدك ، قال : كان لنا ولد ، فوهبناه لله ، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبناه وما فتح لي الباب .

وأبو عبد الله بن الجلاء يقول : من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها ، ومن بلغ به ثبت عليها .

وكان إذا سئل عن المحبة قال : ما لي وللمحبة أنا أريد أن أتعلم التوبة .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال أبو عبد الله بن الجلاء : من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ، ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق ، فاته الحق لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك .

وتوفي يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة ست وثلاثمائة .

* * *

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم القصار « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو إبراهيم بن داود الرقي أبو إسحاق ، من جلة مشايخ الشام ، من أقران الجنيد وابن الجلاء إلا أنه عمر وصحبه أكثر مشايخ الشام .

وكان لازما للفقر مجردا فيه محبا لأهله .من كلامه :

قال أبو عبد الله الحسين بن أحمد : سمعت إبراهيم القصار الرقي يقول : قيمة كل إنسان بقدر همته ، فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له ، وإن كانت همته رضاء الله تعالى فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 354) ، وطبقات الصوفية (16) ، (ص 319) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 119) ، وصفة الصفوة (4 / 169) .

وقال أبو بكر بن شاذان : سمعت إبراهيم القصار يقول : التوكل السكون إلى مضمون الحق .
وقال إبراهيم : الراضي لا يسأل ، وليس من شرط الرضا المبالغة في الدعاء .
وقال إبراهيم : المعرفة إثبات الرب ، أو قال الحق عز وجل خارجا عن كل موهوم ،
لأن النبي قال : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله .
وقال إبراهيم : حسبك من الدنيا صحبة فقير وخدمة ولي .
وقال إبراهيم : القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة ، ولكن أنوار البصائر قد ضعفت .
وقال إبراهيم : الأبصار قوية والبصائر ضعيفة .
وقال : من اكتفى بغير الكافي افتقر من حيث استغنى .
وقال : الكفايات تصل إليك بلا تعب ، والاشتغال والتعب كلها في الفضول .
وقال إبراهيم : كفايات الفقراء هي التوكل وكفايات الأغنياء هي الاستناد إلى الأملاك .
وقال إبراهيم : أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته ، وأقوى الخلق من قوي على ردها .
وقال إبراهيم : ما دام لأغراض الكون في قلبك خطر ، فاعلم أنه لا خطر لك عند الله .
وقال : من تعزز بشيء غير الله فقد ذل في عزه .
وقال : الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات ، والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق ، فالكرامات والدرجات عندهم وحشة .
وقال إبراهيم : علامة محبة الله تعالى إيثار طاعته ومتابعة نبيه .
وقال إبراهيم : الأنبياء منبسطون على بساط الأنس والأولياء على درجات الكرامة .
توفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

* * *

الشيخ عمرو بن عثمان المكي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص ، وكنيته أبو عبد الله كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة .
ولقي أبا عبد الله النباجي ، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء ، وهو عالم بعلوم الأصول ، وله كلام حسن . وروى الحديث .من كلامه :
قال أبو بكر محمد بن أحمد القناديلي : قال عمرو بن عثمان المكي : التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين صغر الذنب أو كبر ، وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية لأن المعاصي كلها قد توعد الله عليها أهلها ، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة ، وهذا مما يبين أن التوبة فرض .
وقال : قال عمرو : اعلم أن كل ما توهمه قلبك أو سنح في مجاري فكرك ، أو خطر لك في معارضات قلبك ، من حسن أو بهاء أو جمال أو قبح أو نور أو شبح أو شخص أو خيال ، فالله تعالى ذكره بعيد من ذلك كله بل هو أعظم وأجل وأكبر ألا تسمع إلى قوله تعالى :لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[الشورى : 11] ،لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ[الإخلاص : 3 ، 4]
وقال : قال عمرو : المروءة التغافل عن زلل الإخوان .
وقال عمرو : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ، لأنه سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين .
وقال عمرو : لقد علم الله نبيه ما فيه الشفاء ، وجوامع النصر ، وفواتح العبادة ، فقال :وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[فصلت : 46] .

....
(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 291) ، طبقات الصوفية (9) ، (ص 200) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 104) ، وصفة الصفوة (2 / 248) ، وشذرات الذهب (2 / 225) .

وقال عمرو : المعرفة دوام محبة الله تعالى ، ودوام مخافته ودوام الإقبال عليه ، ودوام انتصاب القلب بذكره ، وهي علم القلوب بفسخ العزوم ، وخلع الإرادات ، وإحياء الفهوم .
وقال عمرو : المعرفة صحة التوكل على الله تعالى .
وقال عمرو : اعلم أن الرعاية مصحوبة لك في كل الأحوال من العبادة ، إلى أن تلقى ربك كذلك التقوى .
وقال عمرو : الصدق في الورع مفترض كافتراض الصبر في الورع ، ومعنى الصدق الاعتدال والعدل .
وقال عمرو : اعلم أن رأس الزهد ، وأصله في القلوب هو احتقار الدنيا واستصغارها والنظر إليها بعين القلة ، وهذا هو الأصل الذي يكون منه حقيقة الزهد .
وقال عمرو : إذا كان أنين العبد إلى ربه عز وجل ، فليس بشكوى ولا جزع .
وقال عمرو : اعلم أن المحبة داخلة في الرضا ولا محبة إلا بالرضا ولا رضا إلا بمحبة ، لأنك لا تحب إلا ما رضيت وارتضيت ، ولا ترضى إلا ما أحببت .
وقال عمرو : الرجاء داخل في تحقيق الرضا .
وقال عمرو : واغماه من عهد لم نقم له بوفاء ومن خلوة لم نصحبها بحياء ، ومن مسألة ما الجواب فيها غدا ، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا .
وكان عمرو بن عثمان المكي يقول : ما صحبت أحدا كان أنفع لي صحبته ورؤيته من أبي عبد الله النباجي .
مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين ، ويقال : سبع وتسعين ، والأول أصح .
* * *

أبو العباس بن مسروق الطوسي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو أبو العباس بن مسروق ، واسمه أحمد بن محمد بن مسروق .
من أهل طوس سكن بغداد ومات بها .
صحب الحارث بن أسد المحاسبي والسري بن المغلس السقطي ومحمد بن منصور الطوسي ومحمد بن الحسين البرجلاني ، وهو من قدماء مشايخ القوم وجلتهم . وأسند الحديث .

قال أبو سعيد بن عطاء : إن الجنيد بن محمد رأى فيما يرى النائم قوما من الأبدال فسأل هل ببغداد أحد من الأولياء ؟ فقالوا : نعم أبو العباس بن مسروق من أهل الأنس بالله تعالى .من كلامه :

سئل أبو العباس بن مسروق ما التوكل ؟
فقال : اعتماد القلب على الله .

وسئل عن التوكل ؟
فقال : اشتغالك عما لك بما عليك وخروجك مما عليك لمن ذلك له وإليه .
وسئل عن التصوف ؟ فقال : خلو الأسرار مما عنه بد وتعلقها بما ليس منه بد .
وسئل عن سماع الرباعيات ؟
فقال : إن قلوبنا قلوب لم تألف الطاعات طبعا ، وإنما ألفتها تكلفا ، فأخشى إن أبحنا لها رخصة أن تتخطى إلى رخص ، ولا أرى سماع الرباعيات إلا لمستقيم الظاهر والباطن قوي الحال تام العلم .
وسئل عمن لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله .

وسئل أبو العباس من الزاهد ؟
فقال : الذي لا يملكه مع الله سبب .
وقال أبو العباس : كثرة النظر في الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب .

....
(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 213) ، طبقات الصوفية (16) ، (ص 237) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 109) ، وصفة الصفوة (4 / 104) ، وشذرات الذهب (2 / 227) ، وميزان الاعتدال (1 / 71) ، وتاريخ بغداد (5 / 100) ، ومرآة الجنان (2 / 231) .

وقال أبو العباس : علم الحال أقرب إلى اليقين من علم القيام ، وعلم القيام أعلى وأشرف .
وقال أبو العباس : من كان مؤدبه ربه لا يغلبه أحد .
وقال أبو العباس : من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه .
وقال : إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة لئلا يكون أنس المطيعين إلا بالله عز وجل .
وقال أبو العباس : مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد ، فإذا مغن يغني ويقول :
منازل كنت تهواها وتألفها * أيام أنت على الأيام منصور
فبكى الجنيد بكاء شديدا ثم قال لي : يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس ، وأوحش مقامات المخالفات ، لا أزال أحن إلى بدء إرادتي وحدة سعيي ، وركوبي الأهوال طمعا في الوصول ، وها أنذا في أيام الفترة أتلهف على أوقاتي الماضية .
وقال أبو العباس : أنت في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك .
وقال أبو العباس : المؤمن يقوى بذكر الله والمنافق يقوى بالأكل .
وقال أبو العباس : من تحقق بالتقوى هان عليه الإعراض عن الدنيا .
وقال أبو العباس : تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى ، وبه يصل العبد إلى مجمل حقيقة التقوى .
وقال أبو العباس : التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا ، ولا تتفكر بقلبك فيها .
وقال أبو العباس : أكثر ما يخاف منه العارف فوت الحق .
وقال أبو العباس : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة ، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل ، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والمراقبة والإيثار .
وقال أبو العباس : من يكن سروره بغير الحق ، فسروره يورث الهموم ، ومن لم يكن أنسه في خدمة ربه ، فهو من أنسه في وحشة .
توفي ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين .

* * *

الشيخ محمد بن أبي الورد « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو من كبار مشايخ العراق ، وجلتهم وكان من جلساء الجنيد ، وأقرانه صحب سريا السقطي ، وأبا الفتح الحمال وحارثا المحاسبي وبشرا الحافي ، وطريقته في الورع قريبة من طريقة بشر ، وأسند محمد الحديث .
قال الجنيد : سمعت محمد بن أبي الورد يقول : في ارتفاع الغفلة ارتفاع العبودية ، **ثم الغفلة غفلتان** : **غفلة رحمة وغفلة نقمة** ،
فأما التي هي رحمة ، فلو كشف الغطاء ، وشهد القوم العظمة ما انقطعوا عن العبودية ومراعاة السر ، وأما التي هي نقمة فهي الغفلة التي تشغل العبد عن طاعة الله بمعصيته .
وسئل من الولي ؟
فقال : من يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه .
وقال محمد بن أبي الورد : من كانت نفسه لا تحب الدنيا ، فأهل الأرض يحبونه ، ومن كان قلبه لا يحب الدنيا ، فأهل السماء يحبونه .
وقال محمد بن أبي الورد : يقول من آداب الفقير في فقره ترك الملامة والتعبير لمن ابتلى بطلب الدنيا والرحمة والشفقة عليه والدعاء له ليريحه من تعبه فيها .

* * *

الشيخ أحمد بن أبي الورد « 2 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو من كبار مشايخ العراق ، وجلتهم ، وكان من جلساء الجنيد ، وأقرانه ، صحب سريا السقطي ، وأبا الفتح الحمال ، وحارثا المحاسبي ، وبشرا الحافي ، وطريقته في الورع قريبة من طريقة بشر .
قال أحمد بن أبي الورد : إذا زاد الله في الولي ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء : إذا زاد جاهه زاد تواضعه ، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 315) ، طبقات الصوفية (19) ، (ص 248) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 115) ، وصفة الصفوة (2 / 222) ، وتاريخ بغداد (3 / 201) .
(2) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (19) ، (ص 248) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 115) ، وصفة الصفوة (2 / 223) ، وتاريخ بغداد (5 / 60) .

الشيخ سهل بن وهبان الأنباري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

قال أبو نعيم : ومنهم سهل بن وهبان الأنباري من أقران الجنيد .
قال المثنى الأنباري : سمعت سهل بن وهبان يقول : لا تكونوا بالمضمون مهتمين ، فتكونوا للضامن متهمين ، وبعدته غير واثقين .

* * *

أبو أحمد مصعب القلانسي « 2 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو مصعب بن أحمد بن مصعب أبو أحمد القلانسي الصوفي ، كان أحد الزهاد ، عظيم الشأن صاحب كرامات ، وهو بغدادي المولد والمنشأ ، وأصله من مرو ، وكان أبو سعيد ابن الأعرابي ينتمي إليه في التصوف ، وقال : صحبته إلى أن مات ، فما رأيته يبيت ذهبا ولا فضة .

وقال محمد بن الحسين السلمي : قال مصعب بن أحمد أبو أحمد القلانسي بغدادي المولد والمنشأ ، وأصله من مرو من أقران الجنيد ، ورويم كان أستاذ منبه المصري ، يرجع إلى زهد وتقوى ، حج أبو أحمد سنة سبعين ومائتين ، فمات بمكة بعد انصراف الحجاج بقليل ، ودفن بأجياد عند الهدف .

وقال جعفر الخلدي في كتابه : قال لي أبو أحمد القلانسي : فرّق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم ، فقال لي سمنون : يا أبا أحمد ما ترى ما أنفق هذا ، وما قد عمله ، ونحن ما نرجع إلى شيء ننفقه ، فامض إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة ، فذهبنا إلى المدائن ، فصلينا أربعين ألف ركعة ، وزرنا قبر سلمان ، وانصرفنا .

* * *

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 350) .
(2) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (13 / 114) ، والنجوم الزاهرة (3 / 66) ، والكامل (6 / 339) .

الشيخ الحسين بن منصور الحلاج
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه « 1 »

من أكابر أهل الشطح في طريق القوم .
واختلف الفقهاء في شأن الحلاج فتوقف فيه أبو العباس بن سريج لما استفتي في دمه .
وأفتى أبو بكر بن داود بجواز قتله .
واختلف فيه مشايخ الصوفية فبرئ منه عمرو بن عثمان المكي ، وأبو يعقوب الأقطع وجماعة منهم .
وقال عمرو بن عثمان : كنت أماشيه يوما فقرأت شيئا من القرآن فقال : يمكنني أن أقول مثل هذا .
وروى أن الحلاج مرّ يوما على الجنيد ، فقال له : أنا الحق **!** فقال الجنيد : أنت بالحق أية خشبة تقصد ، فتحقق فيه ما قال الجنيد : لأنه صلب بعد ذلك .
وقبله جماعة من الصوفية منهم العباس بن عطاء ببغداد ، وأبو عبد الله محمد بن خفيف بفارس ، وأبو القاسم النصرابادي بنيسابور ، وفارس الدينوري بناحيته .
والذين نسبوه إلى الكفر وإلى دين الحلولية حكوا عليه أنه قال : من هذّب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية ، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حلّ فيه روح الإله الذي حلّ في عيسى ابن مريم ولم يرد حينئذ شيئا إلا كان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى .
وزعموا أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة ، وذكر أنه ظفروا بكتب له إلى اتباع عنوانها من الهو هو رب الأرباب المتصور في كل صورة إلى عبده فلان ، فظفروا بكتب أتباعه إليه .

....
(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (8 / 114) ، والفرق بين الفرق (247) .

وفيها : يا ذات اللذات ، ومنتهى غاية الشهوات ، تشهد أنك المتصور في كل زمان بصورة ، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ، ونحن نستجير لك ونرجو رحمتك يا علّام الغيوب .
وذكروا انه استمال ببغداد جماعة من حاشية الخليفة ومن حرمه حتى خاف الخليفة وهو جعفر المقتدر بالله معرة فتنته ، فحبسه واستفتى الفقهاء في دمه واستروح إلى فتوى أبى بكر بن داود بإباحة دمه فقدم إلى حامد بن العباس بضربه ألف صوت وبقطع يديه ورجليه وصلبه بعد ذلك عند جسر بغداد .

* * *

تلامذته وأولاده في الطريق إلى الله
الشيخ أبو محمد الجريري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

شيخ الصوفية أبو محمد الجريري ، الزاهد قيل : اسمه أحمد بن محمد بن حسين ، وقيل :
عبد الله بن يحيى ، وقيل : حسن بن محمد .
كان للأثقال حمولا ، وعن القواطع ذبولا ، وكان للحكمة عن غير أهلها صائنا ، وللمدعين والمكتسبين بها شائنا .
لقي السري السقطي ، والكبار ، ورافق الجنيد ، وكان الجنيد يتأدب معه ، وإذا تكلم في شيء من الحقائق قال : هذا من أبي محمد ، فلما توفي الجنيد أجلسوه مكانه ، وأخذوا عنه آداب القوم .
حج في سنة إحدى عشرة ، فقتل في رجوعه يوم وقعة الهبير ، وطئته الجمال النافرة ، فمات شهيدا ، وذلك في أوائل المحرم سنة اثنتي عشرة وهو في عشر التسعين .
وقيل : سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وأسند الحديث .

....
(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (4 / 430) ، وحلية الأولياء (10 / 347) ، وطبقات الشعراني (1 / 110) ، وصفة الصفوة (2 / 252) ، وطبقات الصوفية (1) ، (259) .

وقال أبو الطيب العكي : قال الجريري : التسرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة ، والوقوف على حد الانحسار نجاة ، واللّياذ بالمهرب من علم الدنو صلة واستفتاح ، فقد ترك الجواب ذخيرة ، والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تلطف ، وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حين الإقبال مساءة ، والإصغاء إلى تلقي ما يفضل من معدنه بعد ، والاستسلام عند التلاقي جرأة ، والانبساط في محل الأنس غرة .
وقال أبو محمد الراسبي ببغداد : سمعت أبا محمد الجريري يقول : رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي : لكل شيء عند الله حق ، وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة ، فمن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها ، ومن طالبه بحقها خصم .
وقال أبو بكر الرازي : سمعت أبا محمد الجريري وسئل عن القراء ؟
فقال : هو الذي طلب الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وأعرض عن الدنيا والاشتغال بها .
وقال أحمد بن عطاء : سمعت أبا صالح يقول : قيل لأبي محمد الجريري : متى يسقط عن العبد ثقل المعاملة ؟ فقال هيهات ما بد منها ، ولكن يقع الحمل فيها .
وبهذا الإسناد قال الجريري : أدل الأشياء على الله تعالى ثلاثة : ملكه الظاهر ، ثم تدبيره في ملكه ، ثم كلامه الذي يستوفي كل شيء .
وقال أبو محمد الجريري : من استولت عليه النفس صار أسيرا في حكم الشهوات محصورا في سجن الهوى ، وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ كلامه ولا يستحليه ، وإن كثر ترداده على لسانه ، لأن الله تعالى يقول :سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ[الأعراف : 146] :
أي حتى لا يفهمونه ولا يجدون له لذة ، لأنهم تكبروا بأحوال النفس والخلق والدنيا ، فصرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته ، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه ، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ ، وحبسهم في عقولهم وآرائهم ، فلا يعرفون طريق الحق ولا يسلكون سبيله .
وكان يقول : قوام الأديان ، ودوام الإيمان ، وصلاح الأبدان في خلال ثلاث : الاكتفاء ، والاتقاء ، والاحتماء .
فمن اكتفى بالله صلحت سريرته ، ومن اتقى ما نهي عنه استقامت سيرته ، ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته ، فثمرة الاكتفاء صفو المعرفة ، وعاقبة الاتقاء حسن الخليقة ، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة .

وقال أبو محمد : غاية همة العوام السؤال ، وبلوغ درجة الأوساط الدعاء ، وهمة العارفين الذكر .
وقال أبو محمد : من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى ، فقد ضل عن طريقه ، لأن النبي قال : « لن ينجّي أحدا منكم عمله » فما لا ينجّي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول ؟
ومن صح اعتماده على فضل الله ، فذلك الذي يرجى له الوصول .
وقال أبو محمد : ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره ، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل ، فما قارن حدث قدما إلا تلاشى وبقي الأصل ، وذهبت الفروع ، كأن لم تكن .
وقال أبو محمد : رؤية الأصول باستعمال الفروع ، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظّم الله من الوسائط والفروع .
وقال أبو محمد : الرجاء طريق الزهاد ، والخوف سلوك الأبطال .
وقال أبو بكر محمد بن عبد الله الطبري : قال رجل لأبي محمد الجريري : كنت على بساط الأنس ، وفتح لي طريق إلى البسط ، فزللت زلة فحجبت عن مقامي ، فكيف السبيل إليه دلني على الوصول إلى ما كنت عليه ، فبكى أبو محمد ، وقال : يا أخي الكل في قهر هذه الخطة . وأنشد أبياتا . .

* * *

الشيخ أبو سعيد ابن الأعرابي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ، الإمام المحدث القدوة الصدوق الحافظ شيخ الإسلام : أبو سعيد ابن الأعرابي البصري الصوفي ، نزيل مكة وشيخ الحرم .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 375) ، وطبقات الشعراني (1 / 137) ، وطبقات الصوفية (1) ، (428) ، وسير أعلام النبلاء (15 / 407) . وتذكرة الحفاظ (3 / 66) ، والبداية والنهاية (11 / 226) ، والمنتظم (6 / 371) ، وشذرات الذهب (2 / 354) ، والرسالة القشيرية (ص 47) .

سمع الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، وعبد الله بن أيوب المخرمي ، وسعدان بن نصر ، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي ، وأبا جعفر محمد بن عبيد الله المنادي ، وعباسا الترقفي ، وعباس بن محمد الدوري ، وإبراهيم بن عبد الله العبسي ، وأمما سواهم .
خرّج عنهم معجما كبيرا ، ورحل إلى الأقاليم ، وجمع وصنّف ، صحب المشايخ وتعبد وتأله وألّف مناقب الصوفية ، وحمل السنن عن أبي داود ، وله في غضون الكتاب زيادات في المتن والسند .
روى عنه أبو عبد الله بن خفيف ، وأبو بكر بن المقرئ ، وأبو عبد الله بن مندة ، والقاضي أبو عبد الله بن مفرج ، وعبد الله بن يوسف الأصبهاني ، ومحمد بن أحمد بن جميع الصيداوي ، وعبد الله بن محمد الدمشقي القطان ، وصدقة ، وعبد الرحمن بن عمر ابن النحاس ، وعبد الوهاب بن منير المصريان ، ومحمد بن عبد الملك بن ضيفون شيخ أبي عمر بن عبد البر ، وأبو الفتح محمد بن إبراهيم الطرسوسي ، وعدد كثير من الحجاج والمجاورين ، وكان كبير الشأن ، بعيد الصيت ، عالي الإسناد .
قلت : من كتبه المطبوعة : معجمه في الحديث ، وصفة الزهد والزاهدين ، ورسالة في المروي عن المعاشرة .

قال الشيخ السلمي : صنّف للقوم كتبا كثيرة ، وصحب أبا القاسم الجنيد بن محمد ، وعمرو بن عثمان المكي ، وأبا الحسين النوري ، وحسنا المسوحي ، وأبا جعفر الحفار ، وأبا الفتح الحمال ، وكان من جلة مشايخهم وعلمائهم ، مات سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، واسند الحديث ورواه ، وكان ثقة .
وقال أبو بكر الرازي : سمعت أبا سعيد بن الأعرابي يقول : إن الله تعالى طيّب الدنيا للعارفين بالخروج منها ، وطيب الجنة لأهلها بالخلود فيها ، فلو قيل للعارف : إنك تبقى في الدنيا ، لمات كمدا ،
ولو قيل لأهل الجنة : إنكم تخرجون منها ، لماتوا كمدا ، فطابت الدنيا بذكر الخروج منها ، وطابت الجنة بذكر الخلود فيها .
قال : وسمعت ابن الأعرابي يقول : أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد .
وقال ابن الخشاب : سمعت ابن الأعرابي يقول : المعرفة كلها الاعتراف بالجهل ، والتصوف كله ترك الفضول ، والزهد كله أخذ ما لا بد منه ، وإسقاط ما بقي ، والمعاملة

كلها استعمال الأولى ، فالأولى من العلم والتوكل كله طرح الكنف ، والرضا كله ترك الاعتراض ، والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكل ، والعافية كلها إسقاط التكلف ، والصبر كله تلقي البلاء بالرحب ، والتفويض كله الطمأنينة عند الموارد ، واليقين كله ترك الشكوى عندما يضاد مرادك ، والثقة بالله علمك أنه بك وبمصالحك أعلم منك بنفسك .

وقال ابن الأعرابي : إن الله تعالى أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه ، ليستعطف بهم على أوليائه .

وقال أبو سعيد : القلوب إذا أقبلت روحت بالأرفاق ، وإذا أدبرت ردت إلى المشاق .

وقال أبو سعيد : من أصلح الله همته لا يتبعه بعد ذلك ركوب الأهوال ولا مباشرة الصعاب ، وعلا بعلو همته إلى أسنى المراتب ، وتنزه عن الدناءة أجمع .

وكان يقول : اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك ، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن هموم الآخرة ، ولا عبد أعجز من عبد نسي فضل ربه ، وعدّ عليه تسبيحه وتكبيره ، الذي هو إلى الحياء منه أقرب من طلب ثواب عليه ، أو افتخار به .

وكان أبو سعيد ابن الأعرابي بمكة يقول : ثبت الوعد والوعيد من الله تعالى ، فإن كان الوعد قبل الوعيد ، فالوعيد تهديد ، وإن كان الوعيد قبل الوعد ، فالوعيد منسوخ وإذا اجتمعا معا ، فالغلبة والثبات للوعد ، لأن الوعد حق العبد ، والوعيد حقه عز وجل والكريم يتغافل عن حقه ولا يهمل ويترك ما عليه .

وقال ابن الأعرابي : إن الله تعالى جعل نعمته سببا لمعرفته ، وتوفيقه سببا لطاعته ، وعصمته سببا لاجتناب معصيته ، ورحمته سببا للتوبة ، والتوبة سببا لمغفرته ، والدنو منه .

وقال أبو سعيد : إن الله تعالى خلق ابن آدم من الغفلة ، وركّب فيه الشهوة والنسيان ، فهو كله غفلة ، إلا أن يرحم الله عبدا ، فينبهه وأقرب الناس إلى التوفيق من عرف نفسه بالعجز والذل والضعف وقلة الحيلة مع التواضع لله ، وقلّ من ادعى في أمره قوة إلا خذل ووكل إلى قوته .

وكان يقول : مدارج العلوم بالوسائط ، ومدارج الحقائق بالمكاشفة .

ويقول : من طلب الطريق إليه وصل إلى الطريق بجهد واجتهاد ومجاهدة ، ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلة ، وكان الحق دليله إليه ، وموصله لا غير .
وسئل أبو سعيد ما الذي ترضى من أوقاتك ؟
فقال : الأوقات كلها لله تعالى ، وأحسن الأوقات ، وقت يجري الحق فيه علي ما يرضيه عني .
وسئل أبو سعيد عن أخلاق الفقراء ؟
فقال : أخلاقهم السكون عند الفقر ، والاضطراب عند الوجود ، والأنس بالهموم والوحشة عند الأفراح .
وكان يقول : العارفون بين ذائق وشائق ووامق ، فالمقة شاقتهم ، والشوق ذوقهم ، فمن ذاق في شوق فروي ، سكن وتمكن ، ومن ذاق فيه من غير ري ، أورثه الانزعاج والهيمان .

* * *

الشيخ أبو جعفر الخلدي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، أبو محمد الخواص السائح اللامح القوام المزين بالأخلاق الحميدة والآخذ بالوثائق الأكيدة ، كتب الآثار ، وصحب الأخيار : الجنيد ، وعرف بصحبته ، والثوري ورويما ، وصحب أبا الحسين النوري وسمنون وأبا محمد الجريري وغيرهم من مشايخ الوقت ، وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم .
قال الحسين بن محمد بن جعفر الرازي : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : عندي مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية .
كان من أفتى المشايخ وأجلهم وأحسنهم قولا . حج قريبا من ستين حجة ، وتوفي ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وقبره بالشونيزية ، عند قبر سري السقطي ، والجنيد ، وأسند الحديث ورواه .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 381) ، وطبقات الشعراني (1 / 138) ، وطبقات الصوفية (3) ، (434) ، وسير أعلام النبلاء (15 / 504) ، والمنتظم (6 / 391) ، وشذرات الذهب (2 / 378) ، والرسالة القشيرية (ص 47) .

قلت : وله الفوائد في الزهد ، رسالة عظيمة الفوائد .
وقال أبو الفتح القواس الزاهد ببغداد : سمعت جعفر بن محمد الخلدي يقول : لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس ، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق ، قبل أن تقطعهم العلائق .
وقال جعفر : الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائي يعمل ليرى ، والمخلص يعمل ليصل .
وقال جعفر : الفتوة احتقار النفس ، وتعظيم حرمة المسلمين .
وقال جعفر الخلدي : سمعت الجنيد وسئل عن التصوف ؟
يقول : العلو إلى كل خلق شريف ، والعدول عن كل خلق دنيء ،
فسأله السائل فقال : ما تقول أنت ؟
فقال : مثل قوله ، ثم قال : المتناهي في حاله يتوقى كل شيء ، ويدخل في كل شيء ، ويأخذ من كل شيء ، ولا يسترقه شيء ولا يأخذ منه شيء ، واستدل بأمر النبي في أوليته ، إذا رأى نزول الوحي عليه يقول : دثروني دثروني ، حتى تمكن .
وقال جعفر الخلدي : كن لله عبدا خالصا ، تكن عن الأغيار حرا .
وسئل عن التوكل ؟
فقال : استواء القلب عند الوجود والعدم ، بل الطرب عند العدم والخمول عند الوجود ، بل الاستقامة مع الله تعالى على الحالين .
وقال أبو القاسم الخلال بمرو : سمعت جعفر يقول لرجل : كن شريف الهمة ، فإن الهمم تبلغ بالرجال لا المجاهدات .
قال : وسمعت جعفر يقول : سعي الأحرار لإخوانهم لا لأنفسهم .

وقال جعفر لبعض أصحابه : اجتنب الدعاوي ، والتزم الأوامر فكثيرا ما كنت أسمع سيدنا الجنيد يقول : من لزم طريقة المعاملة على الإخلاص ، أراحه الله من الدعاوي الكاذبة .
وقال محمد بن عبد الله بن شاذان : سمعت جعفر الخلدي يقول : إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه ، فإذا سكنت التقوى قلبه نزل عليه بركات العلم ، وطردت رغبة الدنيا عنه .

وسئل جعفر عن الزهد ؟
فقال : من أراد أن يزهد فليزهد أولا في الرياسة ، ثم ليزهد في قدر نصيب نفسه ومراداتها .
وقال جعفر : المجاهدات في السياحات والسياحة سياحتان : سياحة النفس ليجول في الملكوت ، فيورد على صاحبه بركات مشاهدات الغيوب ، فيطمئن القلب عند الموارد لمشاهدة الغيوب ، وتطمئن النفس عن المرادات لبركة آثار القدرة عليه .
وسئل جعفر عن العقل ؟
فقال : العقل ما يبعدك عن مراتع الهلكة .
وقال جعفر : المحب يجهد في كتمان حبه ، وتأبى المحبة إلا الاشتهار ، وكل شيء ينم على الحب حتى يظهره .
وقال جعفر : من ألقى إليه الصلاح ، التزم الحرمة للخلق ، ومن ألقى إليه روح الصديقية طالب نفسه بالصدق في أحواله ، ومن ألقى إليه روح المعرفة ، عرف موارد الأمور ومصادرها ، ومن ألقى إليه روح المشاهدة ، أكرم بالعلم اللدني .

الشيخ أبو بكر الشبلي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادي قيل : اسمه **دلف بن جحدر** ، وقيل : جعفر ابن يونس ، وقيل : جعفر بن دلف .
أصله من الشبلية قرية ، ومولده بسامراء ، وكان أبوه من كبار حجاب الخلافة ، وكان خاله أمير الأمراء بالإسكندرية ، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق ، ثم لما عزل أبو أحمد من الولاية حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين ، فتاب ، ثم صحب الجنيد وغيره ، وصار من شأنه ما صار ، وكان فقيها عارفا بمذهب مالك ، وكتب الحديث عن طائفة ، وقال الشعر ، وله ألفاظ وحكم ، وحال وتمكن ، وكان يحصل له استغراق وسكر .من كلامه :
كان يقول : خلف أبي ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء .

....
(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (15 / 367) ، وتاريخ بغداد (14 / 389) ، وصفة الصفوة (2 / 426) ، والرسالة القشيرية (ص 43) .

وقال الشبلي : العارف سيار إلى الله عز وجل تعالى ، غير واقف .
وسئل أي شيء أعجب ؟ قال : قلب عرف ربه ثم عصاه .
وكان الشبلي ينوح يوما ويقول : مكر بك في إحسانه ، فتناسيت ، وأمهلك في غيك فتماديت ، وأسقطك من عينه ، فما دريت ولا باليت .
وقال : ليت شعري ما اسمي عندك غدا يا علّام الغيوب ، وما أنت صانع في ذنوبي ، يا غفّار الذنوب ، وبم تختم عملي ، يا مقلب القلوب ؟
وكان الشبلي يقول في جوف الليل : قرة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك ؟ ثم يصرخ ويبكي .
وقال الشبلي : لا تأمن على نفسك ، وإن مشيت على الماء ، حتى تخرج من دار الغرة إلى دار الأمل .
وقال الشبلي : إذا وجدت قلبك مع الله ، فاحذر من نفسك ، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله .
وقال أحمد الحلقاني : سمعت الشبلي يقول : من عرف الله عز وجل لا يكون له غمّ .
وقال : أحبك الخلق لنعمائك ، وأنا أحبك لبلائك .
وكان الشبلي يقول : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها ، فانظر إلى مزبلة ، فهي الدنيا ، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك ، فخذ كفا من تراب ، فإنك منه خلقت ، وفيه تعود ، ومنه تخرج ، وإذا أردت أن تنظر ما أنت ، فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء ؟ فمن كان حاله كذلك ، فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله .

وعن الحسين بن أحمد الهروي قال : سمعت أبا بكر الشبلي يقول : ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسّها ، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان .
وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه يعني عند وفاته ؟
فقال : قال لي : علي درهم مظلمة ، تصدقت عن صاحبه بألوف ، فما على قلبي شغل **أعظم منه ، ثم قال :** وضئني للصلاة ، ففعلت ، فنسيت تخليل لحيته ، وقد أمسك على لسانه ، فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ، ثم مات ، فبكى جعفر
وقال : ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة .

وعن بكير صاحب الشبلي قال : وجد الشبلي في يوم جمعة خفة من وجع كان به ، فقال : تنشط تمضي إلى الجامع ، قلت : نعم ، فاتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الوراقين من الجانب الشرقي ،
قال : فتلقانا رجل جاء من الرصافة ، فقال بكير قلت : لبيك قال : غدا يكون لنا مع هذا الشيخ شأن ، ثم مضينا فصلينا ، ثم عدنا ، فتناول شيئا من الغداء ، فلما كان الليل ، مات رحمه الله فقيل لي : في درب السقائين رجل شيخ صالح ، يغسّل الموتى ، فدلوني عليه في سحر ذلك اليوم ، فنقرت الباب خفيا ،
فقلت : سلام عليكم فقال : مات الشبلي ؟
قلت : نعم ، فخرج إلي فإذا به الشيخ ، فقلت : لا إله إلا الله ، فقال : لا إله إلا الله تعجبا ، ثم قلت : قال لي الشبلي أمس لما التقينا بك في الوراقين غدا يكون لي مع هذا الشيخ شأن بحق معبودك من أين لك أن الشبلي قد مات ؟ قال : يا أبله ، فمن أين للشبلي أنه يكون له معي شأن من الشأن اليوم .
توفي الشبلي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن سبع وثمانين سنة ، قدّس الله سرّه .

* * *

الشيخ أبو الحسن بن بندار الصيرفي « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

علي بن بندار بن الحسين الصوفي العابد ، لقي الجنيد وسمع محمد بن إبراهيم البوشنجي وأبا خليفة وكان يعرف بالصيرفي ، أملى مدة ، روى عنه الحاكم ووثقه .
قال السلمي : وعلي بن بندار من جلة مشايخ نيسابور ، ورزق من رؤية المشايخ وصحبتهم ما لم يرزق غيره ، صحب بنيسابور أبا عثمان ومحفوظا ، وبسمرقند محمد بن الفضل ، وببلخ محمد بن حامد ، وبجوزجان أبا علي ، وبالري يوسف بن الحسين ، وببغداد الجنيد بن محمد ورويما وسمنون وأبا العباس بن عطاء وأبا محمد الجريري ، وبالشام طاهرا المقدسي وأبا عبد الله ابن الجلاء وأبا عمرو والدمشقي ، وبمصر أبا بكر المصري والزقاق وأبا علي الروذباري ، كتب الحديث الكثير ورواه ، وكان ثقة ، مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

....
(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (16 / 109) ، والرسالة القشيرية (ص 43) ، وطبقات الصوفية (18) ، (501) ، وطبقات الشعراني (1 / 146) .

وقال الذهبي : غرق سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .
قال علي بن بندار : دخلت بدمشق على أبي عبد الله بن الجلاء ، فقال : متى دخلت دمشق ؟ قلت : منذ ثلاثة أيام ؟ فقال لي : ما لك لم تجئني ؟
قلت : ذهبت إلى ابن جوصاء وكتبت عنه الحديث ، فقال لي : شغلتك السنة عن الفريضة .من كلامه :
وقال أبو نصر الطوسي : سألت علي بن بندار ما التصوف ؟
فقال : إسقاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا .
وقال علي بن بندار : فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله .
وقال ابنه أبو القاسم : كثيرا ما كنت أسمع أبي رحمه الله يقول : دار أسست على البلوى بلا بلوى محال .
قال : وسمعته يقول : يا بني إياك والخلاف على الخلق ، فمن رضي الله به عبدا فارض به أخا .
قال : وكان يقول : إياك والاشتغال بالخلق ، فقد عدم عليهم الربح اليوم .
قال : ورأى مرة في يدي كتابا ، فقال : ما هذا ؟
قلت : كتاب المعرفة ، فقال : ألم تكن المعرفة في القلوب ، فقد صارت في الكتب .
وقال الطوسي : سمعت علي بن بندار يقول : ليس الفقير من يظهر فقره ، إنما الفقير من يكتم فقره ، ويأنس به ويفرح .
وقال علي بن بندار : زمان يذكر فيه بالصلاح ، زمان لا يرجى فيه صلاح .
وقال : كنت يوما أماشي أبا عبد الله محمد بن خفيف ، فقال لي أبو عبد الله : تقدم يا أبا الحسن ، فقلت : بأي عذر ؟
قال : بأنك لقيت الجنيد ، وما لقيته .
وقال ابنه أبو القاسم : كان أبي يقول : ثوب أستجيز فيه الصلاة ، أكره أن أبدله للقاء الناس بخير منه .
قال : وقال لبعض أصحابه : إلى أين ؟
قال أخرج إلى النزهة ، فقال : من عدم الأنس من حاله لم يزده التنزه إلا وحشة .

قال : وسمعته يقول : الحق أمر عظيم يطلبه الخلق ، إنما الحق بطرح الدنيا والآخرة .

* * *

الشيخ أبو الحسن بنان الحمال « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الإمام المحدث الزاهد شيخ الإسلام أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد ، الواسطي ، نزيل مصر ، ومن يضرب بعبادته المثل ، حدّث عن الحسن بن محمد الزعفراني والحسن بن عرفة وحميد بن الربيع وطائفة ، حدث عنه ابن يونس والحسن بن رشيق والزبير بن عبد الواحد الأسداباذي وأبو بكر المقرئ وجماعة ، وثقة أبو سعيد بن يونس ، صحب الجنيد وغيره ، وكان كبير القدر لا يقبل من الدولة شيئا ، وله جلالة عجيبة عند الخاص والعام .

فهو من جلة المشايخ والقائلين بالحق والآمرين بالمعروف له المقامات المشهورة والآيات المذكورة .

من كلامه :

قال أبو بكر الرازي : سمعت بنانا الحمال يقول : إن الله تعالى خلق سبع سماوات في كل سماء له خلق وجنود ، وكل له مطيعون ، وطاعتهم على سبع مقامات :

فطاعة أهل السماء الدنيا على الخوف والرجاء .

وطاعة أهل السماء الثانية على الحب والحزن .

وطاعة أهل السماء الثالثة على المنة والحياء .

وطاعة أهل السماء الرابعة على الشوق والهيبة .

وطاعة أهل السماء الخامسة على المناجاة والإجلال .

وطاعة أهل السماء السادسة على الإنابة والتعظيم .

وطاعة أهل السماء السابعة على المنة والقربة .

....

(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (14 / 488) ، والرسالة القشيرية (ص 40) ، وطبقات الصوفية (9) ، (291) ، وطبقات الشعراني (1 / 132) ، وصفوة الصفوة (2 / 448) ، والمنتظم (6 / 217) ، ومرآة الجنان (2 / 268) ، وتاريخ بغداد (7 / 100) .

وقال الحسن بن عبد الله القرشي : سمعت بنانا الحمال يقول : من كان يسره ما يضره متى يفلح ؟

وقال : إن أفردته بالربوبية ، أفردك بالعناية ، والأمر بيدك ، إن نصحت صافوك ، وإن خلطت ، جافوك .

وسئل بنان عن أجل أحوال الصوفية ؟

فقال : الثقة بالمضمون ، والقيام بالأوامر ومراعاة السر والتخلي عن الكونين بالتشبث بالحق .

وقال بنان : من ألبس ذل العجز فقد مات من شاهده ، ومن ألبس عز الاقتدار ، فقد حي بشاهده ، وجعل سببا لحياة الهياكل ، فهذا هو الفرق بين النفس والروح .

وقال : رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب ، والإعراض عن الأسباب جملة ، يؤدي بصاحبه إلى ركوب البواطل .

وكان يقول : ليس بمتحقق في الحب من راقب أوقاته ، أو تحمل في كتمان حبه حتى يتهتك فيه فيفتضح ويخلع العذار ولا يبالي عما يرد عليه من جهة محبوبه أو بسببه ، ويتلذذ بالبلاء في الحب كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم .

* * *

الشيخ أبو يعقوب النهرجوري « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

وهو أبو يعقوب إسحاق بن محمد من علماء مشايخهم . الأستاذ العارف .

صحب الجنيد ، وعمرو بن عثمان المكي ، وأبا يعقوب السوسي وغيرهم من المشايخ .

أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورا وبه مات ، وكان أبو عثمان المغربي يقول : ما رأيت في مشايخنا أنور من النهرجوري مات سنة ثلاثين وثلاثمائة .

من كلامه :

قال أبو بكر الرازي : سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول في الفناء والبقاء : هو فناء رؤية قيام العبد لله ، وبقاء رؤية قيام الله في الأحكام .

....

(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (15 / 232) ، والرسالة القشيرية (ص 40) ، وطبقات الصوفية (8) ، (379) ، وطبقات الشعراني (1 / 130) ، وتاريخ بغداد (7 / 100) ، وحلية الأولياء (10 / 356) .

قال : وسمعت النهرجوري يقول : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية ، وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن التهلكة .
قال : وسمعت النهرجوري يقول : العابد يعبد الله تحذيرا ، والعارف يعرفه تشويقا .
وقال : سمعت النهرجوري يقول : في قول القائل : احترسوا من الناس بسوء الظن . فقال : بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس .
وقال النهرجوري : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب .
وقال : من كان شبعه بالطعام ، لم يزل جائعا ، ومن كان غناه بالمال لم يزل مفتقرا ، ومن قصد بحاجته الخلق ، لم يزل محروما ، ومن استعان في أمره بغير الله ، لم يزل مخذولا .
وقال : الذي حصّل أهل الحقائق في حقائقهم أن الله تعالى غير مفقود فيطلب ، ولا ذو غاية فيدرك ، ومن أراد موجودا فهو بالموجود مغرور ، وإنما الموجود عندنا معرفة حال وكشف علم بلا حال .
وكان يقول : الدنيا بحر ، والآخرة ساحل والمركب التقوى ، والناس سفر .
وقال : لا زوال للنعمة إذا شكرت ، ولا بقاء لها إذا كفرت .
وكان يقول : مشاهدة الأرواح تحقيق ، ومشاهدة القلوب تعريف .
وقال : إذا اقتضاني ربي بعض حقه الذي له قبلي ، فذاك أوان حزني ، وإذا أذن في اقتضاء بره ، فذاك أوان سروري ونعمتي ، إذا كان بالجود والفضل والوفاء موصوفا ، والعبد بالعجز والضعف موصوفا .
وكان يقول : أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه .
وقال إبراهيم بن فاتك : سمعت النهرجوري يقول : اليقين مشاهدة الإيمان بالغيب .
قال : وسمعت النهرجوري يقول : من عرف الله لم يغتر بالله .
قال : وسمعت النهرجوري يقول : الجمع عين الحق الذي قامت به الأشياء ، والتفرقة صفوة الحق من الباطن .
وقال النهرجوري : لا يصل العارف إلى ربه إلا بقطع القلب عن ثلاثة أشياء : العلم ، والعمل ، والخلق .

الشيخ أبو العباس بن سريج « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو الشيخ أحمد بن عمر بن سريج القاضي ، أبو العباس البغدادي ، الباز الأشهب ، والأسد الضاري على خصوم المذهب ، شيخ المذهب الشافعي ، وحامل لوائه ، والبدر المشرق في سمائه ، والغيث المغدق برواءه ، ليس من الأصحاب إلا من هو حائم على معينه ، هائم من جوهر بحره بثمينه ، انتهت إليه الرحلة ، فضربت الإبل نحوه آباطها ، وعلقت به العزائم مناطها ، وأتته أفواج الطلبة لا تعرف إلا نمارق البيد بساطها ، صحب الإمام الجنيد وحضر مجالسه ، فهو شيخه في طريق القوم ، وتفقه على أبى القاسم الأنماطي ، وسمع الحسن بن محمد الزعفراني ، وعباس بن محمد الدوري ، وأبا داود السجستاني ، وعلي ابن إشكاب وغيرهم .

قال الشيخ أبو إسحاق : كان يقال له الباز الأشهب وولي القضاء بشيراز .

وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي رحمة الله تعالى عليهم ، حتى على المزني .

وقال أبو حفص المطوعي : ابن سريج سيد طبقته بإطباق الفقهاء ، وأجمعهم للمحاسن باجتماع العلماء ، ثم هو الصدر الكبير والشافعي الصغير ، والإمام المطلق والسبّاق الذي لا يلحق ، وأول من فتح باب النظر ، وعلّم الناس طريق الجدل .

وقال الإمام الضياء الخطيب والد الإمام فخر الدين في كتابه غاية المرام : إن أبا العباس كان أبرع أصحاب الشافعي في علم الكلام ، كما هو أبرعهم في الفقه .

وقال أبو علي بن خيران : سمعت ابن سريج يقول : رأيت كأنما مطرنا كبريتا أحمر ، فملأت أكمامي وحجري ، فعبر لي أن أرزق علما عزيزا كعزة الكبريت الأحمر .

وقال أبو عاصم العبادي : ابن سريج شيخ الأصحاب ومالك المعاني وصاحب الأصول والفروع والحساب .

....

(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (14 / 172) ، وطبقات الأولياء (ص 130) ، وتاريخ بغداد (4 / 289) ، وطبقات الشافعية الكبرى (3 / 469) ، وطبقات ابن هداية (ص 41) .

قال علي بن إبراهيم الحداد : حضرت مجلس ابن سريج الفقيه الشافعي ، فكان يتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجيب ، فلما رأى إعجابي قال : أتدري من أين هذا ؟
قلت : لا ، قال : هذا ببركة مجالسة أبي القاسم بن الجنيد .
توفي في بغداد لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة ، وعمره خمسون سنة وستة أشهر .

* * *

الشيخ أبو عمرو إسماعيل بن نجيد « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

قال الذهبي : الشيخ الإمام القدوة المحدث الباني شيخ نيسابور أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن الحافظ أحمد بن يوسف بن خالد السلمي النيسابوري الصوفي ، كبير الطائفة ومسند خراسان . مولده في سنة اثنتين وسبعين ومائتين .
سمع الحديث وأسنده ، وكان ثقة . مات سنة ست وستين وثلاثمائة .
سمع أبا مسلم الكجي وعبد الله بن أحمد بن حنبل ومحمد بن أيوب البجلي ومحمد بن إبراهيم البوشنجي وإبراهيم بن أبي طالب وعلي بن الجنيد الرازي وجعفر بن أحمد بن نصر وجماعة .
وصحب الجنيد ، ، وله جزء من أعلى ما سمعناه ، حدّث عنه سبطه أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو عبد الله الحاكم ، وأبو نصر أحمد بن عبد الرحمن الصفار ، وعبد الرحمن بن حمدان النصروي وعبد القاهر بن طاهر الأصولي وأبو نصر عمر بن قتادة وأبو العلاء صاعد بن محمد القاضي ، وأبو حفص عمر بن مسرور ، وآخرون .
ومن محاسنه أن شيخه الزاهد أبا عثمان الحيري طلب في مجلسه مالا لبعض الثغور فتأخر ، فتألم وبكى على رؤوس الناس ، فجاءه ابن نجيد بألفي درهم ، فدعا له ثم إنه نوه به
وقال : قد رجوت لأبي عمرو بما فعل ، فإنه قد ناب عن الجماعة ، وحمل كذا وكذا فقام

....
(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (16 / 146) ، وطبقات الأولياء (25) ، وطبقات الشافعية الكبرى (2 / 189) ، وطبقات الصوفية (7) ، (454) ، وصفوة الصفوة (2 / 417) ، وطبقات الشعراني (1 / 141) ، وشذرات الذهب (3 / 50) .

ابن نجيد وقال : لكن إنما حملت من مال ، فلأمي وهي كارهة ، فينبغي أن ترده لترضى ، فأمر أبو عثمان بالكيس فرد إليه ، فلما جن الليل جاء بالكيس ، والتمس من الشيخ ستر ذلك ، فبكى وكان بعد ذلك يقول : أنا أخشى من همة أبي عمرو .
وقال الحاكم : ورث أبو عمرو من آبائه أموالا كثيرة ، فأنفق سائرها على العلماء والزهاد .
قال أبو عبد الرحمن السلمي : جدي له طريقة ينفرد بها من صون الحال ، وتلبيسه .

من كلامه :

سمعته يقول : كل حال لا يكون عن نتيجة علم ، وإن جل فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه .
وسمعته يقول : لا يصفو لأحد قدم في العبودية ، حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء ، وأحواله كلها عنده دعاوى .
وقال جدي : من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق ، سهل عليه الإعراض عن الدنيا ، وأهلها .
وسمعت أبا عمرو بن مطر يقول : سمعت أبا عثمان الحيري وخرج من عنده ابن نجيد يقول : يلومني الناس في هذا الفتى ، وأنا لا أعرف على طريقته سواه ، وربما هو خلفي من بعدي .
وسمعته يقول : من لم تهذبك رؤيته ، فاعلم أنه غير مهذب .
وسمعت جدي وسئل ما التصوف ؟ فقال : الصبر تحت الأمر والنهي .
وسمعته وسئل ما التوكل ؟
فقال : أدناه حسن الظن بالله عز وجل .
وسمعته يقول : من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله تعالى ، فلينظر قدر هيبته له وقت خدمته له .
وسمعته يقول : إنما تتولد الدعاوى من الاغترار ، وتستوطن الأسرار .
وسمعت جدي يقول : كل حال لا يكون عن نتيجة علم ، وإن جل ، فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه .

وسمعته يقول : من كرمت عليه نفسه ، هان عليه دينه .
وسمعته يقول : من ضيع في وقت من أوقاته فريضة افترضها الله تعالى عليه في ذلك الوقت ، حرم لذة تلك الفريضة إلا بعد حين .
وسمعته يقول : المتوكل الذي يرضى بحكم الله تعالى فيه .
وسمعته يقول : تربية الإحسان ، خير من الإحسان .
وسمعته يقول : وسئل ما الذي لا بد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ، ودوام المراقبة .
وقال ابن نجيد : إذا أراد الله بعبد خيرا ، رزقه خدمة الصالحين والأخيار ، ووفقه لقبول ما يشيرون به عليه ، وسهل عليه سبل الخير ، وحجبه عن رؤيتها .
وقال عبد الواحد بن علي السياري بمرو : قلت لأبي عمرو بن نجيد آخر ما فارقته : أوصني ؟
فقال لي : الزم مواجب العلم ، واحترم لجميع المسلمين ، ولا تضيع أيامك ، فإنها أعز شيء لك ، ولا تتصدر ما أمكنك ، وكن خاملا فيما بين الناس ، فبقدر ما تتعرف إليهم وتشتغل بهم تضيع حظك من أوامر ربك .
وكان يقول : من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق ، سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهليها .
وقال : من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه ، فقد أظهر جهله .
وقال أبو عمرو : الهمم توصل النفوس إلى سني الرتب .
وقال أبو عمرو : من استقام لا يعوج به أحد ، ومن اعوج لا يستقيم به أحد .
وقال أبو عمرو : الأنس بغير الله تعالى وحشة .
وقال أبو عمرو : من صح تفكره صدق نطقه ، وخلص عمله .
وقال أبو عمرو : الطمأنينة إلى الخلق عجز .
وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول : كان الجنيد يجيء كل يوم إلى السوق ، فيفتح حانوته ، فيدخله ويسبل الستر ، ويصلي أربعمائة ركعة ، ثم يرجع إلى بيته .

الشيخ أبو محمد عبد الله الشعراني « 1 »
قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الرازي الشعراني . رازي الأصل ، ومولده ومنشأه بنيسابور .
صحب الجنيد بن محمد ، وأبا عثمان ومحمد بن الفضل ورويما وسمنون ويوسف بن الحسن وأبا علي الجوزجاني ومحمد بن حامد ، وغيرهم من مشايخ القوم . وهو من جلة أصحاب أبي عثمان ، وكان أبو عثمان يكرمه ويجله ويعرف له محله ، وهو من أجل مشايخ نيسابور في وقته ، له من الرياضات ما يعجز عنها إلا أهلها ، وكان عالما بعلوم الطائفة ، وكتب الحديث الكثير ورواه ، وكان ثقة ، مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، وأسند الحديث .من كلامه :
وقال أبو علي بن جمشاد الصائغ : سمعت عبد الله الرازي يقول : وسئل أو سألته ما بال الناس يعرفون عيوبهم وعيوب ما هم فيه ولا ينتقلون من ذلك ولا يرجعون إلى طريق الصواب ؟
فقال : لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ، ولم يشتغلوا باستعماله بآداب الظواهر وتركوا آداب البواطن فأعمى الله قلوبهم عن النظر إلى الصواب وقيّد جوارحهم عن العبادات .
وقال عبد الله الرازي : العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق ، بل يعبده على موافقته عز وجل .
وقال : دلائل المعرفة العلم ، والعمل بالعلم ، والخوف على العمل .
وقال عبد الله : المعرفة تهتك الحجب بين العبيد وبين مولاهم ، والدنيا هي التي تحجبهم عن مولاهم .
وقال عبد الله الرازي : الخلق كلهم يدعون المعرفة ، ولكنهم عن صدق المعرفة بمعزل وصدق المعرفة خص بها الأنبياء صلوات الله عليهم ، والسادة من الأولياء رضي الله عنهم .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (6) ، (451) ، وطبقات الشعراني (1 / 140) ، والرسالة القشيرية (ص 37) ، ونتائج الأفكار القدسية (2 / 4) .

وكان يقول : من أراد أن يعرف محل نفسه ومتابعتها للحق أو مخالفتها له ، فلينظر إلى من يخالفه في مراد له كيف يجد نفسه عند ذلك ؟ فإن لم تتغير ، فليعلم أن نفسه متابعة للحق .
وكان يقول : قيل لبعض العارفين : ما الذي حبب إليك الخلوة ونفى عنك الغفلة ؟ قال : وثبة الأكياس من فخ الدنيا .
وقال عبد الله الرازي : من لم يغتنم السكوت ، فإنه إذا نطق نطق بلغو .
وقال أبو نصر الحراني : قلت لعبد الله الرازي : علمني دعاء أدعو به ؟
فقال لي : قل :
اللّهمّ امنن علينا بصفاء المعرفة ، وهب لنا تصحيح المعاملة بيننا وبينك على السنة ، وصدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، وامنن علينا بكل ما يقربنا منك مقرونا بالعوافي في الدارين .

* * *

الشيخ محمد بن عليان النسوي « 1 »

هو محمد بن علي من كبار مشايخ نسا ، من قرية بيسمة ، من جلة أصحاب أبي عثمان ، وكان محفوظ يقول : محمد بن عليان إمام أهل المعارف كان يخرج من نسا قاصدا إلى أبي عثمان في مسائل واقعات ، فلا يأكل ولا يشرب في الطريق حتى يرد نيسابور فيسأله عن تلك المسائل ، وهو من أعلى المشايخ همة ، له الكرامات الظاهرة .

من كلامه :

قال محمد بن عليان : الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة .
وكان يقول : من لم يتحقق في وداد ربه ومحبته ، جعل مكان الوفاء في المحبة غدرا ، ومكان الألفة نفارا .
وكان يقول : كيف لا تحب من لم تنفك من بره طرفة عين ، وكيف تدعي محبة من لم توافقه طرفة عين .

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (19) ، (417) ، وطبقات الشعراني (1 / 37) ، وحلية الأولياء (10 / 376) .

وسئل ما علامة رضا الله عن العبد ؟
فقال : نشاطه في الطاعات ، وتثاقله عن المعاصي .
وقال ابن عليان : من أظهر كراماته فهو مدع ، ومن ظهرت عليه الكرامات ، فهو ولي .
وقال محمد بن عليان : الفقر لباس الأحرار ، والغنى لباس الأبرار .
وكان يقول : من صحب الفقراء فليصحبهم على سلامة السر ، وسخاء النفس ، وسعة الصدر ، وقبول المحن بالنعم .
وقال ابن عليان : أفقر الفقراء من لا يهتدي إلى من يقدر على أن يغنيه .
وقال : آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخط العوام عن مجاري المقدور .
وقال : لا يصفو للسخي سخاؤه إلا بتصغيره ، ورؤية فضل من يقبل منه .
وقال محمد بن عليان : الخوف له أثر في القلب ، يؤثر على ظاهر صاحبه الدعاء والتضرع والانكسار .
وكان يقول : علامة الأولياء خوف الانقطاع عنه لشدة في قلوبهم من الإيثار له والشوق إليه .
وقال ابن عليان : من خدم الله تعالى لطلب ثواب أو خوف عقاب ، فقد أظهر خسته ، وأبدى طمعه ، فقبيح بالعبد أن يخدم سيده لعوض .
وقال ابن عليان : من سكن إلى غير الله تعالى أهمله تعالى ، وتركه ومن سكن إلى الله تعالى قطع عليه طريق السكون إلى شيء سواه .

* * *

الشيخ أبو علي الروذباري « 1 »

هو أحمد بن محمد بن القاسم ابن منصور بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغدد بن كسرى .

وهو من أهل بغداد ، سكن مصر ، وصار شيخها ، ومات بها ، صحب أبا القاسم الجنيد ، وأبا الحسين النوري وأبا حمزة وحسنا المسوحي ، ومن في طبقتهم من مشايخ بغداد ، وصحب بالشام ابن الجلاء ، وكان عالما فقيها عارفا بعلم الطريقة ، حافظا للحديث .

توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

من كلامه :

سئل عن الإشارة ؟

فقال : الإشارة الإبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه لا غير ، وفي الحقيقة : أن الإشارة تصحبها العلل ، والعلل بعيدة من عين الحقائق .

وسئل عن المريد والمراد ؟

فقال : المريد الذي لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له والمراد لا يريد من الكونين شيئا غيره .

وسئل أبو علي عمن يسمع الملاهي ، ويقول : هي لي حلال لأني قد وصلت إلى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال ، فقال : نعم قد وصل لعمري ولكن إلى سقر .

وسئل عن التصوف ؟

فقال : هذا مذهب كله جد ، فلا تخلطوه بشيء من الهزل .

وقلب أبو علي الروذباري : فضل المقال على الفعال منقصة ، وفضل الفعال على المقال مكرمة .

وقال الروذباري : لا رضا لمن لا يصبر ، ولا كمال لمن لا يشكر ، وبالله وصل العارفون إلى محبته ، وشكروه على نعمته .

وكان يقول : قال لي خالي أبو علي : لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد ، لما بقي محق إلا مات .

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (3) ، (354) ، وطبقات الشعراني (1 / 124) ، وحلية الأولياء (10 / 356) ، وصفوة الصفوة (2 / 256) ، وتاريخ بغداد (1 / 329) ، وشذرات الذهب (2 / 296) ، والرسالة القشيرية (ص 34) ، وحسن المحاضرة (1 / 225) .

وقال الروذباري : المشاهدات للقلوب ، والمكاشفات للأسرار ، والمعاينات للبصائر ، والمراعاة للأبصار .
وقال أبو علي : من نظر إلى نفسه مرة عمي عن النظر بالاعتبار إلى شيء من الأكوان .
وقال : ما ادعى أحد قط إلا لخلوه عن الحقائق ، ولو تحقق في شيء لنطقت عنه الحقيقة ، وأغناه عن الدعاوي .
وكان يقول : أنفع اليقين ما عظم الحق في عينيك ، وصغر ما دونه عندك ، وأثبت الخوف والرجاء في قلبك .
وقال : ما أظهر من نعمه دليل على ما أبطن من كرمه .
وكان يقول : من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك ، فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح في الهفوات ، وترى أن ذلك في بسط الحق لك .
وقال أبو علي : كيف تشهده الأشياء وبه فنيت بذواتها عن ذواتها ، أم كيف غابت الأشياء عنه ، وبه ظهرت ، فسبحان من لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء .
وقال أبو علي : تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق ، فألقيت إليها الأسامي ، فركنت إليها ، والذات مستترة إلى أوان التجلي ، وذلك قوله تعالى :وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا[الأعراف : 180] : أي وقفوا معها عن إدراك الحقائق .
وقال أبو علي : أظهر الحق الأسامي وأبداها للخلق ليسكن بها شوق المحبين إليه ، وتأنس بها قلوب العارفين له .
قال أبو علي : أستاذي في التصوف الجنيد ، وأستاذي في الفقه أبو العباس بن سريج ، وأستاذي في الأدب ثعلب ، وأستاذي في الحديث إبراهيم الحربي .

* * *

الشيخ أبو الحسن المزين البغدادي « 1 »

هو أبو الحسن علي بن محمد ، من أهل بغداد ، صحب الجنيد ، وسهل بن عبد الله ، ومن في طبقتهما من البغداديين ، وأقام بمكة مجاورا ومات بها .
وكان من أورع المشايخ وأحسنهم حالا ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .
قال أبو بكر الرازي : سمعت أبا الحسن المزين يقول : الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .
وسئل المزين عن المعرفة ؟
فقال : أن تعرف الله تعالى بكمال الربوبية ، وتعرف نفسك بالعبودية ، وتعلم أن الله تعالى أول كل شيء ، وبه يقوم كل شيء ، وإليه مصير كل شيء ، وعليه رزق كل شيء .
وكان يقول : الطرق إلى الله تعالى بعدد النجوم ، وأنا مفتقر إلى طريق إليه فلا أجده .
وكان أيضا يقول : من طلب الطريق إليه بنفسه تاه في أول قدم ، ومن أريد به الخير دل على الطريق ، وأعين على بلوغ المقصد ، فطوبى لمن كان قصده إلى ربه دون عرض من أعراض الأكوان .
وقال : من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه .
وكان يوما وهو بالتنعيم يريد أن يحرم بعمرة يبكي طول طريقه .
وكان يقول : متى ظهرت الآخرة فنيت فيها الدنيا ، ومتى ظهر ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة ، فإذا تحققت الأذكار فني العبد وذكره وبقي المذكور بصفاته .
قال المزين : للقلوب خواطر يشوبها شيء من الهوى ، لكن العقول المقرونة بالتوفيق تزجر عنها وتنهي .
وسئل أبو الحسن المزين عن التوحيد ؟
فقال : أن توحد الله بالمعرفة وتوحده بالعبادة وتوحده بالرجوع إليه في كل ما لك وعليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (9) ، (382) ، وطبقات الشعراني (1 / 30) ، وحلية الأولياء (8 / 335) ، وصفوة الصفوة (2 / 150) ، وتاريخ بغداد (12 / 73) ، وشذرات الذهب (2 / 316) ، والرسالة القشيرية (ص 35) .

إليه ، فالله تعالى بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاتهم حدثا .

وقال المزين : من افتقر إلى الله تعالى وصحح فقره إليه بملازمة آدابه أغناه الله به عن كل ما سواه .

وكان يقول : ملاك القلب في التبري من الحول والقوة .

وكان يقول : من أعرض عن مشاهدة ربه شغله الله بطاعته وخدمته ، ولو بدا له نجم الاحتراق لغيبه عن وساوس الافتراق .

ورؤى أبو الحسن يوما متفكرا ثم اغرورقت عيناه ، فقيل له : ما لك أيها الشيخ ؟ قال : ذكرت أيام تقطعي في إرادتي وقطعي المنازل يوما فيوما ، وخدمتي لأولئك السادة من أصحابي ، وتذكرت ما أنا فيه من الفترة عن شريف الأحوال ، وأنشأ يقول :

منازل كنت تهواها وتألفها * أيام أنت على الأيام منصور

وكان يقول : المعجب بعمله مستدرج ، والمستحسن لشيء من أحواله ممكور به ، والذي يظن أنه موصول فهو مغرور ، وأحسن العبيد حالا من كان محمولا في أفعاله وأحواله لا يشاهد غير واحد ولا يأنس إلا به ولا يشتاق إلا إليه .

وسئل المزين عن الفقير الصادق ؟

فقال : الذي يسكن إلى مضمون الله له ، ويزعجه دخول الإرفاق عليه من أي وجه كان .

* * *

الشيخ أبو السائب القاضي الهمذاني « 1 »

قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني الشافعي الصوفي .

كان أبوه تاجرا بهمذان ، وإمام مسجد ، فاشتغل هو وتصوف أولا وتزهد وسافر وصحب الجنيد والعلماء .

....

(1) انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (16 / 47) ، وطبقات الشافعية الكبرى (3 / 343) ، والنجوم الزاهرة (3 / 329) .

وروى عن عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره ، وعني بفهم القرآن ، وكتب الحديث والفقه ، ثم ذهب إلى مراغة ، واتصل بابن أبي الساج الأمير فولي القضاء له ، ثم بعد صيته وقلد قضاء ممالك أذربيجان ، ثم ولي قضاء همذان ، ثم قدم بغداد ، وتوصل وازدادت عظمته ، وقلد قضاء العراق في سنة ثمان وثلاثين ، فهو أول شافعي ولي قضاء بغداد وعاش ستا وثمانين سنة .

وقد رآه بعضهم بعد موته في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟

فقال : غفر لي وأمر بي إلى الجنة على ما كان مني من التخليط ،

وقال : آليت ألا أعذب أبناء الثمانين .

مات في ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

* * *

الشيخ أبو محمد المرتعش « 1 »

أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابوري ، ويقال له : المرتعش صحب الجنيد ، وأقام ببغداد في مسجد الشونيزي وكانوا يقولون عجائب بغداد ثلاثة إشارات الشبلي ونكت المرتعش وحكايات جعفر الخواص .

وقيل : عجائب بغداد نكت المرتعش ، وإشارات الشبلي ، وحكايات الخلدي .

وقال أبو الفرج الصائغ قال المرتعش : من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه درجة الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطرا ، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان .

وقيل له : إن فلانا يمشي على الماء فقال : إن من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الهواء والماء .

وعن أحمد بن علي بن جعفر قال كنت عند المرتعش قاعدا فقال رجل : قد طال الليل وطاب الهواء فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ، ثم قال لا أدري ما يقول غير أني أقول ما سمعت من بعضهم يقول :

....

(1) انظر في ترجمته : صفوة الصفوة لابن الجوزي (2 / 462) ، وسير أعلام النبلاء (15 / 330) ، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص 141) .

لست أدري أطال ليلي * أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلا
قال فبكى من حضره واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته .
وسئل بماذا ينال العبد المحبة ؟
قال : بموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله .
وسئل أي العمل أفضل ؟ قال : رؤية فضل الله .
وقد ذكره الخطيب فسماه جعفرا .
وقال : كان من ذوي الأموال ، فتخلى عنها وسافر الكثير . ويروى عنه قال : جعلت سياحتي أن أمشي كل سنة ألف فرسخ حافيا حاسرا .
قال السلمي : وتوفي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة رحمه الله .
* * *

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن المولد « 1 »

هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المولد . من كبار مشايخ الرقة وفتيانهم صحب الجنيد وأبو عبد الله بن الجلاء الدمشقي وإبراهيم بن داود القصار الرقي ، وكان من أفتى المشايخ وأحسنهم سيرة .
قال أحمد بن عطاء : سمعت إبراهيم ابن المولد يقول : من كانت بدايته نهايته ونهايته بدايته في الاجتهاد يلزمه في البداية النهاية .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : من تولاه رعاية الحق أجل ممن تؤدبه سياسة العلم .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : القيام بآداب العلم وشرائعه يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : إن العبد إذا أصبح كان مطالبا من الله بالطاعة ، ومن نفسه بالشهوة ، ومن الشيطان بالمعصية ، لكن الله تعالى رفق به حيث أمره في ابتداء صباحه بأمر وبعث إليه مناديا يناديه وينديه إلى أمر الله وهم المؤذنون يؤذنون ويكبرون في أذانهم تكبيرات مكررات يقولون له : الله أكبر الله أكبر فيكبر في قلبه أمر سيده ، فيبادر إلى طاعته ، ويخالف هوى نفسه وشيطانه ، فإن بادر إليه أكرمه الله بالظفر على نفسه وغلبته

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (17) ، (410) ، وطبقات الشعراني (1 / 136) ، وحلية الأولياء (10 / 364) .

لشهوته وأعانه على عدوه بقطع الوساوس من قلبه ، فإن من بادر إلى بابه ودخل في حرزه صار غالبا لا مغلوبا .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : حلاوة الطاعة بالإخلاص تذهب بوحشة العجب .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : عجبت لمن عرف أن له طريقا إلى ربه كيف يعيش مع غير الله تعالى والله يقول :وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ[الزمر : 54] .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : جبلت الأرواح من الأفراح فهي تعلو أبدا إلى محل الفرح من المشاهدة والأجساد خلقت من الأكماد فهي لا تزال ترجع إلى كمدها من طلب هذه الفانية والاهتمام بها ولها .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : من قال به أفناه عنه ، ومن قال منه أبقاه له .
أنشدني منصور بن عبد الله قال : أنشدني إبراهيم بن المولد لبعضهم :
لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان في الناس عزّ الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جار

قال : وسمعت إبراهيم بن المولد يقول : ثمن التصوف فناؤك فيه ، فإذا فنيت فيه بقيت بقاء الأبد ؛ لأن من فني عن حسوسه بقي بمشاهدة المطلوب وذلك بقاء الأبد .
قال : وسمعت إبراهيم بن المولد يقول : الأدب في الأكل ألا يمدوا أيديهم إلى الإرفاق إلا في أوقات الضرورات ، ثم على قدر إمساك الرمق .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : من قام إلى أوامر الله كان بين قبول ورد ومن قام إليها بالله كان مقبولا لا شك .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : السياحة بالنفس لآداب الظواهر علما وخلقا والسياحة بالقلب لآداب البواطن حالا ووجدا وكشفا .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : الفترة بعدد المجاهدة من فساد الابتداء والحجب بعد الكشف من السكون إلى الأحوال .
قال : وسمعت إبراهيم يقول : نفسك سائرة بك وقلبك طائر بك فكن مع أسرعهما وصول .

* * *

الشيخ أبو بكر الكتاني « 1 »

هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، وكنيته أبو بكر ويقال : أبو عبد الله وأبو بكر أصح . أصله من بغداد صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز وأبا الحسين النوري وأقام بمكة مجاورا بها إلى أن مات .

وكان أحد الأئمة حكي عن أبي محمد المرتعش أنه كان يقول : الكتاني سراج الحرم مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

وكان محمد بن علي الكتاني يقول : إن لله ريحا تسمى الصبيحة ، مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار تحمل الأنين والاستغفار إلى الملك الجبار .

وكان يقول : إذا سألت الله تعالى التوفيق ، فابدأ بالعمل .

وسأله بعض المريدين فقال له : أوصني ؟ فقال : كن كما ترى الناس ، وإلا فأر الناس ما تكون .

وقال الكتاني : كن في الدنيا ببدنك ، وفي الآخرة بقلبك .

وكان يقول : الشكر في موضع الاستغفار ذنب ، والاستغفار في موضع الشكر ذنب .

وقال : روعة عند انتباه عن غفلة ، وانقطاع عن حظ النفسانية ، وارتعاد من خوف قطيعة أفضل من عبادة الثقلين .

وكان يقول : وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق ، لأن الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه .

وكان الكتاني يقول : الشهوة زمام الشيطان ، فمن أخذ بزمامه كان عبده .

وسئل الكتاني عن حقيقة الزهد ؟

فقال : فقد الشيء والسرور من القلب بفقده ، وملازمة الجهد إلى الموت واحتمال الذل صبرا والرضا به حتى تموت .

....

(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 357) ، وصفوة الصفوة (2 / 257) ، وطبقات الصوفية (7) ، (373) ، وطبقات الشعراني (1 / 129) ، والرسالة القشيرية (ص 35) ، وتاريخ بغداد (3 / 74) ، وشذرات الذهب (2 / 296) .

وقيل للكتاني من العارف ؟
فقال : من يوافق معروفه في أوامره ولا يخالفه في شيء من أحواله ، ويتحبب إليه بمحبة أوليائه ولا يفتر عن ذكره طرفة عين .
وكان الكتاني يقول : الصوفية عبيد الظواهر أحرار البواطن .
وقال : سماع العوام على متابعة الطبع ، وسماع المريدين رغبة ورهبة ، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعم ، وسماع العارفين على المشاهدة ، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ، ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام .
وكان يقول : الموارد ترد فتصادف شكلا أو موافقة ، فأي وارد صادف شكلا مازجه وأي وارد صادف موافقا ساكنه .
وقال : المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجدا أو شوقا أو غلبة وارد عليه يفنيه عن كل مسكون ومألوف ، وأنشد على إثره :
فالوجد والشوق في مكاني * قد منعاني من القرار
هما معي لا يفارقاني * فذا شعاري وذا دثاري

وقال أبو بكر الكتاني : إن الله نظر إلى عبيد من عبيده ، فلم يرهم أهلا لمعرفته ، فشغلهم بخدمته .
وقال أبو بكر الرازي : نظر محمد بن علي الكتاني إلى شيخ كبير أبيض الرأس واللحية يسأل فقال : هذا رجل أضاع أمر الله في صغره فضيّعه الله في كبره .
وقال أبو الحسن القزويني : سمعت أبا بكر الكتاني يقول : إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى به لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه .
وقال أبو الحسين الفارسي : سمعت الكتاني يقول : الغافلون يعيشون في حلم الله ، والذاكرون يعيشون في رحمة الله ، والعارفون يعيشون في لطف الله ، والصادقون يعيشون في قرب الله .
وسئل الكتاني عن السنة التي لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم ؟ فقال : الزهد في الدنيا وسخاوة النفس ونصيحة الخلق .
وكان يقول : من كان الله همه لا يستقطعه من الكون شيء ولا يأسره من زينتها قليل ولا كثير .

وسئل الكتاني عن المتقي ؟
فقال : من اتقى ما لهج به العوام من متابعة الشهوات وركوب المخالفات ، ولزم باب الموافقة وأنس براحة اليقين ، واستند إلى ركن التوكل وأتته الفوائد من الله عز وجل في كل حال فلم يغفل عنها .
وسئل أبو بكر الكتاني عن الصوفي ؟
فقال : من عزفت نفسه عن الدنيا تظرفا ، وعلت همته عن الآخرة ، وسخت نفسه بالكل طلبا وشوقا إلى من له الكل .
وقال محمد بن علي الكتاني : حقائق الحق إذا تجلت لسر أزالت عنه الظنون والأماني ، لأن الحق إذا استولى على سر قهره ، ولا يبقى للغير معه أثر .
وقال الكتاني : العلم بالله أتم من العبادة له .
* * *

الشيخ أبو عمرو الزجاجي « 1 »

اسمه محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد ، نيسابوري الأصل ، صحب أبا عثمان والجنيد والنوري ورويما وإبراهيم الخواص .
دخل مكة وأقام بها وصار شيخها والمنظوم إليه فيها . حج قريبا من ستين حجة .
قال السلمي : سمعت جدي رحمه الله يقول : كنت بمكة وكان بها الكتاني والنهرجوري والمرتعش وغيرهم من المشايخ ، فكانوا يعقدون حلقة وصدر الحلقة لأبي عمرو ، وإذا تكلموا في شيء رجع جميعهم إلى ما يقول أبو عمرو .
وقال أبو عثمان المغربي : كان أبو عمرو من السالكين ، وآياته وفضائله أكثر من أن تحصى وتعد .
وقيل : إنه لم يبل ولم يتغوط في الحرم أربعين سنة وهو مقيم به .من كلامه :
سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول : المعرفة على ستة أوجه معرفة الوحدانية ومعرفة التعظيم ومعرفة المنة ومعرفة القدرة ومعرفة الأزل ومعرفة الأسرار .

....
(1) انظر في ترجمته : حلية الأولياء (10 / 376) ، وطبقات الصوفية (2) ، (431) ، والمنتظم لابن الجوزي (6 / 391) .

سئل أبو عمرو الزجاجي ما بالك تتغير عن التكبيرة الأولى في الفرائض ،
فقال : لأني افتتح فريضتي بخلاف الصدق فمن يقل الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر منه أو قد كبر شيئا سواه على مرور الأوقات كذب نفسه على لسانه .
وقال أبا عمرو الزجاجي : من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن يسمعه ودعوى تتولد في قلبه وحرمه الله الوصول إلى ذلك الحال وبلوغه .
وكان يقول : قسم الله الرحمة لمن اهتم بأمر دينه .
وسئل أبو عمرو عن الحمية ؟
فقال : الحمية في القلوب تصحيح الإخلاص ، وملازمته والحمية في النفوس ترك الدعوى ومجانبتها .
وكان يقول : الحمية ترك الشكوى من البلوى بل استلذاذ البلوى إذ الكل منه فمن أسخطه وارد من محبوبه يبين عليه نقصان محبته .
وسئل أبو عمرو عن السماع ؟
فقال : ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه إليه السماع من ضعف الحال ولو قوي لاستغنى عن السماع والأوتار .
وأبو عمرو الزجاجي يقول : من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى ، فقد أظهر خسارته .
وكان أبو عمرو الزجاجي يقول : من تشوف بالحرم رفقا من غير من جاوره بعده الله تعالى عن جواره ووكل بقلبه الشح وأطلق لسانه بالشكوى ومسح قلبه عن المعارف وأظلمه عن أنوار اليقين ووكله إلى حوله وقوته ومقته عند خلقه .
وكان يقول : الضرورة ما تمنع صاحبها عن القال والقيل والخبر والاستخبار وتشغله بالاهتمام بوقته عن التفرغ إلى أوقات غيره .
وقال : كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي فردهم إلى الشريعة والاتباع فالعقل الصحيح هو الذي يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه .
قال رجل لأبي عمرو الزجاجي كيف الطريق إلى الله تعالى ؟
فقال له أبو عمرو : أبشر فشوقك إليه أزعجك لطلب دليل يدلك عليه .

وقال أبو عمرو : قلبك أعرف أدلتك إذا ساعده التوفيق فدع ما أنكره قلبك فقل قلب يسكن إلى المخالفة على دوام الأوقات .
توفي بمكة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

* * *

الشيخ أبو بكر بن أبي سعدان « 1 »

وهو أحمد بن سعدان ، بغدادي من أصحاب الجنيد والنوري ، وهو أعلم مشايخ الوقت بعلوم هذه الطائفة ، وكان عالما بعلوم الشرع مقدما فيه ينتحل مذهب الشافعي ، وكان أحد أستاذي الشيخ أبي القاسم المغربي ، ويعرف من علوم الصنعة وغير ذلك ، وكان ذا لسان وبيان .
قال السلمي : وبلغني أنه كان بطرسوس فطلب من يرسل إلى الروم ، فلم يجدوا مثله في فضله وعلمه وفصاحته وبيانه ولسانه .
وقيل : لم يبق في هذا الزمان لهذه الطائفة إلا رجلان أبو علي الروذباري بمصر ، وأبو بكر بن أبي سعدان بالعراق ، وأبو بكر أفهمهما .

من كلامه :

قال : من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك ، فمتى نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده .
وكان يقول : من علم بعلم الرواية ورث علم الدراية ، ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية ، ومن عمل بعلم الرعاية هدي إلى سبيل الحق .
وكان يقول : الشكر أن يشكر على البلاء شكره على النعماء .
وقال : من سمع بأذنه حكى ، ومن سمع بقلبه وعى ، ومن عمل بما يسمع هدى واهتدى .
وقال ابن أبي سعدان : الانقطاع عن الأحوال سبب الوصول إلى الله تعالى .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (ص 316) ، وحلية الأولياء (10 / 377) ، وبغية الطلب لابن العديم (3 / 1066) .

وقال : من قابله بأفعاله قابله بعدله ، ومن قابله بإفلاسه قابله بفضله ، ولا عمل أتم من الصدق ، ولا أنور ولا أبلغ منه ، وقد قال الله عز وجلّ :لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ[الأحزاب : 8] ،
تراه يقوم بحقيقة صدقه أو بالجواب عن سؤاله والأنبياء عجزوا حيث سألوا :ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا[المائدة : 109] ،
وقال : الصابر على رجائه لا يقنط من فضله .
وقال : الاعتصام بالله هو الامتناع به من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات .
وقال : من جلس للمناظرة على الغفلة لزمته ثلاثة عيوب :
أولها : جدال وصياح ، وهو المنهي عنه ،
وأوسطها : حب العلو على الخلق وهو المنهي عنه ،
وآخرها : الحقد والغضب ، وهو المنهي عنه ،
ومن جلس للمناصحة فإن
أول كلامه موعظة ،
وأوسطه دلالة ،
وآخره بركة .
وكان يقول : من لم ينظر في التصوف فهو غبي .
وقال : إذا بدت الحقائق سقطت آثار الفهوم والعلوم ، وبقي لها الرسم الجاري لمحل الأمر ، وسقط منه حقائقها .
وقال : خلقت الأرواح من النور ، وأسكنت ظلم الهياكل ، فإذا قوى الروح جانس العقل ، وتواترت الأنوار ، وأزالت عن الهياكل ظلمتها فصارت الهياكل روحانية بأنوار الروح والعقل فانقادت ولزم طريقتها ، ورجعت الأرواح إلى معدنها من الغيب تطالع مجاري الأقدار ، فهذه تطالع الجاري من الأقدار ، وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر وهذا من لطائف الأحوال .
وكان يقول : الصوفي هو الخارج عن النعوت والرسوم ، والفقير هو الفاقد للأسباب ، ففقد السبب أوجب له اسم الفقر ، وسهل له الطريق إلى المسبب وصفاء الصوفي عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف ، فصفى عن ممازجة الأكوان كلها بمصافاة من صافاه في الأزل بالأنوار والمبار .
وقال : أول قسمة قسمت للنفس من الخيرات الروح ليتروح به من مساكنة الأغيار ، ثم العلم ليدله على رشده ، ثم العقل ليكون مشيرا للعلم إلى درجات المعارف ، ومشيرا للنفس إلى قبول العلم ، وصاحبا للروح في الجولان في الملكوت .

* * *

الشيخ أبو بكر الواسطي « 1 »

هو محمد بن موسى ، وأصله من فرغانة ، وكان يعرف بابن الفرغاني ، من قدماء أصحاب الجنيد ، وأبي الحسين ، من علماء مشايخ القوم لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو ، وكان عالما بالأصول ، وعلوم الظاهر ، دخل خراسان ، واستوطن كورة مرو ، ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة ، وكلامه عندهم ، خرج من العراق وهو شاب ، ومشايخه في الأحياء ، فتكلم بخراسان بأبيورد ومرو ، وأكثر كلامه بمرو .من كلامه :

قال ابن الفرغاني الواسطي بمرو : شاهد بمشاهدة الحق إياك ، ولا تشهده بمشاهدتك له .

وقال : ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ، ولا أخلاق الجاهلية ، ولا أحلام ذوي المروءة .

وكان يقول : الأسراء على وجوه :

أسير نفسه ، وشهوته ،

وأسير شيطانه وهواه ،

وأسير ما لا معنى له : لفظه أو لحظه ، هم الفساق .

وما دام للشواهد على الأسرار أثر ، وللأعراض على القلب خطر ، فهو محجوب ، بعيد من عين الحقيقة ، وما تورع المتورعون ، ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الأعراض في أسرارهم ، فمن أعرض عنها أدبا أو تورع عنها ظرفا ، فذلك الصادق في ورعه ، والحكيم في أدبه .

وكان يقول : أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه .

وقال : الحب يوجب شوقا ، والشوق يوجب أنسا ، فمن فقد الشوق والأنس ، فليعلم أنه غير محب .

وكان يقول : كيف يرى الفضل فضلا من لا يأمن أن يكون ذلك مكرا .

وقال : الموحد لا يرى إلا ربوبية صرفا تولت عبودية محضا ، وفيه معالجة الأقدار ، ومغالبة القسمة .

وكان يقول : الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب .

....

(1) انظر في ترجمته : الرسالة القشيرية (ص 32) ، وطبقات الصوفية (12) ، (ص 302) ، وحلية الأولياء (10 / 349) ، والمنتظم (6 / 262) .

وقال : الخوف حجاب بين العبد وبين الله تعالى ، والخوف هو الإياس ، والرجاء هو الطمع ، فإن خفته بخلته ، وإن رجوته اتهمته .
وقال الواسطي : من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد ، ومن انقطع به انقطع ، ومن وصل به وصل ، وفي الحقيقة لا فصل ولا وصل .
وقال الواسطي : كائنات محتومة بأسباب معروفة ، وأوقات معلومة ، اعتراض السريرة لها رعونة .
وكان الواسطي يقول : الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا في الأزل يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين ، فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم ، كما بانت شواهد المطرودين بظلمها عليهم ، فأنى تنفع مع ذلك الألوان المصفرة والأكمام المقصرة والأقدام المنتفخة .
وقال : التعرض للحق والسبيل إليه تعرض للبلاء ، ومن تعرض للبلاء لا يسلم منه ، ومن أراد السلامة فليتباعد من مراتع الأهوال .
وكان يقول : الوقاية للأشباح ، والرعاية للأرواح .
وقال : أقل من ساعة فما أصابك من نعمة أو شدة قبل ذلك الوقت ، فأنت عنه خال إنما ينالك منه ما في ذلك الوقت ، وما كان بعد ذلك فلا تدري أيصل إليك أم لا .
وقال : الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره ، لأن ذكره سواه .
وكان الواسطي يقول : حياة القلب بالله تعالى ، بل بقاء القلوب مع الله ، بل الغيبة عن الله بالله .
وقال : أربعة أشياء لا تليق بالمعرفة : الزهد والصبر والتوكل والرضا ، لأن كل ذلك من صفة الأشباح .
وقال : مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل .
وقال : الناس على ثلاث طبقات :
الطبقة الأولى : منّ الله عليهم بأنوار الهداية ، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق .

والطبقة الثانية : منّ الله عليهم بأنوار العناية ، فهم معصومون من الصغائر والكبائر .
والطبقة الثالثة : منّ الله عليهم بالكفاية ، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة ، وحركات أهل الغفلة .

* * *

الشيخ أبو الحسين بن هند الفارسي « 1 »

هو علي بن هند الفارسي القرشي من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم .
صحب جعفرا الحذاء ومن فوقه من المشايخ بفارس ، وصحب أيضا الجنيد وعمرا المكي ومن في طبقتهم ، وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية .
كان علي بن هند القرشي يقول : ليس حكم ما وصفنا حكم ما نازلنا .
وقال : المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات ، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شيء من أمور دينه ودنياه ، بل يجري في أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة ، يأخذ الأشياء من معدنها ويضعها في معدنها .
وكان يقول : استرح مع الله ، ولا تسترح عن الله ، فإن من استراح مع الله نجا ، ومن استراح عن الله هلك ، والاستراحة مع الله تروح القلب بذكره ، والاستراحة عن الله مداومة الغفلة .
وقال : أصل الخيرات أربعة : السخاء والتواضع والنسك وحسن الخلق .
وقال : أصل كل خير ملازمة الأدب في جميع الأحوال والأفعال .
وقال : عمارة القلب في أربعة أشياء : في العلم والتقوى والطاعة وذكر الله ، وخرابه من أربعة أشياء : من الجهل والمعصية والاغترار وطول الغفلة .
وقال : دم على الصفاء إن كنت تطمع في الوفاء .
وقال : من آواه الله إلى قربه أرضاه بمجاراة المقدور عليه ، فإنه ليس على بساط القربة تسخط .

....
(1) انظر في ترجمته : طبقات الصوفية (14) ، (ص 399) ، وحلية الأولياء (10 / 362) ، وطبقات الشعراني (1 / 133) .

وقال : الاستقامة تقوم العبيد في أحوالهم في أحوالهم لا الأحوال تقومهم .
وقال : من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر ، أوقع حرمته في قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوبهم ، فلا تراه إلا ممقوتا ، وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله ، لأن النبي يقول : « من تعظيم جلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم » .
وكان يقول : من عظم قدر الخلق كلهم عنده ، فذاك لعلمه بتخصيص خلقهم من بين الحيوانات ، وذلك من تعظيم الله في أن يعظم ما خصصه الله عز وجلّ .
وقال : حسن الخلق على معان ثلاثة : مع الله بترك الشكوى ، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط ، وطيب نفس ، ومع الخلق بالبر والحلم .
وقال : القلوب أوعية وظروف ، وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات ، فقلوب الأولياء أوعية المعرفة وقلوب العارفين أوعية المحبة ، وقلوب المحبين أوعية الشوق ، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس ، ولكل من هذه الأحوال آداب من لم يستعملها في أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة .
وقال : اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال ، فإنه ملجأ الكل ، فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما .

* * *

الشيخ محمد بن الفرحاني « 1 »

هو محمد بن الفرحاني بن زروية المروزي الطيب ، دخل بغداد ، وحدث بها عن أبيه بأحاديث منكرة .
روى عن الجنيد ، **وابن مرزوق** ، قال ابن الجوزي : وكان فيه ظرف ولباقة ، غير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث .

* * *

....
(1) انظر في ترجمته : البداية والنهاية لابن كثير (11 / 271) .

أبو بكر الملاعقي
أحد الرواة عن الإمام الجنيد .

قال السلمي في طبقات الصوفية (ص 158) : سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول :
سمعت أحمد بن العلاء يقول : سمعت أبا بكر الملاعقي يقول :
قال الجنيد : إنما هذا الاسم يعني التصوف نعت أقيم العبد فيه ،
فقال أبو بكر الملاعقي : يا سيدي ، نعت للعبد أم نعت للحق ؟
فقال الجنيد : نعت للحق حقيقة ، ونعت للعبد رسما .
* * *

أبو عبد الله المكانسي
أحد الذين التقوا بسيد الطائفة

قال القشيري في الرسالة : (2 / 526 ، 527) : قال أبو عبد الله المكانسي : كنت عند الجنيد ، فأتت امرأة إليه ، وقالت : ادع الله أن يرد علي ابني ، فإن ابنا لي ضاع ،
فقال لها : اذهبي واصبري ، فمضت ، ثم عادت فقالت له مثل ذلك ،
فقال لها الجنيد : اذهبي واصبري ، فمضت ، ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات ،
والجنيد يقول لها : اصبري فقالت له : عيل صبري ، ولم يبق لي طاقة عليه ، فادع لي .
فقال لها الجنيد : إن كان الأمر كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك ، فمضت فوجدته ، ثم عادت تشكر له ، فقيل للجنيد : بم عرفت ذلك ؟
فقال : قال الله تعالى :أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ[النمل : 62] .
* * *

الشيخ أبو عمرو الأنماطي

هو علي بن محمد بن علي بن بشار الأنماطي الصوفي البغدادي ، من أصحاب الجنيد والنوري .

كان أبو العباس بن عطاء أوصى إليه بكتبه حين مات ، وكان ينشط إليه ، ومن جهته وقع إلى الناس كتاب ابن عطاء في فهم القرآن . ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في تاريخه ، وانظر : تاريخ بغداد للخطيب (12 / 73) .

* * *

الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف « 1 »
قدّس الله سره ونوّر ضريحه

هو سيدي محمد بن خفيف بن إسفكشاد الشيرازي ، شيخ المشايخ وذو القدم الراسخ في العلم والدين كان سيدا جليلا وإماما حفيلا .

يستمطر الغيث بدعائه ويؤوب المصر بكلامه من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر ، وممن اتفقوا على عظيم تمسكه بالكتاب والسنة ، وكانت له أسفار وبدايات وأحوال عاليات ورياضات ، لقي من النساك شيوخا ومن السلّاك طوائف رسخ قدمهم في الطريق رسوخا ، وصحب من أرباب الأحوال أحبارا وأخيارا ، وشرب من منهل الطريق كاسات كبارا ، وسافر مشرقا ومغربا ، وصابر النفس حتى انقادت له فأصبح مبنى الثناء عليها معربا ، صبر على الطاعة لا يعصيه فيه قلبه ، واستمرار على المراقبة شهيده عليه ربه ، وجنب لا يدري القرار ، ونفس لا تعرف المأوى إلا البيداء ولا المسكن إلا القفار .

كان ابن خفيف من أولاد الأمراء فتزهد حتى قال : كنت أذهب وأجمع الخرق من المزابل وأغسله وأصلح منه ما ألبسه .

حدث عن حماد بن مدرك ، والنعمان بن أحمد الواسطي ، ومحمد بن جعفر التمار ، والحسين المحاملي ، وجماعة .

وصحب رويما ، والجريري ، وطاهر المقدسي ، وأبا العباس بن عطاء ، ولقي الحسين ابن منصور .

....

(1) انظر في ترجمته : طبقات الشافعية الكبرى (3 / 149 ، 153) .

وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ، والحسين بن حفص الأندلسي ، ومحمد بن عبد الله ابن باكويه ، والقاضي أبو بكر بن الباقلاني شيخ الأشعرية وطائفة .
رحل ابن خفيف إلى الشيخ أبى الحسن الأشعري وأخذ عنه وهو من أعيان تلامذته .
قال الحافظ أبو نعيم : كان شيخ الوقت حالا وعلما .
قال : وهو الخفيف الظريف ، له الفصول في الأصول ، والتحقق والتثبت في الوصول .
وقال أبو العباس النسوي : بلغ ما لم يبلغه أحد من الخلق في العلم والجاه عند الخاص والعام ، وصار أوحد زمانه مقصودا من الآفاق ، مفيدا في كل نوع من العلوم ، مباركا على من يقصده ، رفيقا بمريديه ، يبلغ كلامه مراده ، وصنف من الكتب ما لم يصنفه أحد ، وعمّر حتى عمّ نفعه .
وأنه ضعف في آخر عمره عن القيام في النوافل ، فجعل بدل كل ركعة من أوراده ركعتين قاعدا للخبر : صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم .من كلامه وأخباره :
وحكي عنه أنه قال : كنت في ابتدائي بقيت أربعين شهرا أفطر كل ليلة بكف باقلاء ، فمضيت يوما وافتصدت فخرج من عرقي شبيه ماء اللحم ، وغشي علي فتحير الفصّاد
وقال : ما رأيت جسدا بلا دم إلا هذا !
وروى عنه أنه قال : ما سمعت شيئا من سنن النبي إلا استعملته حتى الصلاة على أطراف الأصابع .
وقال مرة : ما وجبت علي زكاة الفطر أربعين سنة مع ما لي من القبول العظيم بين الخاص والعام .
وقال : ربما كنت أقرأ في ابتداء عمري القرآن كله في ركعة واحدة ، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة .
وسئل عن فقير يجوع ثلاثة أيام فيخرج ويسأل بعد ذلك مقدار كفايته ، أيش يقال له ؟
فقال : يقال له : مكد ، ثم قال : كلوا واسكتوا فلو دخل فقير في هذا الباب لفضحكم .

وكان إذا أراد أن يخرج إلى صلاة الجمعة يفرق كل ما عنده من ذهب وفضة ، ويخرج في كل سنة جميع ما عنده ، ويخرج من الثياب حتى لا يبقى عنده ما يخرج به إلى الناس .
وقال بعض أصحابه : أمرني ابن خفيف أن أقدم كل ليلة إليه عشر حبات زبيب لإفطاره ، قال : فأشفقت عليه ليلة فجعلتها خمس عشرة حبة فنظر إلي وقال : من أمرك بهذا ؟
وأكل منها عشر حبات وترك الباقي .
وقال ابن خفيف : سمعت أبا بكر الكتاني يقول : سرت أنا وأبو العباس ابن المهتدي ، وأبو سعيد الخراز في بعض السنين وضللنا عن الطريق ، والتقينا بحيرة ، فبينا نحن كذلك إذا بشاب قد أقبل وفي يده محبرة ، وعلى عنقه مخلاة فيها كتب فقلنا له : يا فتى كيف الطريق ؟
فقال لنا : الطريق طريقان ، فما أنتم عليه فطريق العامة ، وما أنا عليه فطريق الخاصة ، ووضع رجله في البحر وعبره .
وحكي عن ابن خفيف أنه قال : دخلت بغداد قاصدا للحج ، وفي رأسي نخوة الصوفية ، ولم آكل أربعين يوما ، ولم أدخل على الجنيد ، وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتي ، فرأيت ظبيا في البرية على رأس بئر وهو يشرب ، وكنت عطشان فلما دنوت من البئر ولى الظبي ، وإذا الماء في أسفل البئر ، فمشيت
وقلت : يا سيدي ما لي عندك محل هذا الظبي ،
فسمعت من خلفي يقول : جربناك فلم تصبر ، ارجع فخذ الماء إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل ، وأنت جئت مع الركوة والحبل ،
فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي ، وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد الماء ، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع ،
فلما وقع بصر الجنيد علي قال : لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك لو صبرت ساعة ،
قلت : قوله نخوة الصوفية يعنى شدة المجاهدة ، والذي يقع لي في هذه الحكاية أنها منبهة له من الله على الأخذ في طريق التوكل وطرح الأسباب ، وهذا يقع كثيرا لأرباب العنايات من الله تعالى في أثناء المجاهدات يقيض الله تعالى لهم منبها من صوت يسمع أو إشارة تحس أو أنحاء ذلك يدلهم على مراد الله تعالى منهم أو غير ذلك عناية بهم ، فقيض الله تعالى هذا الظبي منبها له ثم أكده بكلام الجنيد له آخرا عند عوده من الحج .

وكذلك أقول في الحكاية قبلها إن ذاك الشاب قد يكون قدره الله تعالى ذلك الوقت اعتناء بابن خفيف ورفيقيه لئلا تعظم أنفسهم عليه ، فأحب الله تعالى أن يعرفهم أن في عباده شابا وصل إلى ما لم يصلوا إليه ، وهو رآهم على طريق العامة ، وهذا من العناية بهم .

وحكي أن أبا عبد الله بن خفيف ناظر بعض البراهمة فقال له البرهمى : إن كان دينك حقا فتعال أصبر أنا وأنت عن الطعام أربعين يوما ، فأجابه ابن خفيف فعجز البرهمي عن إكمال المدة المذكورة وأكملها ابن خفيف وهو طيب مسرور .

وأن برهميا آخر ناظره ثم دعاه إلى المكث معه تحت الماء مدة ، فمات البرهمي قبل انتهاء المدة ، وصبر الشيخ إلى أن انتهت وخرج سالما لم يظهر عليه تغير .

وقال ابن خفيف : خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي على الروذباري

فقال لي عيسى بن يوسف المصري المغربي الزاهد : إن شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما لعلك تستفيد منهما ،

فدخلت إلى صور ، وأنا جائع عطشان ، وفي وسطي خرقة ، وليس على كتفي شئ ، فدخلت المسجد ، فإذا اثنان مستقبلا القبلة ، فسلمت عليهما ، فما أجاباني ، فسلمت ثانيا وثالثا ، فلم أسمع الجواب ،

فقلت : ناشدتكما الله إلا رددتما علي السلام ، فرفع الشاب رأسه من مرقعته ، فنظر إلي وردّ السلام ،

وقال لي يا ابن خفيف : الدنيا قليل ، وما بقي من القليل إلا القليل ، فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ، ما أقل شغلك حتى تفرغت إلى لقائنا ، فأخذ كليتي فنظر إلي وطأطأ رأسه في المكان فبقيت عنده حتى صلينا الظهر والعصر ، فذهب جوعي وعطشي ونصبي ،

فلما كان وقت العصر ، قلت له : عظني !

فقال يا ابن خفيف : نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان لعظة ، فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا ولا شربا ولا ناما ، فلما كان في اليوم الثالث ،

قلت في سري : أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما ، فرفع الشاب رأسه **فقال لي :** يا ابن خفيف عليك بصحبة من تذكرك الله تعالى رؤيته ، وتقع هيبته على قلبك فيعظك بلسان قوله ، والسلام ، قم عنّا .

وقال ابن خفيف : قدم علينا بعض أصحابنا ، فاعتل بعلة البطن ، فكنت أخدمه ، وآخذ منه الطست طول الليل ،

فغفوت مرة فقال لي : نمت لعنك الله ، فقيل له : كيف وجدت نفسك عند قوله : لعنك الله قال : كقوله رحمك الله .

وعن ابن خفيف أنه كان به وجع الخاصرة فكان إذا أخذه أقعده عن الحركة ، فكان إذا أقيمت الصلاة يحمل على الظهر إلى المسجد فقيل له : لو خففت عن نفسك قال إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبونى في المقابر .
وعن ابن خفيف : تهت في البادية فما رجعت حتى سقط لي ثمانية أسنان وانتثر شعري ، ثم وقعت إلى بلد ، وأقمت بها حتى تماثلت ، وصححت ، ثم زرت القدس ، فنمت إلى جانب دكان صباغ ، وبات معي في المسجد رجل به قيام ، فكان يدخل ويخرج إلى الصباح ، فلما أصبحنا صاح الناس ،
وقالوا : نقبت دكان الصباغ وسرقت ، فجرونى وضربونى ، وقالوا : تكلم ، فاعتقدت التسليم ، فكانوا يغتاظون من سكوتي ، فحملوني إلى دكان الصباغ ، وكان أثر رجل اللص في الرماد ،
فقالوا : ضع رجلك فيه فوضعت ، فكان على قدر رجلي فزادهم غيظا ، وجاء الأمير ونصب القدر ، وفيها الزيت يغلي ، وأحضرت السكين ،
وقال : من يقطع اليد ، فرجعت إلى نفسي ، فإذا هي ساكنة ، فقلت : إن أرادوا قطع يدي سألتهم أن يعفوا يميني لأكتب بها ، فبقي الأمير يهددني ويصول ، فنظرت إليه فعرفته ، وكان مملوكا لوالدي ، فكلمني بالعربية وكلمته بالفارسية ، فنظر إلي ، وقال أبو الحسين ، وكنت أكنى بها في صباي ، فضحكت فعرفني ، فأخذ يلطم رأسه ووجهه ، واشتغل الناس به ، وإذا بضجة عظيمة وأن اللص قد مسك ، ثم أخذ الأمير يبالغ في الاعتذار ، وجهدنى أن أقبل شيئا فأبيت وهربت .
<u>توفي ابن خفيف رحمه الله تعالى ليلة ثالث رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة</u> ، وازدحم الخلق على جنازته ، وكان أمرا عظيما ، وصلى عليه نحوا من مائة مرة .
وقيل : إنه عاش مائة سنة وأربع سنين ، وقيل : مائة إلا خمس سنين ، ولعله الأصح .ومن كلماته والفوائد والمحاسن عنه :
قال : التقوى مجانبة ما يبعدك من الله .
وقال : التوكل الاكتفاء بضمانه ، وإسقاط التهمة عن قضائه .
وقال : ليس شئ أضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص ، وقبول التأويلات .
وقال : اليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات .

وقال : المشاهدة اطلاع القلب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيب .
وقال : السّكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب .
وقال : الزهد البرم بالدنيا ، ووجود الراحة في الخروج منها .
وقال : القرب طي المسافات بلطيف المداناة .
وقال مرة أخرى وسئل عن القرب : قربك منه بملازمة الموافقات ، وقربه منك بدوام التوفيق .
وقال : الوصلة من اتصل بمحبوبه عن كل شيء ، وغاب عن كل شيء سواه .
وقال : الدنف من احترق في الأشجان ومنع من بث الشكوى .
وقال : الانبساط الاحتشام عند السؤال .
ودخل عليه فقير فشكى إليه أن به وسوسة ، فقال : عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان ، فالآن الشيطان يسخر بهم .
وقيل له : متى يصح للعبد العبودية ؟
فقال : إذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه .
وسئل عن إقبال الحق على العبد ؟
فقال : علامته إدبار الدنيا عن العبد .
وسئل عن الذكر ؟
فقال : المذكور واحد ، والذكر مختلف ، ومحل قلوب الذاكرين متفاوتة ، وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم ، لقوله : « من أطاع الله فقد ذكر الله »
وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته ، ثم ينقسم الذكر قسمين ظاهرا وباطنا ، فالظاهر التهليل والتحميد والتمجيد وتلاوة القرآن ،
والباطن تنبيه القلوب على شرائط التيقظ على معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ونشر إحسانه وإمضاء تدبيره ، ونفاذ تقديره على جميع خلقه ثم يقع ترتيب الأذكار على مقادير الذاكرين ،
فيكون ذكر الخائفين على مقدار قوارع الوعيد ،
وذكر الراجين على ما استبان لهم من موعده
وذكر المخبتين على قدر تصفح النعماء ،
وذكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله تعالى إليهم ،
وذكر المتوكلين على ما انكشف لهم من كفاية الكافي لهم ، وذلك مما يطول ذكره ويكثر شرحه ،
فذكر الله تعالى منفرد وهو ذكر المذكور بانفراد أحديته عن كل مذكور سواه ،
لقوله عن ربّه : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » والأصل إفراد النطق **بألوهيته لقوله :** « أفضل الذكر لا إله إلا الله » .

وعن ابن خفيف قال : الغني الشاكر هو الفقير الصابر .
وقال : التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية ، ومفارقة الطبيعة وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ما هو أولى على السرمدية ، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع الرسول في جميع الشريعة .
* * *

الشيخ أبو عبد الله الحكيمي « 1 »

هو الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش بن حازم بن صبيح بن صباح أبو عبد الله الكاتب يعرف بالحكيمي .
سمع زكريا بن يحيى بن أسد المروزي ، ومحمد بن عبد النور المقرئ ، ومحمد بن إسحاق الصاغاني ، والعباس بن محمد الدوري ، ومحمد بن عبيد الله المنادي ، والحسن بن مكرم ، وأحمد بن أبي خيثمة ، وأبو قلابة الرقاشي ، ومحمد بن الحسين الحبيني وغيرهم من هذه الطبقة .
روى عنه أبو الحسن الدارقطني ، وعبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق ، وأبو عمر بن حيويه ، ومحمد بن عمران المرزباني .
ذكر أبو عبيد الله المرزباني فيما قرأت بخطه أن الحكيمي ولد في ذي الحجة من سنة اثنتين وخمسين ومائتين .
مات الحكيمي في ذي الحجة ، وقال طلحة : لأيام بقيت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، ثم قرأت بخط عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق ، وبخط أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات : توفي الحكيمي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ودفن يوم الجمعة .
* * *

....
(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (1 / 269) .

الشيخ أبو حفص ابن شاهين عمر بن أحمد بن عثمان « 1 »

هو الشيخ الحافظ الواعظ محدّث بغداد : عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد بن سراج بن عبد الرحمن أبو حفص البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين . رحل وسمع وحدّث وروى عنه جماعة .

قال ابن ماكولا : ثقة مأمون ؛ سمع بالشام والعراق والبصرة وفارس وجمع الأبواب والتراجم ، وصنف كثيرا . وقيل : إنّه صنّف ثلاثمائة وثلاثين مصنّفا أحدهما التفسير الكبير ألف جزء والمسند ألف وثلاث مائة جزء والتاريخ مائة وخمسون جزءا والزهد مائة جزء .

وهو من أتاهم الله خوارق العادات والكرامات في العلم والتصنيف .

وقد وثّقوه ؛ **قال الخطيب** : سمعت محمد بن عمرو الداودي يقول : كان ابن شاهين ثقة يشبه الشيوخ إلّا أنّه كان لحّانا ، وكان لا يعرف في الفقه لا قليلا ولا كثيرا .

سمع بدمشق أبا علي محمد بن أبي حذيفة ، وهشام بن أحمد بن هشام ، وأحمد بن سليمان بن زبان ، والحسن بن حبيب ، وأحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن عادل ، وإبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي ثابت ، وخيثمة بن سليمان بأطرابلس ، ومحمد بن سليمان المالكي ، وأحمد بن إبراهيم بن حميد بن حكيم بالبصرة ، وروى عنهم .

وعن أبي القاسم البغوي ، وأبي محمد بن صاعد ، وأبي بكر بن أبي داود ، وأبي يعلى محمد بن زهير بن الفضل الأبلي ، ومحمد بن هارون بن حميد ، وعلي بن أبي القاسم بن مبشر ، والحسين بن محمد بن عفير وأبي بكر الباغندي ، وأبي خبيب العباس بن أحمد بن محمد البرتي ، وأحمد بن محمد بن هيثم الدقاق ، وأحمد بن محمد بن هانئ الشطوي ، وأحمد ابن مسعود بن عمرو العكبري بمصر ، وإبراهيم بن عبد الله الزينبي بعسكر مكرم ، وروى عنه أبو بكر محمد بن إسماعيل الوراق ، وهو من أقرانه ، وابنه عبيد الله بن عمر بن أحمد ، وأبو الحسن العتيقي ، وأبو القاسم التنوخي ، وأبو سعد الماليني ، وأبو العباس أحمد بن محمد ابن زكريا النسوي ، وأبو محمد الجوهري ، وأبو الفتح بن أبي الفوارس ، وأبو بكر البرقاني ،

....

(1) انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (11 / 256) ، وتاريخ دمشق (43 / 531) ، وتذكرة الحفاظ (3 / 987) ، والعبر (3 / 29) ، المنتظم (7 / 182) ، شذرات الذهب (3 / 117) ، سير أعلام النبلاء (16 / 431) ، ولسان الميزان (4 / 283) ، الوافي في الوفيات (1 / 3129) .

وأبو القاسم الأزهري ، وأبو محمد الخلال ، وعبد العزيز الأزجي ، وهلال بن محمد الحفار ، وجماعة آخرهم أبو الحسين بن المهتدي ، وأبو علي محمد بن وشاح الزينبي .
وكان من الثقات المكثرين الجوالين .
توفي في ذي الحجّة سنة خمس وثمانين وثلاث مائة .
* * *

الشيخ سعيد بن جابر « 1 »

هو الشيخ سعيد بن جابر الحميري ، ذكره محمّد بن داود بن الجرّاح الكاتب في أخبار الشعراء وقال : قدم بغداد على يزيد خال المهدي وامتدح المنصور وبقي إلى خلافة المهدي .
وهو القائل من الطويل :
وراح كميت اللّون ما لم يشجّها * مزاج ولون الورد حين تصفق
عقار عليها في القناني سكينة * وتنزو إذا صفّقت وترقرق
إذا ذلّلت في الكأس فالطّعم طيب * لذائقها واللّون للعين مونق
وقال ياقوت الحموي : سعيد بن جابر صحب الجنيد .
* * *

باب في تفسير ألفاظ تدور بين الطائفة من كلام سيد الطائفة الوقت

حكي أن الجنيد حضر ليلة في جمع من الأصحاب في دار دعي إليها ، فلما دخل الدار رأى شخصا أجنبيّا بين الجماعة ، فدعاه وأعطاه بردته ، وقال له : امض بها إلى السوق وارهنها على منوين من السكر للفقراء ، فلما خرج الرجل من بينهم أغلق الباب دونه

....
(1) انظر في ترجمته : الوافي في الوفيات (1 / 2063) ، ومعجم البلدان (1 / 83) .

وناداه : يا فلان ، خذ البردة ولا ترجع إلى هاهنا ، فقيل له في ذلك ،
فقال : اشتريت ببردتي لكم صفاء الوقت في هذه الليلة بإخراج من ليس منكم من بينكم « 1 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : الوقت عزيز « 2 » ، إذا فات لا يدرك « 3 » .
وقال أبو العباس بن مسروق مررت مع الجنيد رحمه الله في بعض دروب بغداد وإذا مغن يغنى :
منازل كنت تهواها وتألفها * أيام أنت على الأيام منصور
فبكى الجنيد بكاء شديدا ،
ثم قال لي : يا أبا العباس ، ما أطيب منازل الألفة والأنس وأوحش مقامات المخالفة لا أزال أحنّ إلى حال بدايتي وجدة سعيي وركوبي الأهوال طمعا في الوصول ، وها أنا ذا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية « 4 » .
حكي عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال : رأيت درويشا في البادية ، جالسا تحت أشواك شجرة أم غيلان ، في مكان صعب وبمشقّة تامة ، فقلت : يا أخي ، ما أجلسك هنا ؟ فقال : اعلم أنه كان لي وقت ضاع هنا ، فجلست الآن أتوجع عليه ، فقلت : منذ كم من السنين ؟
قال : منذ اثنتي عشرة سنة ، فليبذل الشيخ الآن همة في الأمر - يطلب الدرويش من الجنيد أن يبذل همة لمساعدته - لعلّي أصل إلى مرادي ، وأستعيد وقتي .
قال الجنيد : فمضيت وأدّيت الحج ، ودعوت له ، فاستجيبت الدعوة ، وبلغ مراده ، فلما رجعت وجدته جالسا في نفس المكان ، فسألته ،
فقال : أيها الشيخ ، لقد كنت ألازم المكان الذي كان محل وحشتي وأضعت فيه رأس مالي ، فهل يجوز الآن أن أترك المكان الذي استعدت فيه مالي وهو محل أنسي ؟ فليذهب الشيخ بسلام ، لأني سأخلط ترابي بتراب

....
(1) انظر : روض الرياحين (ص 182) .
(2) الوقت : عبارة عن حالك ، وهو ما يقتضيه استعدادك لغير مجهول في زمن الحال الذي لا تعلق له بالماضي والمستقبل فلا يظهر فيك من شؤون الحق الذي هو عليها الآن ، إلا بما يطلبه استعدادا ، فالحكم للاستعداد وشأن الحق محكوم عليه . وهذا هو مذهب التحقيق ، فظهور الحق في الأعيان بحسب ما يعطيه استعدادها ، فلذلك ينبع فيها فيض وجود الحق ، وهو في نفسه على وحدته الذاتية ، وإطلاقه وتجرده وتقدسه غنيّ عن العالمين .
(3) انظر : طبقات السلمي (ص 161) ، واللمع للطوسي (ص 418) .
(4) انظر : روضة الحبور لابن الأطعاني (ص 125) بتحقيقنا .

هذا الموضع ، حتى أرفع رأسي يوم القيامة من هذا التراب ، الذي هو محل أنسي وسروري « 1 » .
في قوله تعالى :فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ[الشرح : 7] **قال الجنيد :** إذا فرغت من أمر الخلق فاجتهد في عبادة الحق « 2 » .
وقال يوما لأصحابه : أتدرون أين يذهب بكم ، وتدرون لما خلقتم ، وإلى ماذا تصيرون ؟
فاتقوا الله عز وجلّ ، واحفظوا أوقاتكم وساعاتكم ؛ فإنها زائلة عنكم غير راجعة عنكم ، والحسرة في فوتها على الغفلة ، فلو بذل أحدكم ما بذل لم يردّ وقتا فات ، فأوصلوا أورادكم تجدوا منفعتها في دار الإقامة ، لا يشغلكم عن الله عز وجلّ قليل الدنيا ؛ فإن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة « 3 » .

السبب

قال الجنيد قدّس الله سرّه : إن الحقائق اللازمة والقصود القويّة المحكمة لم تبق على أهلها سببا إلا قطعته ، ولا معترضا إلا منعته ، ولا تأويلا موهما لصحة المراد إلا كشفته ، فالحقّ عندهم لصحة الحال مجرد ، والجدّ في دوام السير محدد ، على براهين من العلم واضحة ، ودلائل من الحقّ بيّنة « 4 » .

الوصل والوصول والواصل

وصل :

وسئل الجنيد رضي الله عنه ما الوصل ؟ قال : ترك ارتكاب الهوى « 5 » .

....
(1) انظر : كشف المحجوب (ص 614) .
(2) انظر : روح المعاني (20 / 109) .
(3) قال التادلي في المعزى : قلت هذه من أحسن وصاياه رضي الله عنه ؛ فإن الوقت إذا فات لا يرد أبدا بخلاف ما يؤدى فيها كما حكي ذلك في قصة داود الشهيرة حيث قال : ترد عليّ صفاء ذلك الوقت . فأوحى الله إليه : هيهات ؛ ما فات من الأوقات لا يرد .
قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه : ذهبت طائفة من المشايخ إلى أن الأوقات ليس لها بدل ، وأن من فاته وقت فلا يكون إليه وصول .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 287) .
(5) انظر : كشف المحجوب (ص 440) .

قال الجنيد : يتصل به من أوصله بقدر ما خصّ به ، وإلا فليس بينه تعالى وبينهم : أي البشر سبب ولا نسب ولا وصل « 1 » .

وصول :

اعلم يا أخي أن الوصول إذا ما سألت عنه مفاوز مهلكة ومناهل متلفة لا تسلك إلا بدليل ، ولا تقطع إلا بدوام ورحيل ، وأنا واصف لك منها مفازة واحدة ، فافهم ما أنعته لك منها ، وقف عندما أشير لك فيها ، واستمع لما أقول ،

وافهم ما أصف : اعلم أن بين يديك مفازة إن كنت ممن أريد بشيء منها واستودعك الله من ذلك وأسأله أن يجعل عليك واقية باقية ؛ فإن الخطر في سلوكها عظيم ، والأمر المشاهد في الممر بها جسيم ، فإن من أوائلها أن يوغل بك في برزخ لا أمد له إيغالا ، ويدخل بك بالهجوم فيه إدخالا ، وترسل في جويهنته إرسالا ، ثم تتخلى منك لك ، ويتخلى منك له ، فمن أنت حينئذ ، وماذا يراد بك ، وماذا يراد منك ؟

وأنت حينئذ في محل أمنه روع ، وأنسه وحشة ، وضياؤه ظلمة ، ورفاهيته شدة ، وشهادته غيبة ، وحياته ميتة ، لا درك فيه لطالب ، ولا مهمة فيه لسارب ، ولا نجاة فيه لهارب ، وأوائل ملاقاته اصطلام ، وفواتح بدائعه احتكام ، وعواطف ممره احترام ، فإن غمرتك غوامره انتسفتك بوادره ، وذهب بك في الارتماس ، وأغرقتك بكثيف الانطماس ، فذهبت سفالا في الانغماس إلى غير درك نهاية ولا مستقر لغاية ، فمن المستنقذ لك مما هنالك ، ومن المستخرج لك من تلك المهالك ؟ وأنت في فرط الإياس من كلّ فرج ، مشوه بك في إغراق لجة اللجج ؟

فاحذر ، ثم احذر ؛ فكم من متعرض اختطف ومتكلف انتسف ، وأتلف بالغرّة نفسه ، وأوقع بالسرعة حتفه ، جعلنا الله وإيّاك من الناجين ، ولا حرمنا وإيّاك ما خصّ به العارفين .

واعلم يا أخي أنّ الذي وصفته لك من هذه المفاوز وعرّضت ببعض نعته إشارة إلى علم لم أصفه ، وكشف العلم بها يبعد ، والكائن بها يفقد ، فخذ في نعت ما تعرفه من الأحوال ، وما يبلغه النعت والسؤال ، ويوجد في المقاربين والأشكال ، فإن ذلك أقرب بظفرك لظفرك ، وأبعد من حظّك لحظّك ، واحذر من مصادمات ملاقاة الأبطال ، والهجوم على حين وقت النّزال ، والتعرّض لأماكن أهل الكمال ، قبل أن تمات من حياتك ، ثم

....

(1) انظر : مشرب الأرواح (ص 137) .

تحيى من وفاتك ، وتخلق خلقا جديدا ، وتكون فريدا وحيدا ، وكل ما وصفته لك إشارة إلى علم ما أريده « 1 » .

الواصل :

قال الجنيد : الواصل هو الحاصل عند ربّه « 2 » .

الإشارة

قال الشيخ الجنيد : من أشار إلى غير الله تعالى وسكن إلى غيره ابتلاه بالمحن ، وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع إلى الله وحده كشف الله عنه المحن ، وإن دام على السكون إلى غيره نزع الله من قلوب الخلائق الرحمة عليه ، وألبسه لباس الطمع فيهم ، فتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرّحمة من قلوبهم ، فتصير حياته عجزا ، وموته كمدا ، وآخرته أسفا ، ونحن نعوذ بالله من الركون إلى غير الله « 3 » .

دخل رجل على الجنيد قدّس الله سرّه فسأله عن مسألة ، فأشار الجنيد بعينه إلى السماء ، فقال له الرجل : يا أبا القاسم ، لا تشر إليه ؛ فإنه أقرب إليك من ذلك .

فقال الجنيد : صدقت . وضحك « 4 » .

سئل الزقّاق قدّس الله سرّه عن المريد ؟

فقال : حقيقة المريد أن يشير إلى الله تعالى ، فيجد الله مع نفس الإشارة .

وقيل له : فالذي يستوعب حاله ؟

قال : هو أن يجد الله بإسقاط الإشارة « 5 » .

حكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال لرجل : هو ذا تشير يا هذا ؟ فكم تشير إليه ؟ دعه يشر إليك « 6 » .

....

(1) انظر : الحلية (10 / 259) .
(2) انظر : العوارف (ص 303) .
(3) انظر : الطبقات الشعرانية (1 / 72) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 295) .
(5) انظر : اللمع للطوسي (ص 295) .
(6) انظر : اللمع للطوسي (ص 295) .

المقام

قال الجنيد قدّس الله سرّه : في طريق الله ألف مانع حاجز عن الله عز وجلّ ؛ فلا بدّ من الجواز عليهم .

قال أيضا : ألف قصر ، في كل قصر قاطع من قطّاع الطريق موكّل على المريد « 1 » السالك « 2 » ، ولكل موكل مكر وغدر خلاف آخر ، فإذا جاء السالك غدر الموكل معه شيء يعطي به فيمنعه عن الطريق « 3 » ويحجبه عن الله ، فإذا كان الأمر بهذه المثابة فلا بدّ من عالم عرف المنجيات والمهلكات حتى تبيّن لهم أسرار المقامات ، ويصرح طريق التخلص عن الآفات « 4 » .

الحال

حكي عن الجنيد أنه قال : الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم « 5 » .

قال الجنيد : والحال نازلة تنزل بالعبد في الحين ، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو له في الوقت في حاله ووقته ، ويزول « 6 » .

....

(1) المريد : هو المجرد عن الإرادة ، قال قدّس سرّه في « الفتوحات المكية » : المريد من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته ؛ إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى ، لا ما يريده غيره ، فيمحو إرادته في إرادته ، فلا يريد إلا ما يريده الحق كان ما كان على الإجمال .

(2) السالك : هو الذي مشى على المقامات بحاله ، لا بعلمه وتصوره ، فكان العلم الحاصل له من طريق الخبر والاستدلال في مسافة ترقّيه عينا ، يأبى عن ورود الشبه المضلة عليه .

(3) الطريق : عبارة عن مراسم الله تعالى ، وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ، فإن تتبع الرخص سبب الطبيعة المقتضية الإرسال والسراح ، والنفيس في مشتاق التكليف يعطي الراحة في الطريق ، والراحة تعطي الوقفة ، ومقتضى الطريق إلى الحق استمرار المشي عليه بلا وقفة وفترة .

(4) وذكر أن الخضر عليه السّلام قال : بين العبد وبين مولاه ألف مقام . وكذلك قال ذو النون المصري ، وأبو يزيد البسطامي ، والجنيد ، وأبو بكر الكتاني رضي الله عنهم ، قال ذو النون : بينه وبين العبد ألف عام ، قال الجنيد : ألف قصر ، وقال الكتّاني : ألف مقام . وانظر : مشرب الأرواح للشيرازي (ص 4) .

(5) انظر : اللمع للطوسي (ص 66) .

(6) انظر : اللمع للطوسي (ص 411) .

ويقول الجنيد : مكثت مدة طويلة لا يقدم البلد أحد الفقراء إلا سلبت حالي ودفعت إلى حاله فأطلبه ، حتى إذا وجدته تكلمت بحاله ، ورجعت إلى حالي ، وكنت لا أرى في النوم شيئا إلا رأيته في اليقظة « 1 » .
وكان جعفر الخلدي يقول : لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد ، وإلا فأكثرهم كان يكون لأحدهم علم كثير ، ولا يكون له حال ، وآخر يكون له حال كثير وعلم يسير ، وأبو القاسم الجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير ، فإذا رأيت حاله رجحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجّحته على حاله « 2 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : النقصان في الأحوال هي فروع لا تضرّ ، وإنما يضرّ التخلف مثقال ذرّة في حال الأصول ، فإذا أحكمت الأصول لم يضرّ نقص في الفروع « 3 » .
قال الجنيد : لقيت شابّا من المريدين في البادية ، تحت شجرة من شجر أم غيلان ، فقلت : ما أجلسك هاهنا ؟
فقال حال الأصل : مال افتقدته .
فمضيت ، وتركته ، فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة ، فقلت : ما جلوسك هنا ؟
فقال : وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع ، فلزمته .
قال الجنيد : فلا أدري أيهما كان أشرف : لزومه لافتقاد حاله ، أو لزومه للموضع الذي نال فيه مراده « 4 » .
يحكى عن أبي عمرو الزجّاجي أنه قال : نهاني الجنيد أن أدخل على رويم ، فدخلت عليه يوما ، وكان قد دخل في شيء من أمور السلطان ، فدخل عليه الجنيد ، فرآني عنده ، فلما أن خرجنا قال الجنيد : كيف رأيته يا خراساني ؟ قلت : لا أدري . قال : إن الناس يتوهمون أن هذا نقصان في حاله ووقته . وما كان رويم أعمر وقتا منه في هذه الأيام ، ولقد

....
(1) انظر : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 244) .
(2) انظر : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 244) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 289) .
(4) انظر : التعرف (ص 189) ، والرسالة (2 / 442) .

كنت أصحبه بالشونيزية في حال الإرادة وكنت معه في خرقتين وهو الساعة أشدّ فقرا منه في تلك الحالة وفي تلك الأيام « 1 » .

القبض والبسط

قال الجنيد قدّس الله سرّه في معنى القبض والبسط : يعني الخوف والرجاء ، فالرجاء يبسط إلى الطاعة ، والخوف يقبض عن المعصية « 2 » .

الهيبة والأنس

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الأنس بالله ؟ فقال : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة "3" .

وقال أبو القاسم الجنيد قدّس الله سرّه : اطّراح هذه الأمة من المروءة ، والاستئناس بهم حجاب عن الله تعالى ، والطمع فيهم فقر الدنيا والآخرة « 4 » .

يقول الجنيد : كان الحارث بن أسد يجيء إلى منزلنا ، فيقول : اخرج معي نصحر .
فأقول له : تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات .

فيقول : اخرج معي ولا خوف عليك . فأخرج معه فكأنّ الطريق فارغ من كل شيء ، لا نرى شيئا نكرهه ، فإذا حصلت معه في المكان الذي يجلس فيه قال لي : سلني ؟ فأقول له :

ما عندي سؤال أسألك ! فيقول : سلني عمّا يقع في نفسك ؟ فتنثال عليّ السؤالات ، فأسأله عنها ، فيجيبني عليها في الوقت ، ثم يمضي إلى منزله ، فيعملها كتبا « 5 » .

يقول الجنيد : كنت أقول للحارث كثيرا : عزلتي ، وأنسي ، وتخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات ! فيقول لي : كم تقول أنسي وعزلتي ! لو أن نصف الخلق تقرّبوا منّي ما وجدت بهم أنسا ، ولو أن النصف الآخر نأوا عنّي ما استوحشت لبعدهم « 6 » .

....

(1) انظر : تاريخ بغداد (8 / 430) وقال السلمي : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا العباس ابن عطاء يقول : رويم أتم حالا من أن تغيّره تصاريف الأحوال .

(2) انظر : اللمع (ص 420) ، والمدارج لابن قيم (3 / 295) .

(3) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 126) ، واللمع للطوسي (ص 97) ، وعوارف المعارف للسهروردي (ص 300) .

(4) انظر : الكواكب الدرية (1 / 573) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 269) .

(5) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 255) .

(6) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 255) ، والسير (12 / 111) .

قال الجنيد : أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة .
وقال مرة : لو سمعها العموم لكفّروهم ، وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم .
وإليه أشار القائل « 1 » :
قوم تخالجهم زهو بسيّدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عمّا سواه له * يا حسن رؤيتهم في عزّ ما تاهوا
قال الجنيد : الأنس بالمواعيد والتعويل عليها خلل في الشجاعة « 2 » .
قال أبو القاسم الجنيد : كلّمت يوما حسنا المسوحي في شيء من الأنس ، فقال لي : ويحك ما الأنس ؟ لو مات من تحت السماء ما استوحشت « 3 » .

التواجد والوجد والوجود

التواجد « 4 »

يحكى أن أبا سعيد الخرّاز قدّس الله سرّه كان كثير التواجد عند ذكر الموت ، فسئل الجنيد عن ذلك ؟
فقال : العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئا من المكاره بغضا له ولا عقوبة ، ويشاهد في صنائع الله تعالى الحالة به من المكاره صفو المحبة بينه وبين الله عز وجلّ ، وإنما ينزل به هذه النوازل ليردّ روحه إليه ؛ اصطفاء له ، واصطناعا له ، فإذا كوشف العارف بهذا أو ما أشبهه لم يكن بعجب أن تطير روحه إليه اشتياقا ، وتنقلب من وطنها

....
(1) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 341) .
(2) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 161) .
(3) انظر : صفوة الصفوة (2 / 425) .
(4) التواجد : استعمال الوجد ، بتعمد في تحصيله ، ففي الحقيقة لا يصادف الوجد الأعلى القلب الفارغ فجأة ، فما يحصل بالاستدعاء لا يكون وجدا .
وقيل : إظهار حالة الوجد من غير وجد ؛ موافقة لمن به الوجد ، وإن كان من إثارة الطبع فليس ذلك من شيم أهل الطريقة .

اشتياقا ، فلذلك ما رأيت من التواجد عند ذكر الموت ، وربما أتى على قرب منيته ، والله يفعل بوليه ما يشاء وما يحب « 1 » .

الوجد « 2 »

قال الجنيد قدّس الله سرّه : الوجد هو الأصل في المصادفة « 3 » .
وذكر عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : كما أظن أن الوجد هو المصادفة بقوله عز وجلّ :وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً[الكهف : 49] : يعنى صادفوا ، وقال : تصادفوا ، وقال :حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً[النور : 39] : يعني لم يصادفه « 4 » .
عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه كان يقول : إذا قوي الوجد يكون أتم ممن يستأثر العلم « 5 » .
قد حكي عن الجنيد أنه قال : لا يضرّ نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضرّ فضل الوجد مع نقصان العلم « 6 » .
ذكر عن الجنيد أنه قال : لا يضرّ نقصان الوجد مع فضل العلم ، وفضل العلم أتم من فضل الوجد « 7 » .
ذكر عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : الحملان في الوجد بعد الغلبة أتم من حال الغلبة في الوجه ، والغلبة في الوجد أتم من المحمول قبل الغلبة ، فقيل له : كيف نزلت هذا

....
(1) انظر : اللمع (ص 380) .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 295) .
(3) الوجد : ما يصادف القلب من الأحوال المعينة . أي : الأحوال التي تأخذه عن شهوده نفسه ، ومن شهود الحاضرين ، وما يلاقيه من الكون ، ويفجأ القلب بالوصف المذكور ، وهو وجد صحيح ، وعلامة صحته أنه فائدة ومزيد علم ذوقي ، وإلا فالغيبة فيه توأم القلب باستيلاء أبخرة طبيعية .
(4) انظر : اللمع (ص 83) .
(5) انظر : اللمع (ص 381) .
(6) انظر : اللمع (ص 247) .
(7) انظر : اللمع (ص 381) .

التنزيل ؟ فقال : المحمول عن حال غلبته بالحمل بعد القهر أتم ، والمغلوب بعد حملانه عن نفسه وشاهده أتم « 1 » .

دخل الشبليّ على الجنيد متواجدا ، فقال : إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب ، وإن كنت خارجها فماذا حصلت حتى تتواجد ؟

فقال : التوبة يا إمام « 2 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : كنت أسمع السريّ يقول : يبلغ العبد إلى حدّ من المواجيد في الأذكار القوية أو من الحب لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به ، وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي أن الأمر كذلك « 3 » .

أنشدوا للجنيد « 4 » :

الوجد يطرب من في الوجد راحته * والوجد عند حضور الحق مفقود
قد كان يطربني وجدي فأشغلني * عن رؤية الوجد ما في الوجد موجود

* * *

الوجود « 5 »

قال الجنيد : اعتكفت بمكة فقوي عليّ فيها الوجود ، حتى لم أقدر أن أقول : سبحان

....

(1) انظر : اللمع (ص 381) .
(2) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 583) .
(3) انظر : اللمع (ص 381) ، والرسالة (1 / 199) ، والعهود المحمدية (ص 263) .
(4) انظر : التعرف (ص 135) .
(5) الوجود : وجدان الحق في الوجد ، فإن المشهود في الوجد هو ما صادف بغتة ، وما صادف بغتة إن لم يكن وجود الحق لا يفنيك عن شهودك نفسك وشهود الكون ، إذ من شأن القديم أن يمحو الحادث عند اقترانه به ، لا شأن غيره ، ولكن وجود الحق في الوجد غير معلوم ؛ إذ ما يقع به المصادفة قد يكون على حكم ما عينه السماع المطلق أو المقيد فلا ينضبط ؛ فإنه :كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ[الرحمن : 29] ، ولذلك قال قدّس سرّه : إذا رأيتم من يقدر الوجد على حكم ما عينه السماع المطلق أو المقيد فما عنده خبر بصورة الوجد ، فإنما هو صاحب قياس في الطريق ، وطريق الله تعالى لا يدرك بالقياس ؛ فإنه :كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ[الرحمن : 29] ، وإن كل نفس في استعداد .
فوجود الحق في الوجود إنما يختلف عند الواجد بحكم الأسماء الإلهية ، وبحكم الاستعدادت الكونية في كل نفس إلى لا غاية .

الله والحمد لله « 1 » .

الجمع والفرق « 2 »

قال الجنيد رحمه الله تعالى :

....

(1) انظر : الحلية (10 / 270) .

(2) قال ابن القيم الجوزية : فمن زعم أن المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل إلى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقا فإنه غالط ، بل لا بدّ من الفرق ؛ فإنه أمر ضروريّ ، لكن إذا خرج عن الفرق الشرعي بقي في الفرق الطبعي ، فيبقى متبعا لهواه لا مطيعا لمولاه ، ولهذا لما وقعت هذه المسألة بين الجنيد وأصحابه ذكر لهم الفرق الثاني ، وهو أن يفرّق بين المأمور والمحظور ، وبين ما يحبّه الله وما يكرهه مع شهوده للقدر الجامع ، فيشهد الفرق في القدر الجامع ، ومن لم يفرّق بين المأمور والمحظور خرج عن دين الإسلام ، وهؤلاء الذين يتكلّمون في الجمع لا يخرجون عن الفرق الشرعي بالكلية ، وإن خرجوا عنه كانوا كفّارا من شرّ الكفّار ، وهم الذين يخرجون إلى التسوية بين الرسل وغيرهم ، ثم يخرجون إلى القول بوحدة الوجود ، فلا يفرّقون بين الخالق والمخلوق ، ولكن ليس كل هؤلاء ينتهون إلى هذا . فقول موسى عليه السلام :رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ[القصص : 24] ، فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير ، وهو متضمن لسؤال الله إنزال الخير إليه . وانظر : دقائق التفسير (2 / 361) . وقال في « مدارج السالكين » أيضا : والفناء والخروج عنه إلى أودية الفرق الثاني والبقاء فالشأن كل الشأن فيه ، وهو الذي كان ينادي عليه شيخ الطائفة على الإطلاق الجنيد بن محمد رحمه الله ، ووقع بينه وبين أصحاب هذا الجمع والفناء ما وقع لأجله ، فهجرهم وحذر منهم ، وقال : عليكم بالفرق الثاني ؛ فإن الفرق فرقان : الفرق الأول : وهو النفسي الطبيعي المذموم ، وليس الشأن في الخروج منه إلى الجمع والفناء في توحيد الربوبية والحقيقة الكونية ، **بل الشأن في شهود هذا الجمع واستصحابه في الفرق الثاني** : وهو الحقيقة الدينية ، ومن لم يتسع قلبه لذلك فليترك جمعه وفناءه تحت قدمه ولينبذه وراء ظهره مشتغلا بالفرق الثاني ، والكمال أيضا وراء ذلك ، وهو شهود الجمع في الفرق والكثرة في الوحدة ، وتحكيم الحقيقة الدينية على الحقيقة الكونية ، فهذا حال العارفين الكمّل ، يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ، ولا يلهو عن الكأس : « إنّي لأسمع بكاء الصبي وأنا في الصلاة فأتجوّز فيها ؛ كراهة أن أشقّ على أمه » وكان صلى الله عليه وسلّم في صلاته واشتغاله بالله وإقباله عليه يشعر بعائشة إذا استفتحت الباب ، فيمشي خطوات يفتح لها ، ثم يرجع إلى مصلاه ، وذكر في صلاته تبرا كان عنده ، فصلى ، ثم قام مسرعا ، فقسّمه وعاد إلى مجلسه ، فلم تشغله جمعته العظمى التي لا يدرك لها من بعده رائحة عن هذه الجزيئات صلوات الله وسلامه عليه . وانظر : مدارج السالكين (2 / 110) .

القرب بالوجد جمع " 1 " ، والغيبة بالبشرية تفرقة " 2 " .
سئل الجنيد عن قول الصوفية : « حسنات الأبرار سيئات المقربين "3 "."
فأنشد " 4 " :
طوارق أنوار تلوح إذا بدت * فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

....
(1)الجمع : إشارة إلى الحق بل يكون ويسمى جمع التمخض ، لا تطرأ الصور الكونية في الحق وانطماس كثرتها في وحدية وانجلاء عينه لدى الغير ، بإطلاق لا يبقى معه غير .
(2)انظر : اللمع للطوسي (ص 284) ، وطبقات الصوفية للسلمي (ص 157) .
(3)ذكره القاري في المصنوع (111) ، وفي الموضوعات الكبرى) ص 186) ، والشوكاني في الفوائد المجموعة (733) ، وفي كتابنا أحاديث مشهورة لكنها لا تصح ، وعزوه لأبي سعيد الخراز ، كما رواه ابن عساكر في ترجمته ، وأورده السندروسي في الكشف الإلهي (351) ، وعزاه للزهري .
قلت : وحكي أيضا عن ذي النون المصري ، وقد عزاه الزركشي للجنيد ، والقرطبي في التفسير (1 / 309) ، وانظر : كشف الخفاء . (428 / 1)
فائدة : قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني : واختلفوا في الصغائر في حقّ الأنبياء والكمّل والذي عيه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم ، وصار بعضهم إلى تجويزها ، ولا أصل لهذه المقالة .
وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول الذي ينبغي أن يقال :إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ، ونسبها إليهم ، وعاتبهم عليها ، وأخبروا بها عن نفوسهم ، وتنصلوا منها ، وأشفقوا منها ، وتابوا ، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها ، وإن قبل ذلك آحادها ، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم ، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على وجه الندور ، وعلى وجه الخطأ والنسيان ، أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات ، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلوّ أقدارهم ؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس ، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة .
قال : وهذا هو الحق ، ولقد أحسن الجنيد حيث قال : حسنات الأبرار سيئات المقربين ؛ فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخلّ ذلك بمناصبهم ، ولا قدح في رتبهم ، بل قد تلافاهم ، واجتباهم ، وهداهم ، ومدحهم ، وزكّاهم ، واختارهم ، واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه . وانظر : تفسير القرطبي . (1 / 309)
(4)انظر : الكواكب الدرية (1 / 581) ، والرسالة . (1 / 195)

قال الشيخ ابن عجيبة : فالواجب على العبد أن يكون جامعا بين إقرار الظاهر وتوحيد الباطن ، فالأول فرق ، والثاني جمع ، وإلى هذا المعنى أشار الجنيد رضي الله عنه بقوله " 1 " :

قد تحقّقت بسري * حين ناجاك لساني
فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
إن يكن غيبك التعظ * يم عن لحظ عياني
فلقد صيّرك الوج * د من الأحشاء داني

الفناء والبقاء

سئل الجنيد عن الفناء ؟
فقال : إذا فني الفناء عن أوصافه أدرك البقاء بتمامه " 2 " .
قال الجنيد قدّس الله سرّه في تفسير قول أبي يزيد (ليس بليس) قال : هو ذهاب ذلك كله عنه ، وذهابه عن ذهابه ، وهو معنى قوله (ليس في ليس) : يعني قد غابت المحاضر ، وتلفت الأشياء ، فليس يوجد شيء ، ولا يحس ، وهو الذي يسميه قوم الفناء ، والفناء عن الفناء " 3 " .
سئل الجنيد عن الفناء ؟
فقال : الفناء استعجام الكل عن أوصافك ، واشتغال الكل منك بكليته « 4 . »
قال أبو بكر الزقّاق : سمعت من الجنيد قدّس الله سرّه كلمة في الفناء منذ أربعين سنة هيّجتني وأنا بعد في غمارها « 5 . »
قال أبو يزيد البسطامي : أشرفت على ميدان الليسية ، فما زلت أطير فيه عشر سنين ، حتى صرت من ليس في ليس بليس ، ثم أشرقت على التضييع وهو ميدان التوحيد ، فلم أزل

....
(1)انظر : إيقاظ الهمم (ص 124) .
(2)انظر : اللمع (ص 285) .
(3)انظر : اللمع (ص 424) .
(4)انظر : اللمع (ص 285) .
(5)انظر : اللمع (ص 240) .

أطير بليس في التضييع ، حتى ضعت في الضياع ضياعا ، وضعت فضعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعة التضييع ، ثم أشرقت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق .
قال الجنيد : هذا كله وما جانسه داخل في علم الشواهد على الغيبة عن استدراك الشاهد ، وفيها معان من الفناء بتغيب الفناء عن الفناء ،

ومعنى قوله : **(أشرفت على ميدان الليسية حتى صرت من ليس في ليس بليس)** فذاك أول النزول في حقيقة الفناء ، والذهاب عن كل ما يرى وما لا يرى ، وفي أول وقوع الفناء انطماس آثارها ، وقوله :
(ليس بليس) وهو ذهاب ذلك كله عنه ، وذهابه عن ذهابه ، **ومعنى (ليس بليس)** : أي ليس شيء يحس ولا يوجد قد طمس على الرسوم ، وقطعت الأسماء ، وغابت المحاضر ، وبلغت الأشياء عن المشاهدة ، فليس شيء يوجد ، ولا يحس بشيء يفقد ، ولا اسم لشيء يعهد ، ذهب ذلك كله بكل الذهاب عنه ، وهو الذي يسميه قوم الفناء ، ثم غاب الفناء في الفناء ، فضاع في فنائه ، فهو التضييع الذي كان في ليس به ، وبه في ليس ، وذلك حقيقة فقد كل شيء ، وفقد النفس بعد ذلك ، وفقد في الفقد ، والارتماس في الانطماس ، والذهاب عن الذهاب ، وهذا شيء ليس له أمد ولا وقت يعهد .
وقال الجنيد : ذكره لعشر سنين هو وقته ، ولا معنى ؛ لأن الأوقات في هذا الحال غائبة ، وإذا مضى الوقت وغاب بمعناه عمّن غيب عنه فعشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله في معنى واحد « 1 . »
قوله تعالى : كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران : 185]
قال الجنيد قدّس سرّه : من كانت حياته بروحه يكون مماته بذهابها ، ومن كانت حياته بربّه تعالى فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل ، وهي الحياة على الحقيقة. « 2 »

....
(1)انظر : اللمع للطوسي (ص 469) .
(2) انظر : روح المعاني (17 / 56) .

وأنشد الجنيد « 1 » :

وجودي أن أغيب عن الوجود * بما يبدو عليّ من الشهود

قال قدّس سرّه : اعلم أنك محجوب عنك بك ، وأنك لا تصل إليه بك ، ولكنك تصل إليه به ؛ لأنه لما أبدى إليك رؤية الاتصال به ، دعاك إلى طلب له فطلبته ، فكنت في رؤية الطلب برؤية الطلب والاجتهاد لاستدراك ما تريده بطلبك ، كنت محجوبا ، حتى يرجع الافتقار إليه في الطلب ، فيكون ركنك وعمادك في الطلب بشدة الطلب ، وأداء حقوق ما انتخب لك من علم الطلب ، والقيام بشروط ما اشترط عليك فيه ، ورعاية ما استرعاك فيه لنفسك ، حماك عنك ، فيوصلك بفنائك إلى بقائك لوصولك إلى بغيتك ، فيبقى ببقائه ، وذلك أن توحيد الموحّد باق ببقاء الواحد ، وإن فني الموحّد فحينئذ أنت أنت ؛ إذ كنت بلا أنت ، فبقيت من حيث فنيت ، **والفناء ثلاثة :**

فناء عن الصفات والأخلاق والطباع ، بقيامك بدلائل عملك ، ببذل المجهود ومخالفة النفس ، وحبسها بالمكروه عن مرادها ،

والفناء الثاني : فناؤك عن مطالعة حظوظ من ذوق الحلاوات واللذات في الطاعات ، لموافقة مطالبة الحق لك ، لانقطاعك إليه ، لتكون بلا واسطة بينك وبينه ،

والفناء الثالث : فناؤك عن رؤية الحقيقة من مواجيدك بغلبات شاهد الحق عليك ، فأنت حينئذ فان باق ، وموجود محقق لفنائك ، بوجود غيرك عند بقاء رسمك بذهاب اسمك « 2 » .

قال قدّس سرّه : اعلم أن دليل الخلق برؤية الصدق وبذل المجهود لإقامة حدود الأحوال بالتنقّل فيها ، لتؤدّيه حال إلى حال ، حتى يؤديه إلى حقيقة العبودية في الظاهر ، بترك الاختيار والرضا بفعله ؛ وهذه مواضع قبول الخلق لدلائل صفات علم الظاهر عليه ، واجتماع صفته ، ثم تؤديه حقيقته إلى مشاهدة الحق وإدراك إشارته إليه ، بتلوين الأمور لاختيار اختياره له ؛ وهذه مواضع ذهاب الخلق عنه ، لتلوين صفاته فيهم ، ومواضع تغييبه عنهم ، وهذا مقام الاصطناع ،

قال الله عز وجلّ لموسى عليه السلام :وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي[طه : 41] ،

فمن أين وإلى أين ؟

فمنه وإليه ، وله وبه فني ، وفني فناؤه ، لبقاء بقائه بحقيقة

....

(1) وعقب الشيخ ابن عجيبة بقوله : فالفناء عن النفس وزوالها أصعب من الفناء عن الكون وهدمه ، فمهما زالت النفس وهدمت انهدم الكون ، ولم يبق له أثر ، وقد يهدم الكون وتبقى في النفس بقية .

وانظر : إيقاظ الهمم (ص 67) .

(2) النص من نشرة عبد القادر (ص 53 ، 54) ، عن المخطوطتين (226 - 227) .

فنائه ، فإن للحق فيه مرادا بردّه عليهم ، أخرجه إليهم بتظاهر نعمائه عليه ، فتلألأ سناء عطائه بردّ صفاته عليه لاستجلاب الخلق إليه وإحسانهم عليه « 1 » .

الغيبة والحضور

كان الجنيد قاعدا ، وعنده امرأته ، فدخل عليه الشبليّ ، فأرادت امرأته أن تستتر ، قال لها الجنيد : لا خبر للشبليّ عنك ، فاقعدي ، فلم يزل يكلّمه الجنيد ، حتى بكى الشبلي ، فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته:استتري فقد أفاق الشبليّ من غيبته«2» .
ورد عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال : كان أهل السماوات والأرض مدة يبكون على حيرتي ، وكنت أيضا أبكي هكذا على غيبتهم ، والحال الآن أني لا أدري بهم ولا بنفسي « 3 » .
كان الجنيد في مجلسه فسأله أصحابه : يا أستاذ ، متى يكون الله عز وجلّ مقبلا على عبده ؟
فلهي عنهم ولم يجبهم ، فألحّوا عليه ، فالتفت إليهم ، فقال : واعجباه ! يقف بين يدي ربّه بلا حضور ، ويقتضي بهذه الوقفة إقبالا « 4 » .

الصّحو والسّكر

يقول الهجويري : ثم إن الجنيد وأبا العباس السياري وأبا بكر الواسطي ومحمد بن عليّ الترمذي اتفقوا على أن الكرامة تظهر في حال الصحو والتمكين دون السكر ؛ لأن الله تعالى جعل أولياءه للعالم ، وناط بهم الحلّ والعقد ، وصيّر أحكام العالم موصولة بهمّتهم ، فوجب أن تكون آراؤهم أصحّ كل الآراء ، وقلوبهم أشفق كل القلوب ، وبخاصة على خلق الله ؛ لأنهم واصلون ، والتلوين والسكر يكونان في حال الابتداء ، فإذا حصل البلوغ تبدّل

....

(1) النص من نشرة عبد القادر (ص 53 ، 54) ، عن المخطوطتين (226 - 227) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 215) ، وروض الرياحين (ص 179) ، ونشر المحاسن (ص 208) .
وقال الشيخ الشعراني : وقد دخل الشبليّ مرة على الجنيد وهو جالس على سرير هو وزوجته ، فأرادت زوجة الجنيد أن تستتر ، فقال لها : ليس هو هنا ، فتكلّم الشبليّ ساعة ثم رجع إلى إحساسه ، فقال الجنيد : قد رجع إلى إحساسه استتري الآن . فلو كان الجنيد يرى أنه مكلف لأمر زوجته بالستر وأنكر على الشبلي الدخول على زوجته بغير إذن ، وما ذكرت لك هذه الحكاية إلا خوفا عليك من المقت ، فإن صاحب الحال ربما أثّر فيمن أنكر عليه . وانظر : العهود المحمدية (ص 433) .
(3) انظر : كشف المحجوب (ص 492) .
(4) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 268) .

التلوين بالتمكين ، ومن ثم يكون الولي وليّا حقّا ، وتكون كراماته صحيحة « 1 » .
قال الجنيد : الشبلي سكران ، ولو أفاق لجاء إماما ينتفع به « 2 » .

الرّسم

سئل الجنيد عن رجل غاب اسمه ، وذهب وصفه ، وامتحى رسومه فلا رسم له ؟
قال :
نعم ، عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه ، فيكون ذلك معنى قوله « امتحى رسومه » : يعني علمه وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه « 3 » .

المشاهدة والمعاينة والمكاشفة

قال الجنيد : المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلب من الدنس ، وخلوصه من الأضداد والأغيار في مراقبة الجبّار ، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء المعرفة وبرد اليقين « 4 » .
قال الجنيد : من قال الله عن غير مشاهدة فهو مفتر « 5 » .
قال الجنيد والنوريّ وغيرهما من الكبار : إن ما جرى على الأنبياء إنما جرى على ظواهرهم ، وأسرارهم مستوفاة بمشاهدة الحق « 6 » .
يقول الجنيد : حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك « 7 » .
في قوله تعالى :وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ[البروج : 3] قال الجنيد : الشاهد الحق ، والمشهود الكون « 8 » .

....

(1) يقول الهجويري : ثم إن أولئك رجال الصوفية الذين يفضّلون الصحو على السكر ، وهم الجنيد وأتباعه ، يقولون : إن السكر محلّ للآفة ؛ لأنه تشويش الأحوال ، وذهاب الصحة ، وضياع زمام النفس .
وانظر : كشف المحجوب (ص 415) .
(2) انظر : كشف المحجوب (ص 663) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 427) .
(4) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 576) .
(5) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 125) .
(6) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 126) .
(7) انظر : نشر المحاسن لليافعي (ص 118) .
(8) انظر : زاد المسير لابن الجوزي (9 / 73) .

في قوله تعالى :لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[الكهف : 7]
قال الجنيد قدّس الله سرّه : حسن العمل اتخاذ ذلك وعدم الاشتغال به « 1 » .
قال الجنيد : إن إبليس لم ينل مشاهدته في طاعته ، وآدم لم يفقد مشاهدته في معصيته « 2 » .
قيل لأبي القاسم الجنيد قدّس الله روحه : إن أبا يزيد يسرف في الكلام . قال : وما بلغكم عن إسرافه في كلامه ؟ قيل يقول : « سبحاني سبحاني ما أعظم شاني » .
فقال الجنيد : إن الرجل مستهلك في شهود الإجلال ، فنطق بما استهلكه ؛ لذهوله في الحق عن رؤيته إيّاه ، فلم يشهد إلا الحق تعالى ، فنعته ، فنطق به ، ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنّا من الحق به ، ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه ؟
فقال : ليلى ، فنطق بنفسه ، ولم يكن من شهوده إيّاه فيه ، وقيل له : من أنت ؟ قال : أنا من ليلى ومن ليلى أنا « 3 » !
قيل للجنيد : هل عاينت أو شاهدت ؟ قال : لو عاينت تزندقت ، ولو شاهدت تحيّرت ، ولكن حيرة في تيه ، وتيه في حيرة « 4 » .
دخل إبليس على الجنيد في صورة نقيب ، وقال : أريد أن أخدمك بلا أجرة . فقال له الجنيد : افعل . فأقام يخدمه عشر سنين ، فلم يجد قلبه غافلا عن ربّه لحظة واحدة ، فطلب الانصراف ، وقال له : أنا إبليس . فقال : عرفتك من أوّل ما دخلت ، وإنما استخدمتك

....
(1) قال الآلوسي : فيجعل ذلك مرآة لمشاهدة أنوار جلاله وجماله سبحانه عز وجلّ .
وقال ابن عطاء : حسن العمل الاعتراض عن الكل .
وقال بعضهم : أهل المعرفة بالله تعالى والمحبة له هم زينة الأرض ، وحسن العمل النظر إليهم بالحرمة .
وانظر : روح المعاني (15 / 258) .
(2) انظر : التعرف (ص 156) .
(3) انظر : روضة الحبور (79) ، بتحقيقنا .
(4) انظر : الحلية (10 / 274) .

عقوبة لك ؛ فإنه لا ثواب لأعمالك في الآخرة . فقال : ما رأيت قوتك يا جنيد . فقال له : اذهب يا ملعون ، أتريد أن تدخل عليّ الإعجاب بنفسي ؟ ثم خرج خاسئا « 1 » .
ومن كلام الجنيد رحمه الله : من شهد الحق تعالى لم ير الخلق « 2 » .

....

(1) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 572) .
(2) عقب الشيخ الشعراني بقوله : ولا يجمع بين رؤية الحق تعالى والخلق معا في آن واحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكمّل ورثته ، وهذا الأمر لا يدرك إلا ذوقا . وقد كان الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه يقول : لي ثلاثون سنة أكلم الله والناس يظنون أنّي أكلمهم . وأخبرني الشيخ يوسف الكردي من أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي وكان يجتمع بالخضر عليه السلام كثيرا قال : كنت مع سيدي إبراهيم في مصر ثم رجعنا إلى بركة الحاج فمرّ على بستان النخيل الذي غرسه في البركة فقال سيدي إبراهيم : ما هذه النخيل ؟ فقلنا : هذا بستانكم . فقال : من غرسه ؟ فقلنا له : أنتم . **فقال :** وعزة ربّي أنا لي منذ سبعة عشر سنة ما خرجت من حضرة الله تعالى ، ولكن أستحي إن خطر على بالي وأنا في حضرة الله أن أغرس بستانا أو أبني زاوية يأوي إليها الغرباء والحجاج ، فلعل الله تعالى أرسل ملكا على صورتي فغرسه . هذا لفظه لي رضي الله عنه .
فاعلم أن من لم يسلك طريق القوم فهو واقف مع شهود الخلق دون الحق ، فلا يحصل له خشوع غالبا ؛ لعدم إدراكه لتجليات الحق جلّ وعلا التي دكت الجبال دكا وخرّ منها السيد موسى عليه الصلاة والسلام صعقا .
وكان سيدي عليّ المرصفي رحمه الله يقول : ما قطع بعض أهل الجدال عن الوصول إلى مقامات الأولياء وكراماتهم إلا دعواهم أنهم أعلم بالله منهم ، وخوفهم على علمهم الذي به رئاستهم أن ينسى حين يتبعون طريق الفقراء ، وهو خديعة من النفس والشيطان ؛ فإن طريق الفقراء لا يزيدهم إلا علما إلى علمهم وجلاء لقلوبهم وحضورا في عبادتهم .
قلت : وليس مرادنا بالفقراء هؤلاء الذين ظهروا في النصف الثاني من القرن العاشر في الزوايا وعقدوا مجالس الذكر ؛ فإن الفقهاء بيقين أحسن من هؤلاء وأعلى مقاما ؛ لزيادتهم عليهم في العلم والفهم في الكتاب والسنة وكلام الأئمة ، وإنما مرادنا العارفون بالله تعالى وبسائر مذاهب المجتهدين ومقلديهم الذين أتتهم تلك العلوم من طريق الوهب ، وهؤلاء قليلون في مصر ، ولكن من صدق أوقعه الله تعالى عليهم .
وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول : وهل ثمّ طريق غير ما فهمناه من الكتاب والسنة وينفي طريق القوم . فلما اجتمع بسيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه صار يقول : ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تهدم إلا الصوفية **قال :** ومما يدلك على ذلك ما يقع على يد أحدهم من الكرامات والخوارق ، ولا يقع شيء منها على يد غيرهم ، ولو بلغ في العلم ما بلغ . هذا لفظه –

المحادثة

قال الجنيد : لي أربعون سنة وأنا أحدّث الحق والناس يرون أنّي أحدث الخلق « 1 » .

التمكين

قال أبو عمرو بن علوان : سمعت الجنيد قدّس الله سرّه ليلة من الليالي وهو يقول في مناجاته : إلهي ، أتريد أن تخدعني عنك بقربك ، أو تريد أن تقطعني عنك بوصلك هيهات ! هيهات !

سئل أبو عمرو : ما معنى قوله هيهات هيهات ؟ قال : التمكين « 2 » .

- في كتاب ألّفه في طريق الصوفية سماه : « التقريب » ، وكذلك بلغنا عن الغزالي قبل اجتماعه بشيخه البازغاني رحمه الله .

وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله يقول : غاية حضور العالم في الصلاة أن يتدبّر فيما يقرأه ويلقي باله لمخارج الحروف واستنباط الأحكام ، وهذه كلها أمور مفرقة عن الحضور مع الله تعالى ، فإن من الآيات ما يذهب به إلى الجنة ، فيشاهد ما فيها ، ومنها ما يذهب به إلى النار فيشاهد ما فيها ، ومنها ما يذهب به إلى قصة آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلّم ، فكيف الحضور مع الله تعالى ؟ ! وليس في قدرة النفس أن تشتغل بشيئين معا في آن واحد ، ومن هنا قال مالك رحمه الله : إن إرخاء اليدين في الصلاة أولى للضعيف من وضعهما تحت صدره آخذا بيمينه يساره ؛ لأن مراعاتها تشوش على العبد ، وتمنعه من كمال الإقبال على مخاطبة الله عز وجلّ ومناجاته ، ولا شكّ أن مراعاة أدب الخطاب مع الحق أولى من مراعاة وضع اليدين تحت الصدر .

فاعلم أن وضع اليدين تحت الصدر لا يؤمر به إلا من لم تشغله مراعاته عن كمال خطاب الله عز وجلّ من الأكابر الذين ثبّتهم الله تعالى ، أما الأصاغر فربما ذهلوا عن عدد ما صلوا من الركعات وما قالوه من التسبيحات ؛ لأنها حضرة تذهل العقول كما يعرف ذلك أهل الله تعالى ، ولولا أن الله تعالى يلطف بهم لما عرف أحد منهم عدد ما صلى ، والله تعالى أعلم . وانظر : العهود المحمدية (ص 293) .

....

(1) قال الشيخ ابن عجيبة : وأما المحادثة : فهي المكالمة القلبية ، وهي الفكرة والجولان في عظمة الجبروت ، فأنت تحادثه في سرك بمناجاته وسؤاله ، وهو يحادثه بمزيد إحسانه ونواله ، أنت تحادثه بدوام حضوره قي سرّك ولبّك ، وهو يحادثك بإلقاء العلوم والأسرار والحكم في قلبك ، أنت تحادثه في عالم الشهادة ، وهو يحادثه في عالم الغيب ، وفي التحقيق ما ثم إلا عالم الغيب ظهر في عالم الشهادة .

وانظر : إيقاظ الهمم (ص 26) .

(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 178) .

القرب والبعد

قال الجنيد : إن الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك « 1 » .

سئل الجنيد عن قرب الله تعالى ؟ فقال : بعيد بلا افتراق ، قريب بلا التزاق « 2 » .

وقال رجل للجنيد : علّمني شيئا يقرّبني إلى الله وإلى الناس .

فقال : أمّا الذي يقرّبك إلى الله فمسألته ، وأما الثاني فترك مسألتهم « 3 » .

زار الجريري الجنيد ، فوجده ، فأطال ، فلامه ،

فقال الجنيد : طريق عرفنا بها ربنا لا نقتصر على بعضها ؛ فالنفس ما حملتها تتحمل ، والصلاة صلة ، والسجود قربة ، ومن ترك طريق القرب أوشك أن يسلك طريق البعد « 4 » .

قال تعالى :وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ[الأنعام : 87] قال الجنيد قدّس سرّه : أي أخلصناهم وآويناهم لحضرتنا ، ودللناهم للاكتفاء بنا عمّا سوانا .ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ[الأنعام : 88] ، وهم أهل السابقة الذين سألوه سبحانه الهداية بلسان الاستعداد الأزلي ، ولو أشركوا بالميل إلى السوى وهو شرك الكاملين « 5 » .

الحجاب

قال الجنيد قدّس الله سرّه : حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم ، والتلذذ بالعطاء ، والسكون إلى الكرامات « 6 » .

قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : اللّهمّ مهما عذّبتني بشيء فلا تعذبني بذلّ الحجاب « 7 » .

....

(1) انظر : اللمع (ص 85) .

(2) انظر : طبقات الشافعية للسبكي (2 / 267) ، والكبرى للشعراني (1 / 85) .

(3) انظر : طبقات ابن الملقن (ص 128) .

(4) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 579) .

(5) انظر : روح المعاني (7 / 256) وهذا من باب الإشارة في الآيات .

(6) انظر : اللمع للطوسي (ص 400) .

(7) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 67) ، وروضة الحبور (ص 126) . -

قال الجنيد : من فارق الجماعة بجسمه وقع في الضلال ، ومن خالط الناس بسره افتتن بهم ، ومن افتتن حجب عن الحق بالطمع في الخلق « 1 » .
يقول الجنيد : علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه « 2 » .
قال الجنيد : من سكن أو شكا إلى غير الله ابتلاه بحجب سرّه عنه « 3 » .
في قوله تعالى :أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ[البقرة : 19] قال سيدي الجنيد قدّس سرّه : صموا عن فهم ما سمعوا ، وأبكموا عن عبارة ما عرفوا ، وعموا عن البصيرة فيما إليه دعوا « 4 » .

الرّين والغين

قال الجنيد قدّس الله سرّه : الرّين من جملة الوطنات ، والغين من جملة الخطرات ، والوطن باق ، والخطر طارئ « 5 » .

الغربة والغريب

قال الجنيد : مقام الغريب ببغداد بعد خمسة أيام فضول « 6 » .
قال أبو طالب : جاء شابّ من خراسان لزيارة الجنيد ، فأخذ الجنيد من الشاب عصاه وركوته ، وأرسلها البيت ، ووضعها في مخزن وقفله ، وتلك الليلة كان لأصحاب الجنيد اجتماع ،
فقال الشيخ لجماعة : ودّوا هذا الغريب ، فلما فرغوا من الطعام فبطريق الطيبة والمزاح أرادوا أن يلعبوا الخاتم
فقال الشبلي للشاب : توافقني فيه ، فأبى ، وعابهم ، فنظر إليه الشبلي ، وقال : اسكت ، وإلا أقطع رأسك . فسكت الشاب وقام وذهب ، في اليوم الثاني

....
- قال الشيخ القاشاني في معنى الحجاب : كل ما ستر مطويك عن عينك ، وذلك منك ، ومن انحصارك في كل ما تراءى لك من عالم النور ، أو الظلمة ، لا من غيرك .
(1) انظر : الكواكب (1 / 577) .
(2) انظر : الإحياء للغزالي (2 / 298) .
(3) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 579) .
(4) انظر : روح المعاني (1 / 170) .
(5) انظر : كشف المحجوب (ص 194) .
(6) انظر : طبقات الصوفية (ص 162) .

حكوا هذه الحكاية عند الجنيد ، فقام الجنيد ودخل البيت فما وجد العصا والركوة في ذلك المكان ،
فخرج وقال لأصحابه : كم مرة أوصيتكم إن دخل غريب لا تذلوه بالمزاح معه ! والله لقد أخذ العصا والركوة وذهب ، وما أعطيته ، وما طلب منّي « 1 » .

الشريعة والحقيقة والطريقة

سئل الجنيد عن التصوف ؟
فقال : تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى عن الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلّم في الشريعة « 2 » .
يقول الجنيد : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقّه لا يقتدى به « 3 » .
وقال الجنيد : علمنا محفوظ أن يأخذه غير أهله « 4 » .
وقال الجنيد : لو رأيتم الرجل قد تربّع في الهواء ومشى على الماء فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروه عند الأمر والنهي، فإن كان عاملا بالأمر مجتنبا لما نهي عنه فاعتقدوه «5» .
قال الجنيد : لو كنت ذا سلطان لضربت عنق كل من يقول : ما ثمّ إلا الله ؛ لأنه يلزم من ظاهر مقالته هذه نفي الخلق ونفي جميع الشرائع المتعلقة بهم « 6 » .

....
(1) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 114) ، قلت : وقد أوردنا هذا القول أيضا في باب الصحبة لتعم به الفائدة .
(2) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 35) .
(3) انظر : اللمع (ص 144) ، والرسالة (1 / 107) ، وتاريخ بغداد (7 / 243) ، وسير أعلام النبلاء (14 / 67) ، ومدارج السالكين لابن القيم (3 / 119) ، وروضة الحبور (ص 121) بتحقيقنا ، وكذا الانتصار للأولياء الأخيار .
(4) وقال الشيخ ابن عجيبة : وهذه كانت طريقة الجنيد رضي الله عنه يلقي الحقائق على رؤوس الأشهاد . فقيل له في ذلك ، فقال : جانب العلم أحمى من أن يأخذه غير أهله ، أو علمنا محفوظ من أن يأخذه غير أهله ، والله تعالى أعلم . وانظر : إيقاظ الهمم (ص 69) .
(5) انظر : الكواكب (1 / 574) .
(6) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 575) .

وسئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الحقيقة ؟
فقال : أذكره ثم أدع هذا وهذا « 1 » .
قال الجنيد : ما بلغ أحد درجة الحقيقة إلا وجب عليه التقيّد بحقوق العبودية وحقيقتها ، وصار مطالبا بآداب كثيرة ، لم يطالب الله بها غيره « 2 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات « 3 » .
قال الجنيد : سمعت سريّا يقول وقد وصف أهل الحقائق : أكلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى « 4 » .
قال الجنيد : قال لي السريّ السقطيّ : قال لي أخي أبو يزيد بن عيسى قدّس الله أرواحهم : من نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم ، وهرب إلى الله تعالى منهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم وكان طريقا لهم إليه « 5 » .
قال قدّس سرّه : الخوف يقبضني ، والرجاء يبسطني ، والحقيقة تجمعني ، والحق يفرقني ، فإذا قبضني بالخوف أفناني عنّي بوجودي ، فصانني عني ، وإذا بسطني بالرجاء ردّني علي بفقدي ، فأمرني بحفظي ، وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني فدعاني ، وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطّاني عنه ، فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي ، وموحشي غير مؤنسي ، بحضوري أذوق طعم وجودي ، فليته أفناني عني فمتّعني ، أو غيبني عني فروّحني وللفناء أشهدني ، فنائي وبقائي ، ومن حقيقة فنائي أفناني عن بقائي وفنائي ، فكنت عند حقيقة الفناء بغير بقاء ولا فناء ، بفنائي وبقائي لوجود الفناء والبقاء ، لوجود غيري بفنائي « 6 » .
قال الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلّم واتّبع سننه ، ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه "7" .

....
(1) انظر : اللمع للطوسي (ص 286) .
(2) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 575) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 287) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 286) .
(5) انظر : روضة الحبور (ص 39) ، بتحقيقنا .
(6) النص من نشرة عبد القادر (ص 53) ، عن المخطوطتين (226 - 227) .
(7) انظر : طبقات الصوفية (ص 159) ، والرسالة (1 / 106) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 263) ، والاستقامة لابن تيمية (ص 97) .

قال الجنيد : الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجلّ إلا المقتفين آثار الرسول صلى الله عليه وسلّم والتابعين لسنته ، كما قال الله عز وجلّ :لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[الأحزاب : 21] « 1 » .
سئل الجنيد : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟ فقال : توبة تحل الإصرار ، وخوف يزيل الغرة ، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلوب « 2 » .
قال الجنيد رضي الله عنه : طريق الحبيب إما بالعلم أو بالسلوك ، وبالسلوك بلا علم وإن يكن حسنا فهو جهل ونقص ، وإذا كان العلم مع السلوك فهو عزّ وشرف « 3 » .
وقال الجنيد : **بني الطريق على أربع** :
لا تتكلم إلا عن وجود ،
ولا تأكل إلا عن فاقة ،
ولا تنم إلا عن غلبة ،
ولا تسكت إلا عن خشية ،
إذا طلب أحدهم من الجنيد الطريق ، يقول : اذهب فاخدم الملوك ، ثم تعالى ؛ فإن بداية طريقنا نهاية مقام بعض الملوك « 4 » .
قال الجنيد : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه :قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[يوسف : 108] « 5 » .
وسئل رضي الله عنه : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟
قال : اترك الدنيا وقد نلت ، وخالف هواك وقد وصلت « 6 » .
قال الجنيد لابن سريج : طريقنا أقرب إلى الحق من طريقكم . فطالبه بالبرهان ، فقال الجنيد لرجل : ارم حجرا في حلقة الفقراء . فرماه ، فصاحوا كلهم : الله ،
ثم قال : ألقه في حلقة الفقهاء .
فألقاه ، فقالوا : حرام عليك ، أزعجتنا ، فقبّل ابن سريج رأسه (رأس الجنيد) واعتذر « 7 » .

....
(1) انظر : صفوة الصفوة لابن الجوزي (2 / 418) .
(2) انظر : الحلية (10 / 269) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 264) .
(3) انظر : كشف المحجوب للهجويري (ص 662) .
(4) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (2 / 274) .
(5) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 572) .
(6) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .
(7) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 572) .

زار الجريري الجنيد ، فوجده ، فأطال ، فلامه ، فقال الجنيد ، طريق عرفنا بها ربّنا لا نقتصر على بعضها ، فالنفس ما حملتها تتحمل ، والصلاة صلة ، والسجود قربة ، ومن ترك طريق القرب أوشك أن يسلك طريق البعد « 1 » .
قال الجنيد للشبلي : إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تعد ثانيا ؛ فإنه لا يجيء منك شيء في الطريق « 2 » .
في قوله تعالى :فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ[التكوير : 26] قال الجنيد : معنى الآية مقرون بآية أخرى ، وهي قوله تعالى :وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ[الحجر : 21]
المعنى : أيّ طريق تسلكون أبين من الطريق الذي بيّنه الله لكم « 3 » .

الخواطر « 4 »

تكلم الشيوخ في الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما الأقوى والأولى بالاتباع ؟
قال الجنيد : الخاطر الأول أقوى ؛ لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل ، وهذا بشرط العلم ، فترك الأول يضعف الثاني « 5 » .
وقال خير النساج : كنت يوما جالسا في بيتي ، فخطر لي خاطر : أن الجنيد بالباب فأخرج إليه ، فنفيته عن قلبي ، وقلت : وسوسة ، فوقع لي خاطر ثان : بأنه على الباب فأخرج إليه ، فنفيته عن سرّي ، فوقع لي خاطر ثالث ، فعلمت أنه على حقّ ، ففتحته ، فإذا بالجنيد قائم ، فسلّم عليّ، وقال لي : يا خير، لم لا تخرج مع الخاطر الأول «6» ؟

....
(1) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 579) .
(2) انظر : الكواكب (1 / 574) .
(3) انظر : روح المعاني (19 / 243) .
(4) الخاطر : هو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ، ربانيّا كان ، أو ملكيّا ، أو نفسيّا ، أو شيطانيّا ، من غير إقامة ، وقد يكون حديث نفس ، وقد يكون الخاطر بوارد لا تعمّل للعبد فيه ، وقد يكون بتعمّل فيه . وانظر : لطائف الأعلام للشيخ القاشاني (ص 203) .
(5) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 243) .
(6) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 491) ، واللمع (ص 418) ، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص 131) ، وتاريخ بغداد للخطيب (7 / 247) ، وروض الرياحين (ص 220) ، ونشر المحاسن (ص 49) ، وكشف المحجوب (ص 631) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

قال الجنيد : من لم يصل علمه باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل وعمله بالإخلاص وإخلاصه بالمجاهدة فهو من الهالكين « 1 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب « 2 » .

قال الجنيد : حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك ، وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق ، كما أخبر الصدّيق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ماذا أبقيت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله « 3 » .

حكي عن الشبليّ رضي الله عنه أنه وقف في مجلس الجنيد ، وقال بصوت عال : يا مرادي .

وأشار إلى الحق ، فقال الجنيد : يا أبا بكر ، إذا كان مرادك الحق فلم هذه الإشارة ، وهو مستغن عنها ؟ ! وإذا لم يكن مرادك الحق فلم قلت خلافا والحق عليم بقولك ؟ ! فاستغفر الشبلي من قوله « 4 » .

....

(1) انظر : الكواكب (1 / 581) .

(2) انظر : الرسالة (1 / 392) ، والكواكب (1 / 580) .

(3) انظر : العوارف (ص 310) .

(4) انظر : كشف المحجوب (ص 601) .

الوارد « 1 »

وقد اختلف قول المشايخ في هذه الواردات متى وردت ، أيهما يتبع ؟ فقال الجنيد : الأول ؛ لأنه إذا بقي رجع صاحبها إلى التأمل بشروط العلم « 2 » .

الشاهد

سئل الجنيد قدّس الله سرّه لم سمّي الشاهد شاهدا ؟

فقال : الشاهد الحق شاهد في ضميرك وأسرارك مطّلعا عليها ، وشاهدا لجماله في خلقه وعباده ، فإذا نظر الناظر إليه شهد علمه بنظره إليه « 3 » .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الشاهد ؟

فقال : الشاهد الحق شاهد في ضميرك وأسرارك مطّلع عليها ، والمشهود ما يشهده الشاهد « 4 » .

الروح

قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ولا يجوز

....

(1) الوارد : ما يرد على القلب الظاهر من أحداث الكون من الخواطر المحمودة من غير تعمّل واجتلاب .

وقيل أيضا : الوارد هو عبارة عن كل ما ورد من حيطة كل اسم إلهيّ بسكر ، كان بصحو ، أو ببسط ، أو بقبض ، أو بهيبة ، أو بأنس ، أو بنحو ذلك . وانظر : ترشيح الزلال واللطائف للشيخ القاشاني (ص 459) .

(2) وقال الشيخ الماجري : قال عطاء : الثاني أولى ؛ لأنه زاد قوة بالأول ، فلأجل هذا تردد شيخنا رحمه الله ، فلما أذن له ثانيا في اقتحام الفعل الذي ندب إليه بالأمر لم يمنعه ما هو فيه من القلة والفقر عن السهر باقتحامه إلى درجات اليقين والصبر .

قال سهل بن عبد الله : لا يتمكن العبد من العبادة حتى لا يجزع من أربعة أشياء : الجوع ، والعري ، والفقر ، والذل .

وقال أيضا : لا يصلح تعبّد العبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم ، وأثر الوجود في الغنى . وانظر : المنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح (ص 212) بتحقيقنا .

(3) وشاهد الصوفية هو : أن يقطع منزل المريدين ، فيشهد عموم العارفين وحمله اسم الشاهد الحاضر في الغيب ، لا يحرج ، ولا يفتر ، ولا يتغافل ، فإن غفل غفلة مريد فليس هو طريق الصوفية .

وانظر : اللمع للطوسي (ص 301) .

(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 415) .

العبارة عنه بأكثر من موجود ؛ لقوله :قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي[الإسراء : 85] "1" .

---

(1) انظر : التعرف (ص 83) ، والقوت (1 / 542) ، والإحياء (4 / 239) ، وجلاء القلوب (1 / 174) . وقال الحافظ ابن حجر معقّبا : وعلى ذلك جرى ابن عطية وجمع من أهل التفسير ، وأجاب من خاض في ذلك : بأن اليهود سألوا عنها سؤال تعجيز وتغليط ؛ لكونه يطلق على أشياء ، فأضمروا أنه بأي شيء أجاب ، قالوا : ليس هذا المراد فردّ الله كيدهم وأجابهم جوابا مجملا مطابقا لسؤالهم المجمل .
وقال السهروردي في « العوارف » : يجوز أن يكون من خاض فيها سلك سبيل التأويل لا التفسير ؛ إذ لا يسوغ التفسير إلا نقلا ، وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل ، وهو ذكر ما لا يحتمل إلا به قطع بأنه المراد ، فمن ثم يكون القول فيه قال ، وظاهر الآية المنع من القول فيها ؛ لختم الآية بقوله :وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا[الإسراء : 85] ، أخبرني : اجعلوا حكم الروح من الكثير الذي لم تؤتوه ، فلا تسألوا عنه ؛ فإنه من الأسرار . وقيل : المراد بقوله : (أمر ربّي) كون الروح من عالم الأمر الذي هو عالم الملكوت ، لا عالم الخلق الذي هو عالم الغيب والشهادة ، وقد خالف الجنيد ومن تبعه من الأئمة جماعة من متأخري الصوفية ، فأكثروا من القول في الروح ، وصرّح بعضهم بمعرفة حقيقتها ، وعاب من أمسك عنها .
ونقل ابن منده في كتاب « الروح » له عن محمد بن نصر المروزي الإمام المطلع على اختلاف الأحكام من عهد الصحابة إلى عهد فقهاء الأمصار أنه نقل الإجماع على أن الروح مخلوقة ، وإنما ينقل القول بقدمها عن بعض غلاة الرافضة والمتصوفة ، واختلف هل تفنى ثم فناء العالم قبل البعث أو تستمر باقية على قولين ، والله أعلم ، ووقع في بعض التفاسير أن الحكمة في سؤال اليهود عن الروح أن عندهم في التوراة أن روح بني آدم لا يعلمها إلا الله ، فقالوا : نسأله ، فإن فسرها فهو نبيّ ، وهو معنى قولهم : (لا يجيء بشيء تكرهونه) .
وروى الطبري من طريق مغيرة عن إبراهيم في هذه القصة فنزلت الآية ، فقالوا : هكذا نجده عندنا ورجاله ثقات إلا أنه سقط من الإسناد علقمة . . . . وفي الحديث مما سبق جواز سؤال العالم في حال قيامه ومشيه إذا كان لا يثقل ذلك عليه وأدب الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلّم والعمل بما يغلب على الظن والتوقف عن الجواب بالاجتهاد لمن يتوقع النص وأن بعض المعلومات قد استأثر الله بعلمه حقيقة ، وأن الأمر يرد لغير الطلب . واعلم أن الروح لم يقف أحد لها على حقيقة ماهية ومعرفة كيفية حتى قال الجنيد قدّس الله سرّه :
الروح شيء استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود . وقاله بعضهم ، وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف ، وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح . وانظر : فتح الباري (8 / 403) ، وأقاويل الثقات (ص 191) .

باب السر

أنشد الجنيد قدّس الله سره « 1 » :

وكان الجنيد قدّس الله سرّه ينشد هذين البيتين كثيرا :

ومن بعد هذا ما تدق صفاته * وما كتمه أحظى لديه وأعدل

ألا إنّ للرحمن سرّا يسرّه * إلى أهله في السرّ والستر أجمل

قال الجنيد قدّس الله سرّه : لا يوصل إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب ، ومن لم يكن له سرّ فهو مصرّ ، والمصرّ لا تصفو له حسنة « 2 » .

باب الطبع

قال الجنيد : الإنسان لا يعاب بما في طبعه ، إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه « 3 » .

باب الحق

قال الجنيد : منذ عشرين سنة ما ناصبت أحدا إلى حقّ فعاد إلي « 4 » .

قال الجنيد : إذا أصبت من يصبر على الحق فتمسّك به ، وأنّي به : هات من يصبر لي على سماع الحق لا يتعرض إليه « 5 » .

قيل للجنيد : أبو يزيد البسطامي يقول : (سبحاني أنا ربي الأعلى) .

فقال : الرجل استهلك ، فنطق ما هلك به ؛ لذهوله في الحق عن رؤيته إيّاه ، فلم يشهد في الحق إلا الحق .

قال الشبليّ للجنيد : ما تقول فيمن الحق حسبه نعتا وعلما ووجودا ؟

فقال له : يا أبا بكر ، جلّت الألوهية وتعاظمت الربوبية بينك وبين أكابر الطبقة ألف طبقة ، في أول طبقة منها ذهب الاسم « 6 » .

....

(1) انظر : القوت (2 / 117) .

(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 67) .

(3) انظر : الحلية (10 / 269) ، والكواكب للمناوي (1 / 579) .

(4) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 582) .

(5) انظر : الحلية (10 / 267) .

(6) انظر : الحلية (10 / 267) .

باب في العقل والعاقل

قال جعفر الخلدي : سألت الجنيد عن مسألة في العقل ؟ فقال : يا أبا محمد ، من لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله « 1 » .

قال الجنيد : من ادّعى أن له حالا مع الله أسقط عنه التكليف ، وهو حاضر العقل ، فهو كاذب ، ومن يسرق ويزني أحسن حالا ممن يقول ذلك « 2 » .

سئل الجنيد : متى يكون الرجل موصوفا بالعقل ؟ قال : إذا كان للأمور مميزا ، ولها متصفّحا ، وعمّا يوجبه عليه العقل باحثا ، يبحث ، يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى ، ليعمل به ، ويؤثره على ما سواه ، فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه ، وليس من صفة ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه ، وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحقّ وأولى ، ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير ، فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول ، وترك العمل بما يفني وينقضي ، وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا ، وكذلك لا يرضى أن يشغل بما يفني وينقضي ، وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا ، وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ، ويسير حائل ، يصدّه التشاغل به ، والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ، ويتصل بقاؤها ، وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه فكذلك صفة العاقل ؛ لتصفّحه الأمور بعقله ، والأخذ منها بأوفر ، قال الله تعالى :الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ[الزمر : 18] ،

كذلك وصفهم الله ، وذوو الألباب هم ذوو العقول ، إنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به ؛ للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها ، وأحسن الأمور هو أفضلها ، وأبقاها على أهلها نفعا في العاجل والآجل ، وإلى ذلك ندب الله عز وجلّ من عقل في كتابه « 3 » .

يقول الجنيد : ينبغي للعاقل ألا يفقد من إحدى ثلاثة مواطن :

موطن يعرف فيه حاله ، أمزاد أم منتقص ؟

وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما يلزمها ، ويتقصّى فيه على معرفتها ،

....

(1) انظر : الشذرات لابن العماد (2 / 228) .

(2) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 574) .

(3) انظر : الحلية (10 / 277) .

وموطن يستحضر عقله برؤيته مجاري التدبير عليه
كيف تقلب فيه الأحكام في آناء الليل وأطراف النهار ؟
ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين .
فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله أمزاد هو أم منتقص ؟ فعليه أن يطلب مواضع الخلوة ؛ لكي لا يعارضه مشغل ، فيفسد ما يريد إصلاحه ، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض ، ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي سيده ، يريد أن يؤدي إليه ما أمر بتأديته ، فحينئذ تكشف له خفايا النفوس الموارية ، فيعلم أهو ممن أدى ما وجب عليه أم لم يؤد ، ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم ، فإن رأى خللا أقام على إصلاحه ولم يجاوزه إلى عمل سواه ، وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل ،وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ[آل عمران : 13] .
وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصى فيه حال معرفتها فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة ؛ فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء ، لا يقف على حدّ ذلك إلا من تصفّح ما هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف ؛ فإن النفس إذا ألفت فعل الخير صار خلقا من أخلاقها ، وسكنت إلى أنها موضع لما أهلت له ، وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل ، ويرصدها العدو المقيم بفنائها المجعول له السبيل على مجاري الدم فيها ، فيرى هو بكيده خفي علتها الأصل غفلتها ، فيختلس منها بمسألة الهوى ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال ، فإن تألم لوكزته منه وعرف طعنته أسرع بالإنابة الأصل بالأمانة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به ، فاستقصى من نفسه علم الحال التي منها وصل عدوه إليه ، فحرسها بلياذة اللجاء ، وإلقاء الكنف ، وشدة الافتقار ، وطلب الاعتصام ،
كما قال النبي ابن النبي ابن النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام :وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ[يوسف : 33] ،
وعلم يوسف عليه السلام أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس :
فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ[يوسف : 34] .
وأما الموطن الذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقلبه التدبير فهو أفضل الأماكن وأعلى المواطن ؛ فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا

خدمته فقال :وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[الذاريات : 56] ، فألزمهم دوام عبادته ، وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية ، وفي الأخرى جزيل الثواب ، قال :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[الحج : 77] ، وهذه كلها تلزم كل الخلق ، ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام وقد عرض لرفيع العلم والمعرفة

ألا يعلم أنه قال :كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ[الرحمن : 29] : يعنى شأن الخلق ، وأنت أيها الواقف أترى أنك من الخلق الذي هو في شأنهم أم ترى شأنك مرضيّا عنده ؟ !

ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا وما فيها عنه ، وخروجها من قلبه ، فإذا انقضت الدنيا وجاء أهلها وانصرفت عن القلب خلا بمسامرة رؤية التصرف ، واختلاف الأحكام ، وتفصيل الأقسام ، ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خرج ، ولها ترك ، ومنها هرب ، ألا ترى إلى حارثة حين يقول : عزفت نفسي عن الدنيا ، وكأني أنظر إلى عرش ربّي بارزا ، وكأني بأهل الجنة يتزاورون ، وكأني وكأني ، وهذه بعض أحوال القوم « 1 » .

في قوله عز وجلّ :وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ[الأنبياء : 51]

سئل الجنيد متى آتاه ذلك ؟ فقال : حين لا متى « 2 » .

باب في الحيرة

قال الجنيد : كتب إليّ بعض إخواني من عقلاء أهل خراسان : اعلم يا أخي يا أبا القاسم أن عقول العقلاء إذا تناهت تناهت إلى حيرة « 3 » .

....

(1) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 271) .

(2) قيل : ذلك الرشد إيثار الحق جل شأنه على ما سواه سبحانه . وانظر : روح المعاني (17 / 108) .

(3) انظر : الحلية (10 / 267) ، والشفا لعياض (2 / 97) ، وقال الشيخ الكتاني : وقالوا أيضا وهو من كلام الجنيد حسب ما في « العوارف » : إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة ، ولذا ورد في الحديث : « اللّهمّ زدني فيك تحيرا » . وانظر : جلاء القلوب (1 / 291) .

وقال الجنيد : قوله تعالى :وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى[الضحى : 7] قال عياض : قال الجنيد : المعنى وجدك متحيّرا في بيان ما أنزل الله إليك فهداك لبيانه ، لقوله :وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ[النحل : 44] الآية « 1 » .

باب الحكمة

سئل الجنيد عمّا تنهى الحكمة ؟

فقال : الحكمة تنهى عن كل ما يحتاج أن يعتذر منه ، وعن كل ما إذا غاب علمه عن غيرك أحشمك ذكره في نفسك . فقال له السائل : فبم تأمر الحكمة ؟ قال : تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره ، ويطيب عند جملة الناس خبره ، ويؤمن في العواقب ضرره .

قال السائل : فمن يستحق أن يوصف بالحكمة ؟

قال الجنيد : من إذا قال بلغ المدى والغاية فيما يتعرض لنعته بقليل القول ، ويسير الإشارة ، ومن لا يتعذر عليه من ذلك شيء مما يريد ؛ لأن ذلك عنده حاضر عتيد .

قال السائل : فبمن تأنس الحكمة ، وإلى من تستريح وتأوي ؟ قال الجنيد : إلى من انحسمت عن الكل مطامعه ، وانقطعت من الفضل في الحاجات مطالبه ، ومن اجتمعت همومه وحركاته في ذات ربّه ، ومن عادت منافعه على سائر أهل دهره « 2 » .

باب العلم

قال الجنيد : متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه وتكون من أهله قبل أن تعطي العلم ما له عليك احتجب عنك نوره ، وبقي عليك وسمه وظهوره ، ذلك العلم عليك لا لك ، وذلك أن العلم يشير إلى استعمالهن وإذا لم يستعمل في مراتبه رحلت بركاته « 3 » .

ويقول الجنيد : إن للعلم ثمنا فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه . قيل له : وما ثمنه ؟ قال : وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه « 4 » .

في قوله تعالى :إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ[فاطر : 28] قال الجنيد قدّس سرّه : الرضا على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة « 5 » .

....

(1) انظر : تفسير الثعالبي (4 / 423) ، وجلاء القلوب للكتاني (1 / 152) ، بتحقيقنا .

(2) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 261) .

(3) انظر : الحلية (10 / 269) .

(4) انظر : طبقات الشعراني (1 / 86) .

(5) انظر : محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار للإبشيهي (2 / 88) ، بتحقيقنا .

وقال الجنيد : اللسان ظاهر ، وهو من الملك ، فهو خزانة العلم الظاهر ، والقلب خزانة الملكوت ، وهو خزانة العلم الباطن ، فقد سار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك ، ونعني بالملك الباطن الخفي ، وكفضل القلب على اللسان الجلي وهو الظاهر « 1 » .

وسئل الجنيد عمّن أخذت هذا العلم ؟

فقال : أمّا في أول أمري فعن خالي سريّ السقطيّ ، ثم عن أدبي مع الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة تحت هذه الدرجة .

فأعلم السائل أولا بنسبة الوراثة ثم ثانيا بما أورثته صحتها من الأدب الموجب للذوق والوجدان ؛ لأن علم أهل التحقيق يؤخذ وراثة وإلقاء ، وتعلما وذوقا ووجدا « 2 » .

قال الجنيد : العلم مأمور باستعماله ، فإذا لم تستعمله حالا أهلكك مآلا « 3 » .

وقال : في الدنيا طغيانان : طغيان العلم ، وطغيان المال ، فالمنجي من طغيان العلم العمل ، ومن طغيان المال الزهد « 4 » .

قال الجنيد : المعلوم تابع للعلم « 5 » .

وكان إذا سأله سائل عن مسألة يجيبه ، ثم يسأله آخر عنها ، فيجيبه بجواب آخر ، **ويقول :** على قدر السائل يكون الجواب « 6 » .

علم الشريعة

حكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : اتفق أهل العلم على أن أصولهم خمس خلال : صيام النهار ، وقيام الليل ، وإخلاص العمل ، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية ، والتوكّل على الله في كل حال « 7 » .

....

(1) انظر : روح المعاني (30 / 206) .
(2) انظر : روضة الحبور (ص 109) ، بتحقيقنا ، وتاريخ بغداد (7 / 245) .
(3) انظر : فيض القدير (1 / 405) .
(4) انظر : فيض القدير (1 / 405) .
(5) قال الشيخ الكتاني : وفي الأول المعلوم تابع للعلم الإلهي الأزلي الذي هو مظهر تلك الشؤون ، وحينئذ فلا منافاة بين قول الشيخ الأكبر : (العلم تابع للمعلوم) وبين قول الجنيد وغيره : (المعلوم تابع للعلم) ؛ فافهم ، والله أعلم . وانظر : جلاء القلوب (1 / 340) .
(6) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 578) .
(7) انظر : اللمع للطوسي (ص 288) .

يقول الجنيد : فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود « 1 » .
قال الجنيد : العلم يوجب لك استعماله ، فإن لم تستعمله في مراتبه كان عليك لا لك « 2 » .
قال رجل للجنيد : بم أستعين على غضّ البصر ؟ فقال : بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه « 3 » .
يقول الجنيد : ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم « 4 » .
قال بعض الكبار للجنيد وهو يتكلم على الناس : يا أبا القاسم ، إن الله لا يرضى عن العالم بالعلم حتى يجده في العلم ، فإن كنت في العلم فالزم مكانك ، وإلا فانزل .
فقام الجنيد ولم يتكلم على الناس شهرين ، ثم خرج ،
فقال : لولا أنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : في آخر الزمان يكون زعيم القوم أرذلهم ما خرجت إليكم « 5 » .
قال أبو الحسين عليّ بن إبراهيم الحداد : حضرت مجلس أبي العباس بن سريج فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت به ، فلما رأى إعجابي قال لي : تدري من أين هذا ؟
قلت : يقول القاضي . فقال : هذا بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد بن محمد « 6 » .

علم الحقيقة

قال الجنيد رحمه الله : رجل انتصب له العمل بحقيقته ، وانتصبت المطالبة عليه بحدتها ، وانتصب للعمل بكليته ، فلم يقع الائتلاف بين الصفة والعلم في المطالبة ، فاستدرك عند الاختلاف بينهما مع حضوره وجمعه وانتصابه ، علم مراد الرجوع إلى الحق مع الانتصاب والحضور والجمع ، فرجع إليه الصغار والذلة والافتقار والقلة بالسؤال ، يحملان أثقال ما انتصب عليه من علم الحقيقة ، فكان موجودا عندما انتصب له من العلم الثاني ، بخروج

....
(1) انظر : الحلية (10 / 263) .
(2) انظر : الكواكب (1 / 579) .
(3) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 397) ، وكلمة الإخلاص لابن رجب (ص 50) .
(4) انظر : الحلية (10 / 263) .
(5) انظر : التعرف (ص 172) .
(6) انظر : تاريخ بغداد (7 / 243) .

صفته للعمل فيه ، وغير واجد لما انتصب عليه من حقيقة علم الأول ؛ لأثقال ما انتصب عليه من شروط أحكامه ، فاستدرك عند اجتماع العلمين بوجود حقيقة الثاني وفقد حقيقة الأول ، علم وقوع البلاء بحقيقته ؛ بتجرع كأس المراقبة لإيضاح بقايا صفاته وإيضاح خفايا طبعه ، بالخروج إلى صفاء حقيقة التوحيد ، بانحطاط وقوع البلاء ، على حسب ما تقدّم من الموافقة للصفة ، بوجود لذة الطبع ، فخرج عند ذلك بفناء الصفة من الهوى ، إلى وقوع تجريد الحكم على صفاء الصفة ، بذهاب الهوى ، فانبسط بالإشارة بالحقيقة إلى الحق عند حوادث الأمور وتلوين الأشياء ، بذهاب الوسائط ، بوقوع صفاء الحكم على صفاء الصفة « 1 » .

علم الطريقة

وكان الجنيد قدّس الله سرّه كثيرا ما ينشد « 2 » :

علم التصوف علم ليس يعرفه * إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

قال الجنيد : كنت يوما عند السريّ وأقوام جالسون على باب السري ،
فقال السريّ لي : انظر أيكون أحد منهم أجنبيّ ؟
قلت : لا ، دراويش طالبون . فقال : ناد فلانا . فناديته ، فتكلم السريّ معه كلاما كثيرا مدة طويلة ، وخفي كلامه حتى ما فهمت كلامه ، فضاق قلبي ،
ثم قال السريّ له : من أستاذك ؟
قال : في بهراة لي أستاذ أنا أعلّمه فرائض الصلاة ، وهو يعلمني علم التوحيد .
فقال السريّ : إن كان هذا العلم في خراسان باق فيكون في جميع البلدان ، فإذا انقطع من خراسان فلا تجده في جميع البلدان « 3 » .
يقول الجنيد : أكثر الناس علما بالآفات أكثرهم آفات « 4 » .

....
(1) النص من نشرة عبد القادر (ص 52 ، 53) ، عن المخطوطتين (226 - 227) .
(2) انظر : القوت (1 / 324) .
(3) انظر : نفحات الأنس (ص 90) .
(4) انظر : طبقات الصوفية (ص 161) ، والحلية (10 / 267) .

سأله الجريري عن قول عيسى عليه السلام :تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ] المائدة : 116]

قال الجنيد : هو والله أعلم ، تعلم ما أنا لك عليه ، وما لك عندي ، ولا أعلم ما لي عندك ، إلا ما أخبرتني به وأطلعتني عليه « 1 » .

العلم والوجود

سئل الجنيد : ما أتم استغراق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم ؟ قال : استغراق العلم في الوجود ، ليس العالمون بالله كالواجدين له « 2 » .

علم الغيوب

قال الجنيد : تفرّد الحق بعلم الغيوب ، فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون ، أن لو كان كيف كان يكون « 3 » .

العلم اللدنّي

قال الجنيد : لو أن العلم الذي أكلّم به من عندي لفني ، ولكنه من الحق بدأ ، وإلى الحق يعود ، وربما وقع في أن زعيم القوم أرذلهم « 4 » .

وقال أيضا : لولا أنه روي أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلّمت عليكم « 5 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : لو علمت أن علما تحت أديم السماء أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه ، وإلى أهله ، حتى أسمع منهم ذلك ، ولو علمت أن وقتا أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم لنهضت إليه « 6 » .

يقول الجنيد : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقّه لا يقتدى به « 7 » .

....

(1) انظر : الحلية (10 / 275) .
(2) انظر : الحلية (10 / 275) .
(3) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 42) .
(4) انظر : الحلية (10 / 263) .
(5) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 576) .
(6) انظر : الرسالة (2 / 743) ، واللمع (ص 239) ، وتاريخ بغداد (7 / 243) .
(7) انظر : اللمع (ص 144) ، والرسالة (1 / 107) ، وتاريخ بغداد (7 / 243) ، وسير أعلام النبلاء (14 / 67) ، ومدارج السالكين لابن قيم (3 / 119) .

قال الجنيد : علمنا هذا مشبك ومشتبه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم « 1 » .
قيل للجنيد : من أين استفدت هذا العلم ؟ فقال : من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأومأ إلى درجة في داره « 2 » .
قال الجنيد بن محمد : كنت إذا سئلت عن مسألة في الحقيقة لم يكن لي فيها منازلة ، أقول : قفوا على ، فكان يدخل ، فيعامل الله بها ، ثم يخرج ويتكلم في علمها « 3 » .
عن الجنيد أنه قال : كنت إذا قمت من عند سريّ السقطيّ قال لي : إذا فارقتني من تجالس ؟ فقلت : الحارث المحاسبي . فقال : نعم ، خذ من علمه وأدبه ، ودع عنك تشقيقه للكلام ، وردّه على المتكلمين .
قال الجنيد : فلما وليت سمعته يقول (السري) : جعلك الله صاحب حديث صوفيّا ، ولا جعلك صوفيّا صاحب حديث « 4 » .
قال الجنيد للشبليّ : نحن حبّرنا هذا العلم تحبيرا ، ثم خبّأناه في السراديب ، فجئت أنت ، فأظهرته على رؤوس الملإ .
فقال الشبلي : أنا أقول ، وأنا أسمع ، فهل في الدارين غيري « 5 » ؟

....
(1) انظر : الرسالة (1 / 107) ، وتاريخ بغداد (7 / 243) ، وطبقات الأولياء (ص 127) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 237) ، وسير الأعلام (14 / 67) ، والبداية والنهاية (11 / 114) ، وشذرات الذهب (2 / 228) ، والفرقان لابن تيمية (ص 210) ، والسماع له (ص 95) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 107) ، وتاريخ بغداد (7 / 245) ، والبداية والنهاية (11 / 114) ، وطبقات السبكي (2 / 261) ، والكواكب الدرية (1 / 576) .
(3) انظر : تاريخ الخطيب (7 / 246) .
(4) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 571) ، والقوت (1 / 322) ، ومحاسن الأخبار في فضل الصلاة على المختار للإبشيهي ، وعقب بقوله : يعني أنك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن ثم تزهّدت وتقيّدت نفذت في علم الصوفيّة ، وكنت صوفيّا عارفا ، وإذا ابتدأت بالتقيّد والتقوى والحال اشتغلت به عن العلم والسنن ، فخرجت إمّا شاطحا أو غالطا بجهلك بالأصول والسنن ، فأحسن أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر وكتب الحديث ؛ لأنه هو الأصل الذي تفرّع منه العبادة والعلم ، وإن نويت الفرع قبل الأصل أتعبت نفسك ، وقد قيل : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، وهي كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن والذل لله تعالى بمعرفة ذلك ، والتواضع مصائد الشرف ، يبلغ صاحبه أعلى الغرف ، ومن ارتفع قدره واتّضح ذلّ له كلّ شيء وخضع ، وبالله تعالى التوفيق . وانظر : محاسن الأخبار (1 / 25) بتحقيقنا .
(5) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 172) .

قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لي منه حظّا ونصيبا « 1 » .
وحكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : لو كان علمنا هذا مطروحا على مزبلة لم يأخذ كل واحد منه إلا حظّه على مقداره « 2 » .
لما حضر جنيد بن محمد الوفاة أوصى بدفن جميع ما هو منسوب إليه من علمه ، فقيل له : ولم ذلك ؟ فقال : أحببت ألا يراني الله ، وقد تركت شيئا منسوبا إليّ وعلم الرسول صلى الله عليه وسلّم بين ظهرانيهم « 3 » .
وكان الجنيد يقول : قد كنت أجالس قوما سنين يتجاورون في علوم لا أفهمها ، ولا أدري ما هي ، وما بليت بالإنكار قطّ، كنت أتقبلها، وأحبها من غير أن أعرفها«4».
وكان الجنيد يقول : كنّا نتجارى مع إخواننا قديما في علوم كثيرة ما تعرف في وقتنا هذا ، ولا سألني عنها أحد ، وهذا باب قد أغلق وردم « 5 » .
حكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه كان يقول لأصحابه : لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل من جلوسي معكم ما جلست عندكم « 6 » .
وقال الجنيد رحمه الله : ما عندي عصابة ولا قوم اجتمعوا على علم من العلوم أشرف من هذه العصابة ، ولا أشرف من علمهم ، ولولا ذلك ما جالستهم ، ولكنهم كذا عندي بهذه الصورة « 7 » .
يقول الجنيد : رضوان الله على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ؛ لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة ، ذاك امرؤ أعطي علما لدنيّا .

....

(1) انظر : طبقات السبكي (2 / 261) ، وتاريخ الخطيب (7 / 242) ، وتفسير القرطبي (14 / 67) ، والكواكب (1 / 574) .
(2) انظر : اللمع (ص 239) .
(3) انظر : تاريخ بغداد (7 / 248) ، والحبور (ص 114) بتحقيقنا .
(4) انظر : القوت (1 / 330) .
(5) انظر : القوت (1 / 330) .
(6) انظر : القوت (1 / 330) .
(7) انظر : اللمع (ص 273) .

والعلم اللدني هو العلم الذي خصّ به الخضر عليه السلام ، قال الله تعالى :وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً[الكهف : 65] « 1 » .
وفي قوله تعالى :وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً[الكهف : 65]
قال الجنيد قدّس سرّه : هو الاطّلاع على الأسرار من غير ظنّ فيه ولا خلاف واقع ، لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنون المغيبات « 2 » .
قال الجنيد : لو كان العلم الذي أتكلم به من عندي لفني ، لكن من الحق بدأ ، وإلى الحق يعود « 3 » .
قال الجنيد : أنا تكلمت بهذا العلم في السراديب والبيوت خفية ، ولما جاء الشبلي تكلم بهذا العلم على المنابر وأظهره بين الخلائق « 4 » .
يقول الجنيد : قال أبو سليمان الداراني : ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة « 5 » .
قال الجنيد رضي الله عنه : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنّة في نفسك فلا تفتك أن تصدّق بها في غيرك « 6 » .
سئل الجنيد عن مسألة ؟
فقال : حتى أسأل معلمي ، ثم دخل منزله وصلّى ركعتين ، وخرج ، فأجاب عنها « 7 » .
قال الفرغاني : كان يغشى مجلس الجنيد أهل البسط من العلوم ، وكان يغشاه ابن كيسان النحوي ، وكان رجلا جليلا ، فقال يوما : ما تقول يا أبا القاسم في قول الله تعالى :

....
(1) انظر : اللمع (ص 239) .
(2) وقال الآلوسي : ويحصل للعبد إذا حفظ جوارحه عن جميع المخالفات وأفنى حركاته عن كل الإرادات ، وكان شبحا بين يدي الحق بلا تمن ولا مراد . انظر : روح المعاني (16 / 22) .
(3) انظر : الكواكب (1 / 577) .
(4) انظر : نفحات الأنس (ص 61) .
(5) انظر : الرسالة (1 / 86) .
(6) انظر : الكواكب الدرية (1 / 573) ، وروض الرياحين (ص 5) .
(7) انظر : تاريخ الخطيب البغدادي (7 / 245) .

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى[الأعلى : 6] ؟ فأجابه مسرعا كأنه تقدّم له السؤال قبل ذلك بأوقات : لا تنسى العمل به .

فقال ابن كيسان : لا يفضض الله فاك ، مثلك من يصدر عن رأيه « 1 » .

كان العلامة ابن سريج المعروف بالشافعي الصغير يصحب الإمام الجنيد ويلازمه ، وقد استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال ، ويقال : إنه سأله مرة عن مسألة ؟ فأجابه بها بجوابات كثيرة ، فقال : يا أبا القاسم ، لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت ، فأعدها عليّ . فأعادها بجوابات أخرى كثيرة .

فقال له ابن سريج : والله ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده ، فأعادها بجوابات . فقال له : لم أسمع بمثل هذا ، فأمله عليّ حتى أكتبه ، وينطق به لساني ، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم ، وإنما هذا من فضل الله عز وجلّ ، ويلهمنيه ويجريه على لساني « 2 » .

القلوب

قال الجنيد قدّس الله سرّه : القلوب المحفوظة لا يعرّضها وليها لمجانبة محادثة غيره ، ضنّا منه بها ، ونظرا منه لها ، وإبقاء عليها ؛ ليخلص لهم ما أصفاهم به ، وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم « 3 » .

قال الجنيد : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج القوت ، فالزوجة على التحقيق قوت ، وسبب لطهارة القلوب « 4 » .

قال الجنيد : التوكل عمل القلب ، والتوحيد قول القلب « 5 » .

قال أبو عمرو بن علوان : كان شابّ يصحب الجنيد قدّس الله سرّه وكان له قلب فطن ، وربما يتكلم بخواطر الناس ، وما يعتقدون في سرائرهم ، فقيل للجنيد ذلك ، فدعاه ، وقال : إيش هذا الذي يبلغني عنك ؟

فقال الشاب : اعتقدت كذا وكذا ،

فقال الجنيد قدّس الله سرّه : لا . فقال : اعتقد مرة أخرى . فقال الجنيد : اعتقدت .

فقال الشاب : هو كذا وكذا .

فقال الجنيد : لا . قال : فاعتقد ثالثا . فقال الجنيد : اعتقدت . فقال الشاب : هو كذا وكذا .

....

(1) انظر : روح المعاني (20 / 19) .

(2) انظر : البداية لابن كثير (11 / 114) .

(3) انظر : اللمع (ص 440) .

(4) انظر : الإحياء (2 / 29) ، والكواكب (1 / 581) .

(5) انظر : الرسائل (1 / 42) ، ومجموع رسائل ابن تيمية (12 / 405) .

فقال الجنيد : لا . فقال الشاب : وهذا والله عجيب ، وأنت عندي صادق ، وأنا أعرف قلبي ، وأنت تقول : لا ، فتبسم الجنيد ، ثم قال : صدقت يا أخي في الأول ، وفي الثاني ، وفي الثالث ، وإنما أمتحنك : هل تتغير عمّا أنت عليه « 1 » ؟

قال الجنيد قدّس الله سرّه : كانوا يكرهون أن يتجاوز اللسان معتقد القلب « 2 » .

وقال الجنيد في قوله تعالى :بِقَلْبٍ سَلِيمٍ[الشعراء : 89]

قيل للجنيد : يا أبا القاسم ، يكون لسان بلا قلب ؟ قال : كثير . قلت : فيكون قلب بلا لسان ؟ قال : نعم ، قد يكون ، ولكن لسان بلا قلب بلاء ، وقلب بلا لسان نعمة « 3 » .

قال الجنيد : إن الله يخلص إلى القلوب من برّه حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك « 4 » .

قال الجنيد : كنت يوما في مجلس السريّ وعنده عصابة من الرجال ، وأنا كنت أصغرهم ، فقال السري : من أي شيء يطير النوم ؟ فقال بعضهم : من الجوع . وقال واحد : من قلة الماء . فلما وصلت نوبتي قلت : علم القلوب باطّلاع الله على كل نفس بما كسبت . قال : أحسنت يا بني . وأجلسني إلى جنبه . فأنا من ذلك اليوم مقدّم على الناس « 5 » .

يقول الجنيد : من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبعين بابا من التوفيق ، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين بابا من الخذلان من حيث لا يشعر « 6 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : النية تصوير الأفعال « 7 » .

في قوله تعالى :فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ[البقرة : 10]

قال الجنيد : علل القلوب من اتباع الهوى ، كما أن علل الجوارح من مرض البدن مرض « 8 » .

....

(1) انظر : الرسالة (2 / 488) ، واللمع (ص 407) ، والروح لابن قيم (ص 239) .

(2) انظر : اللمع (ص 238) .

(3) انظر : القوت (1 / 289) .

(4) انظر : الكواكب (1 / 579) ، وطبقات الشعراني (1 / 84) .

(5) انظر : نفحات الأنس (ص 121) .

(6) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) .

(7) انظر : اللمع (ص 303) ، قلت : ذكرت كلامه في النية لأن محلها القلب .

(8) انظر : تفسير القرطبي (1 / 197) .

في قوله تعالى :وَلِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ[المنافقون : 7] قال الجنيد :
خزائن السماوات الغيوب ، وخزائن الأرض القلوب ، فهو علام الغيوب ، ومقلّب
القلوب « 1 » .
في قوله تعالى :اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[التوبة : 111] عن الجنيد قدّس سرّه قال : إنه
سبحانه اشترى منك ما هو صفتك وتحت تصرفك ، والقلب تحت صفته وتصرفه لم
تقع المبايعة عليه ، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم : « قلب ابن آدم بين
إصبعين من أصابع الرحمن « 2 » » .
في قوله تعالى :أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ[النور : 63]
قال الجنيد قدّس سرّه : قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر « 3 » .

البدايات والنهايات

في قوله تعالى :يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ[يونس : 4] قال الجنيد قدّس سرّه في الآية : إنه
تعالى منه الابتداء ، وإليه الانتهاء ، وما بين ذلك مراتع فضله ، وتواتر نعمه ، وعد
الله حقّا ، إنه يبدؤ الخلق ، ثم يعيده « 4 » .
وقال الجنيد : فضل الله تعالى في الابتداء ورحمته في الانتهاء « 5 » .
قال الجنيد قدّس سرّه : لا يرتقي أحد في درجات العبودية حتى يحكم فيما بينه وبين
الله تعالى أوائل البدايات ، وهي الفروض والواجبات والسنن والأوراد ، ومطايا الفضل
عزائم الأمور ، فمن أحكم على نفسه هذا منّ الله تعالى عليه بما بعده « 6 » .
وسئل الجنيد عن النهاية ؟
فقال : هي الرجوع إلى البداية « 7 » .

....

(1) انظر : روح المعاني (18 / 128) .
(2) رواه مسلم (4 / 2054) ، وانظر : روح المعاني (11 / 154) .
(3) انظر : روح المعاني (18 / 230) .
(4) انظر : روح المعاني (11 / 91) .
(5) انظر : روح المعاني (11 / 176) .
(6) انظر : روح المعاني (13 / 178) .
(7) ويعقب السهروردي وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال : معناه أنه كان في ابتداء
أمره في جهل ، ثم وصل إلى المعرفة ، ثم رد إلى التحيّر والجهل ، وهو كالطفولية :
يكون جهل ثم علم ثم جهل . وانظر :
العوارف (ص 319) .

باب التوبة

وسئل الجنيد عن التوبة ؟ فقال : هو أن تنسى ذنبك « 1 » .

في قوله تعالى :تَوْبَةً نَصُوحاً[التحريم : 8] قال الجنيد : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب ، فلا يذكره أبدا ؛ لأن من صحت توبته صار محبّا لله ، ومن أحبّ الله نسي ما دون الله « 2 » .

قال الجنيد : سمعت الحارث يقول : ما قلت قطّ : (اللّهمّ إني أسالك التوبة) ، ولكني أقول : أسألك شهوة التوبة « 3 » .

قال الجنيد : دخلت يوما على سريّ السقطيّ ، فرأيت عليه همّا ، فقلت : أيها الشيخ أرى عليك همّا ، فقال : الساعة دق عليّ داقّ الباب ، فقلت : ادخل ، فدخل عليّ شابّ في حدود الإرادة ، فسألني عن معنى التوبة ؟ فأخبرته ، وسألني عن شرط التوبة ؟ فأنبأته ، فقال :

هذا معنى التوبة ، وهذا شرطها ، فما حقيقتها ؟ فقلت : حقيقة التوبة عندكم ألا تنسى ما من أجله كانت التوبة . فقال : ليس هو كذلك عندنا ، فقلت له : فما حقيقة التوبة عندكم ؟

فقال : حقيقة التوبة ألا تذكر ما من أجله كانت التوبة ، وأنا أفكر في كلامه .

قال الجنيد : فقلت : ما أحسن ما قال ؟ قال لي : يا جنيد ، وما معنى هذا الكلام ؟ فقال الجنيد : يا أستاذ ، إذا كنت معك في حال الجفاء ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء فذكري للجفاء في حال الصفاء غفلة « 4 » .

قال الجنيد : ودخلت على سريّ السقطيّ يوما عليه همّا ، فقلت : أيها الشيخ ، أراك مشغول القلب . فقال : أمس كنت في الجامع ، فوقف عليّ شابّ ، وقال لي : أيها الشيخ ، يعلم العبد أن الله تعالى قد قبله ؟ فقلت : لا يعلم . فقال : بلى ، يعلم . وقال لي ثانيا : بلى ،

....

(1) قال أبو نصر السراج : أشار الجنيد إلى توبة المحققين ؛ فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم ، من عظمة الله تعالى ، ودوام ذكره . وانظر : اللمع (ص 68) .

(2) انظر : روح المعاني (18 / 198) .

(3) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 259) .

(4) انظر : الحلية (10 / 274) .

يعلم . فقلت له : فمن أين يعلم ؟
قال : إذا رأيت الله عز وجلّ قد عصمني من كل معصية ووفّقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني « 1 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلّم : « استغفروا الله ، وتوبوا إليه ؛ فإنّي أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة « 2 » » أو كما قال ، قالوا : كان حال النبيّ صلى الله عليه وسلّم مع الله تعالى زيادة في كل نفس وطرفة عين ، فكان إذا رقي به إلى زيادة حال أشرف من زيادته على حالته في النفس الماضي ، استغفر الله من ذلك وتاب إليه « 3 » .
يقول الجنيد : التوبة على ثلاث معان : أولها الندم ، والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه ، والثالث السعي في أداء المظالم « 4 » .
قال الجنيد : دخلت على السريّ يوما ، فرأيته متغيّرا ، فقلت له : ما لك ؟ فقال : دخل عليّ شابّ فسألني عن التوبة ؟ فقلت له : ألا تنسى ذنبك . فعارضني ، وقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك . فقال الجنيد : إن الأمر عندي ما قاله الشاب . فقال : لم ؟ قلت : لأنّي إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء ، فسكت « 5 » .
دخل الشبليّ على الجنيد متواجدا ، فقال : إن كنت ترى نفسك في حضرة الله فهذا سوء أدب ، وإن كنت خارجها ، فماذا حصلت حتى تتواجد ؟
فقال : التوبة يا إمام « 6 » .
قال أبو القاسم : سمعت النوريّ يقول : كنّا ليلة العيد مع أبي الحسن النوري في مسجد الشونيزي ، فدخل علينا إنسان ، فقال للنوري : أيها الشيخ ، غدا العيد ، ماذا أنت لابسه ؟
فأنشأ يقول « 7 » :

....

(1) انظر : الحلية (10 / 274) ، ويقول الهجويري : يجب ألا تكون التوبة من كسب العبد ؛ لأنها موهبة من مواهب الحق سبحانه وتعالى : وهذا القول يتعلق بمذهب الجنيد . وانظر : كشف المحجوب (ص 541) .
(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (1 / 301) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 161) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 259) .
(5) انظر : نشر المحاسن لليافعي (ص 127) .
(6) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 583) .
(7) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 114) .

قالوا : **غدا العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق عبده جرعا**
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما * قلب يرى ربّه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها * يوم التزاور في الثواب الذي خلعا
الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي * والعيد ما دمت لي مرأى ومستمعا
وقال : من همّ بذنب لم يفعله ابتلي بهمّ لم يعرفه « 1 » .
يقول الجنيد : الغفلة عن الله أشدّ من دخول النار « 2 » .
عن أبي عمرو بن علوان في قصة تطول ، قال فيها : كنت قائما أصلي ذات يوم ، فخامر قلبي هوى ، طاولته بفكري ، حتى تولد منه شهوة الرجل ، فوقعت إلى الأرض ، واسودّ جسدي كلّه ، فاستترت في البيت ثلاثة أيام فلم أخرج ، وقد كنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والألوان الغاسلة ، فلا يزداد إلا سوادا ، ثم انكشف عنّي بعد ثلاث ، فرجعت إلى لوني البياض ، فلقيت أبا القاسم الجنيد قدّس الله سرّه ، وكان وجّه إليّ فأشخصني من الرّقة ، فلما أتيته ،
قال لي : أما استحيت من الله تعالى ، كنت قائما بين يديه ، فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك برقة ، فأخرجتك من بين يدي الله تعالى ، لولا أني دعوت الله عز وجلّ لك وتبت إليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون ، قال : فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة ؟ ولم يطّلع عليه إلا الله عز وجلّ « 3 » .
قال أبو عمرو بن علوان : خرجت يوما إلى سوق الرحبة في حاجة ، فرأيت جنازة ، فتبعتها ؛ لأصلي عليها ، ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس ، فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد ، فلححت بالنظر ، واسترجعت ، واستغفرت الله ، وعدت إلى منزلي ، فقالت لي عجوز : يا سيدي ، ما لي أرى وجهك اسودّ ؟
فأخذت المرآة ، فنظرت فإذا وجهي أسود ، فرجعت إلى سري أنظر من أين دهيت ، فذكرت النظرة ، فانفردت في موضع أستغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يوما ، فخطر في قلبي : أن زر شيخك الجنيد ،

....
(1) انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (ص 127) .
(2) انظر : طبقات الصوفية (ص 159) .
(3) انظر : الإحياء (4 / 54) ، والقوت (1 / 378) .

فانحدرت إلى بغداد ، فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب ، فقال لي : ادخل يا أبا عمرو ، تذنب بالرحبة ، ونستغفر لك ببغداد « 1 » .
وكان سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقول : ينبغي للعبد أن يختم أعماله كل وقت بالاستغفار ؛ لقوله تعالى :وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[الأنفال : 33] انتهى « 2 » .
قال الجنيد : الطاعة عاجل بشراه على ما سبق لهم من الله تعالى ، وكذلك المعصية « 3 » .
قال الجنيد : لا تيأس من نفسك ، وأنت تشفق من ذنبك ، وتندم عليه بعد فعلك « 4 » .
قال جعفر بن محمد بن نصير في كتابه : سمعت الجنيد بن محمد يقول : كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثى في كوخ يتعبّد فيه ، فمرّت بكوخه جارية من بنات الكبار كانت ربّيت في قصور الملوك ، فنظرت إلى أبي شعيب ، فاستحسنت حاله وما كان عليه ، فصارت كالأسير له ، فعزمت على التجرد من الدنيا والاتصال بأبي شعيب ، فجاءت إليه ، وقالت : أريد أن أكون لك خادمة . فقال لها : إن أردت ذلك ، فغيّري من هيئتك ، وتجرّدي عمّا أنت فيه حتى تصلحي لما أردت ، فتجرّدت عن كل ما تملكه ، ولبست ثياب النساك ، وحضرته ، فتزوّجها ، فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف في مجلس أبي شعيب تقيه الندى .
فقالت : ما أنا بمقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك ؛ لأني سمعتك تقول : إن الأرض تقول : يا ابن آدم ، تجعل اليوم بيني وبينك حجابا ، وأنت غدا في بطني ، فما كنت لأجعل بيني وبينها حجابا ، فأخذ أبو شعيب الخصاف ، فرمى بها ، فمكثت معه سنين كثيرة ، تتعبد أحسن عبادة ، وتوفيا على ذلك متعاونين « 5 » .

....

(1) انظر : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 247) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 261) ، وطبقات الحنابلة (1 / 127) ، والتوابين لابن قدامة (ص 265) .
(2) انظر : العرائس القدسية (ص 93) .
(3) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 77) .
(4) انظر : الحلية (10 / 267) .
(5) انظر : التوابين لابن قدامة (ص 265) .

وقد وقع لبعض المريدين أنه نظر إلى امرأة سرّا فاسودّ وجهه ، وصار كالقار ، فافتضح بين الناس ، فذهب إلى الإمام أبي القاسم الجنيد ، فشفع فيه عند الله ، فردّ الله عليه لونه « 1 » .
وكان الجنيد رضي الله عنه يقول : تأملت في ذنوب أهل الإسلام فلم أر منها ذنبا أعظم من الغفلة عن الله تعالى « 2 » .

باب المحاسبة

قال الجنيد : سمعت ابن الكرنبي يقول : أصابتني ليلة جنابة ، فاحتجت أن أغتسل ، وكانت ليلة باردة ، فوجدت في نفسي تأخّرا وتقصيرا ، فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء وأدخل الحمام ولا أعني على نفسي ، فقلت : واعجباه ! أنا أعامل الله في طول عمري ، فيجب له عليّ حقّ فلا أجدّ في المسارعة ، وأجد الوقوف والتأخير ، آليت ألا أغتسل إلا في مرقعتي هذه ، وآليت ألا أنزعها ، ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس « 3 » .
قال الجنيد بن محمد قدّس الله روحه : حكى لي أبو موسى بن عيسى بن آدم البسطامي ابن أخي أبي يزيد طيفور بن عيسى : أن بدء أبي يزيد وتوبته من رحم أمه وصلب أبيه أنه كان صبيّا أقل من عشر سنين ؛ إذ نبهه الله لأمره ، وألهمه حكمة العمل فائدة من عنده من غير تعليم ،
فقال يوما لوالدته : يا والدتي ، أقسم عليك هل تناولت شيئا من الحرام بسببي أيام كنت ترضعيني ؛ فإني لا آمن أن يكون قد وصل إلى قلبي شيء من ذلك ، وأنا لا أعلم ، فيحجبني ذلك عن ربّي ؟
فقالت له أمه : لا أذكر إلا أني دخلت يوما إلى بعض جيراننا وأنت في حجري ، فأخذت قارورة دهنهم ، فدهنت رأسك ، ولم أعلمهم ، ويوما آخر كحلتك بكحلهم ولم أستأذنهم ، فقال أبو يزيد : إن الله تعالى يحاسب عباده على مثقال ذرة ، ثم قال : ألا ترين إلى قوله تعالى :فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ[الزلزلة : 7 ، 8] ، وهذا أعظم من

....

(1) قال سيدي عبد الوهاب الشعراني : وذلك لأن هذا المريد كان ممن اعتنى الحق به ، وإلا فكم يقع غيره في كبائر وصغائر ولا يظهر عليه شيء من ذلك ، فلا يزال من هذا شأنه يزيد باطنه ظلمة حتى يستوجب النار ، وقد سئل بعضهم عن تحقيق سواد جسد آدم ما سببه ؟ فقال : كان ذلك دليلا على أنه حصل له السواده بأكله من الشجرة . وانظر : العهود المحمدية (ص 84) .
(2) انظر : العهود المحمدية للشيخ الشعراني (ص 216) .
(3) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 406) .

ذرة ، فأخشى أن يقطعني عن ربّي ، ثم قام ، وسأل عن القوم ، وطلب ورثتهم ، فاستحلّ منهم لنفسه ولأمه « 1 » .
قال قاسم الفارسي : بات الجنيد ليلة العيد في موضع غير الموضع الذي كان يعتاده في البرية ، فلما أن صار وقت السحر إذا بشابّ ملتفّ في عباءة ، وهو يبكي ، ويقول « 2 » :
بحرمة غربتي كم ذا الصدود * ألا تعطف عليّ ؟ ألا تجود ؟
سرور العيد قد عمّ النواحي * وحزني في ازدياد لا يبيد
فإن كنت اقترفت خلال سوء * فعذري في الهوى ألا أعود

قال الجنيد قدّس الله سرّه : لقد فاز قوم دلّهم وليّهم على مختصر الطريق ، فأوقفهم على محجة المناجاة ، ولوّح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب ؛ إذ يقول الله عز وجلّ :وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ[آل عمران : 133] ، فنهضت العقول مستجيبة بحسن التوجه لإقامة ما به يحظون عنده « 3 » .
في قوله تعالى :فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ[الذاريات : 50]
قال الجنيد : الشيطان داع إلى الباطل ؛ ففروا إلى الله يمنعكم منه « 4 » .

وقد جاء شخص إلى الجنيد رضي الله عنه ، فقال : يا سيدي ، أنا صرت آتي المعاصي ، وأنا مشاهد لله عز وجلّ من كونه خالقا لتلك المعصية .
فقال له الجنيد : هذا تلبيس من الشيطان ، ولو حققت النظر لوجدت نفسك حال المعصية لا يصحّ لها مشاهدة الحق تعالى مطلقا ، ثم لو قدّر أنك شاهدته تعالى لشهدته ساخطا عليك غير راض عنك « 5 » .
قول الجنيد في معنى قوله صلى الله عليه وسلّم : « إنّه ليغان على قلبي فأستغفر ربّي في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة « 6 » » .
....
(1) انظر : روضة الحبور (ص 58) بتحقيقنا .
(2) انظر : طبقات الأولياء (ص 133) ، وطبقات السبكي (2 / 271) ، والمستطرف (ص 218) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 412) .
(4) انظر : روح المعاني (17 / 54) .
(5) انظر : العهود المحمدية (ص 223) .
(6) رواه مسلم (4 / 2050) ، وأبو داود (1 / 8) ، وأحمد في المسند (4 / 211) ، وانظر : العهود المحمدية (ص 223) ، وعقب بقوله : إن المراد به أنه اطلع على ما تقع فيه أمته من المعاصي بعده ، فكان يستغفر الله تعالى لهم لا له لأنه صلى الله عليه وسلّم لا ذنب عليه .

باب الخلوة والعزلة

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الخلوة ؟ فقال : إن السلامة مصاحبة لمن طلب السلامة ، فترك المخالفة ، وترك التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقته « 1 » .

قال الجنيد : مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة « 2 » .

وقال الجنيد : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس ؛ فإن هذا زمان وحشة ، والعقل من اختار فيه الوحدة « 3 » .

قيل له متى تصلح الوحدة ؟ قال : إذا اعتزلت عن نفسك ، ودخلت في حبسك ، وأخذت في درسك ما جنيت في أمسك « 4 » .

قيل له : متى تطيب الخلوة ؟ قال : إذا كان لك جليس ، وكان الجليس في الجلوس أنيسا « 5 » .

ويحكى عن إمام الطائفة أنه رآه بعض أصحابه مهموما متفكّرا ، فقال له : ما الذي أحزنك يا أبا القاسم ؟ فقال : فقدت أنيسي في الخلوة ، وفقدت الإخوان الذين كنت آنس بهم دون هذا ما يهدّ البدن ويشغل القلب « 6 » .

باب التقوى

كان الجنيد جالسا مع رويم والجريري وابن عطاء قدّس الله أسرارهم ، فقال لهم الجنيد قدّس سرّه : ما نجا من نجا إلا بصدق اللجاء والالتجاء ،

قال الله تعالى :وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[التوبة : 118] .

....

(1) انظر : اللمع للطوسي (ص 277) .

(2) انظر : طبقات الشعراني (1 / 85) ، والرسالة (1 / 274) .

(3) انظر : الرسالة (1 / 275) ، وطبقات الشعراني (1 / 85) .

(4) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .

(5) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .

(6) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزي للتادلي .

وقال رويم قدّس الله سرّه : ما نجا إلا بصدق التقى ، قال تعالى :وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ[الزمر : 61] .
وقال الجريري : ما نجا إلا بمراعاة الوفاء ، قال الله تعالى :الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ[الرعد : 20] .
وقال ابن عطاء : ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من الله ، قال الله تعالى :أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ[البلد : 7] « 1 » .
قال أبو العباس الفرغاني : سمعت الجنيد يقول : سمعت السريّ يقول : سمعت معروفا الكرخي يقول : غضّوا أبصاركم ولو عن شاة أنثى « 2 » .

باب الورع

قال الجنيد : الورع في الكلام أشدّ منه في الاكتساب « 3 » .
قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة : حذيفة المرتعش ، ويوسف بن أسباط ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخوّاص ، فنظروا في الورع ، فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل « 4 » .
وقد كان الإمام أبو القاسم الجنيد يقول : قد طوي بساط الورع من سنين عديدة ، وإنما يتكلم الناس الآن في بعض حواشيه ورسومه ؛ تشبّها بأهل الورع من السلف « 5 » .
وقد وقع أن شخصا دعا الجنيد قدّس الله سرّه وجماعته إلى طعامه ، فتوقّف بعض الفقراء عن الأكل ، فقال له صاحب ذلك الطعام : كل ، وقلبك طيب ؛ فإن كل لقمة يأكلها الفقير عندي أحبّ إليّ من ألف دينار . فقال الجنيد : ارفعوا أيديكم من هذا الطعام ، فإن صاحبنا دنيء الهمة ، وكيف يعادل بين إطعامه الفقير لقمة لله وبين عرض من الدنيا « 6 » ؟ !

....
(1) انظر : الرسالة القشيرية في باب التقوى (1 / 283) .
(2) انظر : ذم الهوى لابن الجوزي (ص 84) .
(3) انظر : الحلية (10 / 269) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 284) .
(5) انظر : الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للشعراني (ص 45) بتحقيقنا .
(6) قال الشيخ الشعراني : وهذا أدب يخفى على كثير من الفقراء ، وربما ازداد أحدهم رغبة في الأكل إذا سمعه يقول : إن لقمة الفقير أحب إليّ من ألف دينار .

قال الجنيد : مات أبو الحارث المحاسبي يوم مات ، وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة ، وخلف أبوه مالا كثيرا ، وما أخذ منه حبّة واحدة ، وقال : أهل ملتين لا يتوراثان « 1 » .
كان الجنيد قدّس الله سرّه يقول : بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر كله « 2 » .
قال الجنيد بن محمد : سمعت السريّ بن المغلس وقد ذكر الناس قال : لا تعمل لهم شيئا ، ولا تترك لهم شيئا ، ولا تعط لهم شيئا ، ولا تكشف لهم شيئا . قال الجنيد : يريد بهذا القول أن تكون أعمالك كلها لله وحده .
قال : وسمعته يقول : إذا أحسست بإنسان يريد أن يدخل عليّ ، فقلت : كذا بلحيتي ، وأمرّ يده على لحيته كأنه يريد أن يسوّيها من أجل دخول الداخل عليه ، فخفت أن يعذّبني الله على ذلك بالنار « 3 » .
قال الجنيد : دخلت على سريّ يوما ، فقال لي : أعجبك من عصفور يجيء ، فيسقط على هذا الرواق قد أعددت له لقيمة فأفتّها في كفي ، فيسقط على أطراف أناملي ، فيأكل ، فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ، ففتت الخبز في يدي ، فلم يسقط على يدي كما كان ، ففكرت في سري لعله في وحشة منّي ، فوجدتني قد اختلطا ملحا مطيبا ، فقلت في سرّي : أنا تائب من الملح المطيب ، فسقط على يدي ، فأكل ، وانصرف « 4 » .

....

- فاعلموا ذلك أيها الإخوان ، واحذروا من أكل طعام من يعادل بين قبولكم هديته أو الأكل من طعامه ، وبين عرض من الدنيا ، ولو كثر ، والحمد لله ربّ العالمين .
وانظر : الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للشعراني (ص 112) بتحقيقنا .
(1) انظر : طبقات السبكي (2 / 277) .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 244) .
(3) رواه البيهقي في الشعب (5 / 368) ، .
(4) رواه البيهقي في الشعب (5 / 48) ، (5735) وسنده : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ : أنا جعفر الخواص حدثني . . .

قال الخلدي : سمعت الجنيد يقول : الأولاد عقوبة شهوة الحلال ، فما ظنّكم بعقوبة شهوة الحرام « 1 » .

باب الزهد وقصر الأمل في الدنيا

سئل عن الزهد ؟

فقال : الزهد خلوّ القلب عمّا خلت منه اليد ، واستصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب « 2 » .

سئل الجنيد عن الزهد ؟ فقال : خلوّ اليد من الأملاك ، والقلب من الطمع « 3 » .

قال الجنيد : الزهد خلوّ القلب عمّا خلت منه اليد « 4 » .

سئل الجنيد عن الزهد ؟

فقال : للزهد معنيان : ظاهر ، وباطن ، فالظاهر بغض ما في الأيدي من الأملاك ، وترك طلب المفقود ، والباطن زوال الرغبة عن القلب ، ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك ، فإذا تحقق بذلك رزقه الله تعالى الإشراف على الآخرة والنظر إليها بقلبه ، فحينئذ يجد في العمل بتقصير الأمل ، وتقريب الأجل ؛ لأن الأسباب عن قلبه منقطعة ، والقلب منفرد بالآخرة ، وحقيقة الزهد قد خلصت إلى قلبه ، فامتلأ من الذكر الخالص لربّه سبحانه وتعالى ؛ فالزهد عن حقيقة الإيمان والمشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد واستواء الأشياء ، فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة ؛ لاستواء القلب ، ومعه يستوي المدح الذم ؛ لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق ، فعندها خلص الإخلاص إلى قلبه لصفاء الزهد ، وثبت الزهد لسقوط النفس « 5 » .

قال الجنيد : قال لي سريّ السقطي : اجتهد ألا تستعمل من آنية بيتك إلا جنسك « 6 » .

....

(1) رواه البيهقي في الشعب (5 / 48) ، (5735) وسنده : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا جعفر الخواص حدثني . . .

(2) انظر : الرسالة (1 / 295) ، والكواكب (1 / 582) ، ومدارج السالكين (2 / 11) .

(3) رواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (362) .

(4) انظر : الرسالة (1 / 294) .

(5) انظر : القوت (1 / 548) .

(6) انظر : طبقات الصوفية (ص 159) ، وقال أبو طالب المكي في القوت (1 / 346) : يعنى من الطين ، ويقال لا حساب عليه .

قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : مارست كل شيء من أمر الزهد ، فنلت منه ما أريد إلا الزهد من الناس ؛ فإني لم أبلغه ، ولم أطقه « 1 » .
قال الجنيد : إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك إلا خزفا فافعل « 2 » .
حكى لنا الجنيد فقال : اجتمع أربعة من الأبدال في جامع المنصور ليلة العيد ، فلما أسحروا قال أحدهم : أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد في بيت المقدس ، وقال الآخر : أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس ، وقال الثالث : أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بمكة ، وسكت الرابع ، وكان أعرفهم ، فقيل له : أنت أي شيء نويت ؟ فقال : أما أنا فقد نويت اليوم ترك الشهوات ، لا أصلي إلا في هذا المسجد الذي بتّ فيه . فقالوا : أنت أعلمنا ، فقعدوا عنده « 3 » .
اختلف أهل العلم بين عبدين :
الأول ترك الذنب ونفسه تنازعه إليه وهو يجاهدها ،
والثاني ترك الذنب ولم تكن نفسه تطالبه ولا تنازعه ، ولم يكن في قلبه منه ثقل ولا مجاهدة ، أيّ هذين أفضل ؟
قال بعض العلماء : الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير إكراه ولا اعتراض أفضل ؛ لأن مقام هذا في سخاوة النفس والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة ، ومن بذل ماله على ذلك ، ولأن الأول وإن غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها في كرة ثانية أو ثالثة إذ ليس السخاء من مقامها ؛ لأنها كانت محمولة عليه ، وإلى هذا ذهب الجنيد قدّس الله سرّه « 4 » .
قال الجنيد : ما رأيت أحدا عظّم الدنيا فقرّت عينه فيها أبدا ، إنما تقرّ فيها عين من حقّرها ، وأعرض عنها « 5 » .
قال الجنيد : لا يصفو قلب لعمل الآخرة إلا إن تجرّد عن حبّ الدنيا « 6 » .

....

(1) انظر : الرسالة (1 / 298) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 106) .
(3) انظر : القوت (1 / 547) .
(4) انظر : القوت (1 / 372) .
(5) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) ، والكواكب الدرية (1 / 580) .
(6) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 85) ، والكواكب الدرية (1 / 576) .

يقول الجنيد : ليس بشنيع عليّ ما يرد عليّ من العالم ؛ لأني قد أصلت أصلا ، وهو أن الدار دار غمّ وهمّ وبلاء وفتنة ، وأن العالم كله شرّ ، ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره ، فإن تلقاني بما أحب فهو فضل ، وإلا فالأصل الأول « 1 » .
رأى الجنيد رويما وقد تولّى القضاء ، فقال : من أراد أن ينظر إلى من خبّأ في سرّه حبّ الدنيا عشرين سنة فلينظر إلى هذا « 2 » .
قال الجنيد : نجاح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها « 3 » .
قال الجنيد : سمعت السريّ السقطيّ يقول : إن الله سبحانه سلب الدنيا عن أوليائه ، وحماها عن أصفيائه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده ؛ لأنه لم يرضها لهم « 4 » .
سئل الجنيد عن الدنيا ما هي ؟ قال : ما دنا من القلب ، وشغل عن الله « 5 » .
قال الجنيد : من شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة « 6 » .
قال الجنيد : لا تقوم بما عليك حتى تترك جميع مالك ، وليس شيء أعزّ من الدنيا « 7 » .
سئل الجنيد عمّن لم يبق عليه من الدنيا مقدار مصّ نواة ؟ فقال : المكاتب ، عبد ما بقي عليه درهم « 8 » .
قال الجنيد : احفظوا ساعاتكم ؛ فإنها زائلة غير راجعة ، والحسرة على الغفلة من فوتها واقعة ، وصلّوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ، ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا ، فإن قليلها يشغل عن كثير الآخرة « 9 » .

....

(1) انظر : الحلية (10 / 270) .
(2) انظر : الحلية (10 / 286) .
(3) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 160) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 293) .
(5) انظر : الحلية (10 / 274) .
(6) انظر : الكواكب الدرية (1 / 578) .
(7) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 580) .
(8) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 462) .
(9) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 577) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .

قوله تعالى :وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ[يوسف : 20]
قال الجنيد قدّس سرّه : كل ما وقع تحت العدّ والإحصاء فهو بخس ولو كان جميع ما في الكونين ، فلا يكن حظّك البخس من ربّك ، فتميل إليه وترضى به دون ربّك جلّ جلاله « 1 » .
ذكر الجنيد أن سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل : لم قلت للنمل :ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ[النمل : 18] أخفت عليهم من ظلمنا ؟ قال : لا ، ولكن خفت أن يفتتنوا بما رأوا من ملكك ، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله « 2 » .
في قوله تعالى :أُسارى تُفادُوهُمْ[البقرة : 85] قال الجنيد : أسارى في أسباب الدنيا ، تفدوهم إلى قطع العلائق « 3 » .
حاطك الله بحياطته التي يحوط بها المستخلصين من أحبابه ، وثبّتك وإيّانا على سبل مرضاته ، وأولج بك قباب أنسه ، وأرقاك في رياض فنون كرامته ، وكلأك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمه ، ثم أدام لك الحياة المستخلصة من قيومية الحياة على دوام ديمومية أبديته ، وأفردك عمّا لك به ، وعمّا له بك ؛ حتى تكون فردا به في دوامها لا أنت ، ولا مالك ، ولا العلم به ، ويكون الله وحده « 4 » .

باب الصمت

قال الجنيد قدّس الله سرّه : رأيت مع أبي حفص النيسابوري قدّس الله سرّه إنسانا كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا ؟ فقيل لي : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، ويخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ، ما يسوّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة « 5 » .

باب الإذن بالكلام

قال الجنيد قدّس الله سرّه : الصواب كلّ نطق عن إذن « 6 » .

....
(1) انظر : روح المعاني (13 / 76) .
(2) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (3 / 228) .
(3) انظر : تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص 304) .
(4) انظر : اللمع (ص 314) .
(5) انظر : العوارف (ص 240) ، واللمع (ص 235) ، والرسالة (2 / 578) .
(6) انظر : اللمع للطوسي (ص 303) .

قال الجنيد : ما تكلّمت على الناس حتى أشار إليّ وعلىّ ثلاثون من البدلاء : إنك تصلح أن تدعو إلى الله عز وجلّ « 1 » .
قال الجنيد : قلت لابن الكرنبي قدّس الله سرّه : الرجل يتكلّم في العلم الذي لا يبلغ استعماله علمه ، فأحبّ إليك إذا كان هذا وصفه أن يسكت ، أو يتكلم ، فأطرق ، ثم رفع رأسه ، فقال : إن كنت هو فتكلّم « 2 » .
قال الجنيد : قال لي خالي سريّ السّقطيّ : تكلّم على الناس . وكان في قلبي حشمة من ذلك ؛ فإني كنت أتّهم نفسي في استحقاقي ذلك ، فرأيت ليلة في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكان ليلة جمعة ، فقال لي : « تكلّم على الناس » ، فانتبهت ، وأتيت باب السريّ قبل أن أصبح ، فدققت الباب ، فقال : لم تصدّقنا حتى قيل لك ، فقعدت في غد للناس بالجامع .
وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس ، فوقف عليّ غلام نصرانيّ متنكر ، وقال : أيها الشيخ ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « اتّقوا فراسة المؤمن ؛ فإنّه ينظر بنور الله » ، فقلت له : أسلم ؛ فقد حان وقت إسلامك . فأسلم الغلام « 3 » .
قال الجنيد : لولا أنه يروى أنّه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلّمت عليكم « 4 » .

باب الكلام

قال الجنيد : القرآن كلام الله ، وهو صعب الإدراك ، والرباعيات كلام المحبين المخلوقين « 5 » .
قال الجنيد : كلام الأنبياء نبأ عن حضور ، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات « 6 » .

....
(1) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 173) .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 241) .
(3) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (12 / 114) ، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص 128) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (1 / 373) ، والوافي بالوفيات للصفدي (ص 1556) ، وروض الرياحين لليافعي (ص 113) ، وروضة الحبور لابن الأطعاني (ص 110) ، وتاريخ بغداد (7 / 242) ، وشذرات الذهب لابن العماد (2 / 228) .
(4) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 263) .
(5) انظر : الكواكب الدرية (1 / 574) .
(6) انظر : طبقات الصوفية (ص 162) ، والحلية (10 / 278) ، وروضة الحبور (ص 122) .

قال الجنيد : أقلّ ما في الكلام سقوط هيبة الربّ جلّ جلاله من القلب ، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان « 1 » .
قال الجنيد : سألت الله عز وجلّ ألا يعذّبني بكلامي ، وربما وقع في نفسي : أن زعيم القوم أرذلهم « 2 » .
نقل عن الجنيد أنه قال : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة ، والناس يظنون أني أكلمهم « 3 » .
قال أبو عمرو الأنماطي : كنّا عند الجنيد ، إذ مرّ به النوري ، فسلّم ، فقال له لجنيد : وعليك السلام يا أمير القلوب ، تكلم ! فقال النوري : يا أبا القاسم غششتهم فأجلسوك على المنابر ، ونصحتهم فرموني في المزابل . فقال الجنيد : ما رأيت قلبي أحزن منه في ذلك الوقت ، ثم خرج علينا في الجمعة الأخرى فقال : إذا رأيتم الصوفي يتكلم على الناس فاعلموا أنه فارغ « 4 » .

باب الخوف والرجاء

قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد ، فقيل له : ولم ذلك ؟ فقال : أخاف ألا يقبلني قبري ، فأفتضح « 5 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : ما أحبّ أن أموت حيث أعرف ؛ أخاف ألا تقبلني الأرض وأفتضح « 6 » .
سئل الجنيد عن الخوف ؟ فقال : هو توقّع العقوبة مع مجاري الأنفاس « 7 » .
وقال : الخوف إخراج الحرام من الجوف ، وترك العمل بعسى وسوف « 8 » .

....

(1) انظر : أقاويل الثقات (ص 113) ، والسير (14 / 68) ، والكواكب (1 / 575) .
(2) انظر : السير للذهبي (14 / 69) .
(3) انظر : الإحياء (2 / 227) .
(4) انظر : التعرف (ص 174) .
(5) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 67) ، والسير للذهبي (12 / 186) ، ورواه ابن جميع في معجمه (194) .
(6) انظر : بستان العارفين للنووي (ص 36) .
(7) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 310) .
(8) انظر : روضة الحبور (ص 122) بتحقيقنا ، وكذا المعزى لأبي يعزى .

يقول الجنيد : الخوف من الله يقبضني ، والرجاء منه يبسطني ، والحقيقة تجمعني ، والحق يفرقني ، إذا قبضني بالخوف أفناني عني ، وإذا بسطني بالرجاء ردّني ، وإذ جمعني بالحقيقة أحضرني ، وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني عنه ، فهو تعالى في ذلك كله محركي غير مسكني ، وموحشي غير مؤنسي ، فأنا بحضوري أذوق طعم وجودي ، فليته أفناني عنّي فمتّعني ، أو غيّبني عنّي فروّحني « 1 » .

....

(1) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 198) ، وعقب الشيخ ابن عجيبة بقوله : قوله رضي الله عنه : (الخوف يقبضني) لأن العبد في حالة الخوف يشهد ما منه إلى الله من الإساءة فينفتح له باب الحزن وفي حالة الرجاء يشهد ما من الله إليه من الإحسان فينفتح له باب الرجاء والبسط .
وقوله : (والحقيقة تجمعني) أن تغنيني عن نفسي وتجمعني به ، فلا نشهد إلا ما من الله إلى الله فلا قبض ولا بسط .
وقوله : (والحق يفرقني المراد) بالحق الحقوق اللازمة للعبودية ، فلا ينهض إليها إلا بشهود نوع من الفرق ، وإن كان نهوضه بالله .
وقوله : (إذا قبضني بالخوف أفناني عني) أي تجلى لي باسمه الجليل ذاب جسمي من هيبة المتجلي ، وإذا بسطني بالرجاء بأن تجلى لي باسمه الجميل أو الرحيم رد نفسي ووجودي علي ، وإذا جمعني إليه بشهود الحقيقة أحضرني معه بزوال وهمي ، وإذا فرقني بالحق الذي أوجبه علي للقيام بوظائف حكمته أشهدني غيري حتى يظهر الأدب مني معه ، وقد يقوي الشهود ، فلا يشهد الأدب إلا منه إليه وقوله : فغطاني عنه ، لأن العبد في حالة النزول إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ ، قد يرجع لمقام المراقبة لكنه غير لازم ، بل نزلوا في ذلك بالله ومن الله وإلى الله ، فعلى هذا لا تغطية للعبد في حالة النزول للحق أصلا .
وقوله : (فهو في كل ذلك محركي غير مسكني) يعني أن الحق تعالى حين يقبضه بالخوف أو يبسطه بالرجاء أو يجمعه بالحقيقة أو يفرقه بالحق ، هو محرك له ليسيره إليه ، ويحوشه إليه غير مسكن له في مقام واحد ، وموحشه عن عالم نفسه غير مؤنس له بها بسبب حضوره مع عوالمه البشرية ، فيذوق طعم وجودها ، فإذا غيبه عنه عرف قدر ما منّ به عليه ، ولذلك قال : (فليته أفناني عني) أي عن رؤية وجودي ، فمتعني بشهوده ، (أو غيبني عن حسي ، فروحني) من الحقوق التي تفرقني عنه ، بإسقاطها عني في حالة الغيبة ، وكأنه مال إلى طلب السلامة ، خوفا من الوقوع فيما يجب الملامة ، وإن كان الكمال هو الجمع بين العبودية وشهود الربوبية والله تعالى أعلم .

قال الجنيد : سمعت سريّا يقول : إني لأنظر إلى أنفي في كل يوم مرتين ؛ مخافة أن يكون قد اسودّ وجهي « 1 » .
قيل : كان نقش خاتم الجنيد « إن كنت تأمله فلا تأمنه » « 2 » .
قال الجنيد : يا من هو كل يوم في شأن اجعلني من بعض شأنك « 3 » .

باب الحزن والبكاء

سئل الجنيد من أي شيء يكون بكاء المحب إذا لقي المحبوب ؟ فقال : إنما يكون ذلك سرورا به ، ووجدا من شدة الشوق إليه ، ولقد بلغني أن أخوين تعانقا ، فقال أحدهما : واشوقاه ! وقال الآخر : واوجداه « 4 » !
قال أبو عمرو الأنماطي : كنا عند الجنيد ، إذ مرّ به النوري ، فسلّم ، فقال له الجنيد : وعليك السلام يا أمير القلوب ، تكلم . فقال النوري : يا أبا القاسم ، غششتهم فأجلسوك على المنابر ، ونصحتهم فرموني في المزابل .
فقال الجنيد : ما رأيت قلبي أحزن منه في ذلك الوقت ، ثم خرج علينا في الجمعة الأخرى ، فقال : إذا رأيتم الصوفي يتكلم على الناس فاعلموا أنه فارغ « 5 » .
حكي عن عتبة الغلام وكان من الرجال أنه زهى يوما من الأيام ، فقال له شيخ ذلك الزمان وهو الجنيد : تزهو يا عتبة الغلام ؟
فقال : لا أزهو يا أستاذ فقد أصبح لي ربّا ، وأصبحت له عبدا ، فقال له الشيخ : يا بنيّ ، إن الفرح مذموم ، ولو كان بالله تعالى ، وإن الله تعالى يحبّ القلب الحزين ، قال صلى الله عليه وسلّم : « إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين « 6 » » .

....

(1) انظر : بستان العارفين للنووي (ص 36) ، والسير للذهبي (12 / 186) .
(2) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (2 / 266) .
(3) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 270) .
(4) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 632) .
(5) انظر : التعرف (ص 174) .
(6) رواه الحاكم في المستدرك (4 / 351) ، والبيهقي في الشعب (1 / 515) ، وأبو نعيم في الحلية (6 / 90) ، وابن أبي الدنيا في الهم والحزن (ص 28) ، والطبراني في مسند الشاميين (2 / 351) ، والنص من كتاب الانتصار للأولياء الأخيار ، مخطوط يسر الله لنا إتمام تحقيقه .

باب الجوع وترك الشهوة

يروى عن الجنيد أنه قال : مرّ بي يوما الحارث المحاسبي ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت : يا عم ، تدخل الدار وتتناول شيئا ؟ فقال : نعم . فدخلت الدار ، وطلبت شيئا أقدّمه إليه ، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم ، فقدّمته إليه ، فأخذ لقمة ، وأدارها في فمه مرات ، ثم إنه قام ، وألقاها في الدهليز ، ومرّ ، فلما رأيته بعد ذلك بأيام ، قلت له في ذلك ، فقال : إني كنت جائعا وأردت أن أسرّك بأكلي ، وأحفظ قلبك ، ولكن بيني وبين الله سبحانه علامة ألا يسوغني طعاما فيه شبهة ، فلم يمكني ابتلاعه .

تفصل رواية طبقات الشافعية الكبرى وجه عدم التسويغ بقول المحاسبي : إنه إذا لم يكن الطعام مرضيا ارتفع إلى أنفي منه زفرة ، فلم تقبله نفسي ، فمن أين كان لك ذلك الطعام ؟

فقلت : إنه حمل إليّ من دار قريب لي من العرس ، ثم قلت : تدخل اليوم ؟ فقال : نعم . فقدّمت إليه كسرا يابسة كانت لنا ، فأكل ، وقال : إذا قدّمت إلى فقير شيئا فقدّم إليه مثل هذا « 1 » .

عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : من النذالة أن يأكل الرجل بدينه « 2 » .

وكان الجنيد قدّس الله سرّه يقول : يقوم أحدهم في صلاته ، فيجعل بينه وبين الله تعالى زنبيل طعام ، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة ، أو يسمع فهم الخطاب « 3 » .

قال الجنيد : جاءني بعض الصالحين يوم جمعة ، فقال لي : ابعث معي فقيرا ، يدخل عليّ سرورا ، ويأكل معي شيئا . فالتفت فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة ، فدعوته ، وقلت له :

امض مع هذا الشيخ ، وأدخل عليه سرورا ، فمضى ، فلم ألبث أن جاءني الرجل ، فقال لي :

يا أبا القاسم ، لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة ، وخرج ، فقلت : لعلك قلت كلمة جفاء عليه . فقال لي : لم أقل شيئا . فالتفت فإذا أنا بالفقير جالسا ، فقلت له : لم لم تتم عليه السرور ؟ فقال : يا سيدي ، خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ، ولم آكل شيئا ،

....

(1) انظر : اللمع (ص 407) ، والرسالة (1 / 73) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 276) .

(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 244) .

(3) انظر : الرسالة (1 / 219) ، وإحياء علوم الدين للغزالي (3 / 73) ، والقوت (2 / 358) وقال : ومثل البطن مثل المزهر ، وهو العود المجوف ذو الأوتار ، إنما حسن صوته لخفته ورقته ، ولأنه أجوف غير ممتلئ ، ولو كان ثقيلا جالسا ممتلئا لم يكن له صوت ، وكذلك الجوف إذا خلا من الامتلاء ، وكان أرق للقلب ، وأعذب للتلاوة ، وأدوم للقيام ، وأقل للمنام .

وكرهت أن يبدو سوء أدب منّي من جهة الفاقة في حضرتك ، فلما دعوتني سررت ؛ إذ جرى ذلك ابتداء منك ، فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان ، فلما جلست على مائدته سوّى لقمة ، وقال لي : كل ، فهذا أحب إليّ من عشرة آلاف درهم ، فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنيء الهمة ، فتطرفت أن آكل طعامه . فقال الجنيد للشيخ : ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه. فقال : يا أبا القاسم، التوبة. فسأله أن يمضي معه، ويفرحه «1».

باب الخشوع

سئل الجنيد عن الخشوع ؟ فقال : تذلل القلوب لعلام الغيوب « 2 » .

باب التواضع

سئل الجنيد عن التواضع ؟ فقال : خفض الجناح للخلق ، ولين الجانب لهم « 3 » .
قال إبراهيم بن ثابت الدعاء الزاهد ببغداد : سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول : سمعت سريّا السقطي يقول : صليت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب ، فنوديت : يا سريّ كذا تجالس الملوك . قال : فضممت رجلي وقلت : وعزتك لا مددتها أبدا .
قال الجنيد : فبقي بعد ذلك ستين سنة ما مدّ رجله ليلا ولا نهارا « 4 » .
وقد كان الإمام أبو القاسم الجنيد يقول : لا يبلغ أحد درجة المتواضعين من أكابر العارفين حتى يرى أن نفسه ليست بأهل أن تنالها رحمة الله ، وإنما رحمة الله له محض امتنان « 5 » .

الرياضة والمجاهدة

يقال : إن الجنيد رضي الله عنه كان قد جلس مع أصحابه بحكم الرياضة ، فدخل مسافر ، فتكلفوا من أجله ، وأحضروا له طعاما ، فقال : يلزمني غير هذا الشيء الفلاني . فقال له

....
(1) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 564) ، ونشر المحاسن لليافعي (ص 229) ، وروضة الحبور (ص 111) بتحقيقنا .
(2) انظر : الرسالة القشيرية (1 / 339) ، وتفسير الثعالبي (3 / 64) ، ومدارج السالكين (1 / 521) .
(3) انظر : الرسالة (1 / 343) ، والعوارف (ص 142) ، والتعرف (ص 115) ، ومدارج السالكين (2 / 329) .
(4) انظر : تاريخ بغداد (6 / 46) .
(5) انظر : العهود المحمدية (207) .

الجنيد : ينبغي لك أن تذهب إلى السوق ؛ لأنك رجل أسواق ، لا رجل مساجد وصوامع « 1 » .

وقال جعفر بن نصير : دفع إليّ الجنيد درهما ، وقال : اشتر لي به التين الوزيري . فاشتريته له ، فلما أفطر أخذ واحدة ، ووضعها في فمه ، ثم ألقاها وبكى ، وقال : احمله .

فقلت له في ذلك ، فقال : هتف في قلبي : أما تستحي شهوة تركتها من أجلي ثم تعود إليها « 2 » .

قال الجنيد : دخلت على السريّ يوما ، فقال لي : عصفور كان يجيء في كل يوم فأفتّ له الخبز ، فيأكل من يدي ، فنزل وقتا من الأوقات فلم يسقط على يدي ، فتذكرت في نفسي : ماذا يكون السبب ؟ فذكرت أني أكلت ملحا بأبزار : أي توابل ، فقلت في نفسي :

لا آكل بعدها ، وأنا تائب منه ، فسقط على يدي وأكل « 3 » .

قال الجنيد : سمعت السريّ السقطيّ يقول : إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها « 4 » .

قال الجنيد : دخلت يوما على السريّ السقطيّ وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : جاءتني البارحة الصبية ، فقالت : يا أبت ، هذه ليلة حارة ، وهذا الكوز أعلقه هاهنا ، ثم إني حملتني عيناي ، فنمت ، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء ، فقلت :

لمن أنت ؟ فقالت : لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان ، فتناولت الكوز فضربت به الأرض ، فكسرته ، فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسّه ، حتى عفا عليه التراب « 5 » .

قال جعفر الخلدي : سمعت الجنيد يقول : ما نزعت ثوبي للفراش منذ أربعين سنة « 6 » .

....

(1) انظر : كشف المحجوب للهجويري (ص 589) .

(2) انظر : الرسالة (1 / 354) ، والإحياء (3 / 94) ، وروضة الحبور (ص 111) ، والمعزى ، كلاهما بتحقيقنا .

(3) انظر : الرسالة (2 / 679) .

(4) انظر : الرسالة (1 / 352) ، والسير للذهبي (12 / 186) .

(5) انظر : التعرف (ص 184) ، والرسالة (1 / 67) ، وبغية الطلب في تاريخ حلب (8 / 4820) ، ورواه البيهقي في الشعب (5736) .

(6) انظر : تاريخ بغداد (7 / 243) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 261) .

وقال الجنيد : الظالم لنفسه هو على وجهين : أحدهما يظلم نفسه فيحرمها حظها من الدنيا ، وظالم لنفسه يحرمها حظها من الآخرة ، والظالم لنفسه الذي حرمها حظّها من الشهوات والإرادات من حظوظ النفس ، وظالم لنفسه بأن أحرمها شهوة الآخرة حتى لا تطلب الجنة والثواب لأجل نفسه ؛ فإن كلاهما من حظوظ النفس ، بل طلب ربه على غير حظّ النفس فيه ، فهذا الظالم على هذا المعنى مقدم على المقتصد والسابق ؛ فإن المقتصد والسابق طالبان حظوظهما واقعان مع أنفسهما ؛ إذ ذا واقف مع سبقه وذا واقف مع اقتصاده ، وذا ظلم نفسه ، فآتاها ومنعها حظوظها ؛ فهو فان عن حظوظه ؛ فلذلك يسبق السابقين « 1 » .

وقال الجنيد : بلغني عن بعض العلماء ببسطام أنه قال : كانت لأبي يزيد خادمة كثيرة الاجتهاد والبكاء لا تنام الليل « 2 » .

قال الجنيد : ما طلب أحد شيئا بجدّ وصدق إلا ناله ، فإن لم ينله كله نال بعضه « 3 » .

قال بعد ذكر عبادات يطول إيرادها : سمعت منصور بن عبد الله يقول : السابق : العلماء ، والمقتصد : المتعلمون ، والظالم : الجهّال .

وقال أيضا : السابق : الذي اشتغل بمعاده ، والمقتصد : الذي اشتغل بمعاده ومعاشه ، والظالم : الذي اشتغل بمعاشه عن معاده « 4 » .

قال الجنيد في قوله تعالى :وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا[العنكبوت : 69] : والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص ، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه « 5 » .

....

(1) انظر : العرائس القدسية لسيدي مصطفى البكري (ص 55) بتحقيقنا .

(2) انظر : روضة الحبور لابن الأطعاني (ص 30) بتحقيقنا .

(3) قال الخطيب معقبا : فينبغي للطالب أن يخلص في الطلب نيته ويجدد للصبر عليه عزيمته ، فإذا فعل ذلك كان جديرا أن ينال منه بغيته . وانظر : الجامع لأخلاق الراوي والسامع (2 / 179) .

(4) انظر : العرائس القدسية لسيدي مصطفى البكري (ص 55) بتحقيقنا .

(5) فائدة : قال ابن قيم : علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه -

النفس ومخالفتها

يقول الجنيد : النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك ، المعينة للأعداء ، المتبعة للهوى ، المتهمة بأصناف الأسواء « 1 » .

قال الجنيد : أرقت ليلة ، فقمت إلى وردي ، فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذذ بمناجاتي ، فتحيرت ، فأردت أن أنام ، فلم أقدر ، فقعدت ، فلم أطق القعود ، ففتحت الباب ، وخرجت ، فإذا رجل ملتفّ في عباءة ، مطروح في المقابر على الطريق ، مغطى الرأس ، فلما أحسّ بي رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم ، إليّ الساعة . فقلت : يا سيدي من غير موعد ؟ فقال : بلى ، قد سألت محرك القلوب أن يحرك إليّ قلبك . فقلت : فقد فعل ذلك ، فما حاجتك ؟ فقال : متى يصير داء النفس دواءها ؟ فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها . فأقبل على نفسه ، وقال : اسمعي ، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات ، فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ، فقد سمعت ، وانصرف عني ، ولم أعرفه ، ولم أقف عليه بعد « 2 » .

يقول الجنيد : لا تسكن إلى نفسك ، وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربّك « 3 » .

قال الجنيد : من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه ؛ لأن العبودية ملازمة الأدب ، والطغيان منافي للأدب « 4 » .

روي عن جعفر الخلدي قدّس الله سرّه أنه قال : كان الجنيد قدّس الله سرّه يوصي الرجل ، ويقول : قدّم نفسك وأخّر عزمك ، ولا تقدّم عزمك وتؤخّر نفسك ، فيكون فيها إبطاء كثير « 5 » .

....

- الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد .

وانظر : الفوائد (ص 59) .

(1) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 269) .

(2) انظر : الرسالة (1 / 350) ، والحلية (10 / 274) ، والزهد الكبير للبيهقي (2 / 152) ، والاعتقاد وذم الخلاف لأبي العلاء الحسن بن العطار (ص 65) ، وطبقات السبكي (2 / 262) ، وروضة المحبين (ص 404) ، وروضة الحبور (ص 115) .

(3) انظر : كشف المحجوب (ص 431) .

(4) انظر : عوارف المعارف (ص 166) .

(5) انظر : الرسالة (1 / 350) .

قال الجنيد رضي الله عنه : الأحوال كالبروق ، فإن بقيت فحديث نفس « 1 » .
يقول الجنيد رضي الله عنه : أساس الكفر قيامك على مراد نفسك « 2 » .
كتب يوسف بن الحسين إلى الجنيد : لا أذاقك الله طعم نفسك ؛ فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا أبدا « 3 » .
قال الجنيد : الأقوات ثلاثة : فقوت بالطعام وهو مولد للأعراض ، وقوت بالذكر فهذا يشممهم الصفات ، وقوت برؤية المذكور وهو الذي يفني ويبيد ، ثم أنشد يقول « 4 » :

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها * فلم تلبث النفس التي أنت قوتها

يحكى أن عبد الله بن الجلاء قال : رأيت ذات يوم نصرانيّا حسن الوجه ، فتحيّرت في جماله ، وتوقفت قبله ، فمرّ عليّ الجنيد قدّس الله سرّه ، فقلت : يا أستاذ ، ليحرق الله تعالى مثل هذا الوجه بنار الجحيم ؟ فقال رضي الله عنه : يا بني ، هذه سويقة النفس التي تحملك على هذا ، لا نظرة العبرة ؛ لأنك إذا نظرت بالعبرة في كل ذرة من الموجودات ، فهذه الأعجوبة موجودة « 5 » .
يقول الجنيد : كان يعارضني في بعض أوقات أن أجعل نفسي كيوسف وأكون أنا كيعقوب ، فأحزن على نفسي لما فقدت منها ، كما حزن يعقوب على فقده ليوسف ، فمكثت أعمل مدة فيما أجده على حسب ذلك « 6 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : النفس التي قد أعزّها الحق بحقيقة الغنى تزول عنها موافقات الفاقات « 7 » .

....

(1) فرّق الإمام الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان ، بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت ، فلا تزال تعاودك ، ولو بعد حين ، تصل إلى مرادها ، ويحصل مقصودها ، اللّهمّ إلا أن يدوم صدق المجاهدة ، ثم إنها تعاودك ، وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة ، فخالفته بترك ذلك ، يوسوس له في تخصيص واحد دون واحد بزلة أخرى ، لأن جميع المخالفات له سواء ، وإنما يريد أن يكون داعيا أبدا إلى زلة ما ، ولا غرض . وانظر : الرسالة القشيرية (1 / 243) .
(2) انظر : كشف المحجوب (ص 410) .
(3) انظر : الرسالة (1 / 126) .
(4) انظر : الحلية (10 / 275) .
(5) انظر : كشف المحجوب (ص 347) .
(6) انظر : الحلية (10 / 273) .
(7) انظر : اللمع (ص 292) .

وقف الشبليّ على الجنيد ، فقال : ما تقول يا أبا القاسم فيمن وجوده حقيقة لا علما ؟ فقال : يا أبا بكر ، بينك وبين أكابر الناس سبعون قدما أدناها أن تنسى نفسك « 1 » .

باب الغيبة

قال الجنيد : كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها ، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة ، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس ، فقلت في نفسي : لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به ، فلما انصرفت إلى منزلي ، وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك ، فثقل عليّ جميع أورادي ، فسهرت وأنا قاعد ، فغلبتني عيناي ، فرأيت ذلك الفقير ، جاءوا به على خوان ممدود ، وقالوا لي : كل لحمه ؛ فقد اغتبته ، وكشف لي عن الحال ، فقلت : ما اغتبته ، إنما قلت في نفسي شيئا . فقيل لي : ما أنت ممن يرضى منك بمثله ، اذهب ، فاستحله ، فأصبحت ، ولم أزل أتردد ، حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تزايد الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل ، فسلّمت عليه ، فقال : يا أبا القاسم ، تعود ؟ فقلت : لا . فقال : غفر الله لنا ولك « 2 » .

قال الشبليّ يوما على المنبر : كلمة حق . فقال الجنيد ، وكان حاضرا : فالغيبة حرام « 3 » .

باب القناعة

قيل للجنيد : ما القناعة ؟ قال : ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك « 4 » .

باب التوكل

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن التوكّل ؟ فقال : اعتماد القلب على الله تعالى « 5 » .

قال الجنيد : حقيقة التوكل أن يكون المتوكل لله تعالى كما لم يكن ، فيكون الله كما لم يزل « 6 » .

....

(1) انظر : الحلية (10 / 270) .

(2) انظر : الرسالة (1 / 360) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 263) .

(3) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 145) .

(4) انظر : الحلية (10 / 263) .

(5) انظر : اللمع (ص 79) .

(6) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 101) ، والعوارف (ص 291) .

سأل رجل الجنيد قدّس الله سرّه عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلّم : « لو توكلتم على الله حقّ توكّله لغذّاكم كما يغذو الطير ؛ تغدو خماصا وتروح بطانا « 1 » » وهو ذا ترى أن الطير يطير في طلب الرزق من موضع إلى موضع ، ويتحرك ، ويطلب ، وينبعث .

فقال الجنيد : قدّس الله سرّه قال الله تعالى :إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها[الكهف : 7] ، وإنما طيران الطير وحركته من موضع إلى موضع ونقلته من مكان إلى مكان من أجل الزينة التي ذكر الله تعالى ، فقد جعل الله تعالى طيرانهم للزينة ، التي ذكر الله تعالى ، لا لطلب الرزق « 2 » .

وقال عبد الوهاب : كنت جالسا عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين ، فجاء إنسان بخمسمائة دينار ، ووضعها بين يديه ، وقال : فرّقها على هؤلاء . فقال : ألك غير هذا المال ؟ فقال : نعم ، دنانير كثيرة . فقال الجنيد : خذها ؛ فإنك إليها أحوج منا ، ولم يقبلها ، ودخل جماعة عليه ، فقالوا : نطلب الرزق . فقال : إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه . قالوا : فنسأل الله . قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكّروه . فقالوا : ندخل البيت ونتوكّل. فقال : التجربة شكّ. قالوا: فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة "3 ".

كان أبو جعفر الحداد شيخ الجنيد أحد المتوكلين ، وقال : أخفيت التوكل عشرين سنة ، ولا فارقت السوق ، أكتسب في كل يوم دينارا وعشرة دراهم ، لا أبيت منه دانقان ، ولا أستريح فيه إلى قيراط أدخل به الحمام ، بل أخرجه كله قبل الليل ، وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرة أبي جعفر ، يقول : أستحي من الله أن أتكلم في مقامه ، وهو حاضر « 4 » .

قال الجنيد : كان التوكل حقيقة واليوم هو علم « 5 » .

وكان الجنيد يقول : أحب للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوّج « 6 » .

....

(1) رواه الترمذي (4 / 573) ، وابن ماجة (2 / 1394) ، وأحمد (1 / 30) ، والطيالسي (1 / 11) ، وأبو يعلى (1 / 212) ، والبزار (1 / 476) ، وعبد بن حميد (1 / 32) .

(2) انظر : اللمع (ص 162) .

(3) انظر : الرسالة (1 / 376) ، والإحياء (4 / 274) ، والحبور (ص 116) ، والكواكب (1 / 582) ، والمنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح (ص 254) بتحقيقنا .

(4) انظر : الإحياء (4 / 268) ، والقوت (2 / 32) .

(5) انظر : الحلية (10 / 267) .

(6) انظر : القوت (1 / 542) .

قال الجنيد : دققت على أبي يعقوب الزّيات بابه في جماعة من أصحابنا ، فقال : ما كان لكم شغل في الله عز وجلّ يشغلكم عن المجيء إليّ ؟ فقلت له : إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه ، فسألته عن مسألة في التوكل ، فأخرج درهما كان عنده ، ثم أجابني ، فأعطى التوكل حقه ، ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندي شيء « 1 » .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الكسب ؟ فقال : يستقي الماء ، ويلتقط النوى « 2 » .

لما قدم صوفية أهل البصرة على أبي القاسم الجنيد بعد وفاة سهل قدّس الله سرّه قال لهم : كيف تعملون في الصوم ؟ فقالوا : نصوم بالنهار ، فإذا أمسينا قمنا إلى قفافنا . فقال : آه ، آه ، لو كنتم تصومون بلا قفاف كان أتمن لحاكم : أي لا تسكنون إلى معلوم . فقالوا : لا نقوى على هذا « 3 » .

قال الجنيد : دخلت البادية بعقد التوكل في وسط السنة ، فمضت عليّ أيام ، فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة ، فتوضأت وملأت ركوتي ، وقمت أركع ، فإذا بشابّ قد أقبل بزي التجار ، كأنه قد غدا من بيته إلى سوقه ، أو يرجع من سوقه إلى بيته ، فسلّم عليّ ، فقلت :

الشاب من أين ؟ فقال : من بغداد . فقلت : متى خرجت من بغداد ؟ قال : أمس . فتعجبت منه ، وكنت قد مضت عليّ أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع ، فجلس يكلّمني وأكلّمه ، فأخرج شيئا من كمه يأكله ، فقلت له : أطعمني مما تأكل . فوضع في يدي حنظلة ، فأكلته ، فوجدت طعمه كالرطب ، ومضى ، وتركني ، فلما دخلت مكة بدأت بالطواف ، فجذب ثوبي من ورائي ، فالتفت ، فإذا أنا بشابّ كالشنّ البالي عليه قطعة عباء ، وعلى عاتقه بعضه ، فقلت له : زدني في المعرفة . فقال : أنا الشاب الذي أطعمتك الحنظل . فقلت له : ما شانك ؟

فقال : يا أبا القاسم ، ذرأونا حتى إذا أوقعونا ، قالوا استمسك « 4 » .

....

(1) انظر : تلبيس إبليس (ص 277) .

(2) انظر : اللمع (ص 259) . وسبيل المكاسب عند الجنيد ، على ما سبق من الشرط : سبيل الأعمال المقربة إلى الله عز وجلّ . وانظر : التعرف (ص 103) .

(3) ويعقب المكي بقوله : ولعمري إن طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى ، وهو طريق المتوكلين من الأقوياء ، وطريقة البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس ، وأقطع للتشرف والتطلع ، وهو طريق المريدين والعاملين .

وانظر : القوت (2 / 343) .

(4) انظر : الحلية (10 / 275) .

قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة . فقلت له : ما هو ؟ فقال : لا تسأل من أحد شيئا ، ولا تأخذ من أحد شيئا ، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدا « 1 » .

سئل الجنيد عن قوله تعالى :سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى[الأعلى : 6] ؟ فقال : سنقرؤك التلاوة ، فلا تنسى العمل « 2 » .

وسئل عن قوله تعالى :وَدَرَسُوا ما فِيهِ[الأعراف : 169] ؟ فقال : تركوا العمل بما فيه ، فقال المغربي : حرجت من الحرج أمة أنت بين ظهرانيها لا تفوّض أمرها إليك « 3 » .

قال الجنيد : من ظن أنه يصل ببذل المجهود فمتعنّ ، ومن ظنّ أنه يصل بغير بذل المجهود فمتمنّ ، ومتعلّمٌ يتعلم الحقيقة يوصله الله إلى الهداية ، قال صلى الله عليه وسلّم : « كلّ ميسّر لما خلق له « 4 » » .

باب الشكر

قال الجنيد : كنت بين يدي سريّ السقطيّ ألعب وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر ، فقال لي : يا غلام ، ما الشكر ؟ قلت : ألا تعصي الله بنعمه . فقال لي :

أخشى أن يكون حظك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السريّ لي « 5 » .

وقال السريّ للجنيد : يا أبا القاسم ، ما الشكر ؟ فقال : ألا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه . فقال سريّ : من أين لك هذا ؟ قال الجنيد : من مجالستك « 6 » .

قال الجنيد : فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان « 7 » .

....

(1) انظر : الرسالة (1 / 66) ، واللمع (ص 262) .

(2) انظر : الحلية (10 / 270) ، وتاريخ الخطيب (7 / 245) .

(3) انظر : الحلية (10 / 270) ، وتاريخ الخطيب (7 / 245) .

(4) انظر : الحلية (10 / 267) ، والحديث رواه البخاري (4 / 1891) ، ومسلم (4 / 2040) .

(5) انظر : الرسالة (1 / 386) ، واللمع (ص 240) ، والحلية (10 / 268) ، وعدة الصابرين لابن قيم (ص 123) ، ومدارج السالكين (2 / 245) ، وتفسير القرطبي (1 / 398) ، وطبقات الأولياء (ص 127) ، والسير للذهبي (14 / 68) .

(6) انظر : الحلية (10 / 268) ، والرسالة (1 / 387) .

(7) انظر : العوارف للسهروردي (ص 290) .

وقال الجنيد : الشكر ألا ترى نفسك أهلا للنعمة « 1 » .
يقول الجنيد : الشكر فيه علة ؛ لأن الشاكر طالب لنفسه به المزيد ، فهو واقف مع الله تعالى على حظّ نفسه بالشكر « 2 » .
قال الجنيد : ما دام الشاكر يطلب من الله المزيد بشكره فهو غريق في حظّ نفسه ، إنما الشكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل أن تناله الرحمة ؛ لشهوده كثرة معاصيه « 3 » .
قال الجنيد : إنه وقف على سائل ، فسأله ، فقال : حرّكني فعل لي . فقال الجنيد : لا ، ولكن فعل الله فيك يقتضي منك شكر ما جعله فيك « 4 » .
قال الجنيد بن محمد : قال السريّ يوما : ما الشكر ؟ وكان إذا أراد أن يفيد الإنسان جعله سؤالا . فقلت له : أما الشكر عندي ألا يستعان على المعاصي بشيء من نعمه . فاستحسن ذلك ، وقال لي : أعد الكلام عليّ ، ثم قال : وأيّنا لا يستعين بنعمه على معاصيه ، ومكث حينا من الدهر يقول لي : كيف قلت لي في الشكر ؟ فأعيد الكلام عليه ، قال الجنيد : وهذا هو فرض الشكر ألا يعصى في نعمه « 5 » .
اعتلّ الجنيد قدّس الله سرّه علة شديدة ، فكان يقول : ليس إلا ما قال ذو النون قدّس الله سرّه : يا من يشكر على ما يهب ، هب لنا ما نشكر « 6 » .
وقال الجنيد : حقيقة الشكر العجز عن الشكر « 7 » .

....

(1) انظر : الرسالة (1 / 385) ، والإحياء للغزالي (4 / 85) ، والإيقاظ (ص 191) وقال ابن عجيبة :
قلت : القيام بها هو الاعتراف بها للمنعم وحده .
(2) انظر : الرسالة (1 / 385) ، ومدارج السالكين (2 / 244) .
(3) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 575) .
(4) انظر : الحلية (1 / 575) .
(5) رواه البيهقي في الشعب (4 / 130) ، وأسنده للجنيد : أخبرنا أبو عبيد الله الحافظ أخبرني جعفر بن محمد الخواص حدثني الجنيد . .
(6) انظر : اللمع للطوسي (ص 272) .
(7) انظر : تفسير القرطبي (1 / 398) .

قال الجنيد : إنّ الله تعالى يعامل عباده في الآخر على حسب ما عاملهم في الأول : بدأهم تكرّما ، وأمرهم ترحّما ، ووعدهم تفضّلا ، ويزيدهم تكرّما ، فمن شهد برّه القديم سهل عليه أداء أمره ، ومن لزم أمره أدركه وعده ، ومن فاز بوعده لا بدّ أن يزيده من فضله « 1 » .
قوله تعالى :لا يَنْطِقُونَ (35) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ[المرسلات : 35 ، 36]
قال الجنيد : أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه « 2 » .
في قوله تعالى :وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً[لقمان : 20] قال الجنيد : النعم الظاهرة حسن الأخلاق ، والنعم الباطنة أنواع المعارف « 3 » .

باب اليقين

سئل الجنيد عن اليقين ؟ فقال : اليقين ارتفاع الشك « 4 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب « 5 » .
سئل الجنيد عن اليقين ما هو ؟
فقال : ترك ما ترى لما لا ترى « 6 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب « 7 » .
قال الجنيد : من لم يصل علمه باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل وعمله بالإخلاص وإخلاصه بالمجاهدة فهو من الهالكين « 8 » .
قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك ؛ لتيقّنك أن حركتك فيها لا تنفعك ، ولا تردّ عنك مقضيّا « 9 » .

....
(1) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 78) .
(2) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 78) ، ومعالم التنزيل للبغوي (4 / 435) وتفسير النسفي (1 / 201) .
(3) انظر : روح المعاني (21 / 114) .
(4) انظر : اللمع (ص 103) .
(5) انظر : الرسالة (1 / 393) ، والكواكب (1 / 582) .
(6) انظر : طبقات السبكي (2 / 270) .
(7) انظر : الرسالة (1 / 392) ، والكواكب (1 / 580) .
(8) انظر : الكواكب (1 / 581) .
(9) انظر : الرسالة (1 / 394) .

قال الجنيد : اليقين ألا تهتم لرزقك الذي كفيته ، وتقبل على عملك الذي كلفته ؛ فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوقا حثيثا « 1 » .
يقول إبراهيم بن فاتك : سمعت الجنيد يقول : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير ؟ هيهات ، هذا ظنّ عجيب إلا بما لطف اللطيف ، من حيث لا درك ، ولا وهم ، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان « 2 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه أيضا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلّم : « رحم الله أخي عيسى عليه السلام ؛ لو ازداد يقينا لمشى في الهواء » ، فقال : معناه والله أعلم أن عيسى عليه السلام مشى على الماء بيقينه ، والنبي صلى الله عليه وسلّم مشى في الهواء ليلة المعراج بزيادة يقينه على يقين عيسى عليه السلام ، فقال صلى الله عليه وسلّم : (لو ازداد يقينا) : يعني لو أعطي من زيادة اليقين مثل ما أعطيت لمشى في الهواء ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن حالته « 3 » .
قال الجنيد : حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك ، وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق ، كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما ذا أبقيت لعيالك » ؟ قال : الله ورسوله « 4 » .
قال الجنيد : قد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقينا «5» .

باب في البلاء والمحنة

يقول الجنيد : البلاء على ثلاثة أوجه : على المخلطين عقوبات ، وعلى الصادقين تمحيص جنايات ، وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات « 6 » .
قال الشيخ ابن عجيبة : وقد سعي بالجنيد وأصحابه للسلطان وأتي بهم للسيف ، ثم لطف الله بهم .
وقصتهم : أن فقهاء بغداد قالوا للمتوكل : إن الجنيد قد تزندق هو وأصحابه . فقال لهم الملك وكان يميل إلى الجنيد : يا أعداء الله ، ما أردتم إلا أن تفنوا أولياء الله من الأرض

....

(1) انظر : الكواكب (1 / 581) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 38) .
(3) انظر : اللمع (ص 161) ، ومدارج السالكين (2 / 399) .
(4) انظر : العوارف (ص 310) .
(5) انظر : الرسالة (1 / 394) ، وطبقات الصوفية (ص 163) .
(6) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 271) .

واحدا بعد واحد ، فقتلتم الحلاج وأنتم تروون له كل يوم عبارة ، ولا تزدجرون ، وهذا الجنيد لا سبيل لكم إليه حتى تغلبوه بالحجة ، فاجمعوا له الفقهاء ، واعملوا له مجلسا ، فإن أنتم غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته ، وإن هو غلبكم والله لأمشين عليكم بالسيف حتى لا نبقي منكم أحدا على الأرض .
قالوا : نعم ، فجمعوا له الفقهاء من الشام واليمن والعراق والأمصار ، فلما اجتمع الفقهاء في ذلك حتى لم يبق في الجوانب الأربع من يعرف مسألة في دينه إلا حضر ، فلما اجتمع الفقهاء في المجلس بعث الملك إليه ، فأتى هو وأصحابه إلى باب القصر ، فدخل الجنيد ، وترك أصحابه ، وأدّى حقّ الخليفة : يعني من التعظيم ، وقعد ، فقام إليه أحد الفقهاء يسأله في مسألة ، فسمعه القاضي علي بن أبي ثور ، فقال لهم :
تسألون الجنيد ؟ فقالوا : نعم . فقال لهم : أفيكم من هو أفقه منه ؟ فقالوا : لا . فقال : يا عجبا ! هو أفقه منكم في علمكم ، وقد تفقّه في علم تنكرونه عليه : يعني ولا تعرفونه ، فكيف تسألون رجلا لا تدرون ما يقول ؟ !
فبهت القوم ، وسكتوا زمانا ، ثم قالوا : ما العلم يا قاضي المسلمين ؟ فأشر بما شئت ، فنصنع ، فأمرك مطاع . قال : فردّ القاضي وجهه إلى الأمير ، وقال له : اترك الجنيد ، واخرج إلى أصحابه ، صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادي فيهم : من يقوم إلى السيف ؟ فأول من يقوم إليه نسأله . فقال الملك : يرحمك الله ، لم ذلك ! تروع القوم ، ولم تظهر لكم حجة ، لا يحل لنا ذلك .
فقال القاضي : يا أمير المؤمنين ، إن الصوفية يحبون الإيثار على أنفسهم حتى بأنفسهم ، فأذن من ينادي : أيكم يقوم للسيف ؟
فالرجل الذي يقوم مبادرا إلى السيف هو أكثر الناس جهلا وأكثرهم صدقا لله عز وجلّ ، فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده ، فإذا قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندري لمن تقع النجاة منها ، فإنه إن قتل الجنيد نوّلت داهية في الإسلام ، فإنه قطب الإيمان في عصرنا ، وإن قتل العلماء والفقهاء فهي مصيبة عظيمة .
فقال له الأمير : لله درك ؛ لقد أصبت ، ثم عطف على الوليد ، وقال : افعل ما يقول لك القاضي . فخرج الوليد وهو مقلّد سيفه ، فوقف على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا ، قعودا ناكسين رؤوسهم وهم يذكرون الله ، فنادى فيهم : أفيكم من يقوم إلى السيف ؟
فقام إليه رجل يقال له أبو الحسن النوري ،

فقال الوليد : ما رأيت طائرا أسرع منه ، فوثب قائما بين يدي ، فعجبت من سرعة قيامه ، فقلت : يا هذا أعلمت لما قمت ؟
فقال : نعم ، ألم تقل : أفيكم من يقوم للسيف ؟
فقلت له : نعم . فقال : ولم قمت ؟ قال : علمت أن الدنيا سجن المؤمن ، فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز ، وأن أؤثر أصحابي عليّ بالعيش ولو ساعة ، ولعلّي أقتل ، فيطفى الشر بي ، فيسلم جميعهم ولا يقتل أحد غيري . قال الصاحب : فعجبت من فصاحته . فقلت : أجب القاضي . فتغير لونه ، وسالت عبرته على خده ، فقال : أودعاني القاضي ؟ قلت : نعم دعاك .
قال : فحقّا عليّ إجابته . فدخلت وهو معي ، فأخبرت الملك والقاضي بقصته ، فتعجبا منه ، وسأله القاضي عن مسألة غميضة ؟ فقال : من أنت ؟ ولم خلقت ؟ وما أراد الله بخلقك ؟
وأين هو ربك منك ؟ فقال : ومن أنت الذي تسألني ؟
فقال : أنا قاضي القضاة . فقال له : إذا لا ربّ غيرك ، ولا معبود سواك ، أنت قاضي القضاة ، وهذا يوم الفصل والقضاء ، والناس قد حشروا ضحى ، فأين النفخة في الصور التي قال الله فيها :وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ[الزمر : 68] ، أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذي لم أشهد النفخ ؟ فبهت القاضي زمانا ، وقال : يا هذا ، جعلت منّى إلها ؟
قال : معاذ الله ، بل أنت تألّهت حيث تسميت بقاضي القضاة ، وليس قاضي القضاة إلا القاضي الذي يقضي ولا يقضى عليه ، أضافت عليك الأسماء ، أما كفاك قاضي المسلمين ، أو أحد الفقهاء ، أم أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضي القضاة ؟ ! إذا استكبرت أن تقول أنا علي بن أبي ثور ، فما زال يقرعه حتى بكى القاضي ، وهمّ أن تزهق نفسه ، وبكى الملك لبكائه ، وبكى الجنيد ، فقال لتلميذه : اقصر من عتابك للقاضي ؛ فقد قتلته ، فخلّ سبيله . فلما أفاق القاضي قال : يا أبا الحسن ، أجبني عن مسألتي ، وأنا أتوب إلى الله بين يديك . فقال : اذكر مسألتك ؛ فإني نسيتها . فأعاد مسألته ، فنظر عن يمينه ، وقال : أتجاوبه ؟
ثم قال : حسبي الله ، ثم فعل عن يساره مثل ذلك ، ثم نظر أمامه ، وقال : أتجاوبه ؟ ثم قال : الحمد لله ، ثم رفع رأسه إلى القاضي ، وقال له : أما قولك يرحمك الله من أنت ؟ فأنا عبد الله ؛ لقوله تعالى :إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً[مريم : 93] ، وأما قولك لماذا خلقت ؟ فكان الله كنز لا يعرف ، فخلقني لمعرفته ، قال تعالى :وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[الذاريات : 56] : أي ليعرفون ، كذا قال ابن عباس وغيره ، وأما قولك ما أراد الله بخلقي ؟ فما أراد بي إلا كرامتي ، قال تعالى :وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ[الإسراء : 70] ،
وأما قولك أين ربك منك ؟ فهو مني حيث أنا

منه ؛ لقوله تعالى :وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ[الحديد : 4] ، فقال : أخبرني كيف هو معك ومعنا في قوله :وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ قال هو معنا كيفما كنا معه ، فإن كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى إليه ، وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة ، وإن كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة ، وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول ، وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب .

قال : صدقت . فأخبرني أين هو مني ؟ فقال : أخبرني أين أنت منه أعلمك أين هو منك ؟ قال : صدقت يا علي فيما قلت ، ولكن أخبرني بمسألة ثانية . قال : وما هي ؟ قال : لم ملت عن يمينك حين سألتك ؟ قال : أعان الله الفقيه ؛ إن المسألة التي سألتني عنها لم يكن عندي فيها جواب ؛ لأنني ما سئلت فيها قطّ ، ولا سمعتها ، فلما سألتني عنها لم يكن عندي ما أخبرك به فيها ، فسألت الملك الكريم الذي يكتب في اليمين ، فقلت له : أتجاوبه أنت ؟

فقال لي : لا علم لي . فقلت : حسبي الله ، وفوضت أمري إلى الله . فقال : وعن شمالك ؟ فقال :

كذلك . فقلت : وأمامك ؟ فقال : سألت قلبي ، فقال عن سرّه عن ربّه : ما أجبتك به . فقلت :

الحمد لله ؛ شاكرا على الهداية ، ومقرّا له بالعجز عن إدراك النهاية . فقال له : يا هذا ، الآن قد صحّ عندي حمقك ، وثبت عندي كفرك وزندقتك ، فما تريد أن أفعل بك وبأي قتلة تريد أن أقتلك ؟ فقال له : وما الذي تريد أن تفعل بي وأنت قاضي القضاة ؟ إن كنت تقضي ولا يقضى عليك فاقض بما شئت وأي فعل لك . فقال له : إن القاضي المقتضي بما يقضي به أو نقضي بما يقضي به . فقال له : أو فهمت خطابا عن القاضي الذي يقضي ولا يقضى عليه . قال له : وما هو ؟

قال : قوله تعالى :فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[يس : 54] . فقال له : وما تريد أنت ؟ اقض بما شئت الآن طبت وطابت نفسي على لقاء ربّي . فعند ذلك رد القاضي رأسه إلى المتوكل ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، اترك هؤلاء ؛ فإن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم ، هؤلاء مصابيح الدين ، ودعائم الإسلام ، وهؤلاء المؤمنون حقّا ، عباد الله المخلصون . فعند ذلك عطف الملك على الجنيد ، وقال : يا أبا القاسم ، هؤلاء الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك إلا ليقتلوك لو غلبوك ، والآن أنت الغالب عليهم ، وأنا آليت على نفسي إن أنت غلبتهم أن أمشي عليهم السيف ، فإما أن تعفو عنهم ، وإما أن يموتوا ، فقال : العياذ بالله يا سيدي أن يموت أحد منهم بسببي ، عفا الله عنا وعنهم ، ولا آخذ عليهم في إنكارهم علينا ؛ لأنهم ما ساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم بما طلبوا ، عفا الله عنا وعنهم . فانحلّ المجلس على سلام ، ولم يمت فيه أحد ، والحمد لله ، ثم عطف القاضي

على النوري ، وقال له : يا عليّ ، أعجبني حالك ، والله شهيد أني أحبك ، ولكن أسألك سؤال رجل مسترشد ، فأرشدني يرحمك الله . فقال : سل عمّا بدا لك ، فإن كان عندي جواب أخبرتك ، وإلا قلت لك : لا علم لي ، ولا يعظم ذلك عليّ . ثم سأله عن مسائل عديدة قد تقدّم بعضها عند قوله : يا عجبا !
كيف يظهر الوجود في العدم ، فراجعها إن شئت ، وتركت الباقي ؛ لكثرة التصحيف في النسخة التي وقعت بأيدينا ، والله تعالى أعلم ، فهذه محنة الصوفية التي وقعت في زمن الجنيد ، وهذه سنة الله في أوليائه وأنبيائه هم أشد الناس بلاء « 1 » .

باب الصبر

سئل الجنيد عن الصبر ؟ فقال : هو تجرع المرارة من غير تعبيس « 2 » .
قال أبو عبد الله المكانسي : كنت عند الجنيد ، فأتت امرأة إليه ، وقالت : ادع الله أن يردّ عليّ ابني ، فإن ابنا لي ضاع . فقال لها : اذهبي ، واصبري . فمضت ، ثم عادت فقالت له مثل ذلك ، فقال لها الجنيد : اذهبي ، واصبري . فمضت ، ثم عادت ، ففعلت مثل ذلك مرات ، والجنيد يقول لها : اصبري .
فقالت له : عيل صبري ، ولم يبق لي طاقة عليه ، فادع لي . فقال لها الجنيد : إن كان الأمر كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك ، فمضت فوجدته ، ثم عادت تشكر له ، فقيل للجنيد : بم عرفت ذلك ؟ فقال :
قال الله تعالى :أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ[النمل : 62] « 3 » .
وقال الجنيد قدّس الله سرّه : كل شيء يقدر الفقير أن يعمله إلا صبره على وقته إلى انقضاء مدته « 4 » .
سئل الجنيد عن الصبر؟ فقال : حمل المؤمن لله تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه « 5 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد ، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد ، والصبر مع الله أشدّ « 6 » .

....
(1) انظر : إيقاظ الهمم شرح الحكم (ص 88) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 398) ، ونشر المحاسن لليافعي (ص 155) ، والكواكب (1 / 581) .
(3) انظر : الرسالة (2 / 526) ، وروضة الحبور (ص 110) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 232) .
(5) انظر : اللمع (ص 76) .
(6) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 78) ، وعدة الصابرين لابن قيم (ص 38) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 264) ، والرسالة للقشيري (1 / 397) .

قال عبد الله بن خفيف رضي الله عنه : دخلت بغداد قاصدا إلى الحج وفي رأسي نخوة الصوفية ولم آكل أربعين يوما ، ولم أدخل على الجنيد ، وخرجت ولم أشرب الماء ، وكنت على طهارتي ، فرأيت ظبيا في البرية على رأس بئر وهو يشرب ، وكنت عطشان ، فلما دنوت من البئر ولّى الظبي ، وإذا الماء في أسفل ، فمشيت ، وقلت : يا سيدي ، ما لي عند محل هذا الظبي ؟

فسمعت قائلا يقول من خلفي : جربناك فلم تصبر ، ارجع فخذ الماء ، فرجعت ، فإذا البئر ملآنة ، فملأت ركوتي ، وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ، ولم ينفد الماء ، ولما استقيت سمعت هاتفا يقول : إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل ، وأنت جئت مع الركوة والحبل ؟

فلما رجعت من الحج دخلت الجامع ، فلما وقع بصر الجنيد عليّ قال : لو صبرت لنبع الماء من تحت قدميك ، لو صبرت صبر ساعة « 1 » .

عن فارس الحمّال قال : لحق أبا الحسين النوري علة والجنيد علة ، فالجنيد أخبر عن وجده ، والنّوري كتم ، فقيل له : لم لم تخبر كما أخبر صاحبك ؟

فقال : ما كنا لنبتلى ببلوى فنوقع عليها اسم الشكوى ،

<u>ثم أنشا يقول :</u>

إن كنت للسقم أهلا * فأنت للشكر أهلا

عذب ، فلم يبق قلب * يقول للسقم : مهلا

فأعيد ذلك على الجنيد ، فقال : ما كنّا شاكين ، ولكن أردنا أن نكشف عن عين القدرة فينا ، <u>ثم بدأ يقول</u> :

أجلّ ما منك يبدو * لأنّه عنك جلا

وأنت يا أنس قلبي * أجلّ من أن تجلا

أفنيتني عن جميعي * فكيف أرعى المحلّا

وقال الجنيد : اشتد البلاء برجل من الصالحين حتى جرّ برجله إلى مزبلة ، فرفع طرفه إلى السماء

وقال : أنا بعينك وقد ترى ، فافعل ما شئت ، وحسبي ما تشاء ، ثم قال « 2 » :

إذا المهام شكا شجوة * فقد زال عن سنن المستهام

....

(1) انظر : الرسالة (2 / 708) ، وروض الرياحين (ص 83) .

(2) انظر : روضة الحبور (ص 125) .

وابن الكلوم التي في الحشا * وأين تبرّمه للكلام
وروى أن أبا العباس بن عطاء كتب إلى الجنيد يقول :
تضايقت الأحوال بي في محلّها * وما ذاك مفهوم لأنّي مثقل
فلا الريح في أبراجها مستقرة * ولا الوجد في قلبي يقرّ ويمهل
فكتب إليه الجنيد « 1 » :
ولو نطقت بي ألسن الدهر خبّرت * بأنّي في ثوب الصبابة أرفل
وما أن لها علم بقدري وموضعي * وما ذاك مفهوم لأنّي مثقل
موتك حقيقة الاختصاص عن لوائح الانتقاص ، وآواك الحقّ في خفيّ من الملاحظة لحظّك ، شغلا بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان ذكره ، ثم أذكرك أنه ذكرك في قديم الأزل ، قبل حين البلوى ، وقبل حال البلوى ، إنه فعّال لما يشاء ، وهو قدير « 2 » .
قال الشيخ الشعراني : وبلغنا أنهم صبّوا مرة على الجنيد غسالة سمك وهو خارج لصلاة الجمعة ، فعمّته من جمته إلى ذيله ، فضحك ، وقال : من استحق النار فصولح بالماء لا ينبغي له الغضب . ثم عاد إلى البيت ، واستعار ثوب زوجته ، فصلّى فيه « 3 » .

باب المراقبة

قال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربّه عز وجلّ لا غير « 4 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : أخذ على العبد حفظ أنفاسه على ممرّ أوقاته « 5 » .

باب الرضا

قال الجنيد : الرضا ثاني درجات المعرفة ، فمن رضي صحت معرفته بالله بدوام رضاه عنه « 6 » .

....
(1) انظر : روضة الحبور (ص 125) .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 313) .
(3) انظر : العهود المحمدية (ص 196) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 407) ، والإحياء (4 / 397) ، ومدارج السالكين (2 / 65) .
(5) انظر : اللمع (ص 424) .
(6) طبقات الصوفية للسلمي (ص 162) .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الرضا ؟
فقال : الرضا ترك الاختيار « 1 » .
سئل الجنيد عن الرضا ؟ فقال : سألتم عن العيش الهنيء وقرة العين من كان عن الله راضيا « 2 » .
قال الشبليّ وهو بين يدي الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال له الجنيد : قولك ذا ضيق صدر ، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء . فسكت الشبليّ « 3 » .
قال الجنيد : الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب ، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرضا ، وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء ؛ فإنهما حالان لا يفارقان العبد في الدنيا والآخرة ؛ لأنه في الجنة لا يستغني عن الرضا والمحبة « 4 » .
ورد أنّ النوري في وقت ما ظلّ يصرخ لمدة ثلاثة أيام وليال في بيته واقفا في مكان واحد ، فأخبروا الجنيد : فنهض ، وذهب إليه ، وقال : يا أبا الحسين ، إذا كنت تعرف أن الصراخ يفيد معك فأخبرني ؛ لأصرخ أنا أيضا ، وإن كنت تعرف أنه لا يفيد فارض بالتسليم ؛ ليسعد قلبك . فكفّ النوري عن الصراخ ، وقال : ما أحسنك معلّما لنا يا أبا القاسم « 5 » .
قال الجنيد : دخلت على السريّ يوما ، فقلت له : كيف أصبحت ؟ فأنشأ يقول :
لا في النهار ولا في الليل لي نوم * فلا أبالي أطال الليل أم قصرا
ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار يشير إلى أنه غير متطلع إلى الأوقات ، بل هو مع الذي يقدّر الليل والنهار « 6 » .

باب في العبادات

الصلاة

حكي عن الجنيد أنه قال : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى « 7 » .

....
(1) انظر : التعرف (ص 121) ، واللمع (ص 80) ، والرسالة (2 / 426) .
(2) انظر : الحلية (10 / 280) .
(3) انظر : العوارف (ص 293) ، والرسالة (2 / 425) ، وطبقات السبكي (2 / 265) ، والاستقامة لابن تيمية (ص 119) .
(4) انظر : العوارف (ص 293) ، ومدارج السالكين لابن قيم (2 / 174) .
(5) انظر : كشف المحجوب (ص 344) .
(6) انظر : مدارج السالكين (3 / 131) .
(7) قال الإمام الطوسي : والمعنى في ذلك أن التكبيرة الأولى هي مقرونة بالنية التي لا تجوز الصلاة إلا بها ، وهو عقدك بأن صلاتك لله عز وجلّ ، فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات -

سئل الجنيد : ما فريضة الصلاة ؟ قال : قطع العلائق ، وجمع الهم ، والحضور بين يدي الله « 1 » .

قال الجنيد : لا يكون همك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالاتصال بمن لا وسيلة إلا له « 2 » .

كان الجنيد في مجلسه ، فسأله أصحابه : يا أستاذ ، متى يكون الله عز وجلّ مقبلا على عبده ؟

فلهي عنهم ولم يجبهم ، فألحوا عليه ، فالتفت إليهم ، فقال : واعجباه ! يقف بين يدي ربه بلا حضور ، ويقتضي بهذه الوقفة إقبالا « 3 » .

وقال الجنيد بن محمد : أتدرون ما فرض الصلاة : قطع العلائق ، وجمع الهم ، والحضور بين يدي الله تعالى . قيل له : كيف تدخل في الصلاة ؟ قال : بإلقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع همّ « 4 » .

الصوم

قال الجنيد رضي الله عنه : الصوم نصف الطريقة « 5 » .

حكي عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام ، فإذا دخل عليه إخوته أفطر معهم ، ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقلّ من فضل الصوم للصائم « 6 » .

قيل : إن الجنيد أقام عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، ووروده كل يوم ثلاثمائة ركعة « 7 » .

....

- الباطنة لم يفسد الصلاة ، بل ينقص من فضلها ، ويبقى للمصلي عقدها ونيتها .

وانظر : اللمع (ص 204) .

(1) انظر : العوارف للسهروردي (ص 191) .

(2) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 170) .

(3) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 268) .

(4) انظر : مختصر المؤمل لأبي شامة (ص 75) .

(5) انظر : كشف المحجوب للهجويري (ص 564) .

(6) انظر : اللمع (ص 220) ، والعوارف (ص 195) .

(7) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 579) .

قال الجنيد رحمه الله : إذا رأيتم الفقير يسافر بلا ركوة فقد عزم على ترك الصلاة « 1 » .
وفي قول آخر عنه : فاشهدوا له بترك الصلاة « 2 » .

الزكاة

قال الجنيد : إنه قبيل الصيام ، إن أخذ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة « 3 » .
قال الجنيد للخراساني الذي جاءه بمال وسأله أن يأكله : بل أفرّقه على الفقراء . فقال : أنا أعلم بالفقراء منك ، ولم أختر هذا . فقال الجنيد : أنا أؤمل أن أعيش حتى آكل هذا ؟ فقال : إنّي لم أقل لك أنفقه في الخل والكامخ والبقل ، إنّما أريد أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوة ، فكلّ ما نفد أسرع كان أحبّ إليّ . فقال الجنيد : مثلك لا يحلّ أن يردّ عليه . فقبله ، فقال الرجل : ما ببغداد أحد أعظم منّة عليّ منّك . فقال الجنيد : وما ينبغي لأحد أن يقبل منه إلا من كان مثلك « 4 » .
وحكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنّه قال : لا يصحّ لأحد الأخذ حتى يكون الإخراج أحبّ إليه من الأخذ « 5 » .
وقال الجنيد قدّس الله سرّه : حملت دراهم إلى حسين بن المصري ، وكانت امرأته قد ولدت ، وهم في الصحراء ، وليس لهم جار ، فأبى أن يقبلها منّي ، فأخذت الدراهم ، ورميت بها في الحجرة التي كانت فيها المرأة ، وقلت : أيّتها المرأة ، هذه لك ، فلم يكن له حيلة فيما فعلت « 6 » .
حدّثنا بعض إخواننا عن شيخ له ، فقال : رأيت أبا الحسين النّوري يمدّ يده ، ويسأل الناس في بعض المواطن ، قال : فأعظمت ذلك واستقبحته ، فأتيت الجنيد ، فأخبرته ، **فقال الجنيد :** لا يعظم هذا عليك ، فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم ، إنما سأل لهم ليثيبهم

....
(1) انظر : المنهاج الواضح للماجري (ص 150) .
(2) وقال الماجري : فهذا في التعريض أشد على التحريض .
(3) انظر : الكواكب (1 / 571) .
(4) انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (ص 131) ، وقوت القلوب لأبي طالب (2 / 414) .
(5) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 578) ، واللمع للطوسي (ص 262) .
(6) انظر : اللمع للطوسي (ص 263) .

من الآخرة ، فيؤجرون من حيث لا يضرّه .
ثم قال الجنيد : هات الميزان . فوزن مائة درهم ، ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ، ثم قال : احملها إليه .
قال الشيخ : قلت في نفسي : إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره ، فهذا قد خلط منه شيئا آخر فصار مجهولا ، وهو رجل حكيم ، فاستحييت أن أسأله عن ذلك . قال : فذهبت بالصّرة إلى النوري ، فقال : هات الميزان . فوزن مائة درهم ، وقال : ردّها عليه ، وقل له : أنا لا أقبل منك أنت شيئا . وأخذ ما زاد على المائة ، قال : فقلت : هذا أعجب ، فسألته : لم فعلت هذا ؟
فقال : الجنيد رجل حكيم ، يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه ، وزن هذه المائة لنفسه للثواب من الآخرة ، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجلّ ، فأخذت ما كان لله عز وجلّ ، ورددت ما كان جعله لنفسه . قال الشيخ : فرددتها إلى الجنيد ، فبكى ، وقال : أخذ ماله وردّ لنا مالنا « 1 » .
حكي عن الجنيد أنّه قال : ذهبت يوما إلى ابن الكرنبي ومعي دراهم أريد أن أدفعها إليه ، وكان عندي أنه لا يعرفني ، وسألت أن يأخذ ذلك ، فقال : أنا عنه مستغن . وأبى أن يأخذ مني . فقلت له : إن كنت أنت عنها مستغنيا فأنا رجل من المسلمين أسرّ بأخذك لها ، فتأخذها لإدخال السرور عليّ . فأخذها مني « 2 » .

الحج

حجّ الجنيد قدّس الله سرّه وجماعة من المشايخ الأجلّة رحمهم الله ، ولم يحجّوا إلا حجة الإسلام ، وحجتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يحج إلا حجة واحدة « 3 » .
قال الجنيد : حججت على الوحدة ، فجاورت بمكة ، فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف ، فإذا بجارية تطوف وتقول :
أبى الحبّ أن يخفى وكم قد كتمته * فأصبح عندي قد أناخ وطنبا

....
(1) انظر : قوت القلوب لأبي طالب (2 / 416) .
(2) يقول أبو طالب المكي : إن الصوفيين اختلفوا في الأخذ ، هل الأخذ من الواجب أفضل أم التطوع ؟
ورأت طائفة أن تأخذ من الواجب ولا تقبل من التطوع ، لأن الفقراء إن تواطأوا على ألا يقبلوا الزكوات أثموا جميعا ، ورأت طائفة أخرى أن تأخذ من النوافل دون الفرائض حتى لا تزاحم المساكين في حقوقهم ، وعلّها لا تكمل أوصافهم . وممن ذهب إلى هذا أبو القاسم الجنيد . وانظر : القوت (2 / 422) ، واللمع للطوسي (ص 263) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 223) .

إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره * فإن رمت قربا من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثمّ أحيا به له * ويسعدني حتّى ألذّ وأطربا
قال : فقلت لها : يا جارية أما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام ؟
فالتفتت إليّ وقالت : يا جنيد ،
لولا التقى لم ترني * أهجر طيب الوسن
إنّ التقى شرّدني * كما ترى عن وطني
أفرّ من وجدي به * فحبّه هيّمني

ثم قالت : يا جنيد تطوف بالبيت أم بربّ البيت ؟ فقلت : أطوف بالبيت . فرفعت طرفها إلى السماء وقالت : سبحانك ! وما أعظم مشيئتك في خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار . ثم أنشأت تقول :
يطوفون بالأحجار يبغون قربة * إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم * وحلّوا محلّ القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الودّ غابت صفاتهم * وقامت صفات الودّ للحقّ بالذكر

قال أبو عمرو الزجّاجي : دخلت على الجنيد ، وكنت أريد الحج ، فأعطاني درهما صحيحا ، فشددته على مئزري ، فلم أدخل منزلا إلا وجدت فيه رفقاء ، ولم أحتج إلى الدرهم ، فلما حججت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد ، فمدّ يده ، وقال : هات . فناولته الدرهم ، فقال : كيف كان ؟ فقلت كان الحتم نافذا « 1 » .
جاء رجل إلى الجنيد رضي الله عنه ، فقال له الجنيد : من أين جئت ؟ فقال : كنت في الحج . قال :
هل حججت ؟ قال : نعم . قال : هل رحلت عن جميع المعاصي منذ خرجت في البداية من بيتك ورحلت عن وطنك ؟ فقال : كلا . قال : لم ترحل . ثم قال : حين خرجت من البيت وأقمت كل ليلة بمنزل هل قطعت في هذا المقام مقاما من مقامات طريق الحق ؟ فقال :
كلا . قال : لم تقطع منزلا . ثم قال : حينما أحرمت في الميقات هل تجرّدت من صفات البشرية كما تجردت من ثيابك ؟ فقال : كلا . قال : إذن لم تحرم . ثم قال : حين وقفت

....
(1) انظر : روضة الحبور (ص 113) ، بتحقيقنا ، وروض الرياحين لليافعي (ص 56) .

بعرفات هل لاح الوقت في كشف المشاهدة ؟ فقال : كلا . قال : إذن لم تقف بعرفات . قال : حين ذهبت إلى المزدلفة وحصل مرادك هل تركت جميع الرغبات النفسانية ؟ فقال :
كلا . قال : لم تذهب إلى المزدلفة . فقال : كلا . قال : لم تطف . ثم قال : حين سعيت بين الصفا والمروة هل أدركت مقام الصفا ودرجة المروة ؟ فقال : كلا . قال : إنك لم تسع بعد . وقال : حينما جئت إلى منّى هل سقط عنك مناك ؟ فقال : كلا . قال : لم تذهب إلى منّى بعد ؟ ثم قال : عندما ضحّيت في المنحر هل ضحّيت برغبات نفسك ؟ فقال : كلا .
قال : فلم تضحّ . وقال : عندما رميت الجمرات هل رميت كل ما صحبت من المعاني النفسانية ؟ فقال : كلا . قال : فلم تلق الجمرات بعد ، ولم تحج ، فعد وحج على هذا النحو ؛ حتى تصل إلى مقام إبراهيم « 1 » .
قال الجريري : وافيت من الحج ، فابتدأت بالجنيد ، وسلّمت عليه ، وقلت : حتى لا يتعنّى ، ثم أتيت منزلي ، فلما صليت الغداة التفت ، فإذا بالجنيد خلفي ، فقلت : يا سيدي ، إنما ابتدأت بالسلام عليك ؛ لكي لا تتعنّى إلى هاهنا . فقال لي : يا أبا محمد ، هذا حقك ، وذاك فضل لك « 2 » .

باب العبودية

يقول سيدنا الجنيد : العبودية ترك الاشتغال ، والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة « 3 » .
قال سيدنا الجنيد : مرضت مرضة فسألت الله أن يعافيني ، فقال لي في سرّي : لا تدخل بيني وبين نفسك « 4 » .
دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة ، فقال للجنيد : متى يستوي عند العبد حامده وذامّه ؟ فقال بعض الشيوخ : إذا دخل البيمارستان وقيّد بقيدين . فقال

....
(1) انظر : كشف المحجوب للهجويري (ص 574) .
(2) انظر : الرسالة (2 / 497) ، والعوارف (ص 244) ، واللمع (ص 273) .
(3) انظر : الرسالة (2 / 432) .
(4) انظر : الرسالة (2 / 432) .

الجنيد : ليس هذا من شأنك ، ثم أقبل على الرجل ، وقال : إذا تحقق أنه مخلوق .
فشهق الرجل شهقة ، ومات « 1 » .
كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ،ويسبل الستر ،ويصلي أربعمائة ركعة ،ثم يعود إلى بيته «2» .
قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : لا تكون عبد الله بالكلية ، حتى لا تبقي عليك من غير الله بقية « 3 » .
قال الجنيد : لا تكن عبد الله حقّا ، وأنت لشيء سواه مسترقا « 4 » .
يقول الجنيد : إنك لن تكون له على الحقيقة عبدا وشيء مما دونه لك مسترق ، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية ، فإذا كنت له وحده عبدا كنت مما دونه حرّا«5» .
قال الجنيد : بتّ ليلة عند السريّ رضي الله عنه فلما كان في بعض الليل قال لي : يا جنيد ، أنت نائم .
قلت : لا . قال : الساعة أوقفني الحق عز وجلّ بين يديه ، وقال لي : يا سريّ ، خلقت الخلق كلهم فادّعوا محبتي ، فخلقت الدنيا فاشتغل بها من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عني بالدنيا وبقي ألف ، وخلقت الجنة فاشتغل بالجنة عنّي من الألف تسعمائة وبقي مائة ، فسلطت عليهم شيئا من البلاء ، فاشتغل عنّي من المائة تسعون بالبلاء ، وبقي عشرة ، فقلت لهم : أنتم لا الدنيا أردتم ، ولا في الآخرة رغبتم ، ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا : إنك لتعلم ما نريد . فقلت : إني سأنزل عليكم من البلاء ما لا تطيقون ، ولا تحمله الجبال الرواسي ، أفتثبتون لذلك ؟ قالوا : أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا بك نحمل ، وفيك نحمل ، ولك نحمل ما لا تطيقه الجبال . فقلت لهم : أنتم عبيدي حقّا « 6 » .

....

(1) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 181) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 108) ، وتاريخ بغداد (7 / 246) ، والسير للذهبي (14 / 67) .
(3) انظر : الحلية (10 / 275) .
(4) انظر : الحلية (10 / 275) .
(5) انظر : طبقات الصوفية (ص 158) .
(6) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 213) ، وبنحوه في الإيقاظ وعقب بقوله : وقال ابن عطاء الله في التنوير :
وإنما يعينهم على حمل الأحكام فتح باب الأفهام ، وإن شئت قلت : وإنما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره ، وإن شئت قلت : وإنما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه ، وإن شئت قلت : إنما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود إجماله ، وإن شئت قلت : إنما صبرهم -

وقيل له : ما علامة العبد ؟ قال : ألا يشكو أحدا ، ولا يؤذي أحدا حتى يشكوه ، ويترك التقصير في الخدمة ، ويترك التدبير في التقدير « 1 » .
قال الجنيد : إن الله كشف لعباده معايبهم في ذكر الطين لهم ، وعرّفهم مقاديرهم بذكر النطفة ، وأشهدهم على عجزهم في تقلبهم ؛ ليعرفوا فاقتهم إليه في كل حال « 2 » .
قال الجنيد : قد ينقل العبد من حال إلى حال أرفع منها ، وقد بقي عليه من التي نقل عنها بقية ، فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها « 3 » .
قال الجنيد : إن لله عبادا على وطنات مطي حملانه يركبون ، وبالسرعة والبدار إليه يستبقون « 4 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه : إذا ذهب اسم العبد وثبت حكم الله تعالى ؟ قال : اعلم رحمك الله تعالى أنه إذا عظمت المعرفة بالله ذهبت آثار العبد ، وانمحت رسومه ، فعند ذلك يبدو علم الحق ، وثبت اسم حكم الله تعالى « 5 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه : متى يستوي عند العبد حامده وذامّه ؟ فقال : إذا علم أنه مخلوق ، ويكون ثمّ « 6 » .
سئل الجنيد : متى يستوجب العبد أن يقال له عاقل ؟ فقال : سمعت سريّا يقول : هو ألا يظهر في جوارحه شيء قد ذمّه مولاه « 7 » .
قال الجنيد رضي الله عنه : أدركت سبعين عارفا كلهم يعبدون الله على ظنّ ووهم حتى أخي أبي يزيد لو أدرك صبيّا من صبياننا لأسلم على يديه « 8 » .

....
على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا ، وإن شئت قلت : إنما صبرهم على الأقدار كشف الحجب والأستار ، وإن شئت قلت : إنما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وأبراره انتهى .
(1) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .
(2) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 578) .
(3) انظر : الكواكب الدرية (1 / 578) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 446) .
(5) انظر : اللمع (ص 297) .
(6) انظر : اللمع (ص 297) .
(7) انظر : طبقات الشافعية للسبكي (2 / 269) .
(8) قال الشيخ الكتاني : قال الشيخ الشعراني : معناه أنهم يقولون : ما بعد المقام الذي وصلناه مقام فهذا وهم وظن ، فإن كل مقام فوقه مقام إلى ما لا يتناهى ، وليس معناه الظن والوهم في معرفتهم بالله تعالى ، ومعنى لأسلم على يديه أي لانقاد له لأن الإسلام هو الانقياد ، انتهى والله أعلم . –

قال الجنيد : ليس من طلب الله يبذل المجهود ، كمن طلبه من طريق الجود ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلّم لمن سأله أن يشفع له وأن يكون معه في الجنة : « أعني على نفسك بكثرة السجود « 1 » » .
قال الجنيد : لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا . فقيل لإبراهيم بن شيبان : ما كان حاله ؟ قال : أقام سنين ما فاته الحق بين الخرزتين « 2 » .
قال الإمام الجنيد : آثرك الله يا أخي بالاصطفاء ، وجمعك بالاحتواء ، وخصّك بعلم أهل النّهى ، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى ، وتمّم لك ما تريد منك له ، ثم أخلاك منك له ، ومنه له به ، ليفردك في تقلّبه بما يشهدك ، من حيث لا يلحقك شاهد من الشواهد يخرجك .
فذلك أوّل الأول الذي محا به رسوم ما ترادف مما غيّبته به عنك ، بعلوّ ما استأثر به منه له ، ثم أفردك منك بك ، في أوّل تفريد التجريد ، وحقيقة كائن التفريد ، فكذلك إذا انفرد بذلك أباد ، وأفنى الإبادة ما سلف من الحقّ من الشاهد بعد إفناء محاضر الخلق ، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق ، ومن ذلك ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد ، فقد عزره الله وحجبه عن كثير ممن ينتحله ويدّعيه ويتحقّقه ويصطفيه « 3 » .
قال الجنيد : أكرمك بطاعته ، وخصّك بولايته ، وجللك بستره ، ووفّقك لسنة نبيه صلى الله عليه وسلّم ،

....
- فخرج من هذا أن أهل الغربة الذين هم منهم مفاتيح الكنوز الأربعة ، والذين هم من الأفراد ، ومن أهل القربة والختم الذي هو منهم أيضا ، من ذوي الخلافة العظمى فهو بين الصديقية والنبوة والختم أعني به الختم المحمدي الأكبر أعلى الجميع مقاما وأرفعهم رتبة وأعز مراما ، لأنه الواسطة بين النبوة والولاية والحائز لكل ما عند الأولياء من الكمالات والعناية والفيوضات التي تفيض من ذاته صلى الله عليه وسلّم تتلقاها ذوات الأنبياء والصحابة وكل ما فاض وبرز من ذواتهم تتلقاه ذات هذا الختم ومنه يتفرق على جميع الأولياء من لدن آدم إلى النفخ في الصور وخص هو مرتبتهم بعلوم لا يعلمها إلا الله عز وجل وهو أعظم مظاهره صلى الله عليه وسلّم من البشر بعد الأنبياء والصحابة . انظر : جلاء القلوب (2 / 111) بتحقيقنا ، والطبقات الكبرى للشعراني (2 / 15) .
(1) رواه مسلم (1 / 351) .
(2) انظر : تفسير القرطبي (13 / 421) ، وتاريخ بغداد (4 / 246) ، وفيض القدير (2 / 8) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 313) .

وأطلعك على فهم كتابه ، وأنطقك بالحكمة ، وآنسك بالقرب ، وخصّك بالفوائد ، ومنحك الزيادات ، وألزمك بابه ، وكلّفك خدمته ، حتى تكون له موافقا ، ولكأس محبّته ذائقا ، فيتّصل العيش بالعيش ، والحياة بالحياة ، والروح بالروح ، فتتمّ النعمة ، وتسلم من المعتبة ، فتصحّ العافية ، وتكمل السلامة « 1 » .

وقال الجنيد بن محمد : قال أبو يزيد قدّس الله روحيهما :

إلهي ، إن كان في سابق علمك أنك تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقي فيها حتى لا تسمع معي غيري .

وأنشد شعرا في ذلك « 2 » :

ولو قلت جد بالكلّ منك لنا لما * تأبيت فيما قلته عند ذلك
ولو وضع المعشار منّي على لظى * لضجّت من التعظيم في وجه مالك
فحبّك فرض كيف لي بأدائه * ولست لفرض ما حييت بتارك

وقال سيدنا الجنيد رضي الله عنه : من عجز عن سبعة أشياء لم تصف له العبودية :

فأولها : معرفة الله عز وجلّ .
الثانية : معرفة نفسه .
الثالثة : معرفة عدوه الشيطان .
الرابعة : معرفة الخلق .
الخامسة : معرفة دنياه .
السادسة : معرفة آخرته .
السابعة : معرفة الوقت ، وبه كمال المعرفة ؛ لأن من لم يعرف وقته فات وقته ، والالتفات إلى ما مضى شغل عمّا هو آت « 3 » .

....

(1) انظر : اللمع للطوسي (ص 313) .
(2) انظر : روضة الحبور (ص 68) بتحقيقنا .
(3) قال الشيخ أبو العباس التادلي معقبا : قلت : فمن عرف ربه أطاعه ، وقام بحق أوصافه بقدر استطاعته ، وخاف بغتة مكره ، ومن عرف نفسه قهرها حتى تنقاد لطاعة ربه ، ومن عرف الشيطان -

الافتقار

سئل عن قوله تعالى :وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ[إبراهيم : 35] فقال الجنيد قدّس سرّه : أي امنعني وبني أن نرى لأنفسنا وسيلة إليك غير الافتقار « 1 » .

باب الإرادة والمريد

كان الجنيد يقول : أحبّ للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج « 2 » .

قال الجنيد : أحبّ للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب ؛ لأنه أجمع لهمّه « 3 » .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الفرق بين المريد والمراد ؟

فقال : المريد تتولاه سياسة العلم ، والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه ؛ لأن المريد يسير ، والمراد يطير ، فمتى يلحق السائر بالطائر « 4 » .

قال الجنيد : المريد الصادق غنيّ عن علم العلماء ، وإذا أراد الله بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء « 5 » .

....

- وأنه عدو خالقه ولا يطيعه ففي طاعته سخط ربه ، ومن عرف الخلق وأنهم على أغراضهم لهى عنهم ابتغاء مرضاة ربه ، ومن عرف الدنيا وأنها أضغاث أحلام وأنها بغيضة الله نبذها وراء ظهره ورزقه منها يأتيه على رغم أنفها وكل من فيها ، ومن عرف آخرته وأنه ليس له فيها إلا ما سعى فيه في دنياه بادر قبل أن يفوته ، ومن عرف أن الوقت إن فات لا يرجع وأن الأيام مراحيل وأن ما من نفس مضى في غير طاعة ربه ذهب له فيه جوهر نفيس لا محالة حافظ على أوقاته إلا في حقها ، وانظر : المعزى في مناقب أبي يعزى (بتحقيقنا) .

(1) انظر : روح المعاني للآلوسي (13 / 259) .

(2) انظر : الإحياء (4 / 239) ، والقوت (1 / 542) ، وأقاويل الثقات (ص 191) .

(3) انظر : الرسالة (2 / 542) ، والإحياء (4 / 239) .

(4) انظر : الرسالة (2 / 439) ، والحبور (ص 120) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 265) .

(5) انظر : روضة الحبور (ص 120) ، طبقات الشعراني الكبرى (1 / 85) ، والرسالة (2 / 438) ، ومدارج السالكين لابن قيم (2 / 366) وعقب بقوله : قلت : إذا صدق المريد وصح عقد صدقه مع الله : فتح الله على قلبه ببركة الصدق وحسن المعاملة مع الله ما يغنيه عن العلوم التي هي نتائج أفكار الناس وآرائهم وعن العلوم التي هي فضلة ليست من زاد القبر وعن كثير من إشارات الصوفية وعلومهم التي أفنوا فيها أعمارهم ، من معرفة النفس وآفاتها وعيوبها ومعرفة مفسدات الأعمال

قال الجنيد : إذا صدق المريد أغناه الله عن حفظ النقول بنور يجعله في قلبه يفرّق به بين الحق والباطل « 1 » .

باب الاستقامة

قال الجنيد في الاستقامة : لا يطيقها إلا فحول الرجال ؛ لأنها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات « 2 » .

قال الجنيد قدّس سرّه : الاستقامة مع الخوف والرجاء حال العابدين ، والاستقامة مع الهيبة والرجاء حال المقربين ، والاستقامة مع الغيبة عن رؤية الاستقامة حال العارفين وَلا تَطْغَوْا[هود : 112] ولا تخرجوا عمّا حدّ لكم من الشريعة ؛ فإن الخروج عنها زندقة ،وَلا تَرْكَنُوا[هود : 113] : أي لا تميلوا أدنى ميلإِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، وهي النفوس المظلمة المائلة إلى الشرور في أصل الخلقة ، كما قيل : (الظلم من شيم النفوس ، فإن تجد ذا عفة فلعلة لم يظلم « 3 ») .

باب الإخلاص

سئل الجنيد عن الإخلاص ؟ فقال : إخراج الخلق من معاملة الله تعالى ، والنفس أول الخلق « 4 » .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الإخلاص ؟ فقال : ارتفاع رؤيتك ، وفناؤك عن الفعل « 5 » .

....

- وأحكام السلوك ، فإن حال صدقه وصحة طلبه ، يريه ذلك كله بالفعل ومثال ذلك : رجل قاعد في البلد يدأب ليله ونهاره في علم منازل الطريق وعقباتها وأوديتها ومواضع المتاهات فيها والموارد والمفاوز ، وآخر حمله الوجد وصدق الإرادة على أن ركب الطريق وسار فيها فصدقه يغنيه عن علم ذلك القاعد ويريه إياها في سلوكه عيانا .

(1) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 575) .
(2) انظر : فيض القدير (1 / 496) .
(3) انظر : روح المعاني للآلوسي (12 / 168) .
(4) انظر : اللمع (ص 290) .
(5) انظر : اللمع للطوسي (ص 289) .

قال الجنيد : الإخلاص ما أريد به الله من أي عمل كان « 1 » .
قال الجنيد : الإخلاص سرّ بين العبد وربّه ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيهلكه « 2 » .
قال الجنيد : إن لله عبادا عقلوا ، فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع « 3 » .
قال أبو بكر ختن الجنيد : أنشدني الجنيد بن محمد « 4 » :
أناس أمنّاهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا
ولم يحفظوا الودّ الذي كان بيننا * ولا حين همّوا بالقطيعة أجملوا
يقول الجنيد : إن الله عز وجلّ يخلص إلى القلوب من برّه ، حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك « 5 » .
سأل جعفر الخلدي أبا القاسم الجنيد : هل بين الإخلاص والصدق فرق ؟ قال : نعم ، الصدق أصل وهو الأول ، والإخلاص فرع وهو تابع « 6 » .
قال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات « 7 » .
وقال : أول ما يرى من الإخلاص في أحوال الأولياء خلوص سرائرهم وهممهم وإرادتهم ثم خلوص أفعالهم فمن لم يخلص سرّه لا ينال الصفا فعله « 8 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه في الفرق بين الإخلاص والصدق معنى لطيفا لم يفسره ويحتاج إلى تفسير « 9 » .

....
(1) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 99) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 446) ، والقوت (2 / 329) ، ومدارج السالكين (2 / 92) ، وتفسير القرطبي (2 / 146) .
(3) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 379) .
(4) انظر : الإحياء للغزالي (10 / 269) .
(5) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 157) ، والحلية (10 / 279) .
(6) انظر : العوارف للسهروردي (ص 49) .
(7) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 382) .
(8) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .
(9) انظر : قوت القلوب (2 / 329) .

يقول الجنيد : قال لي عبدون الزجّاجي : لأن ترد إلى الله عز وجلّ بهمّك ساعة خير لك مما طلعت عليه الشمس « 1 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : قال لي إبراهيم الآجري : يا غلام ، لأن ترد بهمك إلى الله تعالى طرفة عين خير لك مما طلعت عليه الشمس « 2 » .
قال الخلدي : سمعت الجنيد يقول : اصرف همك إلى الله تعالى ، وإيّاك أن تنظر بالعين التي بها تشاهد الله عز وجلّ إلى غير الله عز وجلّ فتسقط من عين الله عز وجلّ « 3 » .
وسئل رضي الله عنه عن الإخلاص ؟ فقال : فرض في مرض ، ونفل في نفل ، قيل له ما معناه ؟
قال : إن الإخلاص في الأعمال المفروضة فرض ، ثم النوافل غير مفروضة ، فإذا دخل العبد فيها فرض عليه الإخلاص فيها ، وإلا فقد أشرك ، وأنشد « 4 » :
وإن امرؤ لم يصفّ لله قلبه * لفي وحشة من كل نظرة ناظر
وإن امرؤ لم يرتحل ببضاعة * إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإن امرؤ ابتاع دنيا بدينه * لمنقلب منها بصفقة خاسر
وقيل له : متى يصفو العمل لله عز وجلّ ؟ قال : إذا لم تمازجه الأدناس ، ولم تخالطه ملاحظة الناس « 5 » .

باب الصدق

قال الجنيد : حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب « 6 » .
سئل الجنيد عن قوله تعالى :لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ[الأحزاب : 8] ؟
قال : يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا أمر على خطر « 7 » .

....
(1) انظر : نفحات الأنس (ص 75) .
(2) انظر : اللمع (ص 425) .
(3) انظر : ذم الهوى لابن الجوزي (ص 85) .
(4) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .
(5) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي .
(6) انظر : مدارج السالكين لابن قيم (2 / 277) ، وتاريخ بغداد للخطيب (7 / 245) ، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (2 / 271) .
(7) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 387) .

قال الجنيد : إذا صدقت الله فأصدقه في سرّك ؛ فإنه تعالى جعل لإبليس على كل شيء طريقا إلا على صدق الأسرار « 1 » .
قال الجنيد : المريد الصادق غنيّ عن علوم العلماء يعمل على بيان ، يرى وجه الحق في وجوه الحق ، ويتوقّى وجوه الشر من وجوه الشر « 2 » .
قال الجنيد : من طلب عزّا بباطل أورثه الله ذلا بحقّ « 3 » .
وقال الجنيد قدّس الله سرّه : ما من أحد طلب أمرا بصدق وجدّ إلا أدركه ، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض .
وأنشدوا في المعنى « 4 » :
وإذا الأمور تناتجت * فالصدق أكرمها نتاجا
والصدق يعقد فوق رأس * حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقدح زنده * في كلّ ناحية سراجا
قال الجنيد : حقيقة الصدق تجري بموافقة الله تعالى في كل حال « 5 » .
قال الجنيد : رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء ، فقال أحدهما لي : ما الصدق ؟
فقلت : الوفاء بالعهد . فقال الآخر : صدق ، ثم صعدا « 6 » .
قال الجنيد : الصادق هو الذي جاد بالكونين طلبا لربه « 7 » .
قرئ أمام الجنيد رضي الله عنه قوله تعالى :لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ[الصف : 2]
فقال : يا إلهي ، إن قلنا قلنا بك ، وإن فعلنا فعلنا بتوفيقك ، فأين القول والفعل«8 ».

....

(1) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 580) .
(2) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 270) .
(3) انظر : العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق (ص 134) ، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص 127) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 288) ، وروضة الحبور (ص 122) بتحقيقنا ، وكذا المعزى للتادلي .
(5) انظر : اللمع للطوسي (ص 288) .
(6) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 727) .
(7) انظر : تلبيس إبليس (3 / 152) .
(8) انظر : كشف المحجوب (ص 641) .

وقال : ولو علم منك التحقيق لوسّع عليك الطريق ، ولو أشرت إليه في أول المصائب لأبرزت إليك لطائف العجائب « 1 » .

قال الجنيد : من خالفت إشارته معاملته فهو مدع كذّاب « 2 » .

قال الجنيد : العبارة كلها دعاوى « 3 » .

قال الجنيد : أضرّ ما على أهل الديانات الدعاوى « 4 » .

قال الجنيد : الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة ، والمرائي على حالة واحدة أربعين سنة « 5 » .

قال الجنيد : لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله « 6 » .

باب الحياء

وقال الجنيد : الحياء من الله عز وجلّ ، وأزال عن قلوب أوليائه سرور المنّة « 7 » .

وسئل الجنيد عن الحياء ؟ فقال : رؤية الآلاء والنعماء ورؤية التقصير ، فيتولد من بينهما حالة تسمّى الحياء « 8 » .

يقول الجنيد : لقيت إبليس يمشي في السوق عريانا ، وبيده كسرة خبز يأكلها ، فقلت له : أما تستحي من الناس ؟ فقال : يا أبا القاسم ، وهل بقي على وجه الأرض أحد يستحى منه ، من كان يستحى منهم تحت التراب ، قد أكلهم الثرى « 9 » .

....

(1) انظر : روضة الحبور (ص 122) بتحقيقنا ، وكذا المعزى للتادلي .

(2) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (14 / 68) .

(3) انظر : كشف المحجوب (ص 600) .

(4) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 286) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 264) .

(5) انظر : مدارج السالكين لابن قيم (2 / 274) ، والكواكب الدرية للمناوي (1 / 573) ، وطبقات الشافعية الكبرى (2 / 265) ، والرسالة للقشيري (2 / 449) .

(6) انظر : طبقات الصوفية (ص 161) ، والرسالة (1 / 107) ، والحلية (10 / 278) .

(7) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 162) .

(8) انظر : الرسالة القشيرية (2 / 459) ، ورياض الصالحين للنووي (ص 186) ، والإيقاظ (ص 199) .

(9) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 85) .

عن الجنيد قال : قال أبو موسى الديبلي : دخلت على أبي يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب ، فقال لي : تعال . ثم قال : إن رجلا سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء ، فدار دورانا حتى صار كذا كما ترى وذاب .
قال الجنيد : وقال أحمد بن حضرويه : بقي معه قطعة كقطعة جوهر ، فاتخذت منه فصّا ، فكلّما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء . قلت : وهذه من النحالة القبيحة التي وضعها الجهّال ، ولولا أن الجهالة يروونها مسندة ، فيظنونها شيئا لكان الإضراب عن ذكرها أولى « 1 » .

باب الحرية

قال الجنيد : إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية « 2 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : آخر مقام العارف الحرية « 3 » .

باب الذكر والورد

قال الجنيد : من الأعمال ما لا يطّلع عليه الحفظة ، وهو ذكر الله بالقلب ، وما طويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم لله ، واعتقاد الخوف ، وإجلال أوامره ونواهيه « 4 » .
قيل للجنيد عند النزع : قل لا إله إلا الله . فقال : ما نسيته ، فأذكره ، وقال « 5 » :

حاضر في القلب يعمره * لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتمدي * ونصيبي منه أوفره

وأنشدوا للجنيد « 6 » :

ذكرتك لا أنّي نسيتك لمحة * وأيس ما في الذكر لساني

....
(1) انظر : تلبيس إبليس (ص 463) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 462) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 450) . والحرية عند القوم تعني : الخروج عن رق الأغيار ، وهي على مراتب ثلاثة : حرية العامة : الخروج عن رق اتباع الشهوات ، وحرية الخاصة : الخروج عن رق المرادات لاقتصارهم على ما يريده الحق بهم ، وحرية خاصة الخاصة : خروجهم عن رق الرسوم والآثار لانمحاق ظلمة كونهم في تجلي نور الأنوار . (اللطائف 183) .
(4) انظر : الكواكب للمناوي (ص 577) .
(5) الرسالة للقشيري (2 / 296) ، والكواكب للمناوي (1 / 583) .
(6) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 124) .

وقال : حكي أن شابّا كان يصحب الجنيد ، فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق ، **فقال له الجنيد يوما** : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني . فكان بعد ذلك يضبط نفسه ، حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ، ولا يزعق .
فحكى أبو عمرو الزجاجي أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه ، فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه « 1 » .
سأل جعفر الخلدي الجنيد قائلا : ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ، ما هو الذي لا تعلمه الحفظة ؟
ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا ؟
فأجابه الجنيد ، **فقال** : وفّقنا الله وإيّاكم لأرشد الأمور وأقربها إليه ، واستعملنا وإيّاكم بأرضى الأمور وأحبها إليه ، وختم لنا ولكم بخير ، فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب ، وطويت عليه الضمائر مما لا تحرّك به الألسنة والجوارح ، وهو مثل الهيبة لله ، والتعظيم لله ، والإجلال لله ، واعتقاد الخوف من الله ، وذلك كله فيما بين العبد وربّه ، لا يعلمه إلا من يعلم الغيب ، والدليل على ذلك قوله عز وجلّ :يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَما يُعْلِنُونَ[القصص : 69] ،
وأشباه ذلك ، وهذه أشياء امتدح الله بها ، فهي له وحده جلّ ثناؤه .
وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به ، وهو قوله :ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[ق : 18] ،
وقوله :كِراماً كاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ[الانفطار : 11 ، 12] ، فهذا الذي وكّل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه ، وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي ، وما أضمرته القلوب مما لم يظهر على الجوارح ، وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جلّ ثناؤه ، وكل أعمال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك ، والله أعلم .
وما روي في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية ، وأن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملا فأسرّه فقد أحبّ أن ينفرد الله عز وجلّ بعلم ذلك العمل منه .

....

(1) انظر : اللمع للطوسي (ص 358) ، والإحياء (2 / 302) ، والرسالة (2 / 651) ، والعوارف (ص 119) ، وروض الرياحين (ص 180) ، ونشر المحاسن (ص 330) ، وروضة الحبور (ص 113) .

ومعناه : أن يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره ، وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ، ولم يعرج على من دونه ، فإذا علم جلّ ذكره بصدق قصد العبد إليه وحده ، وسقط عن ذكر من دونه ، وأثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين لله على من سواه ، وجازاه الله بعلمه بصدقه من الثواب سبعين ضعفا على ما عمل من لا يحل محله ، والله أعلم « 1 » .
قال الجنيد : صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب « 2 » .
قوله تعالى :وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ[الكهف : 24] قيل : أي إذا نسيت الكون بأسره حتى نفسك ، فإن الذكر لا يصفو إلا حينئذ ، وقيل : إذا نسيت الذكر ،

ومن هنا قال الجنيد قدّس سرّه : حقيقة الذكر الفناء بالمذكور عن الذكر « 3 » .
وقال قدّس سرّه في قوله تعالى :وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً[الكهف : 24] إن فوق الذكر منزلة هي أقرب منزلة من الذكر ، وهي تشديد النعوت بذكره سبحانه لك قبل أن تذكره جلّ وعلا « 4 » .

وقد وقع للجنيد أن الإمام أحمد بن سريج قال له : إن رفع أصواتكم بالذكر يؤذي حلقتنا في العلم ، فقال له : ينبغي مراعاة أقرب الطريقين إلى الله تعالى .
فقال ابن سريج : فإذا وجب مراعاة طريقتنا لأنها أقرب إلى الله تعالى من طريقكم ، فقال الجنيد : وما علامة القرب ؟ قال ابن سريج : أن يكون الغالب عليه شهود الحق .
فقال الجنيد : هذا عليكم لا لكم ؛ لأن الغالب عليكم إنما هو شهود أحكام دين الله ، لا الله . **فقال ابن سريج :** نريد حالة يقع الامتحان بها .

فقال الجنيد : يا فلان ، خذ هذا الحجر وألقه في حضرة هؤلاء الفقراء . فألقاه ، فصاحوا كلهم : الله . ثم قال له : خذ هذا الحجر وألقه بين هؤلاء الذين

....
(1) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 264) .
(2) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 573) .
(3) انظر : روح المعاني (15 / 261) .
(4) انظر : روح المعاني (21 / 15) .

يطالعون في العلم ، فألقاه ، فقالوا له : حرام عليك .
فقال ابن سريج : الحق معك يا أبا القاسم « 1 » .

....

(1) انظر : العهود المحمدية (ص 120) ، وقال سيدنا وشيخنا القطب الشعراني : وسمعت سيدي عليّا الخواص رحمه الله يقول : من علامة ترجيح ذكر الله على قراءة العلم ثقل العلم على لسان الإنسان وهو يطلع في الروح وخفة ذكر الله تعالى ، فإن المشرف على الانتقال من هذه الدار يجب عليه استغنام ما هو الأفضل ، فلو كان تعلم مسائل الفقه والنحو والأصول أفضل لما ثقلت على لسان المحتضر ، وأهل الله تعالى لقصر أملهم كأنهم محتضرون في كل وقت . وأخبرني الشيخ أحمد الضرير المقيم في الشرقية قال : جاورت عند الشيخ عمر شيخ الشيخ دمرداش بمصر ، وكان في مدينة توريز العجم أن شخصا من علماء توريز اسمه ملا عبد اللطيف كبير المفتين بها سعى في إبطال مجلس الذكر المتعلق بالشيخ عمر في الجامع الكبير وقال : إن المسجد إنما جعل بالأصالة للصلاة ، وكان يحضر ذلك المجلس نحو خمسة آلاف نفس ، فقال الشيخ عمر : فإذا ذكرنا بخفض الصوت تمنعنا من ذلك ؟ قال : لا فقال الشيخ عمر : معاشر الفقراء اخفضوا أصواتكم في الذكر ومن قوي عليه وأراد برفع الصوت فليرده ويكتمه ما استطاع ففعلوا ، فحمل من المجلس ذلك اليوم نحو خمسمائة نفس مرضى واحترقت أكباد نحو أربعة عشر نفسا ، وخرجت من أجنابهم فماتوا قال الشيخ أحمد : فحسست بيدي على أكبادهم فوجدتها مشوية محروقة تفتتت كالكبد المشوي على الجمر فأرسل الشيخ عمر إلى ملا عبد اللطيف وجماعته وقال : هل يقول عاقل إن مثل هؤلاء الذين ماتوا لهم تفعل في الموت ولكن سهم الله تعالى في البعيد قال الشيخ أحمد : فتطبقت دار ملا عبد اللطيف تلك الليلة عليه وعلى أولاده وعياله وبهائمه وغلمانه فلم يسلم أحد منهم وماتوا أجمعين وكان يوما مشهودا في توريز .
فاعلم أنه ينبغي لطالب العلم أن يتلطف في العبارة للذاكرين ، ولا يقوم عليهم كقيامه على من يخرجه من الدين بل فعله ذلك هو الذي ينكر لأنه كالمنع من الدين ولو استحضر عظمة الله تعالى لما استطاع أن ينطق بكلمة في حق أحد من الذاكرين له .
فلازم يا أخي على الذكر وانصر أصحابه بالطريق الشرعي إكراما لله تعالى وتعظيما له وإن احتفت قرائن الرياء وعدم الإخلاص في الذاكرين فانصر طلبة العلم المخلصين ولا تكن من الذين ينصرون أحد الفريقين بحظ النفس والله يتولى هداك .
وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول : مراد الشارع صلى الله عليه وسلم ومشايخ الطريق من مريدهم إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب أن يحصل له الأنس ويصير قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر بل يكون الحق مشهوده على الدوام وتارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله وأن الله يراه وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة . –

وفي قوله تعالى :وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ[العنكبوت : 29] سئل الجنيد قدّس سرّه عن هذه الآية ؟ فقال : كل شيء يجتمع الناس عليه إلا الذكر فهو منكر « 1 » .
الورد : عندما شاخ الجنيد رضي الله عنه لم يضيّع أي ورد من أوراد الشباب ، فقيل له : أيها الشيخ ، لقد صرت ضعيفا ، فكفّ عن بعض النوافل .
قال : هذه أشياء أدركت بها في البداية ما أدركته ، فمحال أن أكفّ عنها في النهاية بعد قضاء الله « 2 » .
دخل ابن عطاء على الجنيد وهو في مرض الموت يجود بنفسه ، فسلّم ، فلم يرد عليه ، ثم ردّ عليه بعد ساعة ، وقال : اعذرني ؛ فإني كنت في وردي ، ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبّر ومات « 3 » .
رؤي في يد الجنيد سبحة ، فقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى ربّي لا أفارقه أبدا « 4 » .
وروى الحافظ اليغموري بإسناده إلى أبي الحسن بن المترفّق قال : سمعت عمرو بن علوان وقد رأيت في يده سبحة ، فقلت : يا أستاذ ، أنت مع عظم إشارتك تبني عبادتك وأنت مع السبحة ؟ فقال لي : كذا رأيت الجنيد بن محمد وفي يده سبحة ، فسألته عنها ؟
فقال : كذا رأيت أستاذي الحارث بن أسد المحاسبي وفي يده سبحة ، فسألته عمّا سألتني عنه ؟ فقال : كذا رأيت بشر بن الحارث وفي يديه سبحة ، فسألته عمّا سألتني عنه ؟ فقال :
كذا رأيت أستاذي عامر بن شعيب وفي يديه سبحة ، فسألته عمّا سألتني عنه ؟ فقال : كذا رأيت أستاذي الحسن بن أبي الحسن البصري وفي يده سبحة ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : يا بني هذا شيء استعملناه في البدايات ، ما كنا بالذي نتركه في النهايات ، أحب أن أذكر الله تعالى بقلبي ويدي ولساني « 5 » .
- وسمعته مرة أخرى يقول : من خاصية تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد إكثاره من الذكر ، والله أعلم .

....
(1) انظر : روح المعاني (15 / 261) .
(2) انظر : كشف المحجوب (ص 545) .
(3) انظر : الرسالة (2 / 598) ، وطبقات الأولياء (ص 134) ، وتاريخ بغداد (7 / 245) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 108) ، وتاريخ بغداد (7 / 245) ، وطبقات الأولياء (ص 128) .
(5) انظر : روضة الحبور (ص 119) بتحقيقنا .

وقال الجنيد لجميع الطائفة : عليكم بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلّم في هذين الوقتين ؛ فإنهما ساعات الرضا ، وكانت الصحابة يسمع لهم دويّ بعد المغرب وبعد صلاة الصبح ؛ لما رأوا في ذلك من بركة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلّم « 1 » .
وقال الجنيد : إذا صلّى العبد على النبيّ صلى الله عليه وسلّم واستعاذ من الشيطان كفاه الله تعالى ما أهمّه « 2 » .
وأفاد الجنيد أن بعض الذاكرين ذكر الله تعالى ، وكان في بقعة مهجورة في فلاة ، فتنفّس فيها ، فنبتت نباتا حسنا ، وزكى ذلك النبات ونما ، فبكى ذلك العارف حتّى غشي عليه ، وقال : نفس في النباتات أظهرها ، فكيف لا يقيم القلوب المفتوحة ؟ ! فلمّا خرج من تلك البقعة ودّعته ، وطلبته لمّا مرّ عليها ثانيا : أن عد إليّ . وكان خطابها بلسان عربيّ طلق فصيح « 3 » .

....

(1) قال الشيخ الإبشيهي : وبركة ذلك في الصباح والمساء ، وأن الله تعالى يكفيه ببركتها شرّ يومه وليلته ، وكان ذكر ذلك في الفائدة السابعة من باب أولى ، ووقت المغرب ووقت الغفلة ؛ لأن غالب الناس يكون في مأكله أو ما يحتاج إليه من أسباب معيشته ، وقيل : من صلّى المغرب وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وسلّم كفاه الله تعالى شرّ ليلته ، ومن صلّى عليه بعد صلاة الصبح وسّع الله تعالى عليه ، وكفاه شرّ يومه ورحمه . وانظر : محاسن الأخبار (1 / 123) بتحقيقنا .
(2) انظر : محاسن الأخبار (1 / 125) ، بتحقيقنا .
(3) قال الشيخ الإبشيهي : قلت : وشاهد هذا حديث أخرجه ابن جرير في تفسيره : أن المؤمن إذا مات بكى عليه من الأمكنة المحل الذي يذكر الله تعالى فيه ، ويذكره بما كان يصنع ، ويجعل الله تعالى له بدلا بنيته ، وحديث : « إنّ الله تعالى يباهي بالذّاكرين الملائكة » ، وحديث : « إنّ الله تعالى ينظر لأنفاسكم من أنفسكم » ، فالأنفس يصعد ذكره إلى ساق العرش .
ونقل المنذري : أن كلّ جلالة لها مشهد من أسماء الصفات ؛ فافهم ما قرّرناه لك .
وقال الروياني : ذكر الله تعالى أعلى الأذكار ، والجلالة اسم الله العظيم الأعظم .
وقال ابن صبيح : من أخلص سريرته في ذكره طوى الله تعالى له البعيد ، وسهّل له القريب ، وخدمته الدنيا راغمة ، وما سأل الله تعالى في شيء إلا أعطاه إيّاه .
وقال ابن كثير : الذكر سلاح قاطع ، وسيف باتر ، وجوهر يرى به العبد ما بعد من الجبال الخافية الخالية ، ولو همّ الذاكر لله تعالى أن يحيي الموتى لفعل ، أو يوصل الأحياء لوصل .
وانظر : محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار (1 / 43) بتحقيقنا .

وقال الجنيد : إن الله تعالى يباهي بالذاكرين ملائكته ، وإن العبد إذا زهد الدنيا ناداه كل شيء زهد فيه : اللّهمّ أيقظ قلبه ، واسلبه حبّ الدنيا « 1 » .
ومن كلام الجنيد لبعض مريديه : عليك بطاعة الله تعالى تفز ، واستعمل الإخلاص تغنم ، وتزود إلى الآخرة باستعمال الأوراد في الصباح والمساء ؛ فإن الذكر عمل له نتيجة ، وهو وقاية للذاكر ، وحرز من الشيطان ، وأمان يوم الفزع الأكبر ، ويمر به العبد على الصراط ، ويدخله الجنّة . ثم بكى ،
وقال : إن البقاع شاهدة ، وإن الله تعالى يعطي الذاكرين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت « 2 » .

باب الفتوة

سئل الجنيد عن الفتوة ؟ قال : ألا تنافر فقيرا ، ولا تعارض غنيّا « 3 » .
قال الجنيد : الفتوة كفّ الأذى ، وبذل الندى ، وكفّ الشكوى « 4 » .
لما ورد أبو حفص النيسابوري مسجد الشونيزية اجتمع حوله المشايخ جملة ، وكان معهم الجنيد ، فكان يتحدث إليهم بعربية فصيحة بحيث حاروا جميعا من فصاحته ، وسألوه : ما الفتوة ؟ قال : فلتبدأوا بواحد منكم ، ولتتكلموا . فقال الجنيد : الفتوة عندي ترك الرؤية وإسقاط النسبة .
فقال أبو حفص : ما أحسن ما قال الشيخ ، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف وترك مطالبة الانتصاف . قال الجنيد قدّس الله سرّه : قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته في الفتوة « 5 » .
قال الجنيد : الفتوة بالشام ، واللسان بالعراق ، والصدق بخراسان « 6 » .

....

(1) انظر : محاسن الأخبار للإبشيهي (1 / 43) ، بتحقيقنا تحت قيد الطبع .
(2) انظر : محاسن الأخبار للإبشيهي (1 / 43) ، بتحقيقنا تحت قيد الطبع .
(3) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 473) ، ومدارج السالكين لابن قيم (2 / 342) .
(4) انظر : الرسالة (2 / 474) ، والكواكب للمناوي (1 / 582) ، وروح المعاني (10 / 364) .
(5) انظر : كشف المحجوب (ص 336) .
(6) انظر : الرسالة (2 / 473) .

باب الفراسة

سئل الجنيد عن الفراسة ؟ فقال : هي مصادفة الإصابة . فقيل له : هي للمتفرس في وقت المصادفة أو على الأوقات . قال : لا ، بل على الأوقات ؛ لأنها موهبة ، فهي معه كائنة دائمة ، فأخبر أن المواهب تكون دائمة « 1 » .

سئل الجنيد رضي الله تعالى عنه عن الفراسة ؟ فقال : آيات ربانيّة تظهر في أسرار العارفين ، فتنطق ألسنتهم بذلك فتصادف الحق « 2 » .

يقول أبو بكر الخطيب : لا يعرف للجنيد غير حديث واحد ، قال الجنيد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « اتّقوا فراسة المؤمن ؛ فإنّه ينظر بنور الله « 3 » » ، ثم قرأ الجنيد :إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ[الحجر : 75] فقال الجنيد : للمتفرّسين « 4 » .

قعد الجنيد للناس في الجامع ، فانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس ، فوقف عليه غلام نصرانيّ متنكرا ، وقال له : أيّها الشيخ ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله تعالى » ؟ فأطرق الجنيد ، ثم رفع رأسه ، وقال : أسلم ، فقد حان وقت إسلامك ، فأسلم الغلام « 5 » .

....

(1) انظر : التعرف (ص 157) ، وروح المعاني للآلوسي (14 / 89) .
(2) انظر : وروح المعاني للآلوسي (14 / 89) .
(3) رواه الترمذي (3127) ، والطبراني في الكبير (8 / 121) ، وأبو نعيم في الحلية (4 / 94) ، (6 / 118) ، وأبو سعد الماليني الهروي في الأربعين كما في مجموع الأربعين للنبهاني (ص 305) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10 / 268) ، وحسنه ، وكذلك ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (2 / 305) ، وسكت عليه الحافظ في الفتح (12 / 405) ، والحديث من شواهده ومتابعاته تبين أنه لا يقل عن درجة الحسن لغيره ، وإن كنا ضعفناه نقلا من قبل في كتابنا أحاديث مشهورة لكنها لا تصح ، وكذلك عند تحقيقنا ، لسر الأسرار لأرسطاليس ، والفراسة للرازي ، والسياسة في علم الفراسة للأنصاري ، وغير ذلك ، فهو لا خلاف في صحته كشفا .
(4) انظر : طبقات الصوفية (ص 156) ، وطبقات السبكي (2 / 268) .
(5) انظر : الرسالة (2 / 493) ، ومدارج السالكين (2 / 485) ، والشذرات (2 / 229) .

الخلق

يقول تعالى ذاكرا رسوله صلى الله عليه وسلّم :وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ[القلم : 4] يقول الجنيد :

كان صلى الله عليه وسلّم خلقه عظيما ؛ لأنه لم يكن له همّة سوى الله تعالى « 1 » .

وقال الله تعالى :ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى[النجم : 17] ، فلم تكن له كما قال الجنيد همّة سوى الله « 2 » .

وسئل عن الخلق العظيم ؟ فقال : اجتمع فيه أربعة أشياء : السخاء ، والألفة ، والنصيحة ، والشفقة « 3 » .

وقال الجنيد : سمعت الحارث المحاسبي يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء « 4 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : لأن يصحبني رجل فاسق حسن الخلق أحبّ إليّ من أن يصحبني قارئ سيىء الخلق « 5 » .

باب الجود والكرم والسخاء

ورد أيضا قوله : باب كل نفيس جليل بذل المجهود ، وليس من عبد الله ببذل المجهود كمن طلبه من طريق الجود « 6 » .

وقال الجنيد : لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين ، وبقيت أعمال العاملين فضلا لهم « 7 » .

قال الجنيد : إن بدت عين من الكرم ألحقت اللاحقين بالسابقين ، ومع وجود هذا ينبغي الجهد والجهاد « 8 » .

....

(1) انظر : العوارف للسهروردي (ص 138) ، والقرطبي (18 / 227) ، وقال الثعالبي في تفسيره (4 / 325) : عاشر الخلق بخلقه ، وزايلهم بقلبه ، فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق .

(2) انظر : جلاء القلوب (2 / 159) ، بتحقيقنا .

(3) انظر : العوارف للسهروردي (ص 139) .

(4) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 495) .

(5) انظر : الإحياء للغزالي (2 / 172) ، واللمع للطوسي (ص 235) .

(6) انظر : الجامع لأخلاق الراوي والسامع للخطيب (2 / 180) ، وطبقات السبكي (2 / 267) .

(7) انظر : الحلية (10 / 267) .

(8) انظر : نفحات الأنس (ص 341) .

سئل الجنيد من الكريم ؟ فقال : الكريم من لا يحوجك إلى وسيلة « 1 » .
قال الجنيد : إن بدت عين من الكرم ألحقت المسئ بالمحسن . قال أبو العباس بن عطاء : متى تبدو ؟
فقال له الجنيد : هي بادية ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حديث قدسيّ : « سبقت رحمتي غضبي »« 2 » « 3 » .
وقد اختلف العلماء في شخصين :
سئل أحدهما شيئا من بذل ماله في سبيل الله ، فأبت نفسه عليه ، فجاهدها ، وأخرج ماله ، وسئل الآخر بذل ماله ، فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة النفس ولا مجاهدة منه ، أيهما أفضل ؟ قال قوم : الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير إكراه ولا اعتراض أفضل ؛ لأن مقام هذا في سخاوة النفس ، والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة ، ومن بذل ماله على ذلك ، ولأن الأول وإن غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها في كرة ثانية أو ثالثة ؛ إذ ليس السخاء من مقامها ؛ لأنها كانت محمولة عليه « 4 » .
وقال : كان معي أربعة دراهم ، فدخلت على السريّ ، وقلت له : أربعة دراهم جعلتها لك . فقال لي : أبشر يا غلام إنك تفلح ، كنت أحتاج إلى أربعة دراهم ، فقلت : اللّهمّ ابعثها على يدي من يفلح عندك « 5 » .

باب الغيرة

يقول الجنيد قدّس الله سرّه : لو قال لي الله : انظر إليّ ، أقول : لا أرى ؛ لأن العين في المحبة غير وغريب ، وغيرة الغيرية تمنعني من الرؤية ؛ لأني كنت آراه في الدنيا بغير واسطة العين ، فكيف أتخذ واسطة في العقبى ؟ « 6 » .

....

(1) انظر : اللمع (ص 302) ، والإيقاظ (2 / 39) وعنده : لا يحوج إلى سؤال .
(2) رواه البخاري (6 / 2700) ، وأحمد في المسند (2 / 257) ، والنسائي في الكبرى (4 / 417) ، وابن ماجة (1 / 67) .
(3) انظر : الحلية (10 / 263) ، والكواكب (1 / 152) .
(4) وإلى ذلك ذهب الجنيد وانظر : قوت القلوب (1 / 372) .
(5) أورده القشيري في الرسالة (2 / 700) ، وأبو نعيم في الحلية (10 / 270) ، وابن الأطعاني في روضة الحبور (ص 113) .
(6) انظر : كشف المحجوب للهجويري (ص 577) .

باب الولاية والأولياء

وقال الجنيد : الإيمان والتصديق بطريقنا هذا ولاية « 1 » .

قال الجنيد رضي الله عنه : من صفة الولي ألا يكون له خوف ؛ لأن الخوف ترقّب مكروه يحلّ في المستقبل ، أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف ، والولي ابن وقته ، ليس له مستقبل فيخاف شيئا ، وكما لا خوف له لا رجاء له ؛ لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل ، أو مكروه يكشف ، وذلك في الثاني من الوقت ، كذلك لا يحزن ؛ لأن الحزن من حزونة الوقت ، فمن كان في ضياء الرضا وروضة الموافقة أي الأصل أين يكون له حزن ؟ كما قال الله تبارك وتعالى :أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ[يونس : 62] « 2 » .

يقول الجنيد : من نظر إلى وليّ من أولياء الله تعالى فقبله وأكرمه أكرمه الله على رؤوس الأشهاد « 3 » .

كان بعض العلماء يؤثر فقراء الصوفية على غيرهم ، فذكر هذا الكلام لأبي القاسم الجنيد فاستحسنه ، وقال : هذا كلام وليّ من أولياء الله تعالى . ثم قال : ما سمعت منذ زمن كلاما أحسن من هذا ، وبلغني أن هذا الرجل اختلّ حاله في أمر الدنيا ، حتى همّ بترك الحانوت ، فوجّه إليه الجنيد بمال كان صرف إليه ، فقال : اجعل هذا في بضاعتك ، ولا تترك الحانوت ؛ فإن التجارة لا تضرّ مثلك « 4 » .

....

(1) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 578) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (1 / 265) .

(2) يقول الهجويري : ثم إن الجنيد وأبا العباس السياري وأبا بكر الواسطي ومحمد بن علي الترمذي رضوان الله عليهم أجمعين ، اتفقوا على أن الكرامة تظهر في حال الصحو والتمكين دون السكر ، لأن الله تعالى جعل أولياءه أولياء للعالم ، وناط بهم الحل والعقد ، وصير أحكام العالم موصولة بهمتهم ، فوجب أن تكون آراؤهم أصح كل الآراء ، وقولهم أشفق كل القلوب ، وبخاصة على خلق الله ، لأنهم واصلون ، والتلوين والسكر يكونان في حال الابتداء ، فإذا حصل البلوغ تبدل التلوين بالتمكين ، ومن ثم يكون الولي وليا حقا ، وتكون كراماته صحيحة . وانظر : كشف المحجوب (ص 415 ، 462) .

(3) انظر : طبقات الصوفية (ص 162) .

(4) ويضيف المكي ويقال إن هذا الرجل كان بقالا ، ولم يكن يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه .

وانظر : القوت (2 / 266) .

قال الجنيد : من حسنت رعايته دامت ولايته « 1 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : لقد كنت أرى أقواما تجزيني منهم النظرة ، فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة « 2 » .
قال الجنيد : لا يرتقي في الدرجات من لم يحكم فيما بينه وبين الله أول البداية ، وهي الفروض الواجبة ، ثم الأوراد الزاكية ، ومطايا الفضل ، وعزائم الأمر ، فمن أحكمها منّ الله عليه بما بعده « 3 » .
وقال الجنيد : هم قوم شموا روح ما دعاهم إليه ، فأرسلوا إلى قطع العلائق الشاغلة عنه ، وهجموا بالنفوس على معانقة الجدّ ، وتجرّعوا مرارة المكابدة ، وصدقوا الله تعالى في المعاملة ، فأحسنوا الأدب فيما توجّهوا إليه ، وهانت عليهم المصائب في كل ما يلقون لديه ، وعرفوا قدر ما يطلبون ، فسجنوا نفوسهم وهممهم عن الالتفات إلى مذكور سوى وليهم ، فحيوا حياة الأبد بالحي الذي لم يزل ولا يزال « 4 » .
وقال قدّس سرّه : إن لله عبادا صحبوا الدنيا بأبدانهم ، وفارقوها بعقود إيمانهم ، أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه صائرون ، وفيه مقيمون ، وإليه راجعون ، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمّارة بالسوء ، والداعية إلى المهالك ، والمعينة للأعداء ، والمتّبعة للهوى ، والمغموسة في البلاء ، والمتمكنة بأكناف الأسواء ، إلى قبول داعي التنزيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل ؛ إذ سمعوه يقول :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ[الأنفال : 24] ،
فقرع أسماع فهومهم حلاوة الدعوة لتصفّح التمييز ، وتنسّموا بروح ما أدّته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور ، فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها ، وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال ، وتجرّعوا مرارة المكابدة ، وصدقوا الله في معاملته ، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه ، وهانت عليهم المصائب ، وعرفوا قدر ما يطلبون ، واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح ، وأماتوا شهوات النفوس ، وسجنوا همومهم عن التلفّت إلى مذكور سوى وليّهم ،

....
(1) انظر : العوارف (ص 278) .
(2) انظر : اللمع (ص 334) .
(3) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 578) .
(4) انظر : المنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح (ص 83) بتحقيقنا .

وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي الغفلة ، وأقاموا عليها رقيبا من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة في برّ ولا بحر ، ومن أحاط بكل شيء علما وأحاط به خبرا ، فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها ، واستبقت منافسة لأبناء جنسها ، نفوس ساسها وليّها وحفظها بارئها ، وكلأها كافيها .
فتوهّم يا أخي إن كنت ذا بصيرة ماذا يرد عليهم في وقت مناجاتهم ؟
وما ذا يلقونه من نوازل حاجاتهم ؟
ترى أرواحا تتردد في أجساد قد أذبلتها الخشية ، وذلّلتها الخدمة ، وتسربلها الحياء ، وجمعها القرب ، وأسكنها الوقار ، وأنطقها الحذار ، أنيسها الخلوة ، وحديثها الفكرة ، وشعارها الذكر ، شغلها باللّه متّصل ، وعن غيره منفصل ، لا تتلقّى قادما ، ولا تشيّع ظاعنا ، غذاؤها الجوع والظمأ ، وراحتها التوكّل ، وكنزها الثقة باللّه ، ومعولها الاعتماد ، ودواؤها الصبر ، وقرينها الرضا ، نفوس قدّمت لتأدية الحقوق ، ورقّيت لنفيس العلم المخزون ، وكفيت ثقل المحن .لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ[الأنبياء : 103] ،
نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ[فصلت : 31 ، 32] « 1 » .
كان الكتبة يحضرون مجلس الجنيد لألفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه ، والمتكلمون لتحقيقه ، والصوفية لإشاراته وحقائقه « 2 » .
في قوله تعالى :وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ[الرعد : 7]
قال الجنيد : هو عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه « 3 » .
كان الجنيد يقول : أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق « 4 » .

....
(1) انظر هذه المقطوعة في : الحلية (10 / 262) .
(2) انظر : الكواكب الدرية (1 / 571) .
(3) قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس في إحدى الروايات ، وقيل : الهادي رجل من بني هاشم .
وانظر : تفسير ابن كثير (2 / 503) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 95) ، والسير للذهبي (12 / 87) ، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص 43) .

قال الجنيد : كان الشافعي قدّس الله سرّه من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا ، وعظ أخا له في الله وخوّفه بالله ، فقال : يا أخي ، إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة ، عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها إلى القبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله ، لا تتسلف من دار بقائك إلى دار فنائك ؛ فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل ، أكثر من عملك ، واقصر من أملك « 1 » .

اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد ، فسمع كلامه ، فقيل له : ما تقول في هذا الكلام ؟ فقال : لا أدري ما يقول ، ولكني أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل « 2 » .

عن أبي العباس بن سريج : أنه تكلم يوما فعجبوا ، فقال : ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد « 3 » .

قال الجنيد : أعطي أهل بغداد الشطح والعبارة ، وأهل خراسان القلب والسخاء ، وأهل البصرة الزهد والقناعة ، وأهل الشام الحلم والسلامة ، وأهل الحجاز الصبر والإنابة « 4 » .

قال سريّ السقطيّ : صليت وردي ليلة من الليالي ، ومددت رجلي في المحراب ، فنوديت : يا سريّ ، هكذا تجالس الملوك ، فضممت رجلي ، ثم قلت : وعزّتك ما مددت رجلي أبدا .

وقال الجنيد : فبقي ستين سنة ما مدّ رجله ليلا ولا نهارا « 5 » .

لما حضرت سريّا السقطيّ الوفاة قال له الجنيد : يا سريّ ، لا يرون بعدك مثلك . قال : ولا أخلف عليهم بعدي مثلك « 6 » .

قال الجنيد : منذ مات النوريّ لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد « 7 » .

....

(1) انظر : الإحياء للغزالي (3 / 210) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 733) .
(3) السير للذهبي (14 / 67) .
(4) انظر : السير للذهبي (14 / 69) .
(5) انظر : العوارف (ص 166) .
(6) انظر : تاريخ بغداد (7 / 246) .
(7) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 112) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى (ص 13) بتحقيقنا تحت قيد الطبع .

قال الجنيد : الشبليّ تاج هؤلاء الأولياء « 1 » .
عن أبي القاسم الكعبي أنه قال : رأيت لكم شيخا ببغداد ، يقال له الجنيد ، ما رأت عيناي مثله ، كان الكتبة - يعني البلغاء - يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه والمتكلمون يحضرونه لزمام علمه، وكلامه بائن عن فهمهم وعلمهم«2».
قال الخلدي : لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد ، كانت له حال خطيرة ، وعلم غزير ، إذا رأيت حاله رجّحته على علمه ، وإذا تكلم رجّحت علمه على حاله « 3 » .
قال ابن نجيد : ثلاثة لا رابع لهم : الجنيد ببغداد ، وأبو عثمان بنيسابور ، وأبو عبد الله ابن الجلاء بالشام « 4 » .
سئل الجنيد : من القطب ؟ قال : لم يظهر « 5 » .

....

(1) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (11 / 215) .
(2) انظر : تاريخ بغداد (7 / 243) .
(3) انظر : تاريخ بغداد (7 / 243) .
(4) انظر : تاريخ بغداد (7 / 244) ، والمستطرف (ص 307) .
(5) انظر : كشف المحجوب (ص 359) ، وقال الشيخ القاشاني في معنى القطب : وهو الغوث ، وقد سمي غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه .
ومحل نظره من أن العالم من حيث محاذاته نقطة الكعبة ، وبيت العزة ، والبيت المعمور ، ومحل القدمين ، ومستوى الرحمن ، فهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد على وجه يحكم به الأذواق الصحيحة ولا تأباه الفطرة السليمة ، بيده قسطاس الفيض الأعم ، وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجبولة حيث يعطيه العلم بها بحسبها ، وهو قلب نقيض روح الحياة محل الكون الأعلى والأسفل من ينبوع الغيب الظاهر في لبس المظاهر ، باهري الإمامين ، وشرايين الأعداد حتى يظفر منه كل قطر الوجود ، مع الأنفاس ، والآيات . بحظه المقدر له ، ولعلمه سعة لا يقبل الغاية في سعته .
وهو على قلب إسرافيل من حيث حصة الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس ، ولا من حيثية إنسانية ، فإن إسرافيل في هذه الحيثية جزء دائرة القطب ، ومحل تصرفه .
والإنسان إذا بلغت ملكيته أغيا غاية الكمال انتهت إلى حيطة واحد من عظماء الملائكة ، واتصلت به رقيقته الروحانية .
وحكم إسرافيل في العالم كحكم الروح الحيواني الحامل مادة الحياة والحس والحركة .
وحكم جبريل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية .
وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الحادثة فيها .
وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها .

سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع ؟
فقال : مع علي معنيين : مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة ، قال الله تعالى :إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى[طه : 46] ، ومع العامة بالعلم والإحاطة ، قال تعالى :ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ[المجادلة : 7] . قال ابن شاهين : مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله « 1 » .
في قوله تعالى :طسم[الشعراء : 1]
قال الجنيد قدّس سرّه : الطاء طرب التائبين في ميدان الرحمة ، والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة ، والميم مقام المحبين في ميدان القربة « 2 » .

باب الفقر

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد : الفقر خلوّ القلب عن الأشكال « 3 » .
حكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : علامة الفقير الصادق ألا يسأل أحدا ، ولا يعارض ، وإن عورض سكت « 4 » .
يقول الجنيد : يا معشر الفقراء ، إنكم تعرفون بالله ، وتكرمون لله ، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به « 5 » .
قال الجنيد : معاشر الفقراء ، إنما عرفتم به ، وأكرمتم من أجله ، فإذا خلوتم فانظروا كيف تكونون معه « 6 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن أعزّ الناس ؟ فقال : الفقير الراضي « 7 » .

....

(1) انظر : الرسالة (/ 39) ، ونفح الطيب (5 / 292) ، والمنهاج الواضح (ص 66) بتحقيقنا .
(2) وقيل : الطاء طهارة القدم من الحدثان ، والسين سناء صفاته تعالى التي تكشف في مرايا البرهان ، والميم مجده سبحانه الذي ظهر بوصف البهاء في قلوب أهل العرفان . وانظر : روح المعاني (19 / 153) .
(3) يعقب الهجويري بقوله : فحين يخلو القلب عن الانشغال بالشكل ، والشكل موجود فما الوجه سوى طرحه . وانظر : كشف المحجوب (ص 224) .
(4) انظر : اللمع (ص 75) .
(5) انظر : الرسالة (2 / 539) ، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص 129) .
(6) رواه البيهقي في الشعب (6983) ، (5 / 368) ، وسنده : أخبرنا أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان الصاحب نا أبو الفضل أحمد بن أبي عمران بمكة أنا أبو بكر أحمد بن محمد البغوي قال . . .
(7) انظر : اللمع (ص 293) .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن الفقير الصادق ؟ فقال : هو ألا يستغني بشيء ، ويستغني به كل شيء « 1 » .
قال الجنيد : إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ، ولا تلقه بالعلم ؛ فإن الرفق يؤنسه ، والعلم يوحشه .
فقال له المرتعشي : يا أبا القاسم ، وهل يكون فقير يوحشه العلم ؟
فقال : نعم ، الفقير إذا كان صادقا في فقره فطرحت عليه علمك ذاب ، كما يذوب الرصاص على النار « 2 » .
سئل الجنيد عن الفقير الصادق ، متى يكون مستوجبا لدخول الجنة قبل الأغنياء ، بخمسمائة عام ؟
فقال : إذا كان هذا الفقير معاملا لله عز وجلّ بقلبه ، موافقا لله فيما منع ، حتى يعد الفقر من الله نعمة عليه ، يخاف على زوالها كما يخاف على زوال غناه ، وكان صابرا محتسبا ، مسرورا باختيار الله له الفقر ، صائنا لدينه ، كاتما للفقر ، مظهرا للإياس من الناس ، مستغنيا بربّه في فقره ، كما قال الله عز وجلّ :لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[البقرة : 273] ،
فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، ويكفى يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب إن شاء الله تعالى « 3 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن غنيّ شاكر وفقير صابر أيهما أفضل ؟ فقال : ليس مدح الغني للوجود ، ولا مدح الفقير للعدم ، إنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما ، فشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها ، والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها ، فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشروط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها « 4 » .
عن جعفر الخلدي قال : دخل رجل إلى الجنيد ، فأراد أن يخرج من ملكه كله ، ويجلس معهم على الفقر ،
فسمعت الجنيد قدّس الله سرّه يقول له : لا تخرج كل ما معك ، اجلس مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل ، وتقوّت بما حبست ، واجتهد في طلب الحلال ، لا

....
(1) انظر : اللمع (ص 151) .
(2) انظر : اللمع (ص 233) ، والرسالة (2 / 545) ، وطبقات الصوفية (ص 160) ، وطريق الهجرتين لابن قيم (87) .
(3) انظر : اللمع (ص 292) .
(4) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 140) ، والقوت (1 / 410) .

تخرج كل ما عندك ، فلست آمن عليك أن تطالبك نفسك ، والنبي صلى الله عليه وسلّم كان إذا أراد أن يعمل عملا أثبته « 1 » .
جرى ذات يوم بين الجنيد وابن عطاء قدّس الله سرّهما حديث في هذه المسألة (المفاضلة بين الغني والفقير) ، فقدّم ابن عطاء الدليل على أن الأغنياء أفضل ؛ لأنهم يحاسبون في القيامة ، وإسماع الحساب يكون كلام الله بلا واسطة في محل العتاب ، والعتاب يكون من الحبيب للحبيب . فقال الجنيد : إذا كانوا يحاسبون (الأغنياء) فإنهم يعتذرون للفقراء ، والعذر أفضل من عتاب الحساب « 2 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : علم الفقير إذا قوي ضعفت محبته ، وإذا ضعف قويت محبته ، وحكم الفقير أن يكون فوق محبته « 3 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : جاء إبراهيم الصياد البغدادي يوما إلى السريّ السقطيّ وكان إزاره قطعة حصير ، فقال السقطي : هذا المال . وأمر أصحابه أن يشتروا له جبّة ، فقال إبراهيم : تقعد مع الفقراء ، وتدخر عشرة دراهم ، فما لبسها إبراهيم ، وامتنع من أخذها « 4 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه أيهما أتم : الاستغناء بالله تعالى أم الافتقار إلى الله عز وجلّ ؟
فقال : الافتقار إلى الله عز وجلّ موجب للغنى بالله عز وجلّ ، فإذا صحّ الافتقار إلى الله عز وجلّ كما الغنى بالله تعالى فلا يقال أيهما أتم ؟ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بتمام الآخر ، ومن صحح الافتقار صحح الغنى « 5 » .
كان الجنيد جالسا أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين ، فجاءه إنسان بخمسمائة دينار ، ووضعها بين يديه ، وقال : تفرّقها على هؤلاء الفقراء ، فقال الجنيد : ألك غيرها ؟ فقال : نعم ، لي دنانير كثيرة . فقال : أتريد غير ما تملك ؟ فقال : نعم .
فقال له الجنيد : خذها ؛ فإنك أحوج إليها منّا . ولم يقبلها « 6 » .

....
(1) انظر : اللمع (ص 274) .
(2) انظر : كشف المحجوب (ص 220) .
(3) انظر : اللمع (ص 231) .
(4) انظر : طبقات الأولياء (ص 25) .
(5) انظر : الرسالة (2 / 539) ، واللمع (291) .
(6) انظر : الرسالة (1 / 414) ، وطبقات الشعراني (1 / 85) .

باب التصوف والصوفية

يقول الجنيد : مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : السخاء وهو لإبراهيم ، والرضا وهو لإسحاق ، والصبر وهو لأيوب ، والإشارة وهي لزكريا ، والغربة وهي ليحيى ، ولبس الصوف وهو لموسى ، والسياحة وهي لعيسى ، والفقر وهو لمحمد صلى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين « 1 » .

قال الجنيد : التصوف ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتّباع « 2 » .

قال الجنيد : إنما هذا الاسم (يعني التصوف) نعت أقيم العبد فيه . فقال أبو بكر **الملاعقي :** يا سيدي ، نعت للعبد أم نعت للحق ؟ فقال الجنيد : نعت للحق حقيقة ، ونعت للعبد رسما « 3 » .

قال الجنيد : الصوفي كالأرض ، يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منها إلا كل مليح « 4 » .

وقال الجنيد : الصوفي كالأرض يطؤها البرّ والفاجر ، وكالسحاب يظلّ كل شيء ، وكالمطر يسقي كل شيء « 5 » .

سئل الجنيد عن التصوف ؟ فقال : هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به « 6 » .

سئل الجنيد عن التصوف ؟ فقال : هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة « 7 » .

قال الجنيد : التصوف هو عنوة لا صلح فيها « 8 » .

وقال الجنيد : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤها البرّ والفاجر ، وكالسحاب يظلّ كل شيء ، وكالمطر يسقي ما يحبّ وما لا يحبّ « 9 » .

....

(1) انظر : روضة الحبور (ص 119) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 85) .

(2) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 553) .

(3) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 158) ، والحبور (ص 119) .

(4) انظر : العوارف (ص 40) ، والرسالة (2 / 553) ، والحبور (ص 119) .

(5) انظر : العوارف (ص 40) ، والرسالة (2 / 553) ، والحبور (ص 119) .

(6) انظر : العوارف (ص 39) ، والرسالة (2 / 551) ، والحبور (ص 120) .

(7) انظر : اللمع (ص 45) ، والرسالة (2 / 552) ، والعوارف (ص 37) ، والحبور (ص 120) .

(8) انظر : الرسالة (2 / 553) ، والحبور (ص 119) ، وطبقات الشعراني (1 / 85) .

(9) انظر : العوارف (ص 40) ، والرسالة (2 / 553) .

قال الجنيد : ما أخذنا التصوف عن القال والقيل ، لكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات ، والمستحسنات ؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله ، وأصله العزوف عن الدنيا ، كما قال حارثة : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري « 1 » .

سئل الجنيد عن التصوف ؟ فقال : تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى عن الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلّم في الشريعة « 2 » .

قال الجنيد : التصوف حفظ الأوقات ، وهو ألا يطالع العبد غير حدّه ، ولا يوافق غير ربّه ، ولا يقارن غير وقته « 3 » .

سئل الجنيد ما التصوف ؟ قال : لحوق السر بالحق ، ولا ينال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب ؛ لقوة الروح والقيام مع الحق « 4 » .

قال الجنيد : الصوفية هم أهل بيت واحد ، لا يدخل فيهم غيرهم « 5 » .

قال الجنيد : إذا رأيت الصوفيّ يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب « 6 » .

وقال الجنيد : لكل أمة صفوة ، وصفوة هذه الأمة الصوفية « 7 » .

وقيل للجنيد مرة : ما بال أصحابك يأكلون كثيرا ؟ فقال : لأنهم يجوعون كثيرا . قيل له : فما بالهم لا تهمهم قوة شهوة ؟ فقال : لأنهم لم يذوقوا طعم الزنا ويأكلون الحلال . قيل له : فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون ؟ قال : وأي شيء في القرآن يطرب في الدنيا ،

....

(1) انظر : الحلية (10 / 277) ، والرسالة (1 / 106) ، وطبقات الصوفية (ص 158) ، وتاريخ بغداد (7 / 246) ، وطبقات الحنابلة (1 / 127) ، وطبقات الشافعية الكبرى (2 / 266) ، وذم الهوى لابن الجوزي (ص 51) ، وروضة الحبور (ص 119) .

(2) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 35) .

(3) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 109) .

(4) انظر : التعرف (ص 109) .

(5) انظر : الرسالة (2 / 553) ، وطبقات الأولياء (ص 127) .

(6) انظر : الرسالة (2 / 553) .

(7) انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (ص 128) .

القرآن حقّ نزل من عند حقّ ، لا يليق بصفات الخلق ، كل حرف منه على الخلق واجب ، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله عز وجلّ ، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم . قيل له : فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون ؟ فقال : لأنها مما عملت أيديهم ، ولأنه كلام المحبين .
قيل له : فما بالهم محرومون من أموال الناس ؟ فقال : لأن الله تعالى يرضى لهم ما في أيدي الناس ، لئلا يميلوا إلى الخلق ، فيقطعوا عن الحق تعالى ، فأفرد القصد منهم إليه ؛ اعتناء بهم « 1 » .
سئل الجنيد بن محمد قدّس الله سرّه عن الصوفية : من هم ؟ فقال : أثرة الله في خلقه ، يخفيها إذا أحب ، ويظهرها إذا أحب « 2 » .
وقال الجنيد : إذا أراد الله تعالى بالعبد خيرا أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء « 3 » .
وسئل الجنيد قدّس الله سرّه عن التصوف ما هو ؟ فقال : اجتناب كل خلق دنيّ ، واستعمال كل خلق سنيّ ، وأن تعمل لله ، ثم لا ترى أنك عملت « 4 » .
قيل لبعض المتكلمين : قد ذكرت الطوائف ، وعارضتهم ، ولم تذكر الصوفية **!** فقال : لم أعرف لهم علما ولا قولا ، ولا ما راموه ؟ قيل : بل هم السادة ، وذكروا له الجنيد ، **ثم أتو الجنيد فسألوه عن التصوف** ؟ فقال : هو إفراد القديم عن الحدث ، والخروج عن الوطن ، وقطع المحاب ، وترك ما علم أو جهل ، وأن يكون المرء زاهدا فيما عند الله ، راغبا فيما لله عنده ، فإذا كان كذلك حظاه إلى كشف العلوم ، والعبارة عن الوجوه ، وعلم السرائر ، وفقه الأرواح .
فقال المتكلم : هذا والله علم حسن ، فلو أعدته حتى نكتبه . قال : كلا ، مر إلى المكان الذي منه بدأ النسيان ، وذكر فصلا طويلا .
فقال المتكلم : إن كان رجل يهدم ما يثبت بالعقل بكلمة من كلامه فهذا ؛ فإن كلامه لا يحتمل المعارضة « 5 » .
قال الجنيد : الصوفية أهل غيب ، لا يدخل فيهم غيرهم « 6 » .

....

(1) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 46) .
(3) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 436) .
(4) انظر : اللمع (ص 296) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 271) .
(5) انظر : سير الذهبي (14 / 69) .
(6) انظر : روح المعاني للآلوسي (10 / 105) .

باب الأدب

قال الجنيد : الأدب أدبان : **أدب السر** ، **وأدب العلانية** ، فالأول طهارة القلب من العيوب ، والعلانية حفظ الجوارح من الذنوب « 1 » .

دخل أبو حفص بغداد ، فقال له الجنيد : لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين .

فقال له أبو حفص : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن « 2 » .

قال الجنيد : إذا صحّت المحبة سقطت شروط الأدب « 3 » .

سئل الجنيد عن الأدب ؟ فقال : حسن العشرة « 4 » .

باب أحكامهم في السفر

قال القشيريّ : وهذه الطائفة مختلفون ؛ فمنهم من آثر الإقامة على السفر ولم يسافر إلا لفرض كحجّة الإسلام ، والغالب عليهم الإقامة مثل الجنيد ، وسهل ، وأبي يزيد ، وأبي حفص وغيرهم « 5 » .الصحبة والأخوة

سأل رجل الجنيد من أصحب ؟ فقال : من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك « 6 » .

وسأل رجل الجنيد من أصحب ؟ فقال : اصحب بعدي من تأمنه سرّ الله فيك « 7 » .

وسأل رجل الجنيد من أصحب ؟ فقال : من يقدر أن ينسى ما له ، ويقضي ما عليه « 8 » .

وقال الجنيد : ما احتشم صاحب من صاحبه أن يسأله حاجة إلا لنقص في أحدهما «9» .

....

(1) انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (ص 128) .
(2) انظر : الرسالة (2 / 561) .
(3) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 563) .
(4) انظر : آداب الصحبة (ص 69) .
(5) انظر : الرسالة للقشيري (ص 224) .
(6) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 161) .
(7) انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (2 / 270) .
(8) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 161) .
(9) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) .

قال الجنيد : صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة ، كل طبقة ثلاثون رجلا : حارثا المحاسبي وطبقته ، وحسنا المسوحي وطبقته ، وسريّا السقطيّ وطبقته ، وابن الكرنبي وطبقته « 1 » .
ويحكى عنه رضي الله عنه قال : صحبت خمس طبقات من الناس الأكابر :
أولهم أبو الحسن البصري ، والحارث المحاسبي ، وأبو جعفر القصاب ، وأبو يعقوب محمد بن الصباح ، ونظائرهم في السنّ والمكانة .
والطبقة الثانية : أبو عثمان الوراق ، وأبو الحسن ابن الكرنبي ، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم ، وحسن السروجي ، ومحمد بن أبي الورد ونظائرهم في السنّ والمكانة .
والطبقة الثالثة : أبو محمد بن وهب ، وأبو جعفر يعقوب بن الزيات ، وسعد الدمشقي البزاز ، وحسين النجار ونظائرهم في السنّ والمكانة .
والطبقة الرابعة : أبو القاسم الواسطي ، وأبو عبد الله الباجلي ، وأبو العباس الآدمي ، وأبو أحمد المغازي ، ومحمد بن السمّاك ، وأبو بكر المخزومي وجماعة من نظائرهم في السنّ والمكانة .
والطبقة الخامسة : في هذه التي نحن فيها ما رأيت منهم أحدا زاحمته حاجة عند صاحبه إلى حيث انتهينا بحثهم صاحبه إلا بنظر نقص في أحدهم ، وعلى هذا مضى أكابر أهل هذه الطريقة « 2 » .
يذكر النووي حادثة جرت في مجلس الجنيد ، وكانت سببا في تلقيب محمد بن جعفر الخوّاص صاحب الجنيد بالخلدي : قيل له الخلدي لأنه كان يوما عند الجنيد ، فسئل يوما عن مسألة ، فقال الجنيد : أجبهم . فأجابهم ،
فقال له الجنيد : من أين لك هذه الأجوبة ؟
فقال : من خلدي . فبقي عليه هذا الاسم « 3 » .
قال رجل للجنيد : قد عز في هذا الزمان أخ في الله تعالى ، قال : فسكت عنه ، ثم أعاد ذلك ، **فقال له الجنيد :** إذا أردت أخا في الله عز وجلّ يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا

....
(1) انظر : الإحياء للغزالي (2 / 189) .
(2) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي (بتحقيقنا) .
(3) انظر : بستان العارفين للنووي (ص 40) .

قال رجل للجنيد : قد عز في هذا الزمان أخ في الله تعالى ، قال : فسكت عنه ، ثم أعاد ذلك ، فقال له الجنيد : إذا أردت أخا في الله عز وجلّ يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل ، وإن أردت أخا في الله تتحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أدلّك عليهم إن أحببت « 1 » .

قال الجنيد : صحبت قوما بالبصرة ، فأكرموني ، فقلت يوما مرة : أين إزاري ؟ فسقطت من أعينهم « 2 » .

قال الجنيد : ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لعلة في أحدهما « 3 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : إذا كان لك صديق فلا تسؤه فيك بما يكرهه « 4 » .

قال الجنيد : مؤاكلة الإخوان رضاع ؛ فانظروا من تواكلون « 5 » .

وقال عبد الرحمن بن إسماعيل : كنت ببغداد ووافى لي الحاج من خراسان ، فلقيني بعض أصحابنا الذين عاشرناهم ممن له فضل وأفضال على هذه الطائفة ، فسألني أن أعرّفه جماعة ليصلهم بشيء قد حمله معه برسمهم ، فقلت له : ابدأ بأبي القاسم الجنيد . فحمل إليه دراهم كثيرة وثيابا كثيرة ، فلما رآه الجنيد أعجبه أدبه في رفقته ، فقال له : اجعل بعضه للفقراء أذكرهم لك . فقال له الخراساني : أنا أعرف الفقراء أيها الشيخ .

فقال الجنيد : أنا أأمل أن أعيش حتى آكل هذا ؟ قال : إني لم أقل لك أنفقه في الخل والبقل والكامخ والجبن والملح ، إنما أريد أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوات ، وكلما كان أسرع فهو أحبّ عليّ .

فتبسم الجنيد ، وقال له : مثلك لا يحل أن يرد عليه . فقبل ذلك منه ، فقال الخراساني : ما أعلم ببغداد أعظم منّة عليّ منك . فقال الجنيد : ولا يبقى لأحد أن يرتفق إلا ممن كان مثلك « 6 » .

....

(1) انظر : العوارف (ص 252) ، والإحياء (2 / 189) .
(2) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 583) .
(3) انظر : القوت (2 / 467) ، والإحياء (2 / 189) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 279) .
(5) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 578) .
(6) انظر : روضة الحبور (ص 116) بتحقيقنا .

قال الجنيد قدّس الله سرّه : سمعت السريّ يقول : دخل السماك عليّ ، وجماعة من الناس كانوا عندي ، فتوقف وما قعد ، ونظر إليّ ، فقال : صرت مناخ البطالين . فرجع فما أعجبه هذا الاجتماع « 1 » .
قال أبو جعفر الفرغاني : كنّا يوما عند الجنيد ، فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ، ويتشبهون بالصوفية ، ويقصّرون عمّا يجب عليهم من حقّ الجلوس ، ويعيبون من يدخل السوق ، فقال الجنيد : كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ، ويأخذ بأذن بعض من فيه ، فيخرجه ، ويجلس مكانه ، وإني لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وثلاثون ألف تسبيحة ، قال : فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه « 2 » .
قال أبو عمر الأنماطي : اعتلّ النوريّ ، فبعث إليه الجنيد بصرّة فيها دراهم ، وعاده فردّه النوريّ ، ثم اعتلّ الجنيد بعد ذلك ، فدخل عليه النوريّ عائدا ، فقعد عند رأسه ، ووضع يده على جبهته ، فعوفي من ساعته . فقال النوري للجنيد : إذا عدت إخوانك فارفقهم بمثل هذا البر « 3 » .
قال الجنيد : المروءة احتمال ذلل الإخوان « 4 » .
قال الجنيد للشبلي : يا أبا بكر ، إذا وجدت من يوافقك على كلمة مما تقول فتمسك به « 5 » .
يحكى أن مريدا من مريدي الإمام الجنيد رضي الله عنه خيّل إليه أنه وصل إلى درجة الكمال ، وقال لنفسه : إن الوحدة أفضل لي من الصحبة ، واعتكف في زاويته وأعرض عن صحبة الجماعة ، فلما أقبل الليل جيء بجمل ، وقيل له : ينبغي لك أن تذهب إلى الجنة ، فركبه وأخذ يسير حتى بدا له مكان بهيج ، وكان فيه جماعة حسان الصور ، وأطعمة طيبة ، ومياه جارية ، واستبقوه حتى وقت السحر ، ثم نام فلما استيقظ رأى نفسه على باب صومعته حتى استشرت فيه رعونة الآدمية ، وأظهرت نخوة الشباب أثرها في قلبه ، فأطلق لسان

....
(1) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 78) .
(2) انظر : الإحياء للغزالي (2 / 85) .
(3) انظر : تاريخ بغداد (5 / 133) .
(4) انظر : الحلية (10 / 268) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 264) .
(5) انظر : طبقات الصوفية (ص 160) .

الدعوى ، **وكان يقول** : إن لي كذا وكذا . حتى أبلغ الخبر الجنيد ، فنهض وجاء إلى صومعته ، فوجده وقد ملأ رأسه زهوا ، وتمكن في دماغه الكبر ، فسأله الجنيد عن حاله ؟ فذكر للجنيد كل شيء ، فقال له رضي الله عنه : عندما تذهب الليلة إلى ذلك المكان قل : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ثلاث مرات . فلما جنّ الليل حملوه ، وكان في قلبه ينكر علم الجنيد ، فلما انقضى زمن . . قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاث مرات على سبيل التجربة ، فضجّ أولئك جميعا وانصرفوا ، ووجد نفسه جالسا في وسط مزبلة وقد أحاطت به بعض عظام الرمم ، ووقف على خطأه وتعلق بأهداب التوبة ، ورجع إلى صحبة أصحابه « 1 » .

<u>وورد في الآثار أن رجلا من أهل الدنيا</u> عرض نفسه وماله على الجنيد رحمه الله ، وسأله أن يباسطه في كل ما سنح له من حوائجه ، فقال له الجنيد : لعلك محتاج إلى ما معك . **فقال الرجل** : لا أحتاج إليه ؛ فإني موسر ، ومالي صامت وعقار وضياع .

فقال الجنيد : ومع هذا تريد الزيادة ؟ قال : نعم . فأخرج الجنيد خرقة وعليها عقد ، ففتحها وأخرج منها شيئا ، وقال : خذ هذا وأضفه إلى ما عندك ؛ فإنك محبّ في الزيادة ، محتاج إليها ، وأنا غنيّ ، غير محتاج إليها ، فخجل الرجل « 2 » .

قال أبو طالب : <u>جاء شابّ من خراسان لزيارة الجنيد</u> ، فأخذ الجنيد من الشاب عصاه وركوته ، وأرسلها البيت ووضعها في مخزن وقفله ، وتلك الليلة كان لأصحاب الجنيد اجتماع ،

فقال الشيخ لجماعة : ودّوا هذا الغريب . فلما فرغوا من الطعام ، فبطريق الطيبة والمزاح أرادوا أن يلعبوا الخاتم ،

فقال الشبليّ للشاب : توافقني فيه ، فأبى ، وعابهم ، فنظر إليه الشبليّ وقال : اسكت وإلا أقطع رأسك . فسكت الشاب ، وقام وذهب ، في اليوم الثاني حكوا هذه الحكاية **عند الجنيد** ، **فقام الجنيد** ودخل البيت فما وجد العصا والركوة في ذلك المكان ، فخرج وقال لأصحابه : كم مرة أوصيتكم إن دخل غريب لا تذلوه بالمزاح معه ، والله لقد أخذ العصا والركوة وذهب ، وما أعطيته ، وما طلب منّي « 3 » .

....

(1) انظر : كشف المحجوب (ص 585) .

(2) انظر : المنهاج الواضح (ص 222) بتحقيقنا ، وعقب الشيخ الماجري بقوله : فقيل : هذا على أن صاحب الحال يؤثر على صاحب المال ؛ لأن صاحب المال ينفق من نعمة ، وصاحب الحال ينفع الخلق بهمة ، فهمم الناس أحوج منهم إلى صاحب المال .

(3) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 114) .

قال الجنيد قدّس سرّه : جزى الله تعالى إخواننا عنّا خيرا ؛ ردّونا بجفائهم إلى الله تعالى ، وقاتلوا أنفسهم فيّ ، وهي أعدى أعدائهم ، وقتلوا بسيف الفناء « 1 » .

باب التوحيد

سئل الجنيد عن التوحيد ؟ فقال : إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، بنفي الأضداد ، والأنداد ، والأشباه ، بلا تشبيه ، ولا تكييف ، ولا تصوير ، ولا تمثيل ، فالله الإله الواحد الفرد الصمد :لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[الشورى : 11] « 2 » .

قال الجنيد : علم التوحيد طوي بساطه منذ عشرين سنة ، والناس يتكلمون في حواشيه « 3 » .

قال الجنيد : التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدوث ، والخروج عن الأوطان ، وقطع المحاب ، وترك ما علم وجهل ، وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع « 4 » .

سئل الجنيد عن توحيد الخاص ؟ فقال : أن يكون العبد شبحا بين يدي الله سبحانه ، تجري عليه تصاريف تدبيره ، في مجاري أحكام قدرته ، في لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له ، وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته ، في حقيقة قربه ، بذهاب حسّه وحركته ، لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون « 5 » .

....

(1) انظر : روح المعاني (4 / 174) .

(2) انظر : الرسالة (2 / 583) ، واللمع (ص 49) ، والحبور (ص 121) ، والمواعظ والنكات والإشارات من خلصة الحقائق للفاريابي (ص 94) .

(3) انظر : الرسالة (2 / 586) ، وطبقات الشعراني (1 / 85) .

(4) قال أبو المعين النسفي : قول الجنيد قدس الله سره في التوحيد إفراد القدم من الحدوث ، إذ لا يخطر ببالك إلا حادث ، فإفراد القدم أن لا يحكم على الله بمشابهة شيء من الموجودات لا في الذات ولا في الصفات ، فإن ذاته لا تشبه الذوات ولا صفاته قال تعالى :لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُوانظر : التمهيد لقواعد التوحيد (ص 93) بتحقيقنا ، والرسالة القشيرية (2 / 586) ، والطبقات الكبرى للشعراني (1 / 85) ، والكواكب الدرية للمناوي (1 / 575) ، وكشف المحجوب للهجويري (ص 521) .

(5) انظر : الرسالة (2 / 584) ، واللمع (ص 49) ، وطبقات الشعراني (1 / 85) .

قال الجنيد : أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلّم « أن تعبد الله كأنّك تراه « 1 » » « 2 » .

حكي عن الجنيد أنه قال : أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر الصديق : (سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته « 3 ») .
قال الجنيد : إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة « 4 » .

....
(1) رواه البخاري (1 / 27) ، ومسلم (1 / 37) . (2) رواه البيهقي في السنن الصغرى (1 / 25) ، وانظر : الكواكب الدرية (1 / 577) . (3) انظر : اللمع (ص 172) ، والرسالة (2 / 585) ، ونفح الطيب للمقري (5 / 286) .
(4) انظر : الرسالة القشيرية (2 / 583) ، قال الشيخ الكتاني : وقال الشيخ زروق في شرحها أيضا : يعتبر المتفكرون في آياته ولا يتفكرون في ماهيته - أي حقيقة ذاته - بعد ذكر الخلاف في إطلاق الماهية والحقيقة على الله تعالى ما نصه : واختلفوا هل يمكن تعلقها ؟ فقال المحققون : ليست حقيقة ذاته معلومة لنا في الدنيا . واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة ؟ قال في « المباحث » : حقيقة واجب الوجود وما يجب له من صفات الكمال ونعوت الجلال غير ممكنة الحصول لنفوسنا زاد الآمدي لقوله تعالىوَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً[طه : 110] وعزا استحالة ذلك لإمام الحرمين والغزالي وعزاه الإمام لجمهور المحققين وهو الذي يدل عليه كلام المتصوفة كالجنيد وغيره . وذهب بعض المتكلمين إلى أنها معلومة محتجين بأنا نعلم وجوده ووجود نفس ذاته واختار الفهري الوقف ، فأما في الدار الآخرة فقال قوم بالإمكان . وفي « شرح الإرشاد » للشريف عن القاضي المنع وللإمام والآمدي عنه الوقف والله أعلم انتهى بلفظه أيضا من « شرح سلم العلوم في علم المنطق » لأبي العياش محمد عبد العلى اللكنوي الحنفي وهو الملقب ببحر العلوم في أوله ما نصه : وهاهنا برهانان عرشيان - يعني عاليين عظيمين - على امتناع تصوره تعالى بكنهه الأول ما أفاده الشيخ الأكبر والإمام الأعظم سند الأولياء والأتقياء معدن الهداية خاتم فص الولاية حسنة من حسنات سيد المرسلين الذي كان وليا أي بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين الشيخ محيي الملة والدين محمد بن العربي قدس سره رضي الله عنه في « فتوحاته المكية » : من أنه تعالى يخالف المخلوقات ولا نسبة بينه وبين خلقه البتة وكيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل فالعلم بالله تعالى عزيز عن إدراك العقل والنفس إلا من حيث أنه موجود تعالى وتقدس وكل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات وغيرها فالله تعالى في نظر العقل السليم بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم انتهى ملخصا هذا كلام متين يعجز عن فهمه إلا من أتى الله بقلب سليم . قلت : وقد ذكره الشيخ الأكبر أول الباب الثالث في « تنزيه الحق تعالى » فلتراجع عبارته ، ثم قال أبو العياش : الثاني ما نقل عن المعلم الأول أرسطاطاليس أنه سبحانه جلى غاية الجلاء بحيث لا -

سئل الجنيد عن قوله صلى الله عليه وسلّم : « كان الله ولم يكن معه شيء ثان » ؟
فقال : هو الآن على ما عليه كان « 1 » .
سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن التوحيد ؟ فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم ، وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل « 2 » .
قال الجنيد : كنت عند أستاذي ابن الكرنبي ، وهو يجود بنفسه ، فنظرت إلى السماء فقال : بعد . ثم نظرت إلى الأرض ، فقال : بعد « 3 » .

....

- جلاء فوقه فيتحير العقل ويمتنع عن تمام إدراكه كالنور إذا اشتد يمنع البصر عن الرؤية ثم إنهم بعد الاتفاق على عدم وقوع تصوره بكنهه اختلفوا فمنهم من اقتصر على ذلك وجوز إمكانه وهو يلوح من كلام الشيخ الرئيس يعني أبي علي بن سينا وقال الإمام يعني فخر الدين الرازي عليه الرحمة بالاستحالة وهو مذهب قدماء الفلاسفة والصوفية الصافية كثرها الله تعالى وهكذا نقل عن إمامنا الأعظم إمام الأئمة الباذل جهده في إعلاء السنة وقمع البدعة أبي حنيفة - رحمه الله - الكوفي والدلائل المذكورة تعطي امتناعه بالذات وهو - الصواب ، انتهى منه بلفظه .
وبه وبكلام زروق قبله نعلم ما في قول اليوسي أخذا من كلام السعد أن عدم الجواز إنما هو عند الفلاسفة كما أنه بكلام اليوسي وما بعده تعلم ما في قول أبي العياش أنه اتفق على عدم وقوع تصوره تعالى بكنهه فإنه لا اتفاق بل جمهور المتكلمين على الوقوع كما في كلام السعد المتقدم ، إلا أن يريد اتفاق الصوفية والحكماء والله أعلم .
وهذه نصوص أهل الله تعالى المعلنة بما نقلناه عنهم قبل من هذا المطلوب ونسبناه إلى جنابهم من ذلك التفصيل المحبوب . كما قال عليه الصلاة والسلام : « كان الله ولم يكن شئ غيره » . أخرجه أحمد في مسنده والبخاري في بدء الخلق ، والطبراني في الكبير من حديث عمران بن حصين . وهو الآن على ما عليه كان قبل خلق الزمان والمكان وغيرهما من الحوادث والأكوان كما قال الجنيد عند سماعه لهذا الحديث : وهو الآن كما كان يعني لم يحل في شيء ولم يحل فيه شيء ولم يحده زمان ولا حواه مكان ولا تغير عن صفته الأزلية وحالته ولا وجد معه شيء من الأشياء كلها في أوصافه العلية أو مرتبته . وزيادة بعضهم في لفظ هذا الحديث كالنابلسي في شرحه المذكور : وهو الآن على ما عليه كان . ليست في شيء من كتب هذا الشأن كما قال ابن تيمية وغيره ، بل هي مدرجة فيه كما ذكره الشيخ الأكبر في عقلة المستوفز ، وذكر غيره أنها من كلام الجنيد . وانظر : جلاء القلوب (1 / 296) ، (2 / 5) بتحقيقنا . (1) انظر : شرح الصلاة الأكبرية المسمى بكشف الأسرار للشيخ عمر العطار (ص 21) تحت قيد الطبع بتحقيقنا .
(2) انظر : الرسالة (2 / 583) ، واللمع (ص 49) .
(3) يعقب أبو القاسم القشيري بقوله : يعنى إنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض ، بل هو وراء المكان . وانظر : الرسالة (2 / 597) .

سئل الجنيد عن التوحيد ؟
فقال : سمعت قائلا يقول :

وغنى ليمنّ قلبي * وغنيت كما غنى
وكنّا حيثما كانوا * وكانوا حيثما كنّا

فقال السائل : أهلك القرآن والأخبار ؟
فقال الجنيد : لا ، ولكن الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره « 1 » .
قال الجنيد : علم التوحيد مباين لوجوده ، ووجوده مباين لعلمه « 2 » .

قال الجنيد قدّس الله سرّه في وصف التوحيد : حكمها على ما جرت عليه جار ، وسلطانها على كل حق عال ، ظهرت فقهرت ، وخفيت فاستترت ، وصالت فغالت ، هي هي بلا هي ، تبدي فتبيد ما بدت عليه ، وتفني ما أشارت إليه ، قريبها بعيد ، وبعيدها قريب ، وقريبها مريب « 3 » .

سئل الجنيد عن قوله تعالى :وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ[الرعد : 5] ؟ فقال : إن الله لا يعجب من شيء ، ولكن الله وافق رسوله فقال :وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ: أي هو كما تقول « 4 » .
قال أبو بكر الزقّاق : سمعت من الجنيد قدّس الله سرّه كلمة في التوحيد هيمتني أربعين سنة ، وأنا بعد في غمار ذلك « 5 » .

....
(1) انظر : الرسالة (2 / 588) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 203) ، والتعريفات للجرجاني وعقب بقوله : الوجود فقدان العبد بمحاق أوصاف البشرية ، ووجود الحق لأنه لا بقاء للبشرية وثم ظهور سلطان الحقيقة ، وهذا معنى قول أبي الحسين النوري : أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد إذا وجدت ربي فقدت قلبي .
وهذا معنى قول الجنيد : علم التوحيد مباين لوجوده ، ووجود التوحيد مباين لعلمه . فالتوحيد بداية ، والوجود نهاية والوجد واسطة بينهما . التعريفات (ص 324) .
(3) انظر : اللمع (ص 438) .
(4) انظر : معالم التنزيل (4 / 24) والإتقان للسيوطي (2 / 20) ، والبرهان للزركشي (2 / 89) ، وأقاويل الثقات (ص 74) .
(5) انظر : اللمع (ص 368) .

قال الجنيد قدّس الله سرّه في معنى قوله تعالى :وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ[الأعراف : 172] ؟

فمن أين كان وكيف كان قبل أن يكون هل أجابت إلا الأرواح الطاهرة ، بإقامة القدرة ، وإنفاذ المشيئة ؟

فهو الآن في الحقيقة ما كان قبل أن يكون ، وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد أن يكون العبد كما لم يكن ، ويبقى الله تعالى كما لم يزل « 1 » .

قال الجنيد :أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة ، في ميدان التوحيد ، والتنسّم بنسيم المعرفة ، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد ، والنظر بحسن الظن لله عز وجلّ. ثم قال: يا لها من مجالس ما أجلّها، ومن شراب ما ألذه، طوبى لمن رزقه«2».

قال الجنيد:التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية"3".

قال الجنيد : سئل بعض العلماء عن التوحيد ؟ فقال : هو اليقين . فقال السائل : بيّن لي ما هو ؟ فقال : هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجلّ وحده ، لا شريك له ، فإذا فعلت ذلك فقد وحّدته « 4 » .

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب : أنت تتكلم على كلام كل أحد ، وهاهنا رجل يقال له : الجنيد ، فانظر هل تعترض عليه أم لا ؟ فحضر حلقته ، وسأل الجنيد عن التوحيد ، فأجابه ، وتحيّر عبد الله ، وقال : أعد عليّ ما قلت . فأعاد ، ولكن لا بتلك العبارة . فقال عبد الله : هذا شيء آخر لم أحفظه ، تعيده عليّ مرة أخرى ، فأعاد بعبارة أخرى ، فقال عبد

....

(1) انظر : اللمع (ص 50) .

(2) انظر : الرسالة (1 / 43) ، والإحياء (4 / 425) ، والفيض للمناوي (4 / 529) وعقب بقوله : قالوا :

كان الرجل من بني إسرائيل إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته سحابة ففعله رجل فلم تظله فشكى لأمه فقالت : لعلك أذنبت ؟ قال : لا ، قالت : فهل نظرت إلى السماء فرددت مفكر فيها ، قال : نعم قالت :

من هاهنا أتيت ، فعلى العاقل ألا يهمل التفكر ، ومن الجوائز أن تروح غدا مع الجنائز ، فالحازم لا يترك مسارح النظر ترقد ولا تكرى إلا وهو يقظان الفكر نهار يحول وليل يزول وشمس تجري وقمر يسري وسحاب مكفهر وبحر مستطر وخلق تمور ووالد يتلف وولد يخلف ما خلق الله هذا باطلا وأن بعد ذلك أثوابا وأحقابا وحشرا ونشرا وثوابا وعقابا .

(3) انظر : اللمع (ص 49) .

(4) انظر : الرسالة (1 / 36) ، والحلية (10 / 256) .

الله : ليس يمكنني حفظ ما تقول ، أمله عليّ . فقال : إن كنت أجريه فأنا أمليه ، فقام عبد الله مقرّا بفضله ، واعترف بعلوّ شأنه « 1 » .

قال الجنيد : التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته ، لا ثاني معه ، ولا شيء يفعل فعله « 2 » .

قال الجنيد : أما قوله : (أول ما صرت إلى وحدانيته) فذاك أول لحظة إلى التوحيد ، فقد وصف ما لاحظ من ذلك ، ووصف النهاية في حال بلوغه ، والمستقر في تناهي رسوخه .

وقال الجنيد : وأما قول أبي يزيد (ألف ألف مرة) فلا معنى له ؛ لأن نعته أجلّ وأعظم مما وصفه وقاله ، وإنما نعت من ذلك على حسب ما أمكنه ، ثم وصف ما هناك ، وليس هذا بعد الحقيقة المطلوبة ، ولا الغاية المستوعبة ، وإنما هذا بعض الطريق .

وقال الجنيد : لو أن أبا يزيد قدّس الله سرّه علم عظم إشارته خرج من البداية والتوسط ولم أسمع له نطقا يدل على المعنى الذي ينبئ عن الغاية ، وذلك ذكره للجسم ، والجناح ، والهواء ، والميدان « 3 » .

سئل الجنيد عن التوحيد ؟ فأجاب بكلام ، ولم يفهم ، فقيل له : أعد الجواب ؛ فإنا ما فهمنا . فقال جوابا آخر ، فقيل له : هذا أغمض ، فأمله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه . فقال : إن كنت أجريه فأنا أمليه « 4 » .

قال الجنيد : التواضع عند أهل التوحيد تكبر « 5 » .

حكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات « 6 » .

قال أبو يزيد البسطامي قدّس سرّه : أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق .

....

(1) انظر : روضة الحبور (ص 114) بتحقيقنا .

(2) انظر : الرسالة (1 / 31) .

(3) انظر : اللمع (ص 464) .

(4) انظر : الكواكب (1 / 582) .

(5) يعقب الغزالي بقوله : لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أولا ثم يضعها ، والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها . وانظر : الإحياء (3 / 343) .

(6) انظر : اللمع (ص 436) .

يقول الجنيد في تفسير كلمات أبي يزيد : عند إشرافي على التوحيد تحقق عندي غيبوبة الخلق كلهم عن الله تعالى ، وانفراد الله عز وجلّ بكبريائه عن خليقته ، وهذه الألفاظ التي قال أبو يزيد معروفة في إدخال المراد فيما أريد منها « 1 » .
قال أبو يزيد البسطامي قدّس سرّه : أول ما صرت إلى وحدانيته ، فصرت طيرا جسمه من الأحدية ، وجناحاه من الديمومة ، فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين ، حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرة ، فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرة الأحدية ، ثم وصف أرضها وأهلها وزرعها وأغصانها ، وثمارها ، ثم قال :
فنظرت فعلمت أن هذا كله خدعة .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : حكايات أبي يزيد البسطامي قدّس الله سرّه تدل على أنه كان قد بلغ إلى عين الجمع ، وعين الجمع اسم من أسماء الوحيد ، له نعت ووصف يعرفه أهله « 2 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : رأيت حكايات أبي يزيد قدّس الله سرّه على ما نعته ينبئ عنه : أنه قد غرق فيما وجد منها ، وذهب عن حقيقة الحق ، إذا لم يرد عليها وهي معان غرّقته على تارات من الغرق ، كل واحد منها غير صاحبتها .
وقال الجنيد قدّس الله سرّه : أما ما وصف من بدايات حاله فهو قويّ محكم ، قد بلغ منه الغاية ، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة ، إلا أنها بدايات ، فيما يطلب منها المرادون لذلك « 3 » .
ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مرّ بهم من المتكلمين ما هؤلاء ؟
فقيل : قوم ينزّهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص .
فقال : نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب ، لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة ؛ إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها ، والله تعالى ولي المؤمنين يفيضون فيه « 4 » .

....
(1) انظر : اللمع (ص 469) .
(2) انظر : اللمع (ص 450) .
(3) انظر : اللمع (ص 459) .
(4) انظر : أبجد العلوم للقنوجي (2 / 452) .

يقول الجنيد : إن أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة تعريف المصنوع صانعه والمحدث كيف كان أحدثه ، وكيف كان أوله ، وكيف أحدث بعد موته ، فيعرف صفة الخلق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث ، فيعرف المربوب ربّه ، والمصنوع صانعه ، والعبد الضعيف سيده ، فيعبده ، ويوحده ، ويعظمه ويدل على دعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه ، ولم يضف الخلق في تبديره إلى وليه ، والتوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته ، لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله ، وأفعاله التي أخلصها لنفسه أن يعلم أنه ليس شيء يضرّ ولا ينفع ، ولا يمنع ، ولا يسقم ، ولا يبرئ ، ولا يرفع ، ولا يضع ، ولا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يميت ، ولا يحيي ، ولا يسكن ، ولا يحرك غيره جلّ جلاله « 1 » .

قال الجريريّ : قدمت مكة ، فبدأت بالجنيد لكي لا يتعنىّ إليّ ، فسلّمت عليه ، ثم مضيت إلى المنزل ، فلما صليت الصبح في المسجد إذا أنا به خلفي في الصف ، **فقلت :** إنما جئتك أمس لئلا تتعنّى . فقال : ذاك فضلك ، وهذا حقك « 2 » .

وكان الجنيد يقول : علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوي بساطه منذ عشرين سنة ، وإنما نتكلم في حواشيه « 3 » .
وقد ذكر أن رجلا قال بين يدي الجنيد : الحمد لله . فقال له : أتمّها كما قالها الله ، قل : (رب العالمين) . **فقال الرجل** : ومن العالمين حتى تذكر مع الخالق ؟ قال : قل يا أخي ؛ فإن المحدث إذا قرن مع القديم لا يبقى له أثر « 4 » .
في قوله تعالى :اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ[الملك : 14] **قال الجنيد :** اللطيف من نور قلبك بالهدى ، وربّى جسمك بالغذاء ، وجعل لك الولاية في البلوى ، ويحرسك وأنت في لظى ، ويدخلك جنة المأوى « 5 » .

....
(1) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 256) .
(2) انظر : تاريخ بغداد (7 / 243) .
(3) انظر : القوت (1 / 330) ، والمواعظ والنكات من خالصة الحقائق للفاريابي (1 / 91) ، وقال : يعني علم التوحيد . .
(4) انظر : تفسير القرطبي (1 / 139) ، وشرح الحكم الكردية للشيخ الشرقاوي (133 / ق) .
(5) انظر : روح المعاني (7 / 259) .

في قوله تعالى :هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ[الحديد : 3] قال الجنيد : هو الأول بشرح القلوب ، والآخر بغفران الذنوب ، والظاهر بكشف الكروب ، والباطن بعلم الغيوب « 1 » .

قال الشيخ الجنيد قدّس الله سرّه : بدت لك عجائب ما في الغيوب من أبنائها ، وكشفت لك عن حقائق ما تكنّ من أكنانها ، وأوضحت لك سرّ غرائب إخفائها ، وخاطبتك بكل ما كمن من عطائها ، بلسانه الذي ينطق به عن خفيّ مكانه ، فأوضح منطق يوضح عن حكم بيانه ، ليس بما صرح به من الفصح من لسانه ، لكن بما أوقفه الحق من مراد إعلانه ، وذلك غير كائن قبل حينه وأوانه ، والمراد بفهم ذلك هو المفرد الموجود من أهل دهره وزمانه « 2 » .

وقال قدّس سرّه : اعلم أن أول عبادة الله عز وجلّ معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين ، فبه استدلّ عليه ، وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه ، فبتوفيقه وقع التوحيد له ،

ومن توحيده وقع التصديق به ، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه ،

ومن التحقيق جرت المعرفة به ، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا إليه ،

ومن الاستجابة له وقع الترقّي إليه ، ومن الترقي إليه وقع الاتصال به ،

ومن الاتصال وقع البيان له ، ومن البيان له وقعت عليه الحيرة ،

ومن الحيرة ذهب عن البيان ، ومن ذهابه له انقطع عن الوصف له ، وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له ،

ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده ، وبتفقّد وجوده صفا وجوده ، وبصفائه غيّب عن صفاته ،

ومن غيبته حضر بكليته ، فكان موجودا مفقودا ومفقودا موجودا ، فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان ، ثم كان بعد ما لم يكن حيث كان كان ،

فهو هو بعد ما لم يكن هو ، فهو موجود موجود بعد ما كان موجودا مفقودا ؛ لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحو ،

وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها ؛ لاستدراك صفاته ببقاء آثاره والاقتداء بفعله ، بعد بلوغه غاية ما له منه « 3 » .

....

(1) انظر : معالم التنزيل للبغوي (4 / 293) .

(2) انظر : اللمع (ص 314) .

(3) النص من مقطوعة عن نشرة عبد القادر (ص 51 ، 52) ، من المخطوط (63 / ق / أ) - (64 / ق / ب) .

وقال قدّس سرّه : اعلم أن الناس ثلاثة : طالب قاصد ، ووارد واقف ، وداخل قائم ، أما الطالب لله عز وجلّ فإنه قاصد نحوه باسترشاد دلائل علم الظاهر ، معامل لله عز وجلّ بجد ظاهره ،
أو وارد للباب واقف عليه متبين لمواضع تقريبه إيّاه بدلائل تصفية باطنه ، وإدرار الفوائد عليه ، معامل لله عز وجلّ في باطنه ،
أو داخل بهمه ، قائم بين يديه ، منتف عن رؤية ما سواه ؛ ملاحظا لإشارته إليه ، مبادرا فيما يأمره مولاه ، فهذه صفة الموحد لله عز وجلّ « 1 » .

اعلم أن التوحيد في الخلق على أربعة أوجه :

فوجه منها توحيد العوام ، ووجه منها توحيد أهل الحقائق بعلم الظاهر ، ووجهان منها توحيد الخواص من أهل المعرفة .

فأما توحيد العوام : فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأضداد والأشكال والأشباه ، والسكون إلى معارضات الرغبة والرهبة ممن سواه ؛ فإن له حقيقة التحقيق في الأفعال ببقاء الإقرار .

وأما توحيد حقائق علم الظاهر : فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأشكال والأشباه ، مع إقامة الأمر والانتهاء عن النهي في الظاهر ، مستخرجة ذلك منهم من عيون الرغبة والرهبة والأمل والطمع ، فإقامة حقيقة التحقيق في الأفعال لقيام حقيقة التصديق بالإقرار .

وأما الوجه الأول من توحيد الخاص : فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية هذه الأشياء مع إقامة الأمر في الظاهر والباطن ، بإزالة معارضات الرغبة والرهبة ممن سواه ، مستخرجة ذلك من عيون الموافقة بقيام شاهد الحق معه مع قيام شاهد الدعوة والاستجابة .

والوجه الثاني من توحيد الخاص : فشبح قائم بين يديه ليس بينهما ثالث ، تجري عليه تصاريف تدبيره ، في مجاري أحكام قدرته ، في لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الحق له ، وعن استجابته له ، بحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربه ، بذهاب حسه وحركاته ، لقيام الحق له فيما أراده منه ، والعلم في ذلك أنه رجع آخر العبد إلى أوله ، أن يكون كما كان ؛ إذ كان قبل أن يكون ، والدليل في ذلك قول الله وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى[الأعراف : 172] ،
فمن كان قبل أن يكون ، وهل أجابت إلا الأرواح الطاهرة العذبة

....

(1) النص من مقطوعة عن نشرة عبد القادر (ص 53 ، 54) ، من المخطوطتين (226 - 227) ، (64 / ق / أ) إلى (64 / ق / ب) .

المقدسة بإقامة القدرة النافذة والمشيئة التامة ، الآن كان إذ كان قبل أن يكون ؛ وهذا غاية حقيقة توحيد الموحد للواحد بذهابه هو « 1 » .

باب الإيمان

سئل الجنيد عن الإيمان ما هو ؟ فقال : الإيمان هو التصديق والإيقان ، وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان ؛ لأن المخبر لي بما غاب عنّي إن كان عندي صادقا لا يعارضني في صدقه ريب ولا شكّ أوجب عليّ تصديقي إياه إن ثبت لي العلم بما أخبر به ، ومن تأكيد حقيقة ذلك أن يكون تصديق الصادق عندي يوجب عليّ أن يكون ما أخبرني به كأنّي له معاين ، وذلك صفة قوة الصدق في التصدّق وقوة الإيقان الموجب لاسم الإيمان .

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلّم أنه قال لرجل : « اعبد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك « 2 » » .

فأمره بحالتين : إحداهما أقوى من الأخرى ؛ لأني كأني أرى الشيء بقوة العلم به ، وحقيقة التصديق له أقوى من أن أكون أعلم أن ذلك يراني ، وإن كان علمي بأنه يراني حقيقة علم موجبة للتصديق ، والمعنى الأول أولى وأقوى ، والفضل بجمعهما على تقديم إحداهما على الأخرى « 3 » .

قال أبو القاسم البغدادي : الإيمان هو الذي يجمعك إلى الله ، ويجمعك بالله والحق واحد ، والمؤمن متوحّد ، ومن وافق الأشياء فرّقته الأهواء ، ومن تفرّق عن الله بهواه وتبع شهوته وما يهواه فاته الحق ، ألا ترى أنه تعالى أمرهم بتكرير العقود عند كل خطرة ونظرة ، فقال :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ[النساء : 136] « 4 » .

سئل الجنيد ما الإيمان ؟

فقال : هذا سؤال لا حقيقة له ، ولا معنى ينبئ عن مزيد من علم ، وإنما هو الإيمان بالله جلّ ثناؤه مجرّدا ، وحقيقته في القلوب مفردا ، وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله والتصديق بما أخبر من أموره في سائر سماواته وأرضه ، مما ثبت في الإيقان ، وإن لم أره بالعيان ، فكيف يجوز أن يكون للصدق صدق ، وللإيقان إيقان ، وإنما

....

(1) النص من مقطوعة عن نشرة عبد القادر (ص 55 ، 57) ، من المخطوطتين (226 - 227) ، (65 / أ ، ب) .
(2) حديث صحيح : رواه البخاري (1 / 27) ، ومسلم (1 / 37) .
(3) انظر : حلية الأولياء (10 / 265) .
(4) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 100) .

الصدق فعل قلبيّ ، والإيقان ما استقرّ من العلم عندي ، فكيف يجوز أن يفعل فعلي ، وإنما أنا الفاعل ، أو يعلم علمي ، وإنما أنا العالم ، والسؤال في الابتداء غير مستقيم ، ولو جاز أن يكون للإيمان إيمان وللتصديق تصديق جاز أن يوالى ذلك ويكرر إلى غاية تكثر في العدد ، وجاز أن يكون كما عاد على ثواب إيمانيّ وثواب تصديقيّ أن يعود على إيمان إيمانيّ ثواب ، وعلى تصديق تصديقيّ جزاء ، ولو أردت استقصاء القول في جواب ذلك لاتسع به الكتاب ، وطال به الخطاب ، وهذا مختصر من الجواب « 1 » .

سئل الجنيد عن علامة الإيمان ؟ قال : الإيمان علامته طاعة من آمنت به ، والعمل بما يحبّه ويرضاه ، وترك التشاغل عنه بشيء ينقضي عنده ، حتى أكون عليه مقبلا ، ولموافقته مؤثرا ، ولمرضاته متحريّا ؛ لأن من صفة حقيقة علامة الإيمان ألا أؤثر عليه شيئا دونه ، ولا أتشاغل عنه بسبب سواه ، حتى يكون المالك لسري والحاثّ لجوارحي بما أمرني من آمنت به وله عرفت ، فعند ذلك تقع الطاعة لله على الاستواء ، ومخالفة كل الأهواء ، والمجانبة لما دعت إليه الأعداء ، والمتاركة لما انتسب إلى الدنيا ، والإقبال على من هو أولى ، وهذه بعض الشواهد والعلامات فيما سألت عنه ، وصفة الكل يطول شرحه « 2 » .

سئل الجنيد العناية قبل أم البداية ؟ فقال : العناية قبل الطين والماء « 3 » .

وقال رجل للجنيد رضي الله عنه : يا أبا القاسم ، هل رأيتم ربّكم حين عبدتموه ، أم اعتقدتم الوصول إليه بقلوبكم ؟ فقال الجنيد رضي الله عنه : أيها السائل ، ما كنا لنعبد ربّا لا نراه ، وما كنا بالذي تراه أعيننا ، فنشبهه ، وما كنا بالذي نجهله فلا ننزهه .

فقال له الرجل : فكيف رأيتموه ؟

فقال له : الكيفية معلومة في حق البشر مجهولة في حقّ الرب ، لن تراه الأبصار في هذه الدار بمشاهدة العيان ، ولكن تعقّه القلوب بحقائق الإيمان ، ثم تترقى من المعرفة إلى رؤية بمشاهدة نور الامتنان ، فهو سبحانه مرئيّ بالحقائق القدسية ، منزّه عن الصفات الحدثية ، مقدس بجماله ، منعوت بكماله ، متفضّل على القلوب بمواهبه ونواله ، معروف بعدله ، منعوت بفضله انتهى .

....

(1) انظر : الحلية (10 / 266) .

(2) انظر : حلية الأولياء (10 / 266) .

(3) انظر : الحلية (10 / 270) .

فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبّل يده وتاب ، ولازمه حتى ظهر عليه الخير ، ولزم صحبته حتى مات رحمة الله عليهما « 1 » .
قال الجنيد وسهل وغيرهما من السلف : إن التصديق يزيد ولا ينقص ، ونقصانه يخرج من الإيمان ؛ لأنه تصديق بأخبار الله تعالى ، وبمواعيده ، وأدنى شكّ فيه كفر ، وزيادته من جهة القوة واليقين وإقرار اللسان لا يزيد ولا ينقص ، وعمل أركان يزيد وينقص « 2 » .

باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا

يحكى أن أبا سعيد الخراز قدّس الله سرّه كان كثير التواجد عند ذكر الموت ، فسئل الجنيد عن ذلك ؟
فقال : العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئا من المكاره بغضا له ولا عقوبة ، ويشاهد في صنائع الله تعالى الحالة به من المكاره صفوّ المحبة بينه وبين الله عز وجلّ ، وإنما ينزل به هذه النوازل ليردّ روحه إليه ؛ اصطفاء له ، واصطناعا له ، فإذا كوشف العارف بهذا أو ما أشبهه لم يكن بعجب أن تطير روحه إليه اشتياقا ، وتنقلب من وطنها اشتياقا ، فلذلك ما رأيت من التواجد عند ذكر الموت وربما أتى على قرب منيته ، والله يفعل بوليه ما يشاء وما يحبّ « 3 » .
قال الجنيد : دخلت على السريّ السقطيّ أعوده في مرض موته ، فقلت : كيف تجدك ؟
فأنشأ يقول :
كيف أشكو إلى طبيبي ما بي * والذي بي أصابني من طبيبي
فأخذت المروحة أروّحه ، فقال : كيف يجد ريح المروح من جوفه محترق من داخل ؟
ثم أنشأ يقول « 4 » :
القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق

....
(1) قال ابن عجيبة : واعلم أن أهل الدليل يستدلون بالصنعة على الصانع ، وبالشاهد على الغائب وأهل العيان صار الغيب عندهم شهادة ، والدليل عين المدلول ، فالقسم الأول أهل علم اليقين والثاني أهل عين اليقين أو حق اليقين . القسم الأول عوام ، والثاني خواص أو خواص الخواص . . وانظر : الإيقاظ (2 / 74) .
(2) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 97) .
(3) انظر : اللمع (ص 380) .
(4) انظر : الحلية (10 / 273) ، وروض الرياحين (ص 214) ، والعاقبة (ص 135) .

كيف القرار على من لا قرار له * مما جناه الهوى والشّوق والقلق
يا ربّ إن يك شيءء فيه لي فرج * فامنن عليّ به ما دام بي رمق

قال الجنيد : ما رأيت أعبد من السريّ ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت « 1 » .

كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ، ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس ويقدم إليه الوسادة فيسجد عليها ، فقيل له : ألا روّحت عن نفسك ؟ فقال : طريق وصلت به إلى الله لا أقطعه « 2 » .

حكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه ، فسلّم عليه فلم يجبه ، ثم أجاب بعد ساعة ، وقال : اعذرني ؛ فإني كنت في وردي ، ثم ولّى وجهه إلى القبلة ، وكبّر ، ومات « 3 » .

....

(1) انظر : السير (12 / 186) ، والرسالة (1 / 65) ، وروضة الحبور (ص 125) .

(2) انظر : صفوة الصفوة (2 / 422) .

(3) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 483) ، وعقب الشيخ ابن عجيبة بقوله : وهذا سبيل طائفة الجنيد رضي الله عنه لم يترك أوراده في حال نزاعه فقيل له في ذلك ؟ فقال : ومن أولى مني بذلك ، وهذه صحائفي تطوى . فلم يترك الخدمة رضي الله عنه في مثل هذه الحالة فكيف بسواها ، قيل له : إن جماعة يزعمون أنهم يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف .

قال : وصلوا ولكن إلى سقر ، وقال في كلام آخر هذا كلام من يقول بالإباحة والسرقة والزنا عندنا أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة ولقد صدق رضي الله عنه في قوله هذا فإن الزاني والسارق عاص بزناه وسرقته ولا يصل إلى حد الكفر ، وأما القائل بسقوط الفرائض المعتقد لذلك فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين ، فعض على هذا الأصل بالنواجذ يا أخي ولا تسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم بالزندقة والإلحاد وإسقاط الأعمال على حسب فهمه وهواه قال صلى الله عليه وسلّم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به » ، وقال تعالى :قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ[آل عمران : 31] ؛ فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلّم ومتابعة السلف الصالح في الأقوال والأفعال والأحوال تحز مقامهم وتكن معهم فالمرء مع من أحب انتهى كلام النقشبندي ، وهو حسن لأن من أخذ الحقائق من الكتب لا ذوق عنده وإنما يترامى على الحقيقة بالعلم ، فيتبع الرخص ويسقط في مهاوي الهوى ، وأما من كان من أهل الأذواق فسره مكتوم وأمره محزوم ، عبادته أدب وشكر وهو أحق بدوام الشكر ، وكيف ينكر الواسطة ، ولولا الواسطة لذهب الموسوط . وانظر : الإيقاظ (2 / 83) .

قال أبو محمد الجريري : كنت واقفا على رأس الجنيد في وقت وفاته ، وكان يوم جمعة ، ويوم نيروز ، وهو يقرأ القرآن ، فقلت له : يا أبا القاسم ، ارفق بنفسك .
فقال : يا أبا محمد ، رأيت أحدا أحوج إليه مني في هذا الوقت ، وهو ذا تطوى صحيفتي « 1 » ؟
لما حضرت الجنيد الوفاة دخل عليه أبو محمد الجريري رضي الله عنه ، فقال : ألك حاجة . قال : نعم ، إذا متّ فغسّلني وكفّنّي وصلّ عليّ .
فبكى الجريري وبكى الناس معه ، **ثم قال له الجنيد :** وحاجة أخرى . فقال : وما هي ؟ فقال : تتخذوا لأصحابنا طعام الوليمة فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع لهم تشتيت .
فبكى الجريري ثم قال : والله لئن فقدنا هاتين العينين ما اجتمع منا اثنان أبدا « 2 » .
وقال أبو بكر العطار : حضرت وفاة الجنيد مع جماعة من أصحابه ، وفيهم أبو محمد الجريري ، فنظر إلى الجنيد وهو منشغل بما هو فيه من درس القرآن والركوع والسجود ، فقال له : يا أبا القاسم ، لو رفقت بنفسك .
فقال : يا أبا محمد ، حالة وصلت بها إلى الله تعالى في بدء أمري لا أفارقها أبدا حتى ألحق بالله ،
ثم قال له الجنيد : يا أبا محمد ، لي إليك حاجة : إذا مت فغسلني وكفنّي وصلّ عليّ .
قال : فبكى الجريري وبكينا ، ثم قال : وحاجة أخرى : تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة ، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بهم التشتت .
قال : فبكى الجريري بكاء شديدا ، ثم قال : والله لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منا اثنان أبدا .
وقال أبو جعفر الفرغاني : فكان والله كذلك ما اجتمع اثنان بعد وفاته ، وإنما كان ذلك ببركة الشيخ ورؤيته « 3 » .
قال جعفر الخلدي : رأيت شابّا دخل على الجنيد ، وهو في مرضه الذي مات فيه ووجهه قد تورم ، وبين يديه مخدة يصلي إليها ، فقال له الشاب : وفي هذه الساعة أيضا لا

....

(1) انظر : الرسالة (2 / 590) ، والعاقبة للإشبيلي (ص 131) ، والإحياء (4 / 482) ، وتاريخ بغداد (7 / 248) ، وطبقات الحنابلة (1 / 127) ، وروضة الحبور لابن الأطعاني (ص 107) بتحقيقنا ، والثبات عند الممات (56) .
(2) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) .
(3) انظر : روضة الحبور (ص 107) بتحقيقنا .

تترك الصلاة ، فلما سلم دعاه ، وقال : هذا شيء وصلت به إلى الله ، ولا أحبّ أن أتركه ، فمات بعد ساعة « 1 » .
قال أبو بكر العطوي : كنت عند الجنيد حين مات ، فرأيته ختم القرآن ، ثم ابتدأ من البقرة ، وقرأ سبعين آية ، ثم مات « 2 » .
قال أبو بكر العطار : حضرت الجنيد عند الموت ، وفي جماعة من أصحابنا ، فكان قاعدا يصلي ، ويثني رجله كلما أراد أن يسجد ، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله ، فثقلت حركتها ، فمدّ رجليه وقد تورمتا ، فرآه بعض أصدقائه ، فقال : ما هذا يا أبا القاسم ؟ قال : هذه نعم الله أكبر . فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري : لو اضطجعت . قال : يا أبا محمد ، هذا وقت يؤخذ الله أكبر ، فلم يزل كذلك حتى مات « 3 » .
وقال أبو محمد الجريري : كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة ، فلما مات الجنيد ودفنّاه ورجعنا من جنازته تقدّمنا ذلك المصاب وصعد موضعا رفيعا ، وقال لي : يا أبا محمد ، وأنّى أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ، ثم أنشأ بقول :

وا أسفى من فراق قوم * هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي * والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي * حتّى توفّتهم المنون
فكلّ جمر لنا قلوب * وكلّ ماء لنا عيون

ثم غاب عنّا فكان آخر العهد به « 4 » .
ويروى أن الجنيد بن محمد دخل على بعض المشايخ فوجده في سياق الموت ، فقال له الجنيد : قل لا إله إلا الله .
فنظر إليه الشيخ شزرا ، فأعاد عليه الجنيد ، فلم يقلها ، فأعاد عليه ،

....
(1) انظر : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 248) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (1 / 108) ، ومدارج السالكين لابن قيم (3 / 121) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (1 / 2254) .
(3) انظر : طبقات الأولياء (ص 134) ، وطبقات الشافعية الكبرى (2 / 267) ، والثبات عند الممات (ص 168) .
(4) انظر : تاريخ بغداد (7 / 248) ، وروضة الحبور (ص 108) ، وطبقات الأولياء (ص 133) ، وصفة الصفوة (2 / 422) ، والوافي في الوفيات (1 / 1555) .

فلم يتكلم ، فقال له الشيخ : يا جنيد ، تذكّرني بالتوحيد وأنا منذ ثلاثين سنة أبكي عليه ، ولا أسلو عنه ، يا جنيد ، إني مشاهد حبيبي ومستأنس به « 1 » .

باب المعرفة والعارف بالله

سئل الجنيد عن المعرفة ؟

فقال : المعرفة هي شهود الخاطر بعواقب المصير ، وألا يتصرف العارف بسرف ولا تقصير « 2 » .

وسئل الجنيد عن المعرفة ؟

فقال : هي تردد السر بين تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك « 3 » .

وسئل الجنيد عن المعرفة ؟

فقال : أن تعلم أن ما تصور في قلبك فالحق بخلافه ، فيالها حيرة ، ليس له حظّ من أحد ، ولا لأحد منه حظّ ، وإنما وجود يتردد في العدم ، لا تتهيأ العبارة عنه ؛ لأن المخلوق مسبوق ، والمسبوق غير محيط بالسابق « 4 » .

وسئل الجنيد ما المعرفة ؟

فقال : وجود جهلك عند قيام علمه .

قالوا : زدنا أيضا .

فقال : هو العارف والمعروف « 5 » .

وقال الجنيد رضي الله عنه : لا يعرف الله إلا الله « 6 » .

....

(1) انظر : العاقبة للإشبيلي (136) .

(2) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 159) .

(3) انظر : التعرف (ص 158) .

(4) انظر : التعرف (ص 158) .

(5) يعقب الجامي شارحا قول الإمام الجنيد : أي كلما يزيد في القرب وتظهر آثار عظمته تعالى يزيد في حصول العلم بجهله ، ويزيد بكمال المعرفة حيرة على حيرة ، وتخرج من العارف بلا اختياره ، رب زدني تحيرا فيك .

(6) قال الشيخ الكتاني في جلاء القلوب : ومنها : معرفته صلى الله عليه وسلّم من أسرار الذات العلية وأسمائها وأوصافها وشؤونها بما لا مطمع فيه لمخلوق سواه من غير إحاطة بها ولا وقوف على ماهيتها وحقيقتها إذ لا يعرف الله إلا الله كما قاله الجنيد وغيره من العارفين وفي الآية الشريفة :وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً[طه : 110]وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[الزمر : 67] .

ولذلك قال الجنيد : لا يعرف الله إلا الله . -

قال الجنيد : من عرف الله لا يسر إلا به « 1 » .
قال الجنيد : من عرف الله أطاعه ، ومن عرف نفسه ساء بها ظنّه ، وخاف على حسناته ألا تقبل « 2 » .
اختلفوا في المعرفة نفسها : ما هي ، والفرق بينها وبين العلم ؟ فقال الجنيد : المعرفة وجود جهلك عن قيام علمه . قيل له : زدنا .
قال : هو العارف وهو المعروف « 3 » .
قال الجنيد : المعرفة معرفتان : **معرفة تعرّف ، ومعرفة تعريف** ، معنى التعرف أن يعرفهم الله عز وجلّ نفسه ، ويعرفهم الأشياء به ،
كما قال إبراهيم عليه السلام :لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ[الأنعام : 76] ،
ومعنى التعريف : أن يريهم آثار قدرته في الآفاق والأنفس ، ثم يحدث فيهم
....
- واختاره أكثر المتأخرين ، وإليه ذهب الضرير وكان من المحققين ، وأنكر القاضي أبو بكر هذا القول ورده وتبعه الإمام أبو المعالي في طائفة وقال : الباري تعالى يعلم والعلم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه فلو تعلق العلم به على خلاف ما هو به لكان العلم جهلا وقد أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله ولو كانت مستحيلة لما أجمعت عليه ، قيل : وهو خلاف في حال فإن من أثبت العلم بالحقيقة مقر بأنه تعالى لا يحاط به ومن نفى مقر بأنه تعالى عرفه العارفون بدلالة الآيات وتحققوا اتصافه بواجب الصفات وتيقنوا تنزيهه عن التشبيه بالمحدثات وتقديسه عن الحدود والكيفيات .
وقال في موضع آخر : ومما هو مشهور من كلامهم لا يعرف الله إلا الله وهو من كلام الجنيد على ما ذكره الشيخ أبي حامد الغزالي في المقصد الأسنى وغير واحد كالقاشاني والنفراوي في شرحيهما لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وعبارة الغزالي أثناء كلام له بل أقول : الخاصة الإلهية ليست إلا لله تعالى ولا يعرفها إلا الله تعالى ، ولا يتصور أن يعرفها إلا هو أو من هو مثله وإذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره فإذا الحق ما قاله الجنيد رحمه الله : حيث لا يعرف الله إلا الله تعالى ، ولذلك لم يعط أجل خلقه إلا أسماء حجبه فقالسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى[الأعلى : 1] ، فو الله ما عرف الله تعالى غير الله في الدنيا وفي الآخرة انتهى منه بلفظه .
انظر : جلاء القلوب (1 / 190 ، 291 ، 296) بتحقيقنا ، والمقصد الأسنى للغزالي (ص 49) .
(1) انظر : طبقات الصوفية (ص 163) .
(2) انظر : الكواكب (1 / 579) .
(3) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 81) .

لطفا ، تدلهم الأشياء أن لها صانعا ، وهذه معرفة عامة المؤمنين ، والأولى معرفة الخواص ، وكلّ لم يعرفه في الحقيقة إلا به « 1 » .

قال الجنيد رحمه الله : أول ما يحتاج إليه المريد الصادق معرفة الخالق ؛ ليذل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ؛ لأن من لم يعرف صفة مالكه لم يعترف بوجود خالقه « 2 » .

قال أبو القاسم الجنيد : سألت عن المعرفة وأسبابها ، فالمعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة ؛ لأن المعروف بها واحد ، ولكن لها أول وأعلى .

فالخاصة في أعلاها ، وإن كان لا يبلغ منها غاية ولا نهاية ؛ إذ لا غاية للمعروف عند العارفين ، وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة ، ولا تحيط به العقول ، ولا تتوهمه الأذهان ، ولا تكيّفه الرؤية ؟

وأعلم خلقه به أشدهم إقرارا بالعجز عن إدراك عظمته ، أو تكشف ذاته لمعرفته بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله ؛ إذ هو القديم وما سواه محدث ، وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ ، وإذ هو الإله وما سواه مألوه ، وإذ هو القوي من غير مقوّ ، وكل قويّ فبقوته قوي ، وإذ هو العالم من غير معلم ، ولا فائدة استفادها من غيره ، وكل عالم فبعلمه علم ، سبحانه الأول بغير بداية ، والباقي إلى غير نهاية ! ولا يستحق هذا الوصف غيره ، ولا يليق بسواه ، فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية .

والعامة من المؤمنين في أولها ، ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها ، وعلى أدناها .

فالشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله ، وخلع الأنداد من دونه ، والتصديق به ، وبكتابه ، وفرضه فيه ونهيه ،

والشاهد على أعلاها ، القيام فيه بحقه ، واتقاؤه في كل وقت ، وإيثاره في جميع خلقه ، واتباع معالي الأخلاق ، واجتناب ما لا يقرب منه .

فالمعرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القدر والإجلال ، والقدرة النافذة ، والعلم المحيط ، والجود والكرم والآلاء ، فعظم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته ، ونفاذ قدرته ، وأليم عذابه ، وشدة بطشه ، وجزيل ثوابه وكرمه ،

....

(1) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 79) .

(2) انظر : المنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح (ص 66) بتحقيقنا .

وجوده بجنته وتحنّنه ، وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه ، ورأفته ورحمته ، فلما عظمت المعرفة بذلك عظم القادر في قلوبهم ، فأجلّوه وهابوه وأحبّوه ، واستحيوا منه ، وخافوه ورجوه ، فقاموا بحقه ، واجتنبوا كل ما نهى عنه ، وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم ، أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم من عظيم المعرفة بعظيم قدره ، وقدر ثوابه وعقابه ، فهم أهل الخاصة من أوليائه ،
فلذلك قيل : فلان بالله عارف ، وفلان بالله عالم ، لما رأوه مجلا ، هائبا ، راهبا ، راجيا ، طالبا ، مشتاقا ، ورعا ، متقيا ، باكيا ، حزينا ، خاضعا ، متذللا ، فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق عرف المسلمون أنهم بالله أعرف وأعلم من عوامّ المسلمين ،
وكذلك وصفهم الله ، فقال سبحانه :إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ[فاطر : 28] .
وقال داود عليه السلام : « إلهي ما علم من لم يخشك » .
فالمعرفة التي فضّلت بها الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة ، فإذا عظمت المعرفة بذلك واستقرت ولزمت القلوب صارت يقينا قويا ، فكملت حينئذ أخلاق العبد ، وتطهّر من الأدناس ، فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال ، والتذكر والتفكر في الخلق ، كيف خلقهم ، وأتقن صنعتهم ، وفي المقادير كيف قدرها ، فاتسقت على الهيئات التي هيّأها ، والأوقات التي وقتها ، وفي الأمور كيف دبّرها على إرادته ومشيئته ، فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته ، والاتساق على مشيئته « 1 » .

سئل الجنيد رضي الله عنه عن المعرفة هل هي كسب أو ضرورة ؟
فقال : رأيت الأشياء تدرك بشيئين ، فما كان منها حاضرا فبالحس ، وما كان غائبا فبالدليل ، ولما كان الحق تعالى غير باد لحواسنا كان معرفته بالدليل والفحص ؛ إذ كنا لا نعلم الغيب والغائب إلا بالدليل ، ولا نعلم الحاضر إلا بالحسّ « 2 » .
قال الجنيد : كثرة النظر في الباطن تذهب بمعرفة الحق من القلب « 3 » .

سئل الجنيد رحمه الله إلى أين تنتهي عبادة أهل المعرفة بالله عز وجلّ ؟
فقال : إلى الظفر بنفوسهم ، نصّب الحق لهم أعمال أدلة العمال ، فوقفوا مع ما له دون التعريج على ما لهم ، فشوق إليهم الأنبياء ، وانتسب بهم الأولياء ، وسبحت لهم الملائكة ، فتركوا ما لهم ووقفوا

....
(1) النص من الحلية لأبي نعيم (10 / 257) .
(2) انظر : طبقات الشعراني الكبرى (1 / 86) .
(3) انظر : شذرات الذهب لابن العماد (2 / 228) .

مع ما لله عز وجلّ عليهم ، وسائر الناس وقفوا مع ما لهم وتركوا ما لله عز وجلّ عليهم ، فردّ الله عز وجلّ كلا إلى قيمته « 1 » .
ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله ، وما يراعونه من الأوراد والعبادات ، بعد ما ألطفهم الله به من الكرامات ،
فقال : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك « 2 » .
قال الجنيد : اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله وامتلأ من ذلك قلبك وانشرح بالانقطاع إليه صدرك وصفا لذكره فؤادك واتصل بالله فهمك ذهبت آثارك ، وامتحت رسومك ، واستضاءت بالله علومك ، فعند ذلك يبدو لك علم الحق « 3 » .
في قوله تعالى :اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ[الشورى : 19]
قال الجنيد : لطيف بأوليائه حتى عرفوه ، ولو لطف بأعدائه لما جحدوه « 4 » .
قال رجل للجنيد : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجلّ .

فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلّموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندي عظيم ، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، بل إن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإلى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها « 5 » .

وسئل الجنيد من العارف ؟ قال : من نطق عن سرّك وأنت ساكت « 6 » .
وقال الجنيد : العارف من نطق الحق عن سرّه وهو ساكت « 7 » .
سئل الجنيد من العارف ؟ فقال : من لم يأسره لحظه ولا لفظه « 8 » .

....
(1) النص من نشرة عبد القادر (ص 57) ، عن المخطوطتين (226 ، 227) .
(2) انظر : الحلية (10 / 257) .
(3) انظر : الحلية (10 / 281) .
(4) انظر : روح المعاني (16 / 16) .
(5) انظر : الحلية (10 / 278) ، وطبقات الصوفية (ص 159) ، والرسالة (2 / 605) ، والحبور (ص 120) .
(6) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 98) .
(7) انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (ص 127) .
(8) انظر : طبقات الصوفية (ص 157) ، والرسالة (1 / 105) ، والتعرف (ص 164) ، وطبقات الشعراني الكبرى (1 / 85) ، ونعمة الذريعة (ص 219) .

سئل الجنيد عن العارف ؟ فقال : لون الماء لون إنائه « 1 » .
يقول الجنيد : من عرف الله كلّ لسانه « 2 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : آخر مقام العارف الحرية « 3 » .
قال الجنيد : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤه البرّ والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، كالمطر يسقي ما يحبّ وما لا يحبّ « 4 » .

سئل الجنيد عن قول ذي النون المصري في صفة العارف كان هاهنا فذهب ؟
فقال : العارف لا يحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقّل في المنازل ، فهو مع أهل كل مكان بمثل الذي هو فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق فيها بمعالمها لينتفعوا بها « 5 » .
قيل للجنيد : يا أبا القاسم ، ما حاجة العارفين إلى الله تعالى ؟ قال : حاجتهم إليه كلاءته ورعايته ، قال تعالى :قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ[الأنبياء : 42] « 6 » .

سئل الجنيد قدّس الله سرّه عن معقول العارفين ؟
فقال : ذهبوا عن وصف الواصفين « 7 » .
وقال الجنيد : أعزّ الأشياء في زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقة « 8 » .
قال الجنيد : من زعم أنه يعرف الله وهو كاذب ابتلاه بالمحن ، وحجب ذكره عن قلبه ، وأجراه على لسانه ، فإن تنبّه وانقطع إليه وحده كشف عنه المحن ، وإن داوم السكون إلى

....
(1) انظر : كشف المحجوب للهجويري (ص 600) ، قال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » : أي هو متخلق بأخلاق الله تعالى حتى كأنه هو وما هو هو وهو هو ، انتهى انظر : جلاء القلوب (2 / 51) بتحقيقنا .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 450) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 450) .
(4) انظر : الرسالة (2 / 606) ، طبقات الشعراني (1 / 885) .
(5) انظر : الرسالة (2 / 609) .
(6) طبقات الصوفية (ص 160) ، والحلية (10 / 278) ، واللمع (ص 58) .
(7) انظر : اللمع (ص 57) .
(8) انظر : كشف المحجوب (ص 344) .

الخلق نزعت من قلوبهم الرحمة عليه ، وألبس لباس الطمع فيهم ، فتصير حياته عجزا ، وموته كمدا ، وآخرته أسفا ، نعوذ بالله من الركون لغيره « 1 » .
قيل للجنيد : العارف يزني يا أبا القاسم ؟ فأطرق مليّا ، ثم رفع رأسه ، وقال :وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً[الأحزاب : 38] « 2 » .
وقال الجنيد : إن الله سبحانه سنّ سنة أزلية ألا يجد السبيل إليه إلا من قيّد له أستاذا عارفا يكون واسطة بينه وبين الله ، وإن كان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء بغير علة ولا سبب « 3 » .
قال الجنيد : تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم « 4 » .
حكي عن الجنيد قدّس الله روحه أنه قال : كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا « 5 » .

باب المحبة والعشق

قال الجنيد : الناس في محبة الله عز وجلّ عامّ وخاصّ ، فالعوام أحبوه لكثرة نعمه ، ودوام إحسانه ، إلا أن محبتهم تقلّ وتكثر ، وأما الخواص فأحبوه لما عرفوا من صفاته ، وأسمائه الحسنى ، واستحق المحبة عندهم ؛ لأنه أهل لها ، ولو أزال عنهم جميع النعم « 6 » .
سئل الجنيد رحمه الله عن المحبة ؟ فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب « 7 » .
قال الجنيد : المحبة ميل القلوب « 8 » .
قال الجنيد : المحبة إفراط الميل بلا نيل « 9 » .

....
(1) انظر : الحبور لابن الأطعاني (ص 125) ، والكواكب للمناوي (1 / 573) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 655) ، والبستان للنووي (ص 58) .
(3) انظر : جلاء القلوب (2 / 367) بتحقيقنا .
(4) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 578) .
(5) انظر : روضة الحبور (ص 30) بتحقيقنا .
(6) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 231) .
(7) انظر : نشر المحاسن لليافعي (ص 187) ، واللمع للطوسي (ص 88) .
(8) انظر : التعرف للكلاباذي (ص 130) .
(9) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 617) .

قال الجنيد : كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة « 1 » .
قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا « 2 » .
قال الجنيد : سمعت الحارث المحاسبي يقول : المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرّا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك في حبّه « 3 » .
قال أبو بكر الكتاني : جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها ، وكان الجنيد أصغرهم سنّا ، فقالوا له : هات ما عندك يا عراقي ، فأطرق رأسه ، وجمعت عيناه ،
ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربّه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هويته ، وصفا شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ، ولله ، ومع الله ، فبكى الشيوخ ،
وقالوا : ما على هذا مزيد ، جبرك الله يا تاج العارفين « 4 » .
قال الجنيد : سمعت الحارث المحاسبي يقول : المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب « 5 » .
قال الجنيد : ادّعى قوم محبة الله ، فأنزل الله آية المحبة :قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ« 6 » .
وسأل جماعة من المشايخ الجنيد رضي الله عنه عن المحبة ؟ فبكى ، وقال : كيف أصف عبدا ذاهبا عن نفسه ، متصلا بذكر ربّه ، قائما بأداء حقوقه ، ناظرا إليه بعين قلبه ، قد أحرق قلبه نار

....
(1) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 619) .
(2) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 618) .
(3) انظر : روضة المحبين لابن قيم (ص 408) .
(4) انظر : نشر المحاسن (ص 61) ، وعقب الشيخ ابن عجيبة بقوله : فهذه صفات العارف الحقيقي الراسخ المتمكن قد كلّ لسانه عن التعبير ، واستغنى عن الإشارة والمشير ، فإذا صدرت منه إشارة أو تعبير ، فإنما ذلك لفيضان وجد أو هداية فقير ، وقد صدرت إشارات من المتمكنين ، فتحمل على هذا القصد . وانظر : الإيقاظ (2 / 92) .
(5) انظر : مدارج السالكين (3 / 366) .
(6) انظر : طريق الهجرتين لابن القيم (451) .

هيبته ، وصفا شربه من كأس ودّه ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ؟ فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فمن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، وهو بالله ولله ومع الله انتهى .
فقالوا : ما على هذا مزيد يا تاج العارفين « 1 » .
قال الجنيد : المحبة نفسها قرب القلب من الله بالاستنارة والفرح ، فأما حبّ تجلي الصفات عن الأسماء الباطنة فإنا لم نذكر منها شيئا ، وإنما ذكرنا محبة الأخلاق عن الأسماء الظاهرة ، ولا أحسب بأنه يحلّ رسمه في كتاب ولا كشفه لعموم ؛ لأنه من سرّ المحبة لا يكاشف به إلا من اطلع عليه ، ولا يتحدث به إلا من أعطيه ، وما رأيت أحدا رسمه في كتاب ؛ لأنه لا يؤخذ من كتاب ، وإنما يتلقى من أفواه العلماء وينسخ من قلب إلى قلب « 2 » .

سئل الجنيد عن المحبة : أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال ؟ فقال : إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بيّن ، فالمحبة نفسها من صفات الذات ، ولم يزل الله تعالى محبّا لأوليائه وأصفيائه ، فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال ، فاعلم أرشدك الله للصواب « 3 » .
قال أحمد بن الحسين البصري : حضرت مجلس الجنيد قدّس الله سرّه ، فسأله رجل مسألة ؟
فأنشد « 4 » :
نم على سرّ وجده النفس * والدمع من مقلتيه ينبحس
موله هائم له حرق * أنفاسه بالحنين تختلس
مهذّب عارف له فطن * من نور أنس الحبيب يقتبس
يا أبي الأشعث الغريب فتى * ليس له جون ، سؤله أنس
يا بأبي جسمه الزكي وإن * كان عليه خليق دنس

....
(1) هذه رواية أخرى عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله ، وعقب بقوله : وهذا الوصف صادق بأهل السلوك والجذب ، والله تعالى أعلم . انظر : الإيقاظ (2 / 101) .
(2) انظر : القوت لأبي طالب (2 / 119) .
(3) انظر : حلية الأولياء (10 / 281) .
(4) اللمع للطوسي (ص 319) .

قال رجل للجنيد : على ما ذا يتأسف المحب من أوقاته ؟ قال : على زمان بسط أورث قبضا ، أو زمان أنس أورث وحشة ،
ثم أنشأ يقول « 1 » :

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم * فكدرته يد الأيام حين صفا

قال الجنيد رحمه الله : قالت النار : يا ربّ ، لو لم أطعك هل كنت تعذّبني بشيء هو أشد مني ؟ قال الله : نعم ، كنت أسلط عليك ناري الكبرى .
قالت : وهل نار أعظم منّي وأشد ؟
قال : نعم ، نار محبّتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين « 2 » .
وقال أيضا : جاء رجل إلى السريّ ، فقال له : كيف أنت ؟
فأنشأ يقول :

من لم يبت والحب حشو فؤاده * لم يدرك كيف تفتت الأكباد « 3 »

قال الجنيد : سمعت السريّ يقول : مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى : « إذا كان الغالب على عبدي ذكرى عشقني وعشقته « 4 » » .
قال الجنيد : علامة كمال الحب دوام ذكره : أي ذكر المحبوب في القلب بالفرح والسرور ، والشوق إليه ، والأنس به ، وأثرة محبة نفسه ، والرضا بكل ما يصنع « 5 » .
وعلامة أنسه بالله استلذاذ الخلوة ، وحلاوة المناجاة ، واستفراغ كله ، حتى لا يكاد يعقل الدنيا وما فيها ، ولا يحمل هذا على الأنس بالخلق ، فيرتب على مدارج المعقول كما لا يحمل المحبة على محبة الخلق ، فيكون بمعاني العقول ؛ لأنه حال منها ، وإنما هو طمأنينة وسكون إليه ، ووجد حلاوة منه واستراحة ، وروح بما أوجدهم ، وقد أنكر الأنس من لا

....

(1) انظر : الحلية (10 / 279) ، وطبقات الصوفية (ص 163) ، وطبقات الأولياء (ص 129) .
(2) قال ابن رجب الحنبلي : ويشهد لهذا المعنى حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وانظر : جامع العلوم والحكم (ص 212) ، وكلمة الإخلاص (ص 42) .
(3) انظر : روضة الحبور (ص 126) .
(4) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 470) .
(5) انظر : قوت القلوب لأبي طالب (2 / 126) . وقال : ومن ذهب إلى هذا القول أحمد بن غالب ، غلام خليل ، فقد أنكر على الجنيد وأبي سعيد الخراز والثوري كلامهم في المحبة ، وليس هذا مذهب السلف ، ولا طريقة العارفين .

مقام له فيه ، كما أنكر المحبة أيضا من لا معرفة له بها ؛ لأنه تخيّل فيها محبة المخلوق ، وتمثل لها صفاتهم ،

فقال : لا يعرف المحبة ولا يعقلها إلا المخلوق ، وليس إلا الخوف والهيبة « 1 » .

قد سئل عن مقام غاية الحب ؟

فقال : وهو مقام عزيز يستغرق العقول ، وينسي النفوس ، وهو من أعلى علم المعرفة بالله تعالى « 2 » .

وقال الجنيد : في هذا المقام يعلم العبد أن الله عز وجلّ يحبه ، ويقول العبد : بحقي عليك ، وبجاهي عندك ، ويقول : بحبك لي .

ثم قال الجنيد : وهؤلاء هم المدلون على الله تبارك وتعالى ، والمستأنسون بالله تعالى ، وهم جلساء الله تعالى ، قد رفع الحشمة بينه وبينهم ، وزالت الوحشة بينهم وبينه ، فهم يتكلمون بأشياء هي عند العامة كفر بالله تعالى ؛ لما قد علموا أن الله تعالى يحبهم ، وأن لهم عند الله جاها ومنزلة .

ثم قال الجنيد : أما أهل الأنس بالله تعالى فليس إلى معرفتهم سبيل « 3 » .

وعن الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : سألني السريّ يوما عن المحبة ؟

فقلت : قال قوم : هي الموافقة ، وقال قوم : الإيثار ، وقال قوم : كذا وكذا .

فأخذ السري جلدة ذراعه ومدّها ، فلم تمتد ، ثم قال : وعزته تعالى لو قلت : إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ، ثم غشي عليه ، ثم دار وجهه كأنه قمر . **وكان السريّ شديد الأدمة** ، وإنما أشرق وجهه في تلك الساعة ما خامر قلبه من الأنوار واستولى على باطنه من الأسرار « 4 » .

قال الجنيد : علامة المحب دوام النشاط الدؤوب بشهوة تفتر بدنه ، ولا تفتر قلبه "5".

سئل الجنيد عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلّم : « حبّك للشيء يعمي ويصم « 6 » » ؟ فقال : حبك للدنيا يعمي ويصم عن الآخرة « 7 » .

....

(1) انظر : القوت (2 / 153) .

(2) انظر : القوت (2 / 153) .

(3) انظر : القوت (2 / 153) .

(4) انظر : الرسالة (1 / 65) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى لأبي العباس التادلي (بتحقيقنا) .

(5) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 334) .

(6) رواه أبو داود (4 / 334) ، والطبراني في الأوسط (4 / 334) ، وفي الشاميين (2 / 340) .

(7) (164 ص) انظر : اللمع للطوسي .

قال أبو عمرو الزجاجي : سألت الجنيد عن المحبة ، فقال : تريد الإشارة . فقلت : لا . قال : تريد الدعوى . قلت : لا . قال : فايش تريد ؟ قلت : عين المحبة . فقال : أن تحب ما يحب الله تعالى في عباده ، وتكره ما يكره الله تعالى في عباده « 1 » .
قال الجنيد : دفع السريّ إلي رقعة ، وقال : هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو ، فإذا فيها « 2 » :

ولمّا ادّعيت الحبّ قالت كذبتني * ، فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحبّ ! حتّى يلصق القلب بالحشا * وتذبل حتّى لا تجيب المناديا
وتنحل حتّى لا يبقي لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها ، وتناجيا

حكي عن الجنيد قدّس الله سرّه أنه كان يقول : ذكرت المحبة بين يدي سريّ السقطيّ قدّس الله سرّه فضرب يده على جلد ذراعه فمدها ، ثم قال : لو قلت : إنما جفّ هذا على هذا من المحبة لصدقت .
قال الجنيد ، ثم أغمي عليه حتى غاب ، ثم تورّد وجهه حتى صار مثل دائرة القمر ، فما استطعنا إليه من حسنه حتى غطينا وجهه « 3 » .
قال الجنيد رحمه الله تعالى : علم الفقير إذا قوي ضعفت محبته ، وإذا ضعف قويت محبته ، وحكم الفقير أن يكون فوق محبته « 4 » .
وقال الجنيد : رأيت رجلا متعلقا بكمّ صبيّ ، وهو يتضرع إليه ، ويظهر له المحبة ، فالتفت إليه الصبي ، وقال له : إلى متى ذا النفاق الذي تظهر لي ؟
فقال : قد علم الله أني صادق فيما أورده ، حتى لو قلت لي : مت لمت . فقال : إن كنت صادقا فمت ، فتنحّى الرجل وغمض عينيه ، فوجد ميتا « 5 » .
قال الجنيد رضي الله عنه : دخلت الكوفة في بعض أسفاري ، فرأيت دارا لبعض الرؤساء ، وقد شفّ عليها النعيم ، وعلى بابها عبيد وغلمان ، وفي بعض رواشنها جارية تغني ، وهي تقول :

....
(1) انظر : طبقات الصوفية للسلمي (ص 163) ، وطريق الهجرتين (ص 460) .
(2) انظر : نشر المحاسن لليافعي (ص 60) .
(3) انظر : اللمع للطوسي (ص 382) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 231) .
(5) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 351) .

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار أنت لكلّ ضيف * إذا ما الضّيف أعوزه المكان
قال : ثم مررت بها بعد مدة فإذا الباب مسودّ ، والجمع مبدّد ، وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان ،
وأنشد لسان الحال :
ذهبت محاسنها وبان هجونها * والدّهر لا يبقي مكانا سالما
فاستبدلت من أنسها بتوحش * ومن السرور به عزاء راغما
قال : فسألت عن خبرها ،
فقيل لي : مات صاحبها ، فآل أمرها إلى ما ترى ، فقرعت الباب الذي كان لا يقرع ، فكلمتني جارية بكلام ضعيف ،
فقلت لها : يا جارية ، أين بهجة هذا المكان ، وأين أنواره ، وأين شموسه وأقماره ، وأين قصّاده ، وأين زوّاره ؟ فبكت ،
ثم قالت : يا شيخ ، كانوا فيه على سبيل العارية ، ثم نقلتهم الأقدار إلى دار القرار ، وهذه عادة الدنيا ، ترحّل من سكن فيها وتسيء إلى من أحسن إليها . فقلت لها : يا جارية ، مررت بها في بعض الأعوام وفي هذا الروشن جارية تغني ، (ألا يا دار لا يدخلك حزن) ،
فبكت وقالت : أنا والله تلك الجارية ، ولم يبق من أهل هذه الدار غيري ، فالويل لمن غرّته دنياه .
فقلت لها : فكيف قرّبك القرار في هذا الموضع الخراب ؟
فقالت لي : ما أعظم جفاك ، أما كان هذا منزل الأحباب ، ثم أنشأت :
قالوا ألفت وقوفا في منازلهم * ونفس مثلك لا يفتي تحملها
فقلت والقلب قد ضجت أضالعه * والروح تنزع والأشواق تبذلها
منازل الحب في قلبي معظمة * وإن خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف أتركها والقلب يتبعها * حبّا لمن كان قبل اليوم ينزلها

قال : فتركتها ومضيت وقد وقع شعرها من قلبي موقعا ، وازداد قلبي تولّعا « 1 » .
سئل الجنيد عن قوله :لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ[الأنعام : 76] ؟
قال : لا أحب من يغيب عن عيناي وعن قلبي ، وفي هذا دلالة أني إنما أحب من يدوم لي النظر إليه والعلم به
....
(1) انظر : روض الرياحين (ص 153) .

حتى يكون ذلك موجودا غير مفقود ، وكذلك رأينا أن أشد الأشياء على المحبين أن يغيب عنهم من أحبوه وأن يفقدوا شاهدهم « 1 » .
قال الجنيد : إذا أراد الله عبدا للمحبة كشف له عن قدم إنعامه عليه ، وبرّه إليه ، وكثرة الأيادي القديمة عنده « 2 » .
وقال الجنيد : دخلت يوما على السريّ في بيته وهو يكنس البيت وينشد هذا البيت ويبكي « 3 » :
لا في النهار ولا في الليل لي نوم * فلا أبالي أطال الليل أم قصرا
قال الجنيد : حرّم الله المحبة على صاحب العلاقة « 4 » .
قال الجنيد : كان سمنون المحب موصوفا بحسن الوجه ، وحسن الكلام في المحبة ، وعذوبة المنطق ، بلغني أن امرأة مالت إليه وهويته ، فلما علم سمنون بذلك طردها من مجلسه .
قال : فجاءت هذه المرأة إلى الجنيد رحمه الله ،
فقالت : ما تقول في رجل كان طريقي إلى الله ؟
فذهب الله وبقي الرجل ؟
فعلم الجنيد إيش مرادها ، فلم يجبها ، وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . ثم عرضت نفسها بالتزويج على سمنون ، فأبى ذلك عليها سمنون « 5 » .
سئل الجنيد عن العشق ؟
فقال : لا أدري ما هو ، لكن رأيت رجلا أعمى عشق صبيّا ، وكان الصبي لا ينقاد له ، **فقال الأعمى** : يا حبيبي ، إيش تريد منى ؟
فقال : روحك . ففارق روحه حالا « 6 » .
قال الجنيد : العشق مأخوذ من العشق وهو رأس الجبل وأقصاه ، فعلى هذا يجب أن **يقال :** عشق فلان إذا ازدادت محبته وثارت وارتفعت حتى تبلغ أقصاها وتناهي في معناها ، وهذا يكون إذا كان منتهاه عشق الله تعالى ومحبته « 7 » .

....
(1) انظر : الحلية (10 / 265) .
(2) انظر : الكواكب الدرية للمناوي (1 / 578) .
(3) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 105) .
(4) انظر : الحلية لأبي نعيم (10 / 247) .
(5) انظر : اللمع للطوسي (ص 498) .
(6) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 581) .
(7) انظر : مشرب الأرواح للديلمي (ص 135) .

قال الجنيد : إذا أحب الله عبدا لم يذر له مالا ولا ولدا ؛ لأنه إذا كان ذلك له أحبه ، فتتشعب محبته لربه وتتجزأ وتصير مشتركة بين الله وغيره ،اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ[النساء : 48] ، وهو تعالى قاهر لكل شيء ، فربما أهلك شريكه وأعدمه ليخلص قلب عبده لمحبته وحده « 1 » .

قوله تعالى :قَدْ شَغَفَها حُبًّا[يوسف : 30]

قال الجنيد قدّس سرّه : الشغف ألا يرى المحب جفاء له جفاء بل يراه عدلا منه ووفاء ، وتعذيبكم عذب لدي ، وجوركم عليّ بما يقضى الهوى لكم عدل « 2 » .

باب الشوق

يقول الجنيد : سمعت سريّا السقطيّ يقول : الشوق أجلّ مقام للعارف إذا تحقق فيه ، وإذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عمّن يشتاق إليه .

قال الجنيد : بلغني أن يونس عليه السلام بكى حتى عمي ، وقام حتى انحنى ، وصلّى حتى أقعد ، ثم قال : وعزتك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته ؛ شوقا إليك .باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم

قال الجنيد : دخلت على السريّ يوما ، فأمرني شيئا ، فقضيت حاجته سريعا ، فلما رجعت ناولني رقعة ، وقال : هذا لما كان قضاؤك لحاجتي سريعا .

فقرأت الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : سمعت حاديا يحدو في البادية :

أبكي ، وهل يدريك ما يبكيني * أبكي حذرا أن تفارقيني

وتقطعي حبلي وتهجريني « 3 »

يحكى أن مريدا من مريدي الإمام الجنيد رضي الله عنه خيّل إليه أنه وصل إلى درجة الكمال ، وقال لنفسه : إن الوحدة أفضل لي من الصحبة ، واعتكف في زاويته وأعرض عن صحبة الجماعة ، فلما أقبل الليل جيء بجمل ،

وقيل له : ينبغي لك أن تذهب إلى الجنة ، فركبه وأخذ يسير حتى بدا له مكان بهيج ، وكان فيه جماعة حسان الصور ، وأطعمة طيبة ، ومياه

....

(1) انظر : الفيض للمناوي (2 / 129) .

(2) انظر : روح المعاني (13 / 77) .

(3) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 634) .

جارية ، واستبقوه حتى وقت السحر ، ثم نام ، فلما استيقظ رأى نفسه على باب صومعته حتى استشرت فيه رعونة الآدمية ، وأظهرت نخوة الشباب أثرها في قلبه ، فأطلق لسان الدعوى ، وكان يقول : إن لي كذا وكذا .
حتى أبلغ الخبر الجنيد ، فنهض وجاء إلى صومعته ، فوجده وقد ملأ رأسه زهوا ، وتمكن في دماغه الكبر ، فسأله الجنيد عن حاله ؟
فذكر للجنيد كل شيء ، فقال له رضي الله عنه : عندما تذهب الليلة إلى ذلك المكان قل : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ثلاث مرات ،
فلما جنّ الليل حملوه ، وكان في قلبه ينكر علم الجنيد ، فلما انقضى زمن . . قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ثلاث مرات على سبيل التجربة ،
فضجّ أولئك جميعا ، وانصرفوا ، ووجد نفسه جالسا في وسط مزبلة وقد أحاطت به بعض عظام الرمم ، ووقف على خطئه وتعلق بأهداب التوبة ، ورجع إلى صحبة أصحابه « 1 » .
قال الجنيد قدّس سرّه : أمرني ربّي أمرا ، وأمرني السريّ أمرا ، فقدّمت أمر السريّ على أمر ربي وكل ما وجدت فهو من بركاته .

الرحمة الخاصة

قال الجنيد في معنى قوله صلى الله عليه وسلّم : " يكره الموت وأكره مساءته " " 2"
يريد لما يلقى من عيان الموت وصعوبته وكربه ليس أني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمته ومغفرته « 3 » .

....
(1) انظر : كشف المحجوب (ص 585) .
(2) رواه البخاري (5 / 2348) ، والبيهقي في الزهد الكبير (2 / 269) ، والنص للجنيد عنده .
(3) قال الحافظ في الفتح : وعبّر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضي ، وهو مفارقة الروح للجسد ، ولا تحصل غالبا إلا بألم عظيم جدا ، كما جاء عن عمرو بن العاص أنه سئل وهو يموت ؟ فقال : كأني أتنفس من خرم إبرة وكأن غصن شوك يجر به من قامتي إلى هامتي ، وعن كعب أن عمر سأله عن الموت فوصفه بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف والله يكره أذى المؤمن أطلق على ذلك الكراهة ، ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين ، وجوز الكرماني أن يكون المراد أكره مكرهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد .
قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء : في هذا الحديث عظم قدر الولي لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له وعن حوله وقوته بصدق توكله . -

الرحمة الامتنانية

حكي عن أبي القاسم الجنيد قدّس الله سرّه أنه قال : تنزل الرحمة من الله عزّ ذكره على الفقراء في ثلاثة مواطن :

عند أكلهم الطعام ؛ فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ،

وعند مجاراة العلم ؛ فإنهم لا يتكلمون إلا في أحوال الصديقين والأولياء ،

وعند السماع ؛ فإنهم لا يسمعون إلا من حقّ ، ولا يقومون إلا بوجدة « 1 » .

الشفقة

سئل الجنيد عن الشفقة على الخلق ؟

فقال : تعطيهم من نفسك ما يطلبون ، ولا تحمّلهم ما لا يطيقون ، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون « 2 » .

باب في السماع

سئل الجنيد : ما بال الإنسان يكون هادئا ، فإذا سمع السماع اضطرب ؟

فقال : إن الله تعالى لما خاطب الذرّ في الميثاق الأول بقوله :أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى[الأعراف : 172] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .

يقول الجنيد : إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة .

قيل : إن الجنيد ترك السماع . فقيل له : كنت تستمع ؟ فقال : مع من ؟ فقيل له : تسمع لنفسك ؟ فقال : ممن ؟ « 3 »

....

- قال : ويؤخذ منه ألا يحكم لإنسان آذى وليا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله ، فقد تكون مصيبته ذلك ما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلا . وانظر : فتح الباري (11 / 346) .

(1) انظر : اللمع للطوسي (ص 242) ، والتعرف (ص 191) ، والإحياء (2 / 270) ، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (ص 305) ، والرسالة (2 / 644) ، وروض الرياحين (ص 182) ، ونشر المحاسن (ص 316) ، وطبقات الشعراني (1 / 85) .

(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 303) .

(3) قال السهروردي : لأنهم كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل ، فلما فقد الإخوان ترك . انظر : عوارف المعارف (ص 113) .

وقال الهجويري : إنه كان للجنيد مريد كان يضطرب كثيرا في السماع ، وكان ينشغل به الدراويش ، فشكوه إلى الشيخ رضي الله عنه ، فقال له : إذا اضطربت بعد هذا في السماع فلا أصحبك أنا أيضا « 1 » .
سمع الجنيد مغنيّا يغني « 2 » :
منازل كنت تهواها وتألفها * أيام أنت على الأيام منصور

فبكى رضي الله عنه ، وقال : ما أطيب منازل الألفة والمؤانسة ، وما أوحش مقامات المخالفة والوحشة ! لا أزال أحنّ إلى بدو إرادتي ، وجدة سعيي ، وركوبي الأهوال ، وجعل يقول :
خليلي هل للشام عين حزينة * تبكي على نجد فإني أعينها
وأسلمها الواشون إلا حمامة * مطوقة ورقاء ابن قرينها
يقول الجنيد : دخلت يوما على السريّ فوجدت عنده رجلا مغشيّا عليه ، فقلت له : ما له ؟ فقال : سمع آية من كتاب الله تعالى . فقلت له : يقرأ عليه الآية مرة أخرى . فقرئت ، فأفاق الرجل . فقال السري ، من أين علمت هذا ؟ فقلت له : إن قميص يوسف عليه السلام ذهب بسببه عينا يعقوب عليه السلام ثم عاد بصره به . فاستحسن ذلك منّي « 3 » .
ويقول الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء ، وإلا فتركه أولى : الإخوان ، والزمان ، والمكان « 4 » .
سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول : سمعت الجنيد يقول : السماع فتنة لمن طلبه ، ترويح لمن صادفه « 5 » .
عن أبي القاسم الجنيد قدّس الله سرّه أنه قيل له : كنت تسمع هذه القصائد وتحضر مع أصحابك في أوقات السماع ، وكنت تتحرك ، والآن فأنت هكذا ساكن الصفة ، فقرأ

....
(1) انظر : كشف المحجوب (ص 656) .
(2) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 147) ، ونشر المحاسن له (ص 213) .
(3) انظر : الرسالة (2 / 651) ، واللمع (ص 354) ، والإحياء (2 / 297) .
(4) انظر : الرسالة (2 / 645) ، واللمع (ص 246) ، والإحياء (2 / 301) .
(5) انظر : الرسالة (2 / 644) .

عليهم الجنيد هذه الآية :وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ[النمل : 88] « 1 » .
قال الجريري : والحكاية معروفة : كنت عند الجنيد وهناك ابن مسروق وغيره ، وثم قوال ، فقام ابن مسروق وغيره . . والجنيد ساكن ،
فقلت : يا سيدي ، ما لك في السماع شيء ؟ قال الجنيد :وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ.
ثم قال : وأنت يا أبا محمد ما لك في السماع شيء ؟ فقال الجريري : يا سيدي ، أنا إذا حضرت موضعا فيه سماع وهناك محتشم أمسكت على نفسي وجدي ، فإذا خلوت أرسلت وجدي ، فتواجدت « 2 » .
قال الجنيد رضي الله عنه : رأيت درويشا أسلم الروح في السماع « 3 » .
وسئل أبو الحسن بن سالم : كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسريّ السقطي وذو النون يسمعون ؟ فقال : كيف أنكر السماع وقد سمعه عبد الله بن جعفر الطيار : يعني ابن أبي طالب ، وإنما أنكر اللهو ، وأنكر اللعب في السماع « 4 » .
يشير الجنيد قدّس الله سرّه أنه إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع إلى قوله تعالى :وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ[النمل : 88] « 5 » .
وروى أن جماعة الشيوخ اجتمعوا في دار ابن أبي خيثمة ببغداد على سماع ، وفيهم الجنيد ، وأبو محمد رويم ، وابن مسروق والجريري إلى أن مضى من الليل بعضه ، أو قال جلّه ، وفيهم النوري فلم يتحرك منهم واحد ولا أثر فيه القول ، فقال النوري : يا أبا القاسم ، هذا السماع يمرّ مرّا ولا أرى وجدا يظهر ؟ فقال الجنيد : يا أبا الحسينوَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ[النمل : 88] ، وأنت يا أبا الحسين ما أثر عليك ؟ قال : ما بلغت مقامي في السماع . فقال الجنيد : وما مقامك في السماع ؟ فقال :

....
(1) انظر : الإحياء (2 / 303) ، واللمع (ص 366) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى (بتحقيقنا) .
(2) انظر : الرسالة (1 / 202) .
(3) انظر : المعزى في مناقب أبي يعزى (بتحقيقنا) .
(4) انظر : الإحياء (2 / 269) ، والقوت (2 / 123) .
(5) انظر : الحلية (10 / 271) ، واللمع (ص 128) .

الرمز إليه والإشارة دون الإفصاح والكناية دون الإيضاح ، ثم وثب وصفّق بيديه ، وأنشد يقول :

ربّ ورقاء هتوف في الضحى * ذات شجو صرخت في فنني
فبكائي ربما أرّقها * وبكاءها ربّما أرّقني
ولقد تشكو فما أفهمها * ولقد أشكو فما تفهمني
غير أنّي بالجوى أعرفها * وهي أيضا بالجوى تعرفني

فقام جميع من حضر لقيامه ساعة من الليل « 1 » .

قال الجنيد : ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها . قيل له : وما هي ؟ قال : مررت بدرب القراطيس فوجدت جارية تغني من دار ، فأنصتّ لها ، فسمعتها تقول :

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلى * تقولين لولا الهجر لم يطب الحبّ
وإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى * تقولي بنيران الهوى شرف القلب
وإن قلت ما أذنبت ؟ قلت مجيبة * حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت وصحت ، فبينا أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج ، فقال : ما هذا يا سيدي ؟ فقلت له : مما سمعت .

فقال : أشهدك أنها هبة منّي لك . فقلت : قد قبلتها ، وهي حرة لوجه الله تعالى ، ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط ، فولدت له ولدا نبيلا ، ونشأ أحسن نشوء ، وحجّ على قدميه ثلاثين حجة على الواحدة « 2 » .

سئل الجنيد : ما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون ، بخلاف ما إذا سمعوا الرباعيات ؟ فقال : لأن القرآن كله أحكام ومواعظ ، كلّفوا بالعمل بها ، ومن كلّف بشيء لا يطرب به ، ولا كذلك الرباعيات ؛ فإنها كلام جنسهم ، ومما عملته أيديهم ، بخلاف القرآن ؛ فإنه حقّ صدر عن حقّ ، فلا مجانسة بينها وبينه « 3 » .

....

(1) انظر : كشف المحجوب (ص 656) .
(2) انظر : روضة الحبور لابن الأطعاني (ص 110) بتحقيقنا ، والبداية والنهاية لابن كثير (11 / 115) ، والوافي بالوفيات (ص 1556) ، وشذرات الذهب لابن العماد (2 / 229) .
(3) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 574) .

قال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلّم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ما يقول في السماعات التي نحضرها في الليالي ، وربما تبدو منا الحركات فيها ؟ فقال صلى الله عليه وسلّم : « ما من ليلة إلا وأحضر معكم ، ولكن ابدأوا بالقرآن واختموا بالقرآن « 1 » » .
ذكر عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال للجريري في حال ابتداء توبته : إذا أردت سلامة الدين ورعاية التوبة لا تنكر السماع الذي يقيمه الصوفية ، ولا ترى نفسك أهلا له ما دمت شابّا ، وإذا صرت شيخا فلا تؤثم الناس « 2 » .
قال الجنيد رحمه الله : من تكلّف السماع فتن به ، ومن صادفه استراح به « 3 » .
ونقل بعضهم عن الجنيد قدّس سرّه أنه قال : السماع على أهل النفوس حرام ؛ لبقاء نفوسهم ، وعلى أهل القلوب مباح ؛ لوفور علومهم وصفاء قلوبهم ، وعلى أصحابنا واجب ؛ لفناء حظوظهم « 4 » .

باب في الكرامات

عن الجنيد رحمه الله أنه قال : من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء مثله مثل من يمضغ التبن « 5 » .

....
(1) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 184) .
(2) انظر : كشف المحجوب (ص 660) .
(3) انظر : أمراض القلوب (ص 73) .
(4) قال ابن حجر الهيتمي : ونقل القاضي حسين عن الجنيد أنّه قال : النّاس في السّماع إمّا عوامّ وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم ، وإمّا زهّاد وهو مباح لهم لحصول مجاهدتهم ، وإمّا عارفون وهو مستحبّ لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه أبو طالب المكيّ وصحّحه السّهرورديّ في عوارفه ، والظّاهر أن الجنيد لم يرد التّحريم الاصطلاحيّ وإنّما أراد أنّه لا ينبغي ثمّ نقل عن والده إفتاء نظما حاصله أن نحو الرّقص والدّفّ فيه خلاف وأنّه لم تأت شريعة قطّ بأنّه قربة وأن من قال بحله إنّما جعله مباحا وأنّ من اصطفاه لدينه متعبّدا بحضوره فقد باء بحسرة وخسار ، وأن العارف المشتاق إذا هزّه وجد فهام في سكراته لا يلحقه لوم بل يحمد حاله لطيب ما يلقاه من اللّذّات . انتهى .
وانظر : الزواجر (ص 73) ، وزرح المعاني (21 / 72) .
(5) انظر : اللمع (ص 390) .

قال الجنيد : سمعت أبا جعفر الخصاف يقول : حدثني جابر الرحبي قال : أكثر أهل الرحبة على الإنكار في باب الكرامات ، فركبت السبع يوما ، ودخلت الرحبة ، وقلت : أين الذين يكذّبون أولياء الله ؟ قال : فكفّوا بعد ذلك عني « 1 » .
وقال الجنيد : جئت يوما إلى مسجد الشونيزية ، فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون في الآيات ، فقال فقير منهم : أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطوانة : كوني ذهبا نصفك ونصفك فضة كانت .
فقال الجنيد : فنظرت فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ، ونصفها فضة « 2 » .
قال جعفر الخلدي : سمعت الجنيد يقول : سمعت النوريّ يقول : كنت بالرقة فجاءني المريدون الذين كانوا بها ، وقالوا : نخرج ونصطاد السمك ، فقالوا لي : يا أبا الحسين ، هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص .
فقلت لمولاي : إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمينّ بنفسي في الفرات . فأخرجت سمكة ، فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان .
قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين : لو لم تخرج كنت ترمي بنفسك ؟ قال : نعم « 3 » .
قال أبو الحسين النوري : كان في نفسي من هذه الكرامات شيء ، وأخذت من الصبيان قصبة ، وقمت بين زورقين ، وقلت : وعزّتك لئن لم تخرج لي سكمة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئا . قال : فبلغ ذلك الجنيد ، فقال : كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه « 4 » .
وعن الجنيد قدّس الله سرّه قال : جاءني أبو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي وجماعة ، وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام ، فقال يوما لأبي حفص قدّس الله سرّه : قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة ، وليس لك شيء من ذلك . فجاء أبو حفص به (بالرجل السائل) إلى

....
(1) انظر : الرسالة (ص 684) .
(2) انظر : الرسالة (2 / 690) ، وروضة الحبور (ص 113) ، والكواكب (1 / 580) .
(3) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 676) ، وتلبيس ابن الجوزي (421) .
(4) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 676) ، وتلبيس ابن الجوزي (421) ، والمعزى في مناقب سيدي أبي يعزى ، وفيه : قلت : وإنما قال إمام الطائفة ذلك لأنه نزل من الحقيقة التي هي مقامه لمقام البسط والإذلال الذي هو محل السقوط إلا من عصمه الله وعصم من الأكابر لأن التحفظ فيه صعب كما قال تاج العارفين رضي الله عنه : ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل .

الحدادين إلى كور عظيم محمى فيه حديدة عظيمة ، فأدخل يده في الكور ، فأخذ الحديدة المحماة ، فأخرجها ، فبردت في يده ، فقال له : يجزيك هذا ، فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه ؟
فقال الجنيد : كان مشرف على حاله فخشي على حاله أن يتغير عليه إن لم يظهر ذلك له ، فخصه بذلك شفقة عليه ، وصيانة لحاله ، وزيادة لإيمانه « 1 » .
قيل للجنيد : ما للمريدين في مجاراة الحكايات ؟
فقال : الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوّي بها قلوب المريدين ، قيل له : فهل في ذلك شاهد ؟ فقال رضي الله عنه : نعم قوله تعالى :وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ[هود : 120] « 2 » .

وقيل : إن الجنيد مرض مرة ، فعاده النوريّ ، فوضع يده عليه فعوفي لوقته « 3 » .
قال الجنيد : قال لي السمين : كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق ، وكنت أجد من ذلك شيئا أنا به مستقبل ، فخرجت إلى الغزو بهذه الحال وغزا الناس ، وغزوت معهم ، وكثر العدو على المسلمين ، وتقاربوا ، والتقوا ، ولزم المسلمين من ذلك خوف ؛ لكثرة الروم .

قال محمد السمين : فرأيت نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها روع ، فاشتدّ ذلك عليّ ، فجعلت أوبّخ نفسي ، وألومها ، وأؤنبها ، وأقول لها : يا كاذبة ، تدّعين الشوق ، فلما جاء الموطن الذي يؤمل فيه الخروج اضطربت وتغيرت ، فأنا أوبّخها إذ وقع عليّ أن أنزل إلى النهر فأغتسل ، فخلعت ثيابي ، واتّزرت ، ودخلت النهر ، واغتسلت ، وخرجت وقد اشتدت لي عزيمة لا أدري ما هي ، فخرجت بقوة تلك العزيمة ولبست ثيابي ، وأخذت سلاحي ،

....
(1) انظر : اللمع (ص 404) .
فائدة : قال الشيخ الكتاني في الجلاء (1 / 268) : وفي شرح الطريقة المحمدية للخادمي لدى قول أصله ، وكرامات الأولياء حق إلى آخره ما نصه : وفي بعض الكتب عن فصل الخطاب لخوجة بارسا أن الواحد من تلامذة حضرة الجنيد قدّس سره يدخل الدجلة لأجل الغسل فيرى نفسه في ديار الهند فيتزوج ويحصل له أولاد فيدخل الماء مرة أخرى فيجد نفسه في ساحل الدجلة فيلبس ثيابه ويجيء زاويته وأصحابه يتوضئون الوضوء .
(2) انظر : روضة الحبور لابن الأطعاني (ص 19) بتحقيقنا ، واللمع للطوسي (ص 275) ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (1 / 577) ، ومدارج السالكين لابن قيم (2 / 366) .
(3) انظر : تفسير القرطبي (14 / 76) .

ودنوت من الصفوف ، وحملت بقوة تلك العزيمة حملة ، وأنا لا أدري كيف أنا ! فخرجت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صرت من ورائهم ، ثم كبّرت تكبيرة ، فسمع الروم تكبيرا ، وظنوا أن كمينا قد خرج عليهم من ورائهم ، فولّوا ، وحمل عليهم المسلمين ، فقتل من الروم بسبب تكبيرتي تلك نحو أربعة آلاف ، وجعل الله عز وجلّ ذلك سبب النصر والفتح « 1 » .

قال الخلدي : قال الجنيد : قال لي محمد السمين : كنت في طريق الكوفة بقرب الصحراء التي بين قباء والصخرة التي تفريقنا منها ، والطريق منقطع ، فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض ، فلما أن رأيتهم كأنّ نفسي اضطربت ، وكانوا على قارعة الطريق ، **فقالت لي نفسي** : تميل يمينا أو شمالا فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق ، فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ، ثم رجعت إلى نفسي لأنظر كيف ؟ فإذا الرّوع معي قائم ، فأبيت أن أبرح وهذه صفتي ، فقعدت بينهم ، ثم نظرت بعد قعودي ، فإذا الروع معي فأبيت أن أبرح وهذه صفتي ، فوضعت جنبي فنمت مضطجعا فتغاشاني النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع في المكان الذي كانوا عليه ، فمضى بي وقت ، وأنا نائم ، فاستيقظت فإذا السباع قد تفرّقت ، ولم يبق منها شيء ، وإذا الذي كنت أجده قد زال ، فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت « 2 » .

باب في الأبدال

قال الجنيد : حضرت إملاك بعض الأبدال من النساء ببعض الأبدال من الرجال « 3 » ، فما كان في جماعة من حضر إلا من ضرب بيده إلى الهواء ، فأخذ شيئا وطرحه من درّ

....

(1) انظر : المنتظم لابن الجوزي (5 / 31) .

(2) انظر : تلبيس إبليس لابن الجوزي وقد أسنده (ص 372) .

(3) البدلاء : هم سبعة رجال من القطب أيضا من سافر منهم من موضع ، أي : موضع كان ، وترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله ، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد . وذلك هو البدل لا غير ، وتقريب معنى البداية في تعدد ظل شخص واحد في الأنوار المتعددة على الأنحاء المختلفة ، وهو أي البدل في قلبه الآحاد ، والصور على صورته على قلب إبراهيم عليه السلام . فإن البرزخية الكبرى الجامعة بين الأحدية المسقطة للاعتبارات ، والواحدية المشبهة لها بحكم الإحاطة ، واشتمال كل الحقائق الكامنة

وياقوت ، وما أشبهه ، فضربت بيدي ، فأخذت زعفرانا وطرحته ، فقال لي الخضر عليه السلام : ما كان في الجماعة من أهدى ما يصلح للعرس غيرك « 1 » .
حكي عن الجنيد رضي الله عنه قال : كنت في مسجد الجامع مرة ، فإذا برجل قد دخل إلينا وصلى ركعتين ، ثم امتد ناحية من المسجد ، وأشار إليّ ، فلما جئته قال لي : يا أبا القاسم ، إنه قد حان لقاء الله تعالى ولقاء الأحباب ، فإذا فرغت من أمري ، فسيدخل عليك شابّ مغنّ فادفع إليه مرقعتي وعصاي وركوتي . فقلت : إلى مغنّ ، وكيف يكون ذلك ؟ قال : إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى في مقامي .
قال الجنيد : فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته إذا نحن بشابّ بصريّ قد دخل علينا وسلّم ، وقال : أين الوديعة يا أبا القاسم ؟ فقلت : وكيف ذاك ؟ أخبرنا بذلك ؟ قال : كنت في مشربة بني فلان ، فهتف بي هاتف أن قم إلى الجنيد وتسلّم ما عنده ، وهو كيت وكيت ، فإنك قد جعلت مكان فلان الفلاني من الأبدال . قال الجنيد : فدفعت إليه ذلك، فنزع ثيابه واغتسل ، ولبس المرقعة ، وخرج على وجهه نحو الشام « 2 ».
وقال الإمام الجنيد : كنت في بدء إرادتي أرى في منامي بالليل ما يجري عليّ في يقظتي ونهاري ، فأتصفح ذلك حالا بعد حال فأكون مرهبا لما قد رأيته ، وكنت أحبّ أن أرى الأبدال ، وسألت الله تعالى أن يريني الأبدال ، فرأيت ليلة كأنّي جالس على باب دارنا إذ مر ثلاثة نفر عليهم ثياب خلقان وزيّ رثّ دنس ، وعليهم ظاهر بلوى ، فوقع في قلبي أنهم الأبدال ، فقمت واتبعتهم حتى جاءوا إلى المسجد ، فدخلوه ، ودخلت خلفهم ، فلما رأوني انتفضوا ، فإذا زيّهم أحسن زيّ ، وأبدانهم كأحسن الأبدان ، وخلقهم كأحسن الخلق ، فقلت ما هذا ؟
فقالوا : هذا خلقنا وزيّنا وحالنا . فقلت لهم : فما بال الحال الأول ؟
فقالوا لي : ذلك شيء تستّرنا به عن الخلق . ثم قالوا لي : يجزيك ؟ قلت : نعم ، ثم انتفضوا فعادوا إلى صورهم التي كانت أولا فخرجوا من المسجد يمشون حتى جاءوا إلى دكان بقال فيها قصب وحطب فتناول أحدهم من القصب قصبة ، فصارت في يده حطبا ، وتناول الآخر من الحطب فصار قصبا ، ثم قال لي : يجزيك ؟ فقلت : أجزاني ، ثم مضوا وانتبهت ، فلما أصبحت جلست على بابنا أنتظر ما رأيت في ليلتي ، فإذا الثلاثة بأعيانهم دخلوا المسجد ،
فيها على الكل ، حقيقة محمدية ، وبحكم التمييز الخفي بين ما اشتملت هذه البرزخية عليه من كليات المراتب والأمهات السبع الذاتية الثبوتية مع بقاء حكم أحدية الجمع عليها حقيقة إبراهيمة .

....
(1) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 32) ، وطبقات الشافعية للسبكي (2 / 270) .
(2) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 144) ، ونشر المحاسن له أيضا (ص 136) .

فدخلت خلفهم ، فكان منهم مثل ما رأيت ثم خرجوا من المسجد ، واتبعتهم ، حتى جاءوا إلى دكان بقال ، وكان مثل ما رأيت أيضا ، فلما أرادوا أن يفارقوني قلت لهم : من ببغداد من الأبدال ؟ قالوا : فلان وفلان لقوم أعرفهم . قال الجنيد : فكأني رأيت أزريت على واحد منهم بقلبي . فقلت لهم : وفلان من الأبدال ! قالوا : نعم ، هو من أهل الأنس بالله ، فما زال الجنيد يقول : هم ثلاثة ، فيسأل عنهم فلا يخبر ولكن يقول : قد مات منهم وبقي منهم ، وما زال يقول : بقي واحد إلى أن مات ، فكنا نرى أن الذي أخبر أنه من أهل الأنس بالله أحمد بن مسروق والذي أزرى به عنا به نفسه « 1 » .

باب رؤيا القوم

قال الجنيد : رأيت في المنام كأنّي واقف بين يدي الله تعالى ، فقال لي : يا أبا القاسم : من أين لك هذا الكلام الذي تقول ؟ فقلت : لا أقول إلا حقّا . فقال : صدقت « 2 » .
قال الجنيد : رأيت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلّم أخذ بعضدي من خلفي ، فما زال يدفعني حتى أوقفني بين يدي الله تعالى ، فسألت جماعة من أهل العلم ، **فقالوا :** إنك رجل تقول العلم إلى أن تلقى الله تعالى « 3 » .
حكي عن الجنيد أنه قال : رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف عليّ ملك ، **فقال :** أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله ماذا ؟ فقلت : عمل خفيّ وميزان وفيّ .
قال : فولى الملك عني وهو يقول : كلام موفق والله « 4 » .

حكي عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال : خرجت يوما في بعض الغزوات ، وكان قد أرسل إليّ أمير الجيش شيئا من النفقة ، فكرهت ذلك ، ففرقته على محاويج الغزاة ، فلما كان في بعض الأيام صليت الظهر ، وجلست متفكرا في ذلك ، نادما على قبوله وتفريقي إياه ، فغلبني النعاس ، فرأيت قصورا تبنى مزخرفة ، ونعما طائلة فسألت عنها ، فقيل لي : هذه لأصحاب المال الذي فرقته في الغزاة .
فقلت : فما لي معهم شيء ؟ فقيل : ذلك القصر . وأشاروا إلى قصر عظيم من أحسن القصور وأعظمها ، فقلت : فكيف فضّلت عنهم ؟ فقيل : أولئك

....
(1) انظر : روضة الحبور (ص 116) بتحقيقنا .
(2) انظر : الرسالة (2 / 728) .
(3) انظر : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 244) .
(4) انظر : الرسالة للقشيري (2 / 726) ، والإحياء للغزالي (4 / 508) ، والحبور (ص 113) .

أخرجوا المال وهم يتوقعون الثواب عليه ، فكان هذا جزاؤهم ، وأنت فرّقت ذلك المال خائفا وجلا محاسبا نفسك نادما فضاعف الله تعالى لك ذلك على ثواب سعيك « 1 » .

قال الجنيد : رأيت إبليس في المنام كأنّه عريان ،
فقلت له : أما تستحي من الناس ؟ ! فقال : يا لله ، هؤلاء عندك من الناس ، لو كانوا منهم ما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصّبيان بالكرة ، ولكن الناس غير هؤلاء .
فقلت : ومن هم ؟ قال : قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي ، وأنحلوا جسمي ، كلّما هممت أشاروا بالله ، فأكاد أحرق ، فانتبهت ، ولبست ثيابي ، وأتيت مسجد الشونيزي ، وعليّ ليل ، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس قيل هم : أبو حمزة وأبو الحسين النوري وأبو بكر الزقاق جلوس ، ورؤوسهم في مرقّعاتهم ، فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال : يا أبا القاسم ، أنت كلّما قيل لك شيء تقبله ! « 2 » .

يقول الجنيد : رأيت إبليس في النوم ، فقلت : يا لصّ ، إيش مقامك ها هنا ؟ فقال : وإيش ينفعني قيامي ، لو أن الناس كلهم مثلك ما نفعتني لصوصيتي شيئا « 3 » .

وقال الجنيد : رأيت إبليس في النوم ، فقلت له : هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال منهم شيئا ؟ فقال : إنه يعسر عليّ شأنهم ، ويعظم عليّ أن أصيب منهم شيئا ، إلا في وقتين .

قلت : أي وقت ؟ قال : وقت السماع ، وعند النظر ، فإني أسترقي منهم فيه ، وأدخل عليهم به .

قال الجنيد : فحكيت رؤياي لبعض المشايخ ، فقال : لو رأيته قلت له : يا أحمق من سمع منه - أي من الله عز وجلّ - إذا سمع ، ونظر إليه إذا نظر ، أتربح أنت عليه شيئا ، أو تظفر بشيء منه ؟ فقلت : صدقت « 4 » .

....

(1) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 209) .
(2) انظر : الإحياء للغزالي (4 / 509) ، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص 132) ، وروض الرياحين لليافعي (ص 112) .
(3) انظر : تاريخ بغداد (7 / 246) .
(4) انظر : الإحياء للغزالي (2 / 302) ، وعوارف السهروردي (ص 107) .

ويقول الجنيد : مكثت مدة طويلة لا يقدم البلد أحد الفقراء إلا سلبت حالي ودفعت إلى حاله فأطلبه ، حتى إذا وجدته ، تكلمت بحاله ورجعت إلى حالي ، وكنت لا أرى في النوم شيئا إلا رأيته في اليقظة « 1 » .
قال علاء الدين عطار : جاءني سيد الطائفة الجنيد في رؤيا في ضحوة يوم عند انصرافنا من مكة المباركة ، زادها الله تعالى تكريما وبركات ، ونحن نسير مع الركب وأنا بين النوم واليقظة ، فقال رضي الله عنه في زيارته وبشارته : القصد مقبول ، فحفظت هذه الكلمة وسررت بها ، ثم استيقظت من الحالة الواقعة بين النوم واليقظة الحمد لله على ذلك « 2 » .

حكي عن الجنيد رضي الله عنه قال : رأيت آدم عليه السلام في المنام وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ أليس قد غفر الله تعالى لك ، ووعدك بالرجوع إلى الجنة ؟ فناولني ورقة مكتوبة ، فاستيقظت من منامي ، فوجدتها في يدي وإذا فيها :
أتحرقني بالنّار نار من النّوى * ونار النّوى أحرّ من النار
شغفت بجار لا بدار سكنتها * على الجار أبكي ، لا على سكنة الدّار
ولو لم يعدني بالرجوع إلى المنى * هكلت ولكن نلت بالوعد أوطاري « 3 »
وقال الجنيد : الأرض محتاجة للمطر . فلما مات قيل له : ما فعل بك ؟ قال : خيرا ، لكنه عاتبني على كلمة قلتها فذكرها ، وقال : أتنبئني بأرضي ، وتقول : محتاجة للمطر ؟ وأنا العليم الخبير ،وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ[الحجر : 21] « 4 » .
عن جعفر الخلدي : رأيت الجنيد في النوم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر « 5 » .

....
(1) انظر : تاريخ بغداد للخطيب (7 / 244) .
(2) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 350) .
(3) انظر : روض الرياحين لليافعي (ص 169) .
(4) انظر : الكواكب للمناوي (1 / 584) .
(5) انظر : الحلية (10 / 257) ، وتاريخ الخطيب (7 / 248) ، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (1 / 129) ، وطبقات الشافعية الكبرى (2 / 267) ، وطبقات الحنابلة (1 / 127) ، والوافي بالوفيات للصفدي (ص 1556) ، وروضة الحبور (ص 109) ، بتحقيقنا .

رأى الجريري الجنيد في المنام ، فقال له : كيف حالك يا أبا القاسم ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، وبادت تلك العبارات ، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات « 1 » .
وقال الخلدي : رأيت الجنيد في المنام فقلت له : أليس كلام الأنبياء عليه السلام إشارات في مشاهدات ؟ فتبسّم ، وقال : كلام الأنبياء عن حضور ، وكلام الصدّيقين إشارات عن مشاهدات « 2 » .
وقال عليّ بن منصور الدينوري : خرجت إلى بغداد ومعي شيء من الدنيا أريد تفرقته على أصحاب الجنيد وسائر الفقراء ، فوافينا بغداد ، ونزلنا في مكان ، وأحرزنا ما كان معنا وقصدت جنيدا ؛ لأسلم عليه ، وأقضي حقه ، فوجدته ، فباسطني بكلامه وحسن خلقه ، وكنت أختلف إليه على دائم الوقت وأجالسه ،
فلما كان ذات ليلة رأيت في المنام كأن الخليفة قد جاءني يدعوني إلى ضيافته فانتبهت ، وحدثت بما رأيت صاحبا لي ،
فقال : ننظر تأويل رؤياك هذه ، فلما أصبحنا وصلينا الصبح ونحن جلوس إذا الباب يدق ،
فقام صاحبي وفتح الباب ، فإذا نحن بأبي القاسم الجنيد ، فقمنا إليه ، وسلمنا عليه ، وجلس عندنا ساعة ، وتحادثنا وتذاكرنا بالعلم ، ثم دعانا إلى دعوة له في منزله ، قال عليّ بن منصور : فتبسمت لذلك ،
فقال لي الجنيد : ممّ تبسمك ؟ فقلت : رأيت البارحة في النوم كأن الخليفة قد جاء يدعوني إلى ضيافته وحدثت صاحبي هذا حين انتبهت فصلينا الغداة وجلسنا ننتظر ما يكون من تأويل الرؤيا حتى طرقت الباب فلما دخلت وجلست ودعوتني تبسمت لذلك ،
فقال الجنيد : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وأبا بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، وعليّا بين يديه ، فسلمت عليه وجلست بين يديه ، وإذا برجلين قد دخلا وجلسا بين يديه ، فادعى أحدهما على الآخر دعوى في مطالبة بحقّ ، فالتفت إليّ النبي صلى الله عليه وسلّم ،
وقال : يا أبا القاسم ، احكم بينهما ؛ فقد وليتك الحكم فسكتّ ؛ إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلّم واحتشاما له ولصاحبيه ، فأعاد ، فاحتشمت ولم أجب ،
فأعاد الثالثة ، فاحتشمت هيبة له وإجلالا ،
فقال لي في الرابعة : يا أبا القاسم ، احكم بينهما ؛ فقد وليتك الحكم بين الخلق .
فانتبهت وأنا مذعور ، فجئت إليكم أتسلى « 3 » .

....
(1) انظر : الرسالة (2 / 722) .
(2) انظر : روضة الحبور (ص 108) بتحقيقنا .
(3) انظر : روضة الحبور (ص 118) بتحقيقنا .

عن الجنيد رحمه الله أنه قال : كلمت يوما رجلا من القدرية ، فلما كان في الليل رأيت في النوم كأن قائلا يقول : ما ينكر هؤلاء القوم أن يكون الله قبل خلقه للخلق علم أنه لو خلق الخلق ثم مكنهم أمورهم ثم ردّ الاختيار إليهم للزم كل امرئ منهم بعد أن خلقهم ما علم أنهم له مختارون « 1 » .باب الوصية للمريدين

قال الجنيد لبعض أصحابه : أوصيك بقلة الالتفات إلى الحال الماضية عند ورود الحال الكائنة « 2 » .

قال الجنيد وقد قال له رجل أوصني : أرض القيامة كلها نار ، فانظر أين تكون رجلك « 3 » .

قال الجنيد : دخلت على السريّ وهو يجود بنفسه في سكرات الموت ، فجلست وبكيت فسقطت دموعي على خده ، ففتح عينيه ، ونظر إليّ ، فقلت : أوصني ؟ قال : لا تصحب الأشرار ، ولا تشتغل عن الله بمخالطة الأخيار « 4 » .

وقال الجنيد قدّس الله سرّه : امتزج بالالتباس واختلط متلوّنا في الإحساس ، وما يتغير عنها في الالتباس يؤخذ عنه كأسرع مأخوذ ومختلس « 5 » .

يقول الجنيد واعظا : يا فتى ، الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك ؛ فالأحوال تندرج فيك وتنفد ، لأن الله عز وجلّ يقول :وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا[آل عمرن : 7] « 6 » .

يقول الجنيد في بعض وصاياه : يا أخي ، فاعمل ، ثم اعجل قبل أن يعجل الموت بك ، وبادر ، ثم بادر قبل أن يبادر إليك ، وقد وعظك الله تعالى في الماضين من إخوانك ، والمنقولين من الدنيا من أقرانك وأخدانك ، فذاك حظك الباقي عليك ، والنافع لك ، وكل

....

(1) انظر : إيثار الحق على الخلق (ص 256) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 335) .
(3) انظر : تاريخ بغداد (7 / 245) .
(4) انظر : تاريخ بغداد (7 / 246) ، وفيض القدير (1 / 442) .
(5) انظر : اللمع (ص 449) .
(6) انظر : الحلية (10 / 257) .

ما سوى ذلك فعليك لا لك ، وهذه موعظتي لك ، ووصيتي إياك ، فاقبلها تحمد الأمر بقبولها ، وتفوز باستعمالها ، والسلام « 1 » .
قال الجنيد قدّس الله سرّه : لو علمت أن علما تحت أديم السماء أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه وإلى أهله ؛ حتى أسمع منهم ذلك ، ولو علمت أن وقتا أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم لنهضت إليه « 2 » .
سئل الجنيد عن التوحيد ؟ فقال : إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، بنفي الأضداد ، والأنداد ، والأشباه ، بلا تشبيه ، ولا تكييف ، ولا تصوير ، ولا تمثيل «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى : 11] « 3 » .
وعن جعفر الخلدى قدّس الله سرّه أنه قال : كان الجنيد قدّس الله سرّه يوصي الرجل ، ويقول : قدّم نفسك وأخّر عزمك ، ولا تقدّم عزمك وتؤخّر نفسك ، فيكون فيها إبطاء كثير « 4 » .
قال الجنيد : سمعت السريّ قدّس الله سرّه يقول : يا معشر الشباب ، جدّوا قبل أن تبلغوا مبلغي ، فتضعفوا ، وتقصروا كما قصرت .
قال الجنيد : وكان السريّ في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة ، وكان إذا جنّ عليه الليل دافع أوله ، ثم دافع ، فإذا غلبه النوم أخذ في النحيب والبكاء « 5 » .
كان لسريّ تلميذة ولها ولد عند المعلم ، فبعث به المعلم إلى الرحا فنزل الصبي في الماء فغرق ، فأعلم المعلم سريّا بذلك ،
فقال السريّ : قوموا بنا إلى أمه . فمضوا إليها ، وتكلم السريّ عليها في علم الصبر ، ثم تكلم في علم الرضا ، فقالت : يا أستاذ ، وأي شيء تريد بهذا ؟
فقال لها : إن ابنك قد غرق . فقالت : ابني . فقال : نعم . فقالت : إن الله عز وجلّ ما فعل هذا . ثم عاد السري في كلامه في الصبر والرضا .
فقالت : قوموا بنا . فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر . فقالت : أين غرق ؟ فقالوا : هاهنا . فصاحت به : ابني محمد . فأجابها : لبيك

....
(1) انظر : اللمع (ص 337) .
(2) انظر : الرسالة (2 / 743) ، واللمع (ص 239) ، وتاريخ بغداد (7 / 243) .
(3) انظر : الرسالة (2 / 583) ، واللمع (ص 49) .
(4) انظر : الرسالة (1 / 350) .
(5) انظر : بستان العارفين للنووي (ص 49) ، والرسالة (1 / 265) ، والحبور (ص 122) .

يا أماه . فنزلت وأخذت بيده ، فمضت به إلى منزلها ، فالتفت السريّ إلى الجنيد ، وقال : أي شيء هذا ؟
قال الجنيد رضي الله عنه : أقول . قال : قل . قال : إن المرأة مراعية لما لله عز وجلّ عليها ، وحكم من كان مراعيا لما لله عز وجلّ عليه ألا يحدث عليه حادثة حتى يعلمه بذلك ، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك ، فأنكرت ، فقالت : إن ربي عز وجلّ ما فعل هذا « 1 » .
قال الجنيد : لا تقوم بما عليك حتى ترى ما لك ، ولا يقوى على ذلك إلا نبيّ أو صدّيق « 2 » .
قال الجنيد : اعلم أن المناصحة منك للخلق والإقبال على ما هو أولى بك فيك وفيهم أفضل الأعمال لك في حياتك ، وأقربها إلى أوليائك في وقتك « 3 » .
وقال الجنيد : واعلم أن أفضل الخلق عند الله منزلة وأعظمهم درجة في كل وقت وزمن وفي كل محلّ ووطن أحسنهم إحكاما لما عليه في نفسه ، وأسبقهم بالمسارعة إلى الله فيما يحبه ، وأنفعهم بعد ذلك لعباده ، فخذ بالخط الموفر لنفسك ، وكن عاطفا بالمنافع على غيرك ، واعلم أنك لن تجد سبيلا تسلكه إلى غيرك وعليك بقية مفترضة من حالك ، واعلم أن المؤهلين للرعاية إلى سبيل الهداية ، والمرادين لمنافع الخليقة ، والمرتبين للنذارة والبشارة ، وأيّدوا بالتمكين ، وأسعدوا براسخ علم اليقين ، وكشف لهم عن غوامض معالم الدين ، وفتح لهم في فهم الكتاب المستبين ، فبلغوا ما أنعم به عليهم من فضله ، وجاد به من عظيم أمره ، إحكام ما به أمروا ، والمسارعة إلى ما إليه ندبوا ، والدعاية إلى الله بما به مكنوا ، وهذه سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم فيمن بعثوا إليهم من الأمم ، وسيرتهم في تأدية ما علموه من الحكم ، وسيرة المتّبعين لآثارهم من الأولياء والصديقين ، وسائر الدعاة إلى الله من صالحي المؤمنين « 4 » .
يقول الجنيد : احذر أن تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا « 5 » .
قال الجنيد : عليكم بحفظ الهمة ؛ فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء « 6 » .

....

(1) انظر : روض الرياحين (ص 65) .
(2) انظر : طبقات الصوفية (ص 161) .
(3) انظر : الحلية (10 / 283) .
(4) انظر : اللمع للطوسي (ص 279) .
(5) انظر : صفوة الصفوة لابن الجوزي (2 / 420) .
(6) انظر : الحلية (10 / 268) .

لا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة

سأل الحكيمي الجنيد عن حال واحد من المشايخ : هل يجوز الاقتداء به أم لا ؟ فقال الجنيد : إن تجد منه الاجتناب وطلب القوت الحلال فيجوز الاقتداء به إلا فاتركه"1" .

من أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث

قال الجنيد بن محمد : جاء رجل إلى أحمد بن حنبل معه غلام أمرد حسن الوجه فقال له : من هذا الفتى ؟ فقال الرجل : ابني . فقال : لا تجيء به معك مرة أخرى .
فلامه بعض أصحابه في ذلك ، فقال الإمام أحمد : على هذا رأينا أشياخنا ، وبه أخبرونا عن أسلافهم « 2 » .

باب الدعاء والدعوات

قال أبو عبد الله المكانسي : كنت عند الجنيد ، فأتت امرأة إليه ، وقالت : ادع الله أن يردّ علي ابني ؛ فإن ابنا لي ضاع ، فقال لها : اذهبي واصبري . فمضت ، ثم عادت فقالت له مثل ذلك ،
فقال لها الجنيد : اذهبي واصبري . فمضت ، ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات ،
والجنيد يقول لها : اصبري . فقالت له : عيل صبري ، ولم يبق لي طاقة عليه ، فادع لي . فقال لها الجنيد : إن كان الأمر كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك . فمضت فوجدته ، ثم عادت تشكر له ، فقيل للجنيد : بم عرفت ذلك ؟ .
فقال : قال الله تعالى :أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ[النمل : 62] بم عرفت ذلك ؟ « 3 »
سئل الجنيد عن هذه الآية فَاسْتَجَبْنا لَهُ[الأنبياء : 76] فقال : عرّفه فاقة السؤال ليمنّ عليه بكرم النّوال « 4 » .دعاء
إلهي ، وسيدي ، ومولاي ، من أحسن منك حكما لمن أيقن بك ؟
ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك ؟ ومن أسرع منك عطفا ورأفة لمن أرادك وأقبل على طاعتك ؟
فكلهم في نعمائك يتقلبون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، سرت همومهم بك إليك ،

....
(1) انظر : نفحات الأنس للجامي (ص 151) .
(2) انظر : كتب ورسائل وفتاوى (15 / 376) .
(3) انظر : الرسالة القشيرية (ص 204) ، والمعزى في مناقب أبي يعزى للتادلي (بتحقيقنا) .
(4) قال الآلوسي : والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء فاستحسنوه وارتضوه .
وانظر : روح المعاني (11 / 326) .

وانفردت إرادتهم لديك ، وأقبلت قلوبهم بك عليك ، وفنيت حظوظهم من دونك ، واجتمعت لك وحدك ، فهم إليك في الليل والنهار متوجهون ، وعليك في كل الأحوال مقبلون ، ولك على الأحوال مؤثرون ، فأنا أسألك إلهي وسيدي ومولاي أن تكون لي بفضلك كالئا ، كافيا ، عاصما ، راحما ؛ فإني إليك لاجئ ، وبك مستغيث ، وإليك راغب ، ومنك راهب ، وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل ،أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[الأنبياء : 87] « 1 » .

من دعاء الجنيد

اللّهمّ إني أسألك يا خير السامعين ، وبجودك ومجدك يا أكرم الأكرمين ، وبكرمك وفضلك يا أسمح السامحين ، وبإحسانك ورأفتك يا خير المعطين ،
أسألك سؤال خاضع ، خاشع ، متذلل ، متواضع ، ضارع ، اشتدت إليك فاقته ، وأنزل بك على قدر الضرورة حاجته ، وعظمت فيما عندك رغبته ، وعلم ألا يكون شيء إلا بمشيئتك ، ولا يشفع شافع إليك إلا من بعد إذنك ،
فكم من قبيح قد سترته ، وكم من بلاء قد صرفته ، وكم من عثرة قد أقلتها ، وكم من زلة قد سهلت بها ، وكم من مكروه قد رفعته ، وكم من ثناء قد نشرته ، أسألك يا سامع أصوات المستغيثين ، وعالم خفي إضمار الصامتين ، ومطّلع في الخلوات على أفعال المتحركين ، وناظر إلى ما دق وجلّ من آثار الساعين ،
أسألك ألا يحجب بسوء فعلي عنك صوتي ، ولا تفضحني بخفي ما أطلعت عليه من سري ، ولا تعاجلني العقوبة على ما علمته من خلواتي ، وكن بي في كل الأحوال رافقا ، وعليّ في كل الأحوال عاطفا ،
إلهي وسيدي وسندي أنا بك عائذ ، لائذ ، مستغيث ، مستجير من تكاثف مخاوف علل سري ، ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي ، حتى يكاد ذلك أن يملأ صدري ، ويوقف على الانبساط إلى ذكرك عقلي ولساني ، ويمنع من الحركة في الخدمة جسمي ، فأنا في حبس ما يعارضني من ذلك من النقص والتقصير ، أسألك أن تخرج ذلك عن ذكري ، وتمنعه من قلبي ،
واجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة ، وبخدمتك وعبادتك موصولة ، حتى يكون الورود ورودا واحدا ، والحال حالا واحدا ، لا سآمة فيه ، ولا فتور ، ولا ملل ، ولا تقصير ، حتى أسرع به إليك في حين المبادرة ، وأسرح بذلك إليك في ميادين المسابقة ، وارزقني من طعم ذلك اللذائذ السابغة ، يا أكرم الأكرمين « 2 » .

....
(1) انظر : اللمع للطوسي (ص 333) .
(2) انظر : اللمع للطوسي (ص 329) .

دعاء

الحمد لله إلهي حمدا كإحصاء علمك ، حمدا يرقى إليك على الألسنة الطاهرة ، مبرّأ من زيغ وتهمة ، معرّى من العاهات والشبهات ، قائما في عين محبتك بحنين صدق إخلاصه ، ليكون نور وجهك العظيم غايته ، وقدس عظمتك نهايته ، حمدا لا يستقر إلا عند مرضاتك ، خالصا بوفاء إرادتك نصب إرادتك ، حتى يكون لمحامدك سائقا قائدا .

إلهي ليس في أفق سمواتك ولا في قرار أرضك ولا في فسحات أقاليمها من يجب أن يحمد غيرك ؛ إذ أنت منشئ المنشآت ، لا نعرف شيئا إلا منك ، وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقر الخلق إلا لك ، وبدؤه منك ، وأمره إليك ، وعلانيته وسره محصى في إرادتك ؟ فأنت المعطي والمانع ، وقضاؤك الضار والنافع ، وحلمك يمهل خلقك ، وقضاؤك يمحو ما تشاء من قدرك ، تحدث ما شئت أن تحدثه ، وتستأثر بما شئت أن تستأثره ، وتخلق ما أنت مستغن عن صنعه ، وتصنع ما يبهر العقول من حسن حكمته ، لا تسأل عما تفعل ، لك الحجة فيما تفعل ، وعندك أزمة مقادير البشر ، وتصاريف الدهور ، وغوامض سر النشور ، ومنك فهم معرفة الأشخاص الناطقة بتفريدك ، لا يغيب عنك ما في أكنة سرائر الملحدين ، ولا يتوارى عن علمك اكتساب خواطر المبطلين ، ولا يهيم في قضائك إلا الجاهلون ، ولا يغفل عن ذكرك وشكرك إلا الغافلون ، ولا تحتجب عنك وساوس الصدور ، ولا وهم الهواجس ، ولا إرادة الهمم ، ولا عيون الهمم ، التي تخرج بصائر القلوب .

إلهي كيف أنظر - إن نظرت - إلا إلى رحمتك ، وإن غضضت فعلي نعمك ، فمن فضلك جعلت حكمك يحتمل على عطفك ، ومن فضلك جعلت نعمك تعمّ جميع خلقك ، فهب لي من لدنك ما لا يملك غيرك ، مما تعلمه يا وهّاب ، يا فعّال لما يريد ، واجعلني من خاصة أوليائك ، يا خير مدعوّ، وأكرم راحم، إنك أنت على كل شيء قدير «1».

دعاء

كان الجنيد يدعو بهذا الدعاء على ممرّ الأيام :

الحمد لله حمدا دائما ، كثيرا ، طيبا ، مباركا ، موفورا ، لا انقطاع له ولا زوال ، ولا نفاذ له ولا فناء ، كما ينبغي لكريم وجهك ، وعزّ جلالك ، وكما أنت أهل الحمد في عظيم

....

(1) انظر : الحلية (10 / 282) .

ربوبيتك ، وكبريائك ، ولك من كل تسبيح ، وتقديس ، وتمجيد ، وتهليل ، وتحميد ، وتعظيم ، ومن كل قول حسن زاك جميل ترضاه ، مثل ذلك .
اللّهمّ صلّ على عبدك المصطفى ، المنتخب ، المختار ، المبارك ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلّم ، وعلى أشياعه وأتباعه وأنصاره وإخوانه من النبيين .
وصلّ اللّهمّ على أهل طاعتك أجمعين ، من أهل السماوات والأرضين ، وصلّ على جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ورضوان ، ومالك .
اللّهمّ صلّ على الكروبين ، والروحانيين ، والمقربين ، والسياحين ، والحفظة ، والسفرة ، والحملة ، وصلّ على ملائكتك ، وأهل السماوات ، وأهل الأرضين ، وحيث أحاط بهم علمك في جميع أقطارك كلها ، صلاة ترضاها وتحبّها ، وكما هم لذلك كله أهل .
وأسألك اللّهمّ بجودك ، ومجدك ، وبذلك ، وفضلك ، وطولك ، وبرك ، وإحسانك ، ومعروفك ، وكرمك ، وبما استقل به العرش من عظيم ربوبيتك ، أسألك يا جواد ، يا كريم ، مغفرة كل ما أحاط به علمك من ذنوبنا ، والتجاوز عن كل ما كان منا ، وأدّ اللّهمّ مظالمنا ، وقم بأودنا في تبعاتنا ، جودا منك ومجدا ، وبذلا منك وطولا ، وبدّل قبيح ما كان منا حسنا ، يا من يمحو ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب أنت كذلك ولا كذلك غيرك ،
اعصمنا فيما بقي من الأعمار ، إلى منتهى الآجال ، عصمة دائمة كاملة تامّة ، وكرّه إلينا كل الذي تكره ، وحبّب إلينا كل الذي ترضاه وتحبه ، واستعملنا به على النحو الذي تحب ، وأدم ذلك لنا إلى أن تتوفانا عليه ، أكّد على ذلك عزائمنا ، وأسدد عليها نياتنا ، وأصلح لها سرائرنا ، وابعث لها جوارحنا ، وكن وليّ توفيقنا ، وزيادتنا ، وكفايتنا .
هب لنا اللّهمّ هيبتك ، وإجلالك وتعظيمك ، ومراقبتك ، والحياء منك ، وحسن الجد ، والمسارعة والمبادرة إلى كل قول زكيّ حميد ترضاه ، وهب لنا اللّهمّ ما وهبت لصفوتك ، وأوليائك ، وأهل طاعتك ، من دائم الذكر لك ، وخالص العمل لوجهك ، على أكمله وأدومه وأصفاه وأحبه إليك ، وأعنّا على العمل بذلك إلى منتهى الآجال .

اللّهمّ وبارك لنا في الموت إذا نزل بنا ، اجعله يوم حباء وكرامة وزلفى وسرور واغتباط ، ولا تجعله يوم ندم ولا يوم أسى ، وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرّة عين ، واجعلها رياضا من رياض جنتك ، وبقاعا من بقاع كرامتك ورأفتك ورحمتك ، لقنا فيها الحجج ، وآمنا فيها من الروعات ، واجعلنا آمنين مطمئنين إلى يوم تبعثنا ، يا جامع

الناس ليوم لا ريب فيه ، لا ريب في ذلك اليوم عندنا ، آمنّا من روعاته ، وخلصنا من شدائده ، واكشف عنا عظيم كربه ، واسقنا من ظمئه ، واحشرنا في زمرة محمد صلى الله عليه وسلّم ، المصطفى الذي انتخبته ، واخترته ، وجعلته الشافع لأوليائك ، المقدّم على جميع أصفيائك ، الذي جعلت زمرته آمنة من الروعات .

أسألك يا من إليه لجأنا ، وإليه إيابنا ، وعليه حسابنا ، أن تحاسبنا حسابا يسيرا ، لا تقريع فيه ، ولا تأنيب ، ولا مناقشة ولا موافقة ، عاملنا بجودك ومجدك كرما ، واجعلنا من السرعان المغبوطين ، وأعطنا كتبنا بالإيمان ، وأجزنا الصراط مع السرعان ، وثقّل موازيننا يوم الوزن ، ولا تسمعنا لنار جهنم حسيسا ، ولا زفيرا ، وأجرنا منها ، ومن كل ما يقرّب إليها من قول وعمل ، واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك في دار كرامتك وحبورك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

واجمع بيننا وبين آبائنا ، وأمهاتنا ، وقراباتنا ، وذرياتنا ، في دار قدسك ودار حبورك ، على أفضل حال وأسرها ، وضمّ إلينا إخواننا الذين هم على ألفتنا ، والذين كانوا على ذلك ، من كل ذكر وأنثى ، بلغهم ما أملوه ، وفوق ما أملوه ، وأعطهم فوق ما طلبوه ، واجمع بيننا وبينهم في دار قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها ، وعم المؤمنين والمؤمنات جميعا برأفتك ، ورحمتك ، الذين فارقوا الدنيا على توحيدك ، كن لنا ولهم وليّا كالئا ، كافيا ، وارحم جفوف أقلامهم ، ووقوف أعمالهم ، وما حل بهم من البلاء ، والأحياء منهم ، تب على مسيئهم ، واقبل توبتهم ، وتجاوز عن المسرف منهم ، وانصر مظلومهم ، واشف مريضهم ، وتب علينا وعليهم ، توبة نصوحا ترضاها . فإنك الجواد بذلك ، المجيد به القادر عليه ، وكن اللّهمّ للمجاهدين منهم وليّا وكالئا وكافيا وناصرا ، وانصرهم على عدوهم نصرا عزيزا ، واجعل دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا ، اسفك الله دماءهم ، وأبح حريمهم ، واجعلهم فيئا لإخواننا من المؤمنين ، وأصلح الراعي والرعية ، وكل من وليته شيئا من أمور المسلمين ، صلاحا باقيا دائما .

اللّهمّ أصلحهم في أنفسهم ، وأصلحهم لمن وليتهم عليهم ، وهب لهم العطف والرأفة والرحمة بهم ، وأدم ذلك لنا فيهم ولهم من أنفسهم .
اللّهمّ اجمع لنا الكلمة ، واحقن الدماء ، وأزل عنا الفتنة ، وأعذنا من البلاء كله ، تقول ذلك لنا بفضلك ، من حيث أنت به أعلم ، وعليه أقدر ، ولا ترنا في أهل الإسلام سيفين مختلفين ، ولا ترنا بينهم خلافا ، اجمعهم على طاعتك ، وعلى ما يقرب إليك ، فإنك وليّ ذلك وأهله .

اللّهمّ إنا نسألك أن تعزّنا ولا تذلنا ، وترفعنا ولا تضعنا ، وتكون لنا ولا تكن علينا ، وتجمع لنا سبيل الأمور كلها : أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا إلى طاعتك ، ومعونة لنا على موافقتك ، وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا ، وعليها معولنا وإليها منقلبنا ؛ فإن ذلك لا يتم لنا إلا بك ، ولا يصلح لنا إلا بتوفيقك .
اللّهمّ وهب لنا هيبتك ، وإجلالك ، وتعظيمك ، وما وهبت لخاصتك من صفوتك ، من حقيقة العلم والمعرفة بك ، منّ علينا بما مننت به عليهم من آياتك وكراماتك ، واجعل ذلك دائما لنا ، يا من له ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .
اللّهمّ هب لنا العافية الكاملة في الأبشار ، وجميع الأحوال ، وفي جميع الإخوان ، والذريات ، والقرابات ، وعمّ بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات ، اجر علينا من أحكامك أرضاها لك ، وأحبها إليك ، وأعونها على كل مقرب من قول وعمل .
يا سامع الأصوات ، ويا عالم الخفيات ، ويا جبار السماوات ، صلّ على عبدك المصطفى محمد ، وعلى آل محمد أولا وآخرا ، ظاهرا وباطنا ، واسمع واستجب ، وافعل بنا ما أنت أهله ، يا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين « 1 » .

دعاء

إذا سأل إنسان الجنيد أن يدعو له كان يقول :
جمع الله همّك ، ولا شتت سرك ، وقطعك عن كل قاطع يقطعك عنه ، ووصلك إلى كل واصل يوصلك إليه ، وجعل غناه في قلبك ، وشغلك به عمّن سواه ، ورزقك أدبا يصلح لمجالسته ، وأخرج من قلبك ما لا يرضى ، وأسكن في قلبك رضاه ، وذلك عليه من أقرب الطرق « 2 » .

دعاء

يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ، ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ، ويا موفق العابدين والعاملين لصالح ما عملوه ، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك ؟ ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك ؟ « 3 » .

....
(1) انظر : الحلية (10 / 284) .
(2) انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (2 / 270) .
(3) انظر : الحلية (10 / 279) ، وطبقات السلمي (ص 157) .

دعاء

جاء رجل ، فشكا إلى الجنيد الضيق ، فعلّمه ، وقال : قل :
اللّهمّ إني أسألك منك ما هو لك ، وأستعيذك من كل أمر يسخطك ، اللّهمّ إني أسألك من صفاء الصفاء صفاء أنال به منك شرف العطاء ، اللّهمّ ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك ،
اللّهمّ اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك إلا ما هو لك ، اللّهمّ اجعل غاية قصدي إليك ما أطلبه منك ، اللّهمّ املأ قلبي بك فرحا ، ولساني لك ذكرا ، وجوارحي فيما يرضيك شغلا ، اللّهمّ امح عن قلبي كل ذكر إلا ذكرك ، وكل حبّ إلا حبّك ، وكل ودّ إلا ودّك ، وكل إجلال إلا إجلالك ، وكل تعظيم إلا تعظيمك ، وكل رجاء إلا لك ، وكل خوف إلا منك ، وكل رغبة إلا إليك ، وكل رهبة إلا لك ،
وكل سؤال إلا منك ، اللّهمّ اجعلني ممن لك يعطي ولك يمنع ، وبك يستعين وإليك يلجأ ، وبك يتعزز ولك يصبر ، وبحكمك يرضى ، اللّهمّ اجعلني ممن يقصد إليك قصد من لا رجوع له إلا إليك ،
اللّهمّ اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كل وقت متصلا غير منفصل ، واجعل صبري لك على طاعتك صبر من ليس له عن الصبر صبر إلا القيام بالصبر ، واجعل تصبّري عمّا يسخطك فيما نهيتني عنه تصبّر من استغنى عن الصبر بقوة العصمة منك له ، اللّهمّ واجعلني ممن يستعين بك استعانة من استغنى بقوتك عن جميع خلقك ، اللّهمّ واجعلني ممن يلجأ إليك لجأ من لا ملجأ له إلا إليك ، واجعلني ممن يتعزى بعزائك ويصبر لقضائك أبدا ما أبقيتني ، اللّهمّ وكل سؤال سألته ، فعن أمر منك لي بسؤال ، فاجعل سؤالي لك سؤال محابك ، ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ ، بل يسأل القيام بواجب حقك « 1 » .

دعاء

<u>كان الجنيد يدعو قائلا :</u>
بموضعك في قلوب العارفين دلّني على رضاك ، وأخرج من قلبي ما لا ترضاه ، وأسكن في قلبي رضاك « 2 » .
* * *

....
(1) انظر : الحلية (10 / 282) ، وإيقاظ الهمم (ص 72) .
(2) انظر : طبقات الشافعية (2 / 269) .

[كتب الإمام الجنيد]

كتاب السرّ في أنفاس الصوفية

من كلام سلطان الحقيقة وملك الطريقة أبو القاسم الجنيد نور الله ضريحه .

باب صفة الأنفاس

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمة الله عليه : الحمد لله الذي بذكره نفتتح الكلام ، وبحمده خاتمة التمام ، وبتوفيقه السداد ، وفي طاعته الرشاد . وصلى الله على المختار ، وعلى آله الطيبين الأخيار .

إن الله خلق القلوب وجعل داخلها سره ، وخلق الأنفاس وجعل مخرجها من داخل القلب بين سر وقلب ، ووضع معرفته في القلب ، وتوحيده في السر ، فما من نفس يخرج إلا بإشارة التوحيد على دلالة المعرفة في بساط الاضطرار إلى الربوبية ، وكل نفس خلاف هذا ، فهو ميت وصاحبه مسؤول عنه « 1 » .

وقال : النفس ريح الله سلط على نار الله ، التي في داخل القلب .

وقال : النفس هتف النور .

وقال : أصل النفس من خمسة : من نار ، أو من نور ، أو على نور ، أو على ظلمة ، أو من الظلمة ، أو من نار النور « 2 » .

وقال : ما عبد الله أحد بمثل ما عبد بالأنفاس ، وما عصى الله أحد بمثل ما عصى بالأنفاس .

....

(1) قال الشيخ الديلمي : واعلم أنه أراد بالسر الروح الأقرب الذي هو قلب السر الذي نسميه خفيا ، وإنما حملناه على ذلك لأنه أضافه إلى الله تعالى بقوله : (. . . وجعل داخلها سره) أي : سر الله تعالى ، والروح الأقرب هو الأخص بالله تعالى وبأسراره تبارك وتعالى . . ولأنه هو الموحد الذي يقوم فيه توحيد الله تعالى في عالم الفناء عند فناء كل ما سواه ، وقوله : (وجعل مخرجها من داخل القلب من السر والقلب) فقد جعل مخرجها في السر الأدنى لأنه هو الروح الذي من القلب والخفي ، فالخفي فوقه ، والقلب دونه هو محله ، فكأن ممر الأنفاس الخاصة التي أرادها الجنيد على ذلك الروح الذي يسمونه السر الأدنى ، وقوله : (وجعل مخرجها من داخل القلب صحيح لأن جميع هذه الأرواح من داخل القلب ، وقوله : (ووضع معرفته في قلبه) يعني به معرفة الله تعالى . . . شرح الأنفاس (39 / ق / ب) .

(2) قال الديلمي : يعني النفس الصالح الذي كون ما يتنفس به المريد هو الذي ينشأ من هذه الأصول الخمسة ، وما عداه فباطل ، وصاحبه مسؤول عنه . . . شرح الأنفاس الروحانية (40 / ق / أ) .

قال الجنيد : النفس الرحماني إذا هاج من السر يميت القلب والصدر والنفس ، والنفس لا يمر على شيء إلا احترق ذلك الشيء حتى العرش « 1 » .
وقال الجنيد : ليس شيء أشد على أولياء الله من حفظ الأوقات عند الأنفاس .
وقال الجنيد : إذا عاين القدرة وتنفس صاحبه يكره ذلك ، وإذا عاين العظمة نهي عن النفس ، وإذا عاين الهيبة فتنفس فقد كفر .
وقال الجنيد : نفس يخرج بالاضطرار يخرق الحجب والذنوب التي بين العبد وبين ربه ، فإذا نظر صاحبه بعين القلب إلى ربه يجد ربه رؤوفا رحيما ، فإذا استحق به فيرى الله ، أقرب إليه من حبل الوريد ، فإذا أيقن به فيري الله قائده وسائقه ، فإذا نظر هذا ينقطع إليه ويتعلق به ، فإذا عاين هذا لم يثق إلى غيره ولا ينساه ، فإذا وجد هذا يعلم أنه عبد والله رب ، فإذا علم هذا قام بشروط الوفاء ، فإذا وفي يظهر عنده له مقاما ، فإذا ظهر المقام اعتذر إلى سيده فيعذره وعرض عليه التوحيد ، فإذا قبل التوحيد يعطي له لواء المعرفة ، فإذا عرف وصار موحدا لا يكون له قرار ولا سكون في الدنيا والآخرة ، ثم المزيد عند الله ، قال الله تعالى وَلَدَيْنا مَزِيدٌ[ق : 35] .
وقال الجنيد : صاحب التعظيم صاحب الأنفاس ، والتنفس عنده ذنب ولا يقدر عن الكف عنه ؛ وصاحب الهيبة صاحب حمد ، وهذا عنده ذنب ، ولا يقدر أن يتنفس .
وقال الجنيد : ما أحسن التنفس بالندامة ، وهو أدنى التنفس ، وهو أكبر من عبادة الكون .
قال الجنيد : اللحظة كلام القلب ، والخطرة كلام السر ، والإشارة كلام الخفاء .
وقال أيضا : أهل القلوب ابتلوا باللحظات ، وأهل السر ابتلوا بالخطوات ، وأهل الخفاء ابتلوا بالإشارات .

....
(1) يعني الرحماني إذا هاج حتى جاوز من السر إلى القلب يميت كل شيء من العبد حتى القلب والصدر فيصعق عنده ذلك كما صعق موسى عليه السلام . . شرح الأنفاس الروحانية (42 / ق / ب) .

وقال : إن الله عبادا يرون ما وراءهم من الأشياء ، يرون أحوال الدنيا بلحظات قلوبهم ، وأحوال الآخرة بخطرات سرهم ، وأحوال ما عند الله بإشارات خفيهم « 1 » .
وقال الجنيد : تقصير المحبين بلحظة يقع الأوقات « 2 » ، وذلك فضل الله عليهم ليزيد في خوفهم واضطرارهم وفقرهم . وتصير « 3 » العارفين بخطرات سرهم ، وذلك تنبيه من الله لهم لكي لا يأمنوا من مكر الله ، لأن المكر يظهر في هذا المقام . وتصير « 4 » الموحدين بالإشارات الخفي ، وذلك بشارة من الله لهم لكي يسكنوا به ، لأن ذلك مقام النفي ، والنفي هلاك البدن ، ويزيد بإشارتهم قوة .
وقال الجنيد : اللحظة كفران ، والخطرة إيمان ، والإشارة غفران .

باب صفة المكر « 5 »

قال الجنيد : في قوله تعالى :وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ[النمل : 50] ، قال : في طريق الله عز وجلّ ألف قصر ، في كل قصر ألف قاطع من قطاع الطريق سلطوا « 6 » على المريد السالك ، ومع كل واحد موكل غدر ومكر خلاف الآخر ، فإذا جاء

....

(1) قال الشيخ الديلمي : قوله : (عبادا) أراد به نفوسهم وذواتهم ، وقوله : (يرون أحوال الدنيا بلحظات قلوبهم) هذا إذا كان لصاحب القلب نظر قوي سمى النظرة بالقلب هنا لحظة ، فقال يرون بلحظات قلوبهم ، وحيث قال : اللحظ كلام القلب علمنا أنه أراد به أنواع التصرفات للقلب والنظر إلى المرائي الضامن جلها كالكلام ، وقوله : (يرون) معني بالرؤية فيما يرى ، والعلم بما لا يرى مثلا : يرى رجلا جاء من سفره أو يراه محبوسا في موضع أو يراه رابحا أو خاسرا ، وهذا يكون خيرا وعافية ، والآخر يكون شرا وما أشبه ذلك وأن هؤلاء هم أصحاب الفراسات والبصائر الباطنة في الغيوب . . . شرح الأنفاس (58 / ق / أ) .
(2) في شرح الأنفاس (62 / ق / أ) يقع بالآفات .
(3) في شرح الأنفاس (62 / ق / أ) تقصير .
(4) في شرح الأنفاس (62 / ق / أ) تقصير .
(5) المكر : إرداف النعم الباطنة والظاهر مع المخالفة وإبقاء الحال . ونتائجها من المكرمات والعلوم مع سوء الأدب ، وإظهار الآيات من خرق العوائد ، والكرامات من غير أمر ، وإذن إلهي يترتب عليه مصالح الكون ، ونظام أموره ، ومن غير حد تقف دونه ولا تتجاوز عنه . .
(6) في شرح الأنفاس (67 / ق / ب) موكل .

السالك غدر الموكل معه بشيء يعطي به شيئا ، ويمنعه عن الطريق ، ويحجبه عن الله تعالى « 1 » .
وقال الجنيد : **الرجال خمسة :**
واحد من الخارج يدخل فيمنعه المانعون ، ويغدره بشيء ويرجع من الباب ، إلا أن يكون عاقلا يعقل ذلك ولا ينظر إليه .
ورجل من الداخل يخرج ، فيبقى من الخارج ، ولا يقدر على الرجوع إذا نظر إلى شيء دون الله .
والثالث يحيى الملك فيه حلة من الخارج ، بغير منع مانع مع المستور .
والرابع يدخل من طريق أصعب وأهول وأشد شأنا ، لا يكون فيه المانع ولا الغادر ، بالتشمر والتجلد على المخاطرة ، فبلغ ، ويعذر على الباب ، فإن أذن له ، وإلا صرخ من محبته ، فيسمع الملك أنينه ويدخله ، فإذا دخل في الدار ، فلا بد من القبول ، وهؤلاء أهل التصوف الذين طريقهم على المخاطرة ، فلا يميلون إلى الخلق ولا إلى الدنيا ولا إلى أنفسهم ولا إلى أهلهم ، وإن نظروا أو تميلوا منعوا وحجروا .
والخامس من الداخل يظهر ، ومن الداخل يقبل ، ومن الداخل يسكن ، وهو نديم الملك ، وذاك الحبيب محمد صلى الله عليه وسلّم ؛ وخلاف ألف مقام ، ولكل مقام عذر .
وقال الجنيد : الكرامة بداية حجاب ومكر .
وقال : من نظر إلى الكرامة فقد كفر بصاحب الكرامة .
وقال الجنيد : المكر في الصلاة أظهر من غيره .
وقال الجنيد : المعرفة مكر الله .
وقال : المقامات كلها حجاب ومكر : للقرب مكر ، وللبعد حجاب .
وقال : اخترنا طريق التصوف ، سلامة من مكر الله .
وقال أيضا : إن مذهب الصوفية لا يخلو من المكر ، وهو فيه أظهر ، وهم يعلمون لأنهم أكيس الناس .
وقال الجنيد : الخوف من المكر فرط دائم إلى الأبد ، وما أمن من المكر إلا هالك .
وقال أيضا : الأمن من المكر للمريد من الكبائر ، والأمن من المكر للواصل من الكفر .
وقال الجنيد : المكر إن يضاف إلى شيء وإلى غيره موجود .

....
(1) انظر : شرح الأنفاس (67 / ق / ب) .

وقال أيضا : المكر طلب الشيء والسكون إلى غيره .

* * *

باب في صفة المشاهدة « 1 »

قال الجنيد : **المشاهدة ثلاثة :**
مشاهدة الرب ، ومشاهدة من الرب ، ومشاهدة بالرب « 2 » .
وقال : المشاهدة معاينة للسر مع فقدانك .
وقال : المشاهدة إقامة العبودية بإزاء الربوبية ، مع فقدان ما دونه .
وقال الجنيد : من لم يعابن صفات الله أجمع دقايقه ولطائفه ، لم يوحد الله ، ولم يعرفه .
فالطريق من داخل المعرفة .
وقال الجنيد : إن لله تسعة وتسعون اسما ، فمن أقربها فهو المسلم ، ومن عرفها فهو المؤمن ، ومن عامل الله بها فهو العارف ، ومن عامل بها ولم يسكن إليها وطلب المسمى فهو الموحد ، وله المشاهدة .
وقال : رأيت الغدا بعين الوجه مع التحير الذي رأيته اليوم بعين السر مع الحيرة .
وقال الجنيد : من كان أبعد فرؤيته أخفى ، غدا رؤية الوجه ، لأنه لا حجاب بين العباد وبين السيد ، واليوم رؤية السر لأن الحجاب قائم ، ورأى محمد صلى الله عليه وسلّم بفؤاده ، لأن الحجب كانت هناك حجابان .

....
(1) المشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، فإن لكل شيء أحدية بها يمتاز عن غيره .
وهي عين الدليل على أحدية الحق ، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء . وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيء ، ولما كانت رؤية الحق في الأشياء من أحلى المشاهدات وأتمها ، فإنها تعطي حقيقة اليقين من غير شك . ولذلك قال قدّس سرّه : « وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك » .
هذا إن لم تكن المشاهدة في حضرة المثال ، كالتجلي الإلهي في الأجل لأهل العقائد المقيدة ، حيث الإنكار حتى يتحول لهم في علامة يعرفونها فيقرون بها . والمتجلي في الحقيقة عين المنكور والمعروف ، فهم ما أقروا إلا بالعلامة ، لا به ، فافهم .
(2) قال الشيخ الديلمي في شرح الأنفاس (81 / ق / أ) : يعني بالمشاهدة بالرب مشاهدة اضطرار أي يشاهد الله شاء أم أبى ، لا اختيار له في مشاهدته ، أما المشاهدة من الرب مشاهدة اختيارية يشاهد الحق متى شاء بعونه وتوفيقه . . أما مشاهدة الرب هي مشاهد الرب عند الفناء وهذا مذهب المشايخ . .

وسئل الجنيد : هل عاينت أو شاهدت ؟ قال : لو عاينت لتزندقت ، ولو شاهدت لتحيرت ، ولكن حيرة في تيه ، وتيه في حيرة .

* * *

باب في صفة العلم وما يلزم علمه « 1 »

قال الجنيد : العلم أن تدرك قدرك بذاته .
وقال : من عرف قدر نفسه هانت عليه العبودية .
وقال الجنيد : إن الله أراد من العباد علمين : معرفة علم العبودية ، ومعرفة علم الربوبية ، وما سواهما فهو حظ أنفسهم .
قال الجنيد : العلم الأكبر علم القيام بالدوام وعلم الحال بغير احتيال .
وقال الجنيد : العلم شيء بمحيط ، والمعرفة شيء بمحيط ، فأين الله ؟ فأين العبودية ؟
قال الجنيد : العلم والمعرفة لازم على العبد ، وهما ليس من صفات العبد ، فإذا عرف وعلم ، فانظر كيف كان .
وقال أيضا : أولا العلم ، ثم المعرفة ، ثم العلم بالمعرفة ، ثم المعرفة بالعلم ، ثم الجحود بالمعرفة ، ثم الإنكار بالجحود ، ثم الإقرار بالإنكار ، ثم الأوقات بالإنكار ، ثم المعرفة بالإنكار ، ثم الجحود بالإنكار ، ثم التقى ، ثم الغرق ، ثم الهلاك ، فإذا ذقت النظر ، فكل ذا حجاب .
وقال الجنيد : الإثبات مكر ، والعلم بالإثبات مكر ، والحركات غدر ، والعلم بالحركات والموجود من داخل المكر غدر .

* * *

....

(1) العلم : عبارة عن حقيقة حاصلة للعالم ، يتعلق بالموجود على حقيقته التي هو عليها ، وبالمعدوم على حقيقته التي يكون عليها إذا وجد ، وإن شئت قلت : العلم ظهور عين العين ، أي حقيقة الحقيقة ، بحيث يكون أثر الظاهر حاصلا لمن ظهر له من حيث الظهور فقط . لطائف الأعلام (ص 322) .

باب في صفة المحبة « 1 »

قال الجنيد : محبة المحبة كحب الحبيب . وقال : المحبة نهاية المحبة عند هيجان الربوبية .

وقال الجنيد : إن المحب إذا ذكر حبيبه ، حرم محبته . قال الجنيد : تحريك المحبة كله أمره .

قال الجنيد : المحبة أمانة الله ، ولكن المحبة الدائمة لا الفرعية .

* * *

باب في صفة الغيرة « 2 »

قال الجنيد : الغيرة لا تجوز إلا في ثلاثة أوقات : عند الذكر والغفلة ، وعند المحبة إذا رأى صاحبه مع علاقة ، وعند التعظيم .

....

(1) فسرها الشيخ الهروي في المنازل بأنها : تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل والمنع ، أي بذل النفس للمحبوب ، ومنع القلب من التعرض إلى ما سواه ، وإنما يكون ذلك بإفراد المحب بمحبوبه بالتوجه إليه ، والإعراض عما عداه ، وذلك عندما ينسى أوصاف نفسه في ذكر محاسن حبه ، فتذهب ملاحظته الثنية . . وانظر : لطائف الأعلام للشيخ القاشاني قدس سره (ص 390) .

(2) الغيرة غيرة في الحق لتعدي الحدود . والغيرة تشعر بثبوت الغير ، ومشاهدته ، ومن حيثية الغيرة تظهر الفواحش ، والغيرة إنما تظهر عند رؤية المنكر والفواحش ، والأغيار الثابتة ، فكثرتها إما نسب ، وأحوال مختلفة معقولة قائمة بعين واحدة ، لا وجود لها إلا في تلك العين ، وإما آثار استعدادات المظاهر في الظاهر فيها ، فعلى التقديرين لا وجود في الأغيار مع ثبوت حكمها في العين الظاهرة بها .

فخذ من هذا التقريب من أي ثبوت نشأة الفواحش ؟ ولم حرمت ؟ والإنسان مأمور بأن يجعل نفسه وقاية للظاهر فيه ، والغيرة محمودة ومذمومة ، فالمحمودة : هي التي اتصف بها الحق ، والرسل ، وصالحو المؤمنين على أنها مرموزة في الطبع فلا بدّ منها .

وغيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار : الأولى غيرة في الحق ، وهذه غيرة على الحق ، وهذه حالة الأولياء والأصفياء الذي يسعون في ستر أحوالهم ومقامهم على الخلق فلا يتميزون بعادتهم وعبادتهم عن العامة .

وغيرة الحق صفته على أوليائه وهم الضائن .

وهذه غيرة من الحق ، ولهم خلف حجب العوائد الواصلة الدائمة ، وعندية الحق معهم تقتضي أن يكون التمييز بين الظاهر ، والمظاهر أخفى ، فهم عنده كهو عندهم ، فأخفى العين في العين .

باب في صفة الحقيقة « 1 »

قال الجنيد : حقيقة العبد ترك الاشتغال ، والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة .
قال الجنيد : قوله عز وجلّ (عباد) حقيقة ، وقوله (عبادي) حقيقة الحقيقة .

* * *

باب في صفة الهمة « 2 » والإرادة « 3 »

....

(1) الحقيقة : سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه . ومن آثارها تقيدك وتلبسك بها ، فالسلب إنما يتوجه إلى آثار الأوصاف ، لا إلى الأوصاف ، فإن وجودك عين وجوده ، وأوصافك عين أوصافه ، وهو أحدية جمع كثرتها ، فإنه الفاعل بك فيك منك لا أنت . وقد أيد معنى كونه أحدية جمع الكثرة ، وكونه فاعلا لها . . ومحصل المعنى : الحقيقة اسم أطلق على الحق عند تحقيق كونه عين وجود العبد وأوصافه ، وقد تبين سقوط إضافتها عنه ، فإنه تحققه بالوجود وأوصافه باق على عدميته ، ومن ذلك قوله : « وإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا » . فليس للعبد في وجود الحق إلا الحكم ، لا العين . فافهم .

(2) الهمة : تطلق بإزاء تجريد القلب بالمنى ، ممكنا كان ذلك أو محالا ، وعلى صاحب هذه الهمة أن ينظر فيما يتمناه ، ويحرره ، فإن أعطاه الرجوع عن طلبه بكونه محالا رجع ، وإن أعطاه الغريمة غرم .
وتطلق بإزاء أول صدق المريد : وتسمى هذه الهمة ، همة الإرادة ، وهي همة جمعية وتنحصر النفس عليها فلا يقاومها شيء حتى إنه لو تصور شيئا ، وأراد وقوعه ، لوقع في الحين ، والنفس إذا انحصرت على الجمعية ، وأحيطت فيها بالقوة والملكة انتقلت لها أجرام العالم والأرواح ولا قصاص عليها بشيء . وليس من شروط هذه الجمعية الإيمان ، ولذلك ظهرت آثارها على بعض كفار الهنود ، ولهم في الكون الأسفل تصرفات عجيبة ، ويزعمون أنهم أهل الترحن والتقديس . وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام .وهذه الهمة إنما تسمى بهمة الحقيقة ، وهي همة الكمل من أهل الله تعالى ، حيث جمعوا الهمم المتعلقة بأنحاء الكمال على الحق ، واطلعوا بصفاء الإلهام توحيده الذاتي وتوحيده الجمعي الأسمائي من مشاهدة التفصيل في جمعه كما هو .

(3) الإرادة : وهي لوعة في القلب . يريد قدس سره : قلب من تنبه للنهوض بقدم حاله إلى وجهته العليا في الحق ، وهي وجهة موليها ، وهي مختاره الأصلي ، ومستنده الغائي . وقد زاد قدس سره في معناها قيدا آخر ، وهو قوله في الفتوحات المكية : « ويحول بينه وبين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده » .
والإرادة في الحقيقة لا تتعلق دائما بالعدم ، فإنها صفة تخصص أمرا إما بحصوله ، أو وجوده ، كما قال تعالى وتقدس :إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[يس : 82] . وشيئية المراد هنا شيئية الثبوت لا شيئية الوجود ، فإن قلت : قد تتعلق الإرادة بموجود لمحوه ، وإعدامه . قلت : هذه مشيئة

قال الجنيد : الهمة إشارة الله تعالى ، والإرادة إشارة الملك ، والخطرة إشارة المعرفة ، والنية إشارة الشيطان ، والشهوة إشارة النفس ، واللهو إشارة الكفر .
وقال : ما عاتب الله صاحب همة ، وإن عصاه .
وقال الجنيد : من له همة فهو في ديوان البالغين ، ومن له إرادة فهو في ديوان المريدين ، ومن له منية فهو في ديوان العاصين شاء أو أبى .
وقال الجنيد : الهمة تسري لأوليائه ، كما أن الوحي يسري لأنبيائه .
وقال أيضا : من له همة فيبقى ، ومن له إرادة فيعمى .
قال الجنيد : الهمة لسان السر ، ومن ليس له نطق السر ، ويعجز عن الظاهر لأنه كلام للسر مع الرب من الربوبية فكيف يدخل فيه التحريك ، فيه كفر .
آخره والحمد لله تعالى .

* * *

....

- الإرادة . كما قال تعالى :يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ[الرعد : 39] فلو تعلقت الإرادة بالموجود لتخصيص وجوده لزم تحصيل الحاصل ، فالمراد : حالة تعلق الإرادة به معدوم قطعا .
فإن العقاب ، وملذوذ وجده بالعذاب ، حالة تعلق الإرادة به ، وكان معدوما في حقه ، فخصص ذلك بإرادته ليوجد في حقه ، فإذا وجد ، تعلقت إرادته باستمرار ما حصل ، وهو معدوم إذ ذاك ، فالإرادة إن نشأت في القلب على مقتضى غلبة الحكم القلبي فيطلقونها ويريدون بها إرادة التمني سواء تعلقت بالمطالب العالية أو الدانية ، ولذلك قال : وهي يعني إرادة التمني منه ، أي : من القلب يريدون بها أيضا .
إرادة الطبع : إن نشأت من القلب على مقتضى غلبة حكم النفس عليه ، فإنها إذن تجديد إلى شبح الطبيعة القاضي بإتيانه اللذات العاجلة والآجلة أيضا ، كتقييد القلب مثلا في مناهج ارتقائه بلذات مشاهدة نتائج الأحوال في الحال ، أو نتائج الأعمال ، بحكم المجازاة في المال ، لذلك قال : « ومتعلقها الحظ النفسي فإن علة تقييد القلب هنالك وجود اللذة ، ويطلقونها ويريدون بها : إرادة الحق » .
إرادة الحق : إن نشأت من القلب ، على مقتضى غلبة الحق عليه ، سواء كان ذلك من أحكامه الظاهرة أو الباطنة ، ومتعلقها الإخلاص ، والقاضي بتحقيق توحيده الذاتي ، وقطع تعلقها عن السوى ، بل عن الأسماء من حيث كونها مشعرة بالكثرة المعقولة ، بحسب نسب إحاطاتها ، ولهذا قال علي كرم الله وجهه : « وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه » .

كتاب الميثاق « 1 »

الحمد لله الذي جعل ما أنعم على عباده من إبزاغ نعمته دليلا هاديا لهم إلى معرفته ، بما أفادهم به من الإفهام والأوهام التي يفهمون بها رجع الخطاب ؛ أحمده دائما ديموميا ، وأشكره شكرا قائما قيّوميّا .

وأشهد أن لا إله إلا الله الفرد الفريد الأحد الوحيد الصمد القدوس .

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلّم الكامل بالنبوة والتام للرسالة ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

ثم إن لله عزّ وجلّ صفوة من عباده وخلصاء من خلقه ، انتخبهم للولاية ، واستخلصهم للكرامة ، وأفردهم به له . جعل أجسادهم دنيويّة وأرواحهم نورانيّة ، وأوهامهم روحانيّة ، وأفهامهم عرشيّة ، وعقولهم حجبيّة . جعل أوطان أرواحهم غيبيّة في مغيب الغيب . جعل لهم تسرّحا في غوامض غيوب الملكوت . ليس لهم مأوى إلا إليه ، ولا مستقر إلا عنده .

أولئك الذين أوجدهم لديه في كون الأزل عنده ومراكب الأحديّة لديه ؛ حين دعاهم فأجابوا سراعا ، كرما منه عليهم وتفضّلا ؛ أجاب به عنهم حين أوجدهم ، فهم الدعوة منه ؛ وعرّفهم نفسه حين لم يكونوا إلا مشيئة أقامها بين يديه ؛ نقلهم بإرادته ، ثم جعلهم كذرّ ، أخرجهم بمشيئته خلقا ، فأودعهم صلب آدم عليه السلام ، فقال عز وجلّ :وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى[الأعراف : 172] ، فقد أخبر جل ذكره أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم ، إذ كانوا واجدين للحق من غير وجودهم لأنفسهم ، فكان الحقّ بالحقّ في ذلك موجودا بالمعنى الذي لا يعلمه غيره ، ولا يجده سواه . فقد كان واجدا محيطا شاهدا عليهم ، برّاهم في حال فنائهم ، الذين كانوا في الأزل للأزل ، أولئك هم الموجودون الفانون في حال فنائهم الباقون في بقائهم ؛ أحاطت بهم صفات الربانية وآثار الأزليّة ، وأعلام الديموميّة .

أظهر هذه عليهم لمّا أراد فناءهم ، ليديم بقاءهم هناك ، وليفسّحهم في علم الغيب غيبه ، وليريهم غوامض مكنونات علمه ويجمعهم به ، ثم فرّقهم ، ثم غيّبهم في جمعهم ، وأحضرهم في تفريقهم ، فكان غيبهم سبب حضورهم ، وحضورهم سبب غيبهم . اختطفهم بالشّواهد البادية منه عليهم حين أحضرهم ، واستلبهم عنها حين غيّبهم . أكمل فناءهم في حال بقائهم ، وبقاءهم في حال فنائهم .

....

(1) النص من نشر عبد القادر (ص 43) .

أحاطت الأمور بهم حين أجرى عليهم مراده من حيث يشاء ، بصفته المتعالية التي لا يشارك فيها . فكان ذلك الوجود أتمّ الوجود ، وهو أولى وأعلى وأحقّ بالقهر والغلبة وصحة الاستيلاء على ما بدا منه عليهم ، حتّى يمحى أثرهم ويمتحي رسومهم ويذهب وجودهم ؛ إذ لا صفة بشريّة ، ولا وجود معلومية ، ولا أثر مفهومية ؛ إنّما هي تلبيسات على الأرواح ما لها من الأزليّة ؛ ذوق وجود نعيم لا كالنّعيم ؛ مستحيلة في المعاني ، متّفقة الأسامي ، متصادقة في ذوق نعيمها ، متلوّنة في رسوم شواهدها .
تبدو بنعيمها في طوالع شواهدها ، وتتلوّن في ذوق مرارات طعمها . لهج أفكارهم في محبوبهم ، وتذمّت أذكارهم في أسرارهم . هاجت عليهم عند ذلك بحار الغيرة تتلاطم أمواجها ، عظم البلاء عند تصفّحهم لواردها ، واضمحلّت نفوسهم عند توقعهم إيّاها ، وقام عليهم كلّ معلوم نكرا ، وثبت كلّ نكر معلوما . برزوا بعلم الحقيقة لدى الحقّ ؛ حين أوجدهم حقيقة الحقّ نسبة منه لا إلى الواجد لها ؛ كان ذلك كمال الجهد لديه . ثم لم يجعل لبلائهم أسامي فيستريحون ، ولا لجهدهم معلوما فيتنعّمون ، شغل بعضهم عن بعض ، وأفرد بعضهم عن بعض ، فهم في حضورهم فقد ، وفي متعهم بالمشاهدة كمال الجهد ، لأنّه قد محي عنهم كلّ رسم ومعنى يجدونه بهم ، ويشهدونه من حيث هم ، لما استولى عليهم فمحاهم وعن صفاتهم أفناهم .
وإنما معنى ذلك أن تؤدّي الحقيقة من الحقّ ما يشاء ، كيف أثبت بهم وعليهم ، وقام عنهم بما لهم ، وثبّت دواعي ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه ، فوجد النّعيم من غير جنس النّعيم ، ووجد البلاء في معلوم النّعيم ، ووجد الوجود في غير سبيل الوجود ، باستتار الحقّ واستيلاء القهر . فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبيّ الذي لا تحاسّه النفوس ولا تقارفه المحسوس ، ألفت فناها عنها ، وطرحتهم في مفاوز مهلكات بلواها ، ثم ألفت بعد إلفهم للفناء فناء ، لأن لا يجدوا طعما معلوما ، ولا يستريحوا إلى موجود ، امتلأ بهم بلا إشارة إلى صفاتهم ، ولا رسوم من رسوم المواصفات ، ولا البواعث منه إليها ، وامتحت شواهده في الآثار حين لا يوجد السّبيل إلى درك الشّفاء على خالص الوجود المستولي عليه من الحقّ تعالى ، كذلك من في صفته العليا وقوّة شاهده بوارد سلطانه ؛ وإنما جرت سنّة البلاء على أهل البلاء حين جاذبوا وأقاموا ، وثبتوا ولم ينخدعوا .
أقيم عليهم ما محققهم في نفس القوّة وعلوّ المرتبة وشرف المنزلة وسناء النّسبة ، ثم أحضرهم الفناء في فنائهم ، وأشهدهم الوجود في وجودهم ، فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم الوجود في وجودهم « سترا خفيا وحجابا لطيفا » ، أدركوا به عظيم الفقد وشدة

الاستينار ما لا يليق به العلم ولا « **تليق** » الآثار بصفته ، فطالبوه فيما كان مطالبهم ، ومانعوه ما كان مانعهم ، وتعرّفوا منه ما عرفوه إليهم لا بهم ، حلّوا بمحلّ القوّة ، ونالوا حقائق الحظوة ، وتعالوا إلى حقيقة الحضرة ، فأقام عليهم شاهدا منه فيهم ، وأدركوا منه به ما أدركوا ، وأوقف كلّ واحد منهم عند إدراكه ، وأفرد كل ما انفرد منه تعالى الله عن صفة الخلائق ، وعزّ أن تتشبه به الخلائق علوا كبيرا .

* * *

كتاب دواء الأرواح « 1 »

الحمد لله الذي أبان بواضح البرهان ، لأهل المعرفة والبيان ، ما خصّهم به في قديم القدم ، قبل كون القبل ، حين لا حين ، ولا حيث ، ولا كيف ، ولا أين ، ولا لا حين ، ولا لا حيث ، ولا لا كيف ، ولا لا أين . إذ جعلهم أهلا لتوحيده ، وإفراد تجريده ، والذّابّين عن ادّعاء إدراك تحديده ، مصطنعين لنفسه ، مصنوعين على عينه ، ألقى عليهم محبّة منه له .وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي] طه : 41] ،وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي] طه : 39] ،وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي] طه : 39] ، فماجد أوصاف من صنعه لنفسه ، والمصنوع على عينه ، والملقي عليه محبّة منه له ، أن لا تستقر له قدم علم على مكان ، ولا مرافقة عقل على استقرار فهم ، ولا مناظرة عزم على تنفيذهم .

هم الذين جرت بهم المعرفة حيث جرى بهم العلم ، إلى لا نهاية ، غاية غاية . خنست العقول ، وبارت الأذهان ، وانحسرت المعارف ، وانقرضت الدّهور ، وتاهت الحيرة في الحيرة ، عند نعت أوّل قدم نقلت لموافقة وصف محل لمحة مما جرت عليهم به العلوم ، التي جعلها لهم به له ، هيهات ذاك له ما له به عنده ، فأين يذهبون .

أما سمعت علم طيّه لما أبداه ، وكشفه لما واراه ، واختصاصه لسرّ الوحي لمن اصطفاه .فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى] النجم : 10] ،ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى] النجم : 11]وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى] النجم : 7] .

شهد له أنه عبده وحده ، لم يجر عليه استعبادا لغيره ، بخفيّ ميل همّة ، ولا إلمام شهوة ، ولا محادثة نظرة ، ولا معارضة خطرة ، ولا سبق حقّ بلفظة ، ولا سبق أهل بنطقة ، ولا روية

....

(1) النص من طبعة را دلريير (ص 32) ، عن النسخة الخطية المصورة بالمعهد عن تركيا .

حظ بلمحة .
أوحي إليه حينئذ ما أوحي ، هيّأه لفهم ما أولاه بما به تولاه ، واجتباه لأمر فحمل ما حمّل ، فحمل .فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى[النجم : 10] ،وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى[النجم : 7] ، ضاقت الأماكن ، وخنست المصنوعات عن أن تجري فيها ، أو غلبها وحي ما أوتي إلا بالأفق الأعلى ،إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى[النجم : 16] ، نظر من خلال نظره من غير منظوره إلى السّدرة ، حيث غشّاها ما غشّى ، فثبتت لما غشّاها .
وانظر إلى الجبل ، حيث جعله لجلاله دكّا ، وخرّ موسى صعقا ، فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك أن أعود لمسألتك الرّؤية بعد هذا المقام ، إلى إكباره ما فرّط من سؤاله ، وإلى أن العلم لو صادف حقيقة في وقت المسألة لم يكن القول سائغا يليق به .
وفي هذا المكان علم ليس حقه الرسم ، ولا يليق بالكتب .

وانظر إلى إخباره عن حبيبه :وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى[النجم : 13 ، 14] ، والعند هاهنا لا يقتضي مكانا ، إنما يقتضي وقت كشف علم الوقت .
فانظر إلى فضل الوقتين ، ومختلف المكانين ، وفرق ما بين المنزلين في العلوّ والدنوّ ، ولذلك فضّلت عقول المؤمنين من العارفين ، فمنها ما يطيق خطاب المناجاة مع علم قرب من ناجاه وأدناه ، فلا يستره في الدنو علم الدنو ، ولا في العلو علم العلو . ومنها ما لا يطيق ذلك ، فيجعل الأسباب هي المؤدية إلى الفهم ، وبها يستدرك الخطاب ، فيكون منه الجواب ، ولا تقف عند قوله تعالى :وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ[الشورى : 51] .

وهذه أماكن يضيق بسط العلم فيها ، إلا عند المفاوضة لأهل المحاورة ، وهي الاشتغال بعلم مسالك الطرقات المؤدّية إلى علوم أهل الخالصة ، الذين خلوا من خلواتهم ، وبرئوا من إراداتهم ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وعصفت بهم رياح الفطنة ، فأوردتهم على بحار الحكمة ، فاستنبطوا صفو ماء الحياة ، لا يحذرون غائلة ، ولا يتوقعون نازلة ، ولا يشرهون إلى طلب بلوغ غاية ، بل الغايات لهم بدايات .
هم الذين ظهروا في باطن الخلق ، وبطنوا في ظاهرهم .
أمناء على وحيه ، حافظون لسره ، نافذون لأمره ، قابلون بحقه ، عاملون بطاعته ، يسارعون في الخيرات ، وهم لهم سابقون ، جرت معاملتهم في مبادي أمورهم ، بحسن الأدب فيما ألزمهم القيام به من حقوقه ، لم تبق عندهم نصيحة إلا بذلوها ، ولا قربة إلا وصلوها .

سمحت نفوسهم ببذل المهج عند أول حقّ من حقوقه في طلب الوسيلة إليه ، فبادرت غير مبقية ولا مستبقية ، بل نظرت إلى أن الّذي عليها في حين بذلها أكثر مما لها بما بذلت ، لوائح الحقّ إليها مشيرة ، وعلوم الحقّ لديها غزيرة ، لا توقفهم لائمة عند نازلة ، ولا تثبطهم رهبة عند فادحة ، لا تبعثهم رغبة عند أخذ أهبة ، حافظون لما استحفظوا من كتاب الله ،وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ[المائدة : 44] ،
إذ عرّج بهم اللجأ عند القيام بواجب إلى طلب الاستعانة لإتمام ما قلّدوه ، لم ينجعهم الإصغاء إلى المناصحة ما بقيت منهم بقية حياة موجودة ، إشفاقا من دخول الوهم مع وجود العلم بواجب الحقوق إلى حقوقها ، نزل التوقف عن استقبال المبادرة في حين الأمر بالسّعي ، ليكون الفعل عقيبا للأمر ، بلا فصل محدود يعلم في غير صفة الأمرية .

وهذه صفات أهل الموالاة من أهل المصافاة ، الدائم نظرتهم إلى ما يجري بهم القول ، مما ألزم حقّ العبوديّة في الرهبانيّة ، الّذي وقع الذّم لمن التزمها ، ولم يقم بواجب حقها بترك رعايتها ، فسبقت نفوس المعاملين إلى ما لهم بعملهم ، فاحتجبوا برؤية ما لهم بعملهم ، عمّا لهم بعلم عملهم ، عما لهم بالإنعام عليهم بكشف علم عملهم . فتكاثفت الحجب بالحجب عن كشف علوم الحجب ، فأقاموا تحت التغطية . وبعد الخروج من هذه الأماكن تبدو علوم كشف التغطية ،لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ[ق : 22] .

وقف على حدود الأشياء بكشف باريها لها ، وما ألبسها من نور الصّنعة ، وزهرة الإرادة بنفاذ القدرة على جمعها ، وتفريقها ، ومجازها ، وتحقيقها ، قال تعالى :وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ[البقرة : 255] ، وقوله تعالى :لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ[البقرة : 256] .

وصلّى الله على محمّد النبيّ المكرّم المطهّر ، المفضّل ، المرحوم وعلى آله وصحبه ، وعترته الأطهرين الطيّبين ، الأخيار النجباء ، الأبرار ، والحمد لله رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

كتاب دواء التفريط

قال الشيخ أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله :

خصّك الله لطاعته ، وهيّأك لموافقته ، وجعلك من أهل ولايته ، وانتخبك لمحبته ، وأسرع بك إليه ، وأوقفك على علم مراده ، واستعملك بعلم ما أرادك له ، وعوّدك الإصغاء إلى استنباط الفهم عنه ، وحال بينك وبين العوارض القاطعة والعلائق المانعة ، وجعل أقوالك لديه موضيّة وعنده زاكية ، وكفاك مؤونة كل شاغل عنه ، وهيّأك لخدمته ، وروّحك بتفويض الأمر إليه ، وحال بينك وبين كل ممتنع عليك في الطريق المسلوك إليه ، وجعل لك على كل همّ لا يسعدك في طلب ما يرضيه من لدنه سلطانا نصيرا ، وإنه ولي الإنعام وكافي المهمات .

وينبغي للعاقل ألا ينفقد من إحدى ثلاثة مواطن : موطن يعرف فيه حاله أمتزايد أم منتقص ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه من إلزامها ما يلزمها ، ويتقصّى فيه على معرفتها ، وموطن يستحضر عقله برؤيته التّدبير ، وكيف تختلف به الأحكام ، في آناء الليل وأطراف النهار . ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الآخر إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأوّلين .

فأما الموطن الّذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله أمتزايد هو أم منتقص ، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه شاغل ، فيفسد عليه ما يريد إصلاحه ، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض ، الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض . ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي ربه ، يريد أن يؤدّي إليه ما أمر بتأديته ، فحينئذ ينكشف له من خفايا النفوس المموارية ، فيعلم أهو ممن أدّى ما وجب عليه أم لم يؤدّ . ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم برهان ما استكشفه بالعلم ، فإن رأى خللا أقام على إصلاحه ولم يجاوزه إلى عمل سواه .

وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل ،وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ[آل عمران : 13] ، وقوله تعالى :إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ[الحج : 74] .

وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصّى فيه حال معرفتها ، فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة ، فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء ، لا يقف على حد ذلك إلا من بصر ما هنالك ، في حين حركة الهوى في محبّة فعل الخير

المألوف ، فإنّ النّفوس إذا ألفت فعل الخير صار خلقا من أخلاقها ، وسكنت إلى أنّه موضع لما أهّلت له ، وارتدت به .
وترى أن الذي جرى عليه من فعل ذلك فيها هي له أهل ، ويرصدها العدو المقيم بفنائها والمجعول له السبيل على مجاري الدّمّ فيها ، فيرى هو بقوّة كيده خفية غفلتها ، فيختلس بممايلة الهوى ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال ، فإن تألم لوكزته منه وعرف نفسه أسرع بالإنابة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به ، فاستقصى من نفسه علم الحالة التي منها وصل عدوه إليه ، فحرسها بلياذة اللجأ ، وإلقاء الكنف ، وشدة الافتقار ، وطلب الاعتصام . كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف ابن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ[يوسف : 33] .
وعلم يوسف أن كيد الأعداء مع قوّة الهوى لا ينصرف بقوّة النفس فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[يوسف : 34] .
وأما الموطن الّذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقبله التدبير ، فهو أفضل الأماكن ، وأعلى المواطن ، فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ، ولا يسأموا خدمته ، فقال تعالى :وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[الذاريات : 56] ، فألزمهم دوام العبادة ، وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية ، وفي الآجل جزيل الثواب ،
فقال تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[الحج : 77] ، وهذه كلها عبادة تلزم كلّ الخلق . ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام ، فقد عرض لرفيع العلم والمعرفة ، ألا تعلم أنه قال تعالى :كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ[الرحمن : 29] ، يعني شأن الخلق .
وأنت أيّها الواقف لترى أنّك من الخلق الّذي هو في شأنهم ، أفترى شأنك مرضيّا عنده ؟ ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدّنيا وما فيها عنه ، وخروجها من قبله .
فإذا انقضت الدنيا ، وبادت وباد أهلها ، وانصرفت عن القلب ، خلا بمسامرة رؤية التّصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام . ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه الدار التي عنها خرج ، ولها ترك ، ومنها هرب ؛ ألا ترى إلى حارثة حين يقول : عزفت نفسي عن الدنيا ،
ثم يقول : وكأنّي أنظر إلى عرض ربي بارزا ، وكأنّي بأهل الجنة يتزاورون وكأنّي . . . وكأنّي . . .

وهذه بعض أحوال القوم ، فاحرص يا أخي على العمل في نجاة نفسك ، وخلاصها ، وعتقها من رقّ مذلّة الهوى ، والانقياد إلى مسامرة أهل الدنيا ، فقلّ نفس ذاقت من سهو الغفلة قطرة إلا أورثها ذلك قسوة أسكرت العقل ، وأذهلت المعرفة ، وجعلت للفتنة مدخلا حفيفا . فمن رفع ستر الآفات انكشف له ستر الانطواء ، ولم يتروّح نسيم لذّة المعاملة .

ولقد فاز قوم نظر إليهم وليّهم فدلّهم على مختصر الطّريق ، وأوقفهم على محجّة النّجاة ، وألاح لهم خفيّ فهم الدّعوة إلى المسارعة ، بالمناقشة ، عند فهم الخطاب ، إذ يقول عزّ وجلّ :وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ[آل عمران : 133] ،

فنهضت العقول مستحثّة للجوارح ، بحسن التّوجه لإقامة ما به يحظون عند من استجابوا لدعوته ، وقرّت العيون بما أورد على قلوبهم من السّرور بالخلوة ، به خلا بين أناس أكياس ، لا يرهبون في الطريق إليه غيره ، ولا يتوسّلون إليه إلا به ، ولا يسألونه شيئا غير إدامة التّمتّع بخدمته ، وحسن المعونة على موافقته .

قد أيست منهم الأعداء ، وأماتت عنهم الخشية الهوى ، وأقرّت بهم عيون الأحباء ، لا يرون نائلا هو أعظم مما نالوا ، ولا يبتغون بما أنعم عليهم بدلا ، ولا يريدون عنه حولا ، صفّاهم العلم ، وأدبتهم المعاملة ، وأعزهم الانقطاع إلى الله تعالى ، وأغناهم عمن سواه .

هم طلبة الله وطلابه ، ومحبّو الله وأحبّاؤه ، هاموا شوقا إلى رؤيتهم ، وحسرة على مفارقتهم ، وسرّوا بمحادثتهم ، أرادهم الله فأرادوه ، وطلبوا الله فوجدوه .

فمن أراد النجاة فليتعجّل روح الحياة ، بطلب الوصول إلى مناه ، فإنّ الله منية الأولياء ، وبغية العقلاء ، وطلبة الأصفياء ؛ ولولاه ما اهتدوا إليه ، ومن ذكرهم دلّهم عليه ، لم يتعسّفهم فيما ألزمهم ، ولم يحمّلهم ما لا يطيقونه ، وخلاصهم من العذاب الوبيل ، ودلّهم على سبيل الشّكر المرضيّ عنده ، وألّف بينهم وبين النظراء من الأشباه والأشكال ، وصان قلبهم وأبصارهم وأسماعهم عن الدنوّ إلى الخناء ، واتّقوا من محادثة شيء منها ، مما يفنى ، ولم يخلّهم ونفوسهم ، ولم يؤاخذهم بتقصيرهم ، بل أنعم عليهم بجميل قبول العذر في حين القبول ، وتجاوز لهم عمّا عجزت عنه أبدانهم ، وأوقفهم على جميل الصّحبة ، وكثرة الأيادي بالحفظ بالأمم السابقة بحسن التثقيل ، وهانت عليهم مصائب الدنيا ، وألفوا ما اختار لهم وليّهم ، قربانهم التّقديس والتّسبيح والتّحميد والتّهليل ، وراحتهم وقرّة عيونهم في

مناجاتهم ، فما يصدّون عند لقائه في معادهم . وإنما قطع الخلق عن الله عزّ وجلّ اتّباعهم الأهواء ، وطاعتهم الأعداء ، ومحادثتهم لزهرة الحياة الدنيا ، وإيثارهم ما يفني على ما يبقى .
فبادر يا أخي إلى إصلاح ما مضى من العمر ، وما ضاع منه بالسهو والغفلة والتفريط والتواني ، لحفظ ما أبقى عليك منه بالانزعاج والخوف والجدّ والحذر ، قبل فوات أوان الوقت ، ونزول الموت . فإنه لا يرضى عمّن بقي إلا بمثل العمل الذي به رضي عمّن سلف ، فاسع في فكاك الرقّ بترك ملابسة العلائق الشّاغلة . فإنّ لله يوما يبرز فيه الخبايا ، وتبدو فيه الأعمال ، يوم لا يثق فيه شهيد ولا صدّيق بعمله ، ولا يرجو فيه أحد إلا التّجاوز والعفو من ربّه ، يوم تكثر فيه النّدامة ، وتقوى فيه الملامة . فالآن ما دام العذر مقبولا ، والوقت مبسوطا ، والعمل ممدودا ، والتّوبة مقبولة ، والذّنب تمحوه الإنابة ، والنّدم والقول فيه مسموعا ، والخير فيه متبوعا ، والحقّ بيّنا ، والطّريق واضحا ، والحجّة لازمة ، فلله الحجّة البالغة ،فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ[الأنعام : 149] .
وآثار مشيئة الهداية بيّنة عند أهل الهدى ، فمن علامة من نعته ، سهولة الطاعة ، ومحبّة الموافقة ، ورؤية النّفس بعين العجز ، والانقطاع عن القيام بالواجب ، أو الموالاة والمؤاخاة والمصافاة والمحبة والمواساة ، والإيثار على النفوس لأهل القرب ، والمواصلة في ذات الله عزّ وجلّ ؛ والمعاونة لأهل الولاية ، والذّبّ عن حريم الحقّ ، والتّراضي بالصّبر على ما تقدّم من الأمر ، والاستخفاف وخفّة المؤن ، والتّعلل والتّجري والتّحري ، ومدافعة الأوقات ، والوقوف على حدّ الأمر في إدخال السرور عليهم ومخالطتهم ومجالستهم ، وترك التّرفّع عليهم ، فيهم أوصى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلّم ، فقال :وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا[الكهف : 28] .
جعلنا الله وإياكم ممن عرف حقّ الله فاستعمله ، واشتغل به ولم يشتغل عنه ، وحفظ علينا وعليك ما استرعانا ، وأحسن معونتنا وإيّاك على أداء الشّكر ودوام الذّكر ، إنه وليّ الإحسان ، وموعد العبيد الجنان ، وواعدهم بالنيران .
تمّ الكتاب بحمد لله ومنّه ، وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وسلّم .
* * *

الكتاب الرابع
أدب المفتقر إلى الله
ويليه : خاطر الخير

سئل الشّيخ أبو القاسم - رحمه الله - عن أدب المفتقر إلى الله عز وجلّ . فقال : « أن ترضى عن الله عز وجلّ في جميع الحالات ، ولا تسأل أحدا سوى الله تعالى » .
وسئل عن خاطر الخير ، هل هو شيء واحد أو أكثر ؟ فقال :
قد يقع الخاطر الداعي للطاعة على ثلاثة أوجه : خاطر شيطانيّ باعثه وسوسة الشيطان . وخاطر نفسانيّ باعثه الشّهوة وطلب الراحة . وخاطر ربانيّ وباعثه التوفيق .
وتشتبه هذه الخواطر في الدعاء إلى الطاعة ، ولا بدّ من تمييزها لإعمال الصواب منها ، لقوله عليه الصلاة والسّلام : « من فتح له باب من الخير فلينتهزه » . ولا بدّ من ردّ الآخرين ، أما الشيطانيّ فبقوله تعالى :إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ[الأعراف : 201] .

والشهواني الذي هو خاطر النفس بقوله صلى الله عليه وسلّم : « حفّت النار بالشهوات » . ولكل واحد من هذه الخواطر علامة يتميّز بها عن صاحبه .الخاطر النفساني :
أما الخاطر النفساني فباعثه الشهوة ، وطلب الراحة . والشهوة تنقسم إلى نفسانيّة كمحبّة العلوّ والجاه والتّشفي عند الغيظ وإصغار المعاند وأمثال ذلك ، وإلى جسمانيّة كالطعام والشّراب والنكاح واللّباس والنّزه وأمثال ذلك .
وللنفس احتياج إلى هذه الملاذ بحسب بعدها عن كلّ واحد منها ، وشدّة توقانها إلى كلّ جنس منها .
فلخاطر النفس منها علامتان قائمتان مقام شاهد عدل على تمييز الخاطر المختصّ بها :
أحدهما حضور هذا الخاطر عند احتياجها إلى بعض هذه الأشياء المشتبهات : مثل حضور التّزويج عند شدة حاجتها إلى النكاح ، وتلبيسها ذلك عليه بأنّ قصدها إعمال **قوله صلى الله عليه وسلّم :** « تناكحوا تناسلوا ؛ فإنّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » ، وتجنب قوله صلى الله عليه وسلّم :
« لا رهبانية في الإسلام » . ومثله في الطعام عند شدّة حاجتها إليه ، فربّما لبّست عليك

هذا بدعائك إلى ترك الصيام أو تناول بعض المشتهيات ، بأن تقول إنّ في سرد الصيام إضعاف النفس عن الأمر المحتاج إليه في الطاعات ، [وإنّ] في ترك تناول هذا الطعام المشتهى ما كسر قلب المسلم إذا دعي إليه الصّديق ، [أو] قلب العيال إذا كان مما جلبته أنت لعيالك . وربما خدعتك بلون آخر ، بأن تقول لك اكسر هذه الشهوة بتناولها هذه الكرّة لئلا يلج عليك هذا الخاطر فيشوّش عليك عبادتك ، وأمثال ذلك في سائر الشبهات .

كلّ هذا من تلبيسها وتدليسها . ومثله عندما تكدّها بالعبادة ، وتلزمها على الكراهية الطاعة ، فتختار لك نهي النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن التبتّل ، وعن أتعاب النفس ، **مثل قوله عليه الصلاة والسلام** : « أكلفوا من العمل ما تطيقون » ، **ومثل قوله عليه الصلاة والسّلام** : « إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » . بل ربما دعتك عند إكثارك إتعابها ومنعها شهواتها ، إلى ما فيه إهلاكها رأسا أو منعها من تصرفاتها ، فتحمّلك إلى ما يؤدّي إلى القتل أو السجن وأمثال ذلك ، لما يتخيّل في هاتين الحالتين من الرّاحة وزوال التعب عنها .

فأحد الشاهدين في هذا الباب : أن يكون قد تقدّم لها الكد والأتعاب عند طلبها الراحة ، وتقدّم لها الحاجة إلى الشيء المشتهى عند باعث الشهوة .

فيعتبرها بهذين الحالين ، فإن كان قد تقدّم أحد هاتين الحالتين ، علمت أنّ الخاطر من النفس ، وحاجتها إلى ذلك هو الّذي حركها إلى الدعاء إليه ، ومجموع ذلك أن يكون الخاطر شهوانيا ، أو لطلب الراحة ، فالغالب على هذا الخاطر أنه من النفس .

والشاهد الثاني : إلحاح بهذا الخاطر وعدم انقطاعه ، حتى يأتي مواليا ، كلّما جاهدت في دفعه عن نفسك ألّح عليك ولجّ ، ولا ينفع فيه الاستعاذة ولا التخويف ولا التحذير ولا الترغيب ، بل هو ملح دائم الإلحاح ، فهذا من أكبر الدلائل على أنّه من النفس ، إذ هي كالصبيّ متى منع من الشيء ازداد لجاجا في طلبه .

<u>فهاتان الحالتان شاهدا عدل متى اجتمعا لا تشكّ في أنّ الخاطر من النفس . ومداواتها عند هذه القضية بالمخالفة المحضة ، والإتعاب الشديد .</u>

فتمنعها الراحة عندما يكون الباعث للخاطر كثرة الكد والإتعاب بالعبادة ، أو بوصف وضعه أثقل ، ليكون ذلك أقمع لها من التحريك لمثل هذا الخاطر . وإن كان [الباعث للخاطر] شهوانيا جعل دواؤه الحرمان للشيء الذي طلبته ، أو تمنع من مشتهى آخر لها ، ليكون ذلك أمنع لها .

الخاطر الشيطاني :

وأما الخاطر الشيطاني فله أيضا علامتان :

إحداهما : تنبيهه ببعض ما تحتاج النفس إليه بداعي الشهوة أو داعي الراحة في الأوقات المألوف تحصيل النفس مطلوباتها فيها ، والفرق بينه وبين النفساني في هذا الباب أن النفساني يلح ولا يذهب ، وهذا يذهب تارة ويكرّ . فكلّ ما لهي الإنسان عنه بسبب فتور النفس ألّح عليها بالتذكير للشهوة ، وتكون حركة النفس عند هذا التذكير أكثر من الخاطر النفساني ، إذا الخاطر النفساني إنما خطر لشدّة الحاجة .

والثانية : أنّ هذا الخاطر الشيطاني يبتدئ ويطرأ على عقله ، والخاطر النفساني متّصل ، محرّك للطبع نحو الشهوة أو الراحة ، وذلك أنّ وسوسة الشيطان إنما هي تجري مجرى مخاطبة الإنسان للإنسان ، غير أنّ الفرق بين هذا وذاك ألا يراه ، والإنسان يحرّك قلبك من جهة حاسة الأذن عند الخطاب أو التصويت ، والبصر عند الإشارة ، والحس عند الغمز ، والشيطان يحرّك ذلك من الوسوسة وغمز القلب والخطورة فيه ، وهو لا يعلم المغيب ، وإنما يأتي إلى النفس من جهة الأخلاق التي ألف انفعالها له ؛ فهذا الفرق بين النفساني والشيطاني .

الخاطر الرباني :

أما الخاطر الرّباني فإنّه يستدلّ عليه بشاهدين أيضا :

أحدهما : وهو المقدّم ، موافقة الشرع للخاطر وشهادته بصحته . والثاني : فتور النفس عن قبوله ابتداء ، حتى يحصل لها نوع الترغيب ، وهو الهجوم على النفس من غير مقدّمات له كالشيطاني . إلا أنّ سرعة النفس لموافقة الخاطر الشيطاني أكثر ، وهي له أبدر ، وهي عن هذا [الخاطر الرّبّاني] أكسل ؛ إذ الشيطان إنما يجيؤها من شهواتها وراحاتها ، وهذا يأتي من جهة التكليف ، وتنفر نفرة من التكليف عند وروده عليها .
فهذا الفرق بين هذا [وبين] الخاطر الشيطاني والخاطر النفساني .
فإذا خطر لك [خاطر الخير] فزنه بهذه الموازين الثلاث ، واستشهد في كلّ فصل منه بالشواهد التي أشرنا لك ، فتميّز لك الخواطر ، فاصنع في الشيطاني والنفساني ما كنا ذكرناه لك في المدافعة الحاسمة لهما ، وبادر لهذا الخاطر الرباني ، ودع التشاغل والتضييع ، فإنّ الوقت ضيق والحال يتحول .

وإياك وتسويل النفس ووسواس الشيطان ، فإنّ هذا الباب من أبواب الخير قد انفتح لك فارحبه حتى تستأنفه من أوّله .
ومثاله : أن يكون قد خطر الخاطر في صيام بعض شهر قد حثّ الشرع على صيامه ، أو قيام بعض ليله ، فتقول دع هذا حتى استكمل الليل بأوّله أو الشهر بتمامه . وإنما ذلك مخادعة ، ليسدّ باب التوفيق المجزي .
فإن هذه الخواطر لا تدوم ، وإنما هي سريعة الاستحالة ، والمبادرة لإمساك الخاطر الرباني مأمور الشرع ، وفيه فائدتان :
إحداهما : أن يكون وقت أكمل من وقت ، كنحو الأوقات التي ورد الخبر عن مسامحة الله عزّ وجلّ ، وتنزّل الرحمة والغفران ، ونظرات الحقّ سبحانه وتعالى إلى الخلق لا تحصى .
والأخرى : إيلاف النفس للمبادرة لامتثال الأوامر والطاعات عندما ترجّى بركة العمل ، وفيه إزالة حال التكاسل عنها ، وذلك للتعرّض لنفحات رحمة الله تعالى . وهذا في رياضة النفس على المبادرة إلى امتثال الأوامر مفيد أيضا ، والله أعلم وأحكم .
* * *

الكتاب الخامس كتاب الفناء

كلام الإمام أبي القاسم ، الجنيد بن محمد ، قدّس الله روحه :
الحمد لله الذي قطع العلائق على المنقطعين إليه ، ووهب الحقائق للمتّصلين به المعتمدين عليه ، حين أوجدهم ووهب لهم حبّه ، فأثبت العارفين في حزبه ، وجعلهم درجات في مواهبه ، وأراهم قوّة أبداها عنه ، ووهبهم منّة من فضله ، فلم تعترض عليهم الخطرات بملكها ، ولم تلتق بهم الصفات المسببة للنقائص في نسبتها ، لانتسابهم إلى حقائق التوحيد ، بنفاذ التجريد ، فيما كانت به الدعوة ، ووجدت به أسباب الحظوة ، من بوادي الغيوب وقرب المحبوب .
ثم سمعته يقول : وهبنيه ثم استتر بي عني ، فأنا أضرّ الأشياء علىّ ، الويل لي مني ، أكادني وعنه بي خدعني ، كان حضوري سبب فقدي ، وكانت متعتي بمشاهدتي كمال جهدي ، فالآن عدمت قواي لعناء سرّي . لا أجد ذوق الوجود ، ولا أخلو من تمكين الشهود ، ولا أجد نعيما من جنس النعيم ، ولا [أجد] التعذيب من جنس التعذيب ، فطارت المذاقات عني ، وتفانت اللغات من وصفي فلا صفة تبدي ولا داعية تحدي . كان الأمر في إبدائه ، كما لم يزل في ابتدائه .

قلت [للجنيد] : فيما أبان منك هذا النطق « ولا صفة تبدو ولا داعية تحدو » ؟
قال : نطقت بغيبتي عن حالي ، ثم أبدي على من شاهد قاهر وظاهر شاهر .
أفناني بإنشائي كما أنشاني بدنيا في حال فنائي ، فلم أؤثر عليه لبراءته من الآثار ، ولم أخبر عنه إذا كان متوليا للإخبار . أليس قد محى رسمي بصفته ، وبامتحائي فات علمي في قربه ، فهو المبدئ كما هو المعيد .

قلت : فما قولك « أفناني بإنشائي كما أنشأني بدنيا في حال فنائي » ؟
قال : أليس تعلم أنّه عز وجلّ قال :وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى شَهِدْنا[الأعراف : 172] ،
فقد أخبرك عز وجلّ أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم ، إذ كان واجدا للخليقة بغير معنى وجودها لأنفسها ، بالمعنى الذي لا يعلمه غيره ، ولا يجده سواه ، فقد كان واجدا محيطا شاهدا عليهم بدنيا في حال فنائهم عن بقائهم ، الذين كانوا [في الأزل] للأزل ، فذلك هو الوجود الرباني والإدراك الإلهي الذي لا ينبغي إلا له جلّ وعزّ ؛ ولذلك قلنا إنه إذا كان واجدا للعبد يرى عليه مراده من حيث يشاء بصفته المتعالية التي لا يشارك فيها ، كان ذلك الوجود أتم الوجود وأمضاه لا محالة ، وهو أولى وأغلب وأحق بالغلبة والقهر وصحة الاستيلاء على ما يبدو عليه ، حتى يمحي رسمه عامة ويذهب وجوده ، إذ لا صفة بشرية ووجود ليس يقوم به لما ذكرنا ، تعاليا من الحق وقهره ، إنما هذا تلبس على الأرواح [ما لها من الأزلية] .

نعيم ليس [من] جنس النعيم المعقول ، وسخاء بالحق لا من جنس السخاء المعلوم ، إذ كان عزّ وجلّ لا يحس ولا يحس ولا يبدل ذاتيته ، ولا يعلم أحد كيفية لطائفه في خلقه ، وإنما معنى ذلك رباني لا يعلمه غيره ولا يقدر عليه إلا هو ، ولهذا قلنا إن الحق أفنى ما بدا عليه ، وإذا استولى كان أولى بالاستيلاء وأحق بالغلبة والقهر .
قلت : فما يحد أهل هذه الصفة ، وقد محوت اسم وجودهم وعلومهم ؟
قال : وجودهم بالحق بهم وما بدا عليهم بقول وسلطان غالب ، لا ما طالبوه فتذكروه وتوهموه بعد الغلبة ، فيمحقها ويفنيها ، فإنه غير متشبث بهم ولا منسوب إليهم ، وكيف يصفون أو يجدون ما لم يقوموا فيحملوه ، أو يقاربوه فيعلموه ، وإنّ الدليل على ذلك من الخبر الموجود ، أليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : قال الله عزّ وجلّ « لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » .
وفي الحديث زيادة في

الكلام غير أني قصدت الحجة منه في هذا الموضع ؛ فإذا كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فكيف تكيف ذلك بكيفيته أو تحده بحد تعلمه ؟ ولو ادعى ذلك مدع لأبطل في دعواه ، لأنّا لا نعلم ذلك كائنا بجهة من الجهات تعلم أو تعرف ، وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ما شاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق ، وذلك فعل الله عزّ وجلّ فيه ومواهبه له ، منسوبة إليه لا إلى الواجد لها ، لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به ، وإنما كانت واقعة عليه من غيره ، وهي لغيرها أولى وبه أحرى ، وكذلك جاز أن تكون بهذه الصفة الخفية ، وهي غير منتسبة به على النحو الذي ذكرناه .

قلت : كيف يكون الحضور سبب الفقد والمتعة بالمشاهدة كمال الجهد ، وإنما علم الناس ها هنا أنهم يتمتعون ويجدون بالحضور ، لا يجهدون في ذلك ولا يفقدون ؟

قال :

ذلك علم العامة المعروف ، وسبيل وجودهم الموصوف ، فأما أهل الخاصة والخاصة والمختصة ، الذين غربوا لغربة أحوالهم ، فإن حضورهم فقد ، ومتعتهم بالمشاهدة جهد .

لأنهم قد محوا عن كل رسم ومعنى يجدونه بهم أو يشهدونه من حيث هم ، بما استولى عليهم فمحاهم ، وعن صفاتهم أفناهم ، حتى قام بهم وقام عنهم بما لهم ، وثبت دواعي ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه ، فوجدوا النعيم به غيبا بأمتع الوجود على غير سبيل الوجود ، لاستئثار الحق واستيلاء القهر ، فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبي الذي لا تحابيه النفوس ، ولا تقاومه الجسوس ، ألفت فناها عنها ووجدت بقاها يمنعه فناها . فإذا أحضرها أنيتها وأوجدها جنسها ، استترت بذلك عما كانت به وكان بها ، فعصت بنفسها وألفت بجنسها ، إذ أفقدها التمام الأول والإكرام الأكمل ، وردت إلى تعلم وتعقل ، فالحسرة فيها مستكنة ، وغصة الفقد بها متصلة في حال حضورها وكائن وجودها ، ولذلك تاقت إلى الشهوة ورجعت إلى الحاجة ، وكيف لا يكلمها إخراجها بعد غيابها وتوقانها بعد امتلائها .

فمن هاهنا عرجت نفوس العارفين إلى الأماكن النضرة والمناظر الأنيقة والرياض الخضرة ، وكان ما سوى ذلك عذابا عليها مما تحن إليه من أمرها الأول الذي تشمله الغيوب ويستأثر به المحبوب . ويحك إنه إشارته إلى الصفة إشارة لا يشارك فيها ، ومراده فيها ومنها هو ما استأثر به عليها . فمن كان مستترا أو ذاكرا لها أو مختصا بها ، كان لا ينبغي للمراد بذلك حضور البوادي عليه ولا البواعث منه إليه ، فتأمن صفته عن الفناء بحقيقته ، ذاهبا عن الحضور ما هو به ، اقتدارا من الغالب له القائم به المستولي عليه . حتى إذا أحضر وأشهد ضمن حضوره الاستتار ، وأمحت في شهوده الآثار ، حتى لا يجد السبيل إلى درك

الشفاء على خالص الوجود المستولي عليه من الحق تعالى ، كذلك يرى في صفته العليا وأسمائه الحسنى . وإنما جرت سنة البلاء على أهل البلاء من هاهنا ، حتى جاذبوا وأقاموا ولم ينخدعوا ، أقيم عليهم ما محقهم في نفس القوة وعلو المرتبة وشرف النسبة .
قلت : فما أعجب ما أخبرتني به ، وإن أهل هذه النسبة العالية ليجري عليهم البلاء ؟ فكيف ذلك حتى أعلمه ؟ قال : إنهم لما طلبوه في مراده ومانعوه عن أنفسهم ، فطلبوا له في استيلائه عليهم بساط البلاء على صفاتهم ، لأن لذة الأشياء فيهم ، سترهم به ليقضوا بإنيتهم ويحترقوا بحسوسهم ويلذوا برؤية أنفسهم ، في مواطن الفخر ونتائج الذكر وغلبات القهر . وأنّى لك بعلم ذلك ؟ !
وليس يعلمه إلا أهله ولا يجده سواهم ولا يطيقه غيرهم . أو تدري لما طالبوه ومانعوه فتوسلوا بما منه بدا إليه واستعانوا في التوسل بالحقائق عليه ؟ لأنه أوجدهم وجوده لهم وثبت فيهم وعليهم غيب سرائره الواصلة إليه ، فامتحت الآثار ، وانقطعت الأوطار ، حتى توالت النسب ، وتعالت الرتب ، بفقدان الحس وفناء النفس .
ثم أحضرهم الفناء في فنائهم ، وأشهدهم الوجود في وجودهم ؛ فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم من أنفسهم سترا خفيا وحجابا لطيفا ، أدركوا به غصة الفقد وشدة الجهد ، لاستتار ما لا تلحق به العلل ، إحضار ما يلحق العلل به وتليق الآثار بصفته فطالبوه فيما كان مطالبهم ، وما يعرفه من نفوسهم ، لأنهم حلوا بمحل القوة ، ونالوا حقائق الحظوة ، فأقيم عليهم مشغلا لهم ، فنشأ منه فيهم تمام كان ولا كان على الصفة ، وإن كانت غصة البلاء تزيد . قلت : فصف لي تلوين البلاء عليهم في موطنهم العجيب ، ومنزلهم القريب . قال : إنهم استغنوا بما كان بدا ، فخرجوا عن الفاقة ، وتركوا المطالعة ، وألبسوا الظفر بجهد الاقتدار وصولة الافتخار ، وكانوا بذلك ناظرين إلى الأشياء بما لهم ، دون التعريج على ما له بإقامة الفرق والفصل ، لما رأوا ووجدوا بالعينين ، فاستولى بالأمرين ، فإذا بدت عليهم بوادي الحق ، ألجأ منه لهم مما لهم ، على التجريد اقتدارا وافتخارا .
خرجوا عن دلك غير مشاكيين له ، مؤثرين لما انفردت به متعتهم ، دالة عليه ويقينا بالسماحة ، لا يرون رجوعا عليهم ولا مطالبة تجري عليهم . فإذا كان ذلك أحاط بهم المكر من حيث لا يعلمون .
قلت : قد أغربت على عقلي ، وزدت في خبالي ، فادن من فهمي .
قال : إن أهل البلاء لما اتصلوا بحادث الحق فيهم ، وجاري حكمه عليهم ، تغربت أسرارهم ، وتاهت أرواحهم عمر الأبد ، لا تأويها المواطن ولا تجنها الأماكن ، تحن إلى

مبتليها حنينا وتئن بفناء النائي عنها أنينا ، قد شجاها فقدانها وذلها وجدانها ، أسوفة عليه ، موجعة لديه ، متشوقة في الوجد إليه ، أعقبها بها ظمأ ، ويزيد الظمأ في أحشائها نماء ، فهي الكلفة بمعرفتها ، السخية بفقدها . أقام لها عطشها إليه مع كل مأتم مأتما ، ورفع لها في كل كسوة علما ، يذيقها طعم الفقر ، ويجدد عليها رؤية احتمال الجهد ، ممالة مع آثار المؤن ، تواقة إلى مثلات الشجى ، طلابة لشفائها ، متعلقة بآثار المحبوب فيما يبدو ، وكل إبعاد تراه بعين الدنو .
خفيت خفاء لفقد سترها فيما استترت وابتلاها فما نكلت . وكيف تستتر ، وهي مأسورة لديه ، محتسبة له بين يديه .
سمحت له بهلاكها فيما أبدى عليها من ابتلائها ، ولم تعزم على الاهتمام بأنفسها استغناء بحبه وتعلقا به في محل قربه . ترى مقادير الألحاظ منه في سرعة يقظتها ، يستغرق هلاكها بالجاري عليها في دوام البقاء وتشديد البلاء ، حتى أمتعها بلاؤها ، وآنسها به بقاؤها ، لما رأته قريبا لمنعها واتيا بلسعتها ، فلم تلو عن حمله كلا لا ولا برمت به ملالا . هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسرّ إليهم .
أقاموا في قهره ، انتظار أمره ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا .
وأهل البلاء يقسّمون على قسمين :
فمنهم من أوى إلى بلائه ، فساكن مراده ، وما بلي هواه في الأشياء إيثارا لمتعة نفسه ، وتمتعه بوجود حسه حتى أنكى به ومكر به وأزال بالمكر عنه مزايلة حاله ، واعتد ببلائه شرفا ، ورأى أن سبب الخروج عنه سبب النقصان والضعف .
* * *

الكتاب السادس كلام في الألوهية

قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى :
اعتزل الحق بهم ، وجردت الألوهية لهم ، فكان أول وارد الحق بتأدية شواهد إبرازه لهم وإنزاله إياهم في أول الألوهية ، أنزل الأزلية على سرمد الأبد ، في ديمومية البقاء إلى ما ليس له غاية ولا منتهى ، ثم أتبع مع ذلك بشاهد منيع العز وطول الفخر وظهور القهر وشامخ العلو وقاهر السطوة وشدة الصولة وعظيم الكبرياء وجليل الجبرياء ، فاعتزل منفردا بذلك وتكبر وتعالى بالعظمة ، فكان الحق بالحق للحق قائما ، وكان الحق بالحق للحكم حاكما ، وتوحد في تفرد جبروته أحدا فردا صمدا ، وهذا أول شاهد إنزاله من أنزل في غلبة هذا

الاسم عليه وأحله به لديه ، وتابع مع ذلك ما أمكن في إجنان صونه به له من أسمائه الحسنى ما وقعت إليه الإشارة وما لم يقع من أسماء الجمع والتفرقة على ما شاء من الإبداء والإخفاء ، فمنها ما بدت في شواهدها ، وظهرت في مطالبها ، وعلت في مذاهبها ، وسرحت في مساكنها ، وترددت في مراكبها ، ثم تفانت النعوت بجواز الاحتواء على ما تكيفته الحقيقة فسترته ، وكمنت فيه فغيبته ، وطوت عليه فكتمته ، وتمكنت منه فأتلفته ، وغلبت عليه فقهرته ، ثم تذهب بواديها على الانفصال من غير انفصام ، وعلا بالإلف من غير جنس النظام ، فعالى بظاهره وبظافر أبداه بتمكين أحكامه ، فتصاول عند ذلك الصول ، وتفاخر الفخر ، وتقاهر القهر ، فأين الأين عند ذلك ، وليس يحين أينه ، وأين ذهاب الأين على دوام أزليته ، وأين ما لا أين له ولا أين فيه على تفرد الألوهية ، وهو بعض ما لوح الحق به في اسم الجمع ، ثم تجري فيهم ما توقع منهم به النظر ، في شواهد ما لاقى الحق به من هذا نعته على اسمه المنفرد وعلمه المجرد ،

فهذه إشارة ما لا يقع به الشرح أكثر ، ثم لا ينال فهم ذلك من جنس الإشارة إلا بتقدم الكون فيما تقدم به النعت ، وقد طويت ما فيها ولم أفصح به فخذها من حيث لا تنال به إلا به إن أدرك الحق بإدراكك في إدراكك ، ومن بعض ما أوجد الحق في اسم التفرقة أن حبس به إظهار ما ألبسهم وألبسهم إظهار ما به حبسهم ، فكانوا في إبدائه شواهد مكنون إخفائه ، فكلما طالعهم بما لاحظهم أرمس مستدرك المكان بكون خفي الكتمان ، وهم في شواهد ما يطالعهم به على ترادف ما أطلعهم به عليه ، ثم يطالعهم فيما به يطالعهم ، مطالعات سر المحترز المرتجف عليهم به في إظهار ما كمنه ، وذلك قبل أن يشرف بهم على حجاب غريب هذه الصفة ، ثم يبدي لهم شواهد البذل ومستعطفات سوابق الأمر ،

ويظهر لهم به عند إقباله به عليهم ، وإجلاله منزلة لديهم بأنباء كون دوارك الوفاء ، والاحتواء على كل محبوب ومطلوب ومرغوب ، باستتمام كمال المصافاة واتحاد منح الموالاة ، ثم يعطف عليهم في قرار أمن ما أحلهم فيه بإشهاده إياهم الغيبيّة عنهم ، والأخذ بما أقبل به عليهم ،

وانتزاع لكل ما آنسهم من منحه وعطف عليهم به من بذله ، وأوقف عليهم لما يريد أن يبلغهم إليه ، ويطلبهم به ، أضداد الشواهد المتقدمة ، فلو رأيتهم بعين إشهاده إياهم ، وكون فيما فيه أحلهم ، لرأيت رهائن أشباح أسرى ، واجتناح جوائب أرواح سري ، قد رهقوا بالمحو في ملكوت عزه ، وأرهقوا بفرط ابتلاء الحق لهم بفقده ، مما هم به منه يصرخون ، وبه إليه في غمرات

الكرب يضجون ، قد جمع أنفاسهم في أنفاسهم ، وحبس أرواحهم في أرواحهم ، فهم به عليه يترددون ، ومنه به إليه يتوحدون ، وهذا بعض علم التوحيد مما لوح إليه به صفوته .

تمّ بحمد الله ومنّه ، وصلّى الله على محمد وآله وسلّم .

* * *

الكتاب السابع
في الفرق بين الإخلاص والصدق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الجنيد قدّس الله روحه ونور ضريحه :

آنسك الله بقربه ، وجدّد لك في كل وقت من الزيادة في بره ، وسترك في ظلال جناح رحمته ، وجعل مأواك في جواره الذي أسكن فيه أرواح أهل خاصته ، الذين تولاهم بحياطته ، فلم يلحقهم لاحق ، ولم يقطعهم قاطع ، ولم يشغلهم شاغل ؛ وصلى الله على نبيه وعلى أهل بيته وأصحابه وسلم .

أما بعد . . فإنك سألت عن الفرق بين الإخلاص والصدق ، فمعنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها ، بعد الوفاء منك بما عليك مما دلك العلم عليه ، في إقامة حدود الأحوال في الظاهر ، مع حسن القصد إلى الله عز وجل في أول الفعل ؛ فالصدق موجود في حقيقة صفات الإرادة ، عند بداية الإرادة ، بالقيام بما دعيت إليه في حقيقة إرادتك ، مما طرق الحق لك إليه ، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة ، مع انتصاب العلم لك ، وموافقتك له ، بخروجك من التأويل . فالصدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص ، وقد قال الله عز وجلّ :لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ[الأحزاب : 8] ، ثم سألهم بعد ما أتوا بالصدق : ما أرادوا بصدقهم . وقد سمى الله تعالى الصادقين في موضع آخر على غير هذا المعنى ، فقال عز وجلّ :هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ[المائدة : 119] ، فكان الصدق في الأول علما للخلق وفصلا بينهم وبين الإخلاص ، لأن الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالين : حال الاعتقاد والنية ، وحال الفعل والعمل .

فالإخلاص في صفة الصادق موجود في العقد غير منسوب إلى الصدق إلا بوجود [أول الإخلاص في باطنه] ، وباق عليه علم موارد الأشياء عند ممارسة الفعل بالجوارح عن عوارض أضداد الإخلاص والتخلص لفعله ، حتى سمي مخلصا .
فأول الإخلاص أن يفرد الله تعالى بالإرادة ، والثاني أن يخلص الفعل من الآفة .
فالصدق الذي هو عند الخلق صدق ، فرق بينه وبين الإخلاص ، والصدق الذي عند الله تعالى هو الصدق مع الإخلاص .
وقد يقال : فلان صادق لما يرى عليه من صفات العلم وبذل المجهود منه ، ولا يقال : فلان مخلص لغيبة الخلق عن علم إخلاصه ، فالصدق مشهود في صفة الصادق ، والإخلاص معدوم من مشهده .
فالصادق موصوف بحسن صفات شاهده ، منسوب إلى الصدق بدلائل ظاهره ، مع وجود أوائل الإخلاص في باطنه ، باق عليه علم موارد الأشياء عند وروده ، يقبل ما وافق الأول من معنى قصده ، ويرد ما خلف علم ظاهره . فالإخلاص يعلو الصدق لوجود زيادة العلم ، مع وجود قوة الرد لما عارض من وسواس العدو ، لوجود صفاء القلب ، ولا يعلو الإخلاص شيء ، ولا يقال إخلاص المخلص ، لأنه لا غاية بعد الإخلاص ، وقال : قال الله تعالى :لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ[الأحزاب : 8] ، لم يقل : (ليسأل المخلصين عن إخلاصهم) ؛ لأن غايته من الخلق فيما استعبدهم به ، فالإخلاص يعلو الصدق والصدق دونه .
والصدق على ثلاثة أشياء :
صادق بلسانه ، وهو القائل بالحق له كان أم عليه بخروجه عن التأويل ، والتدليس ،
وصادق في فعله ، وهو الباذل للمجهود من نفسه بإخراج وجود راحته .
وصادق بقلبه وهو القصد إليه في فعله ، فعند وجود هذه الخصال يكون صادقا ، مع أن الصدق موجود من الصادق في كل حال لا يستغني عنه في حال من الأحوال .
وقد فسرت جملة في أول الكتاب ، فالصدق في التورع والتزهد والزهد والتوكل والرضا والمحبة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة ، في صفات المريد والمراد ، والذاكر والمذكور ،
وكل ذلك لا بد من أن يتولد له شاهد ظاهر يشهد له بالصدق ، ومعنى الإخلاص إفراد النية لله عز وجل وحسن القصد إليه ، بحضور العقل عند موارد الأشياء ، وبيان تلوين الأمور عليه ، بما وافق الأول في معنى صحة قصده ، ورد ما خالف ذلك من موارد النفس والعدو ، مع ذهاب رؤية النفس بوجود رؤية المنة ، مع وجود حسن العزاء

عند المذمة من الخلق ، لوجود حسن المعرفة بالفضل ، ووجود الكراهة عند المحمدة ، لخوف فساد المعرفة بذهاب رؤية الخلق عند مصادفة الأحوال ، فهذا علم مشهود عند شاهد المخلص معدوم عند شاهد الخلق .
فالصدق والإخلاص يتفقان في حال المخلص ، وينفرد الصدق بالصادق ، مع أول وجود الإخلاص ، فغاية وصف الموصوفين بالعبودية في الاستعباد هو الإخلاص ، والصادق في حقيقة صدقه يتولى بالإخلاص ، والمخلص في حقيقة إخلاصه يتولى بالكفاية ، لوجود نفاذ البصيرة ، وذو البصيرة في حقيقة نفاذ بصيرته يتولى بالحياطة مع جميع ما يخشى فساده ، ثم وقع الاستيلاء بالتولي بعد ذلك ، فقهر العقل فأفناه عن مقاومة الواجد ، فعند وجود حقيقة التولي بالخصوصية ، خرج عن عبادته لله بالنفوسية ، ودخل في عبادته عز وجل بالوحدانية ، فكان ذلك أول وجوده حقيقة توحيد الخصوص ، بذهاب رؤية الأشياء لقيام رؤية الحق .
فجرت الأحوال عليه في مجاري صفاتها ، لمراد مليكه فيها ، بسقوط صفاتها منها ، فعند وصول العبد إلى هذا ، خرج عن صفة وجود ما يوصف بالعقل ، فصارت عوارض العقل عند وجود حقيقة التوحيد ، وساوس تحتاج إلى أن يردها ، لأن العقل كان قيم العبد عند قيام العبد بالعبودية ، من حيث العبد ، فعند وقوع حقائق الملكية من الله عز وجل له ، ذهب العبد في العبودية من غير المعدن الأول ، فكان موجودا في الصفة معدوما من المشرب ، فصار عند ذلك موجودا مفقودا .

* * *

[رسائل الإمام الجنيد]

رسالة الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي « 1 »

أوتيت من العلم أعلى منازله ، وتناهيت من الرّسوخ في المعرفة إلى غاية أماكنها ، وأدنيت في مجالس القرب إلى أزلف مواطنها ؛ وتبوئ بك من كمال جوامع الأنباء إلى استيعاب معالمها ، فجرى ذلك لك بالتمكين وأنت مستبصر ، وعلوت في سمو انتهائه مشرفا مستظهرا ، قد تضمنته بقوة الاشتمال عليه فأفضي إليك ، واستغنيت عن السعاية إليه بمنيع صولة التمكين ، لأنك لذلك كله بواضح الحق مستبين ، ولأنك فيما اختلف فيه من العلم على صحة اليقين .
وجعلك الله مع ذلك ممن سعد به إخوانه ، ونالوا البغية من العلم بوصفه وبيانه ، وانكشفت لهم الحقائق المشفية من تعبير لسانه ، وأنس منهم من غاب أو حضر بشرف مكانه .

....
(1) من نشرة عبد القادر عن المخطوط رقم (227) .

بل جعلك الله نورا يملأ بسنا ضيائه الخافقين ، ويلوح مضيئا طالعا على سائر الثقلين ، فينال عند ذلك كل فريق منهم حظه الكامل ، ويصل إلى مراده الشامل الفاضل ، حتى تكون هذه الظواهر أموره التي ألبسها ، وبوادي أحواله التي أريد بها ، وقد نظر فيها فوقفت به الضنة عن ظهوره ، وتضمنه الصون والحجبة والكتم عن حضوره .
وذلك سر تضل العقول عن الإشارة إليه ، وتنقطع الفهوم عن شيء من الورود عليه .
هيهات ، هيهات ، طمست عن ذلك أطواق كوامل العلماء ، وضلت عنه مقاليد أكابر الفهماء . فهو في تفرد توحده عليّ ، ويعزل قيوميته تجرّده ، فكم من مومئ إليه بتوهمه ، ومن مظهر التحقق به بالطيب عنده ، أن يعرض لينطق به وتلجلج لسانه ، وتحيّر عند الإيماء إلى بيانه .
ويظن الجاهل إذا سمعه أنه قد أصاب ، وهو في عمياء مظلمة عند الخطاب ويكون في دعواه وحقيقة الحق تدفعه ، ويوهم بوصفه السامع في القصد إلى ما يقع الفهم به في النفاذ فيما أمر به ، والترك لما نهي عنه ، وذلك بعض حق العلم على من حمله .
فمتى اقتضيت لنفسك يقع العلم له قبل إعطائك منها حقّ ما للعلم واجب ، احتجب عنك نفعه ونوره ، وبقي عليك رسمه وظهوره وذلك حجة للعلم عليك وإن كان رسمه ظاهرا لديك .
فاحذر أيها الرجل الذي قد لبس من العلم ظاهر حليته ، وأومأ المشيرون إليه بجميل لبسته ، وقصر عن العمل بمحض حقيقته ما وقعت به الإشارة إليك ، وانبسطت به الألسن من الثناء عليك ، فإن ذلك حتف لمن هذه الصفة صفته ، وحجة من الله تعالى عليه في عاقبته .
فلمّا سمع العالم من الحكيم ما نطق به ، وقرع سمعه بيان ما شرحه له أطرق مفكرا ، ثم انتحب بعد الفكرة باكيا ، فطال بكاؤه ، وعلا نحيبه واشتد اضطرابه ، فأقبل عليه عند ذلك الحكيم ، فقال له : الآن حين بدت شمس الحكمة تطلع عليك وواضح نورها يصل إليك ، وعند ذلك تنجلي عنك ظلمات ما أعرضت عنه من علمك ، وأغفلته من موانع العلل لفهمك ، وإني أؤمّل بذلك صلاح ما أفسدته ، والتلافي لحفظ ما ضيعته .
فلما سمع العالم إقبال الحكيم عليه بذلك ، سكّن من اضطرابه ، وهدّا من شدة بكائه ، ثم أقبل على الحكيم ، فقال : زدني من دوائك هذا فقد لاوم جراحي ، وقويت الأطماع في

الوقوع لحجتي ، فتخلّصني بلطيف حيلتك ورفق حكمتك من وبال ما أنت أعلم بما كمن منه في سري ، واستتر عني من خفيّ هوى الشر ، فقد انطوى عني في سالف الأوقات الماضية خفيّ مستبطنات كانت في السرائر كامنة وكشفت لي عنها بجميل نعتك ، وأوقفني على ما بطن منها بلطيف رفقك ، فقال له الحكيم : تحمد الله أبدا فيما أنعم به عليك من اطلاعه إياك على ذلك ، وإيقافه لك على مواضع خللك ، فكن بالذل بين يديه خاضعا ، وافتقر إليه بالاستكانة والخضوع ضارعا ، فإنك تلقاه لخفيّ مناجاتك له سامعا ، وإنك إذا كنت كذلك كان لك إليه شافعا .

واعلم مع ذلك أن ألسنة الحكمة لا تنطق إلا من بعد أن يؤذن لها ، وإذا نطقت وقع النفع لمن أسمع بها . وإنما مثل ذلك من فضل الله على خلقه ، مثل غيث سمائه الذي إذا أنزله أحيا به ميت أرضه . أما سمعت الله تعالى يقول :فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[الروم : 50] ، وكذلك يحيي الله تعالى بألسنة الحكمة ما أمات الإعراض عنه من قلوب أهل الغفلة .

قال العالم للحكيم : أجل ، إن الذي وصفته كما وصفته ، وإني أومّل من الذي انتدبني بلسان حكمتك ، وجاد عليّ تعطّف رحمتك أن تستنفذني من وبال التقصير بدلالتك ، وتخرجني من ذلة التخلف بمصادفة رؤيتك ، وقد علمت الآن أن أربي إلى التكشف لي عما لزمني من وبال تركي للعمل بعلمي ، وتخلّفي عما أوجبه حقّ العلم عليّ ، وعما استتر في نفسي ، وانطوى بالاستخفاء في سري ، ما لم أكن له مدركا ، ولا بما معي من العلم عليه واقفا .

وقد أشرقت الآن بقدر ما أيدني الله تعالى به منك ، ومنّ به عليّ ، وكشفه لي بأسبابك على بعض ذلك ، فبعلمي بالقليل من ذلك علمت أن عليّ منه كثيرا لم أدركه ، وخفيّ مستبطنا لم أره ولم أعرفه فاكشف لي أيها الحكيم من أمري ، عما أنت أعلم به مني ، فإن الطبيب أعلم بداء السقيم من نفسه ، وأحق أن يصف له من الدواء ما يكون سببا لبرئه .

قال له الحكيم : قد بدت مطالعات الفهم تلحقك بمعرفة ما عليك من ذلك ولك ، وبدت أوائل معاني الصحو تلوح لعقلك ، وبدت أوائل الإفاقة تسعى بحركاتها لبعض ما في سرك .

واعلم أن ضرر الأديان أشر من ضرر الأبدان ، وسقم الجوارح والأجسام أسهل من سقم القلوب والأفهام ، لأن علل الدين والآفات المعترضة على اليقين سبب للبوار ، وموردة لأهلها على النار ، مؤدية إلى سخط الجبار وما عدا ذلك إلى غيره ، وكان واقفا فيما سواه من الأمراض والأسقام الكائنة في الجوارح والأجسام ، فذلك ضرر يؤمل برؤه ، ويزول مكروهه وشره ، ويرجى من الله تعالى ثوابه وأجره .
واعلم أن الطبيب العالم المجرب ، والحكيم الناصح المؤدب ، أعلم بدنف الأبدان والعلل المخامرة بآفاتها للأديان ، لأن المعبر عنهما يعبر عما يجد من ذاته ، والواصف لما حل به من بلائه ، مقصر عن بلوغ نعته لذلك ، مختلف عن الوصف لما هنالك . ووصف المتطبب الخبير ، والمجرب البصير ، يكشف لأهل الأمراض عما وجدوه ، وينبئهم عن زوال ما فقدوه ، حتى كان الموصوف بعبارة اللسان ، منظور إليه بحقيقة العيان ، وإني أصف لك على أثر ذلك أمورا تقوي لك حالك ، وتبلغك غاية البغية من سؤالك ، والقوة بالله العظيم .
اعلم أيها المنسوب إلى العلم ، بوقوع الصحو لك تتبين حيرة السكرة ، وبكون الإفاقة تقف على وقت الغمرة ، هو بصحبة الذكر ينكشف لك وبال الغفلة ، وبالسلامة والعافية يتميز وقت العلة .
فاعلم أن ذلك كله ، مشغل في حين كونه عن حقيقة معرفته ، ضارّ لأهله بما لبسهم منه عن وجود حيرته إلا بحمله علم مزاجه اللبس والظلمة ، ليثبت الله تعالى بذلك عليهم الحجة فخلّ عن نفسك أيها المعني بها والحريص على تعجيل استنقاذها وبال السكرة والغمرة والغفلة والحيرة باستعمال ما أصفه لك والإسراع إلى ما أحثك عليه ، والمبادرة إلى ما أشير به إليك . فإن صحة الصدق وجودة القصد ، يؤديانك إلى المحل الذي هو باب المدخل فيما تحبه ، والمخرج مما تكرهه ، ولن يحجبك عن بلوغ ما تريد - والقوة بالله - إلا بتقصيرك عن المجاهدة في واجب حق السعي عليك فاحذر ، ثم احذر ، أن تكون على شيء من ذلك مقصرا ، أو ألفاك وقتا وأنت عنه فاتر راجع ، فإن مطيتك الموصلة لك إلى بغيتك ، صدقك في إقامة المناصحة في محل مجاهدتك قد أوقفتك على وجه المنهج والمدرجة وقربتك من المسير على أوضح المحجّة .
واعلم أيها الرجل الحاذر ، المحثوث المبادر ، أن الإقامة المانعة لك ولنظرائك بعد الحمل للعلم ، وطول السعاية فيه ، ودوام العناية بجمعه ، والاستكثار من الحمل له ، والميل إلى التأويل ، والدخول به فيما خفي من النفس من الميل إلى الدنيا والركون إليها .

وهم أي المتأولون في ذلك على معان مختلفة : فمتأول متبين الإغماض والأغراض فيما استكنّ في خفايا نفسه ، فمضى فيه على ما عليه منه والعلم بنكته ، ولا يتركه في كثير من الأوقات ، ويستتر ذلك عليه في بعض أوقاته .

ومتأول قصد الصحة والتحقيق فيما تأوله ، ولحقه في ذلك الميل من حيث لم يستدركه ، وانطوى عليه ما عليه فيما قصد له ، وكان عنده أن الذي عمد له وتأوله أولى به من غيره ، فمضى على ذلك ، وهذا نعت حاله ، فكان مما قصد له في التأويل على معنى الصفة الأولى ، والتي تبين لصاحبها خفي أغماضه وطويّ ما في نفسه ، إذ جعل العلم ذريعة وسببا إلى ذلك ، فلبس حليته وتجمل بلبوسه ، وأظهر بالتأويل أثر العلم ، ودعا إليه ، ونصب نفسه للشهرة له ، ليعلم الناس ما علم منه ، فلما عرف موضعه ومكانه ، وسمع منه

وأقبل الناس عليه نحوه ، استحسن اجتماع العوام عليه وثناء الجاهلين بما ليس فيه ، فقوي عليه بذلك سلطان التأويل ، وأوهم نفسه حظ اجتماعهم ، وانبساط ثنائهم ، وكثرة تعظيمهم ، وحسن قبولهم له بما ظهر من نفسه وتحسن به مما يعلم الله تعالى منه خلاف ما أسره وأضمره .

فما استوى له ذلك عند العوام والجهلة ، وكثرة حمد الحامدين بالغلط والغفلة ، مال إلى ما في نفسه من أخذ العوض على ما نشر من علمه ، ورضي بما تعجله من ذلك ثوابا لعلمه ، وصار بائعا للعلم بالثمن اليسير والخطر القليل ، ورضي بالدنيا عوضا من الآخرة ، ومن ثواب الله تعالى على الأعمال الصالحة ، فأصبح في جملة من ذمه الله تعالى في كتابه وقص علينا من بيانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلّم قال الله عز وجلّ :وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ[آل عمران : 187] ،

وقال تعالى :فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ[الأعراف : 169] .

فذمّهم الله تعالى وقص علينا في كتابه ، وصرح بذلك إلى العقلاء من عباده ، وبينه بيانا محكما قويا لئلا يكون لمحتج في ذلك حجة ، ولا لقائل فيه مساغ ولا مدافعة .

ثم إن الله تعالى قص علينا قصص الأنبياء عليهم السلام ، وأخبرنا بما نعتهم به ، وبما أخذ عليهم من ترك الدنيا ، والتشمير إلى الآخرة ، وألا يأخذوا على شيء من ذلك ثمنا ،

ولا يريدون عليه أجرا ولأن حق العلم وحق تأديته إلى الخلق ، ألا يكون لشيء منه جزاء إلا ثواب الله عز وجل عليه ، والجنة التي جعلها دار من اتقاه وأطاعه ، وقال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلّم :قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ[ص : 86] ، وقال تعالى :قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى[الشورى : 23] .
وكذلك قصّ علينا في قصص الأنبياء عليهم السلام ، قول نوح :وَما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ[الشورى : 86] ،وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ[هود : 88] ، وقالإِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي[هود : 51] ، ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى .
وهذه سيرة الأنبياء عليهم السلام في الأمم ، وسيرة العلماء في الناس ، ألا يأخذوا على شيء من العلم ثمنا ، ولا يطلبوا على شيء مما يعلمون أجرا ، وسيما ما أخذه العلماء على العلم سحتا ، وسيما ما أخذه الربانيون والأحبار مع نهيهم عن ذلك ، فقال تعالى :لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ[المائدة : 63] ،
والأخبار في النهي عن ذلك كثيرة ، والاستقصاء في ذلك من الحجة يطول وصفه ، وقد تبين لك بعض ما فيه كفاية وبلاغ ، والله الموفق .
وأما الطوائف التي تأولت ، ورأت أن الذي تأولته هو الحق ، فإنهم قوم لحقهم الزلل من حيث غاب عنهم علم الحقيقة ، ونالهم من المشكلات التي لا تبين لأهلها إلا بعد التورط فيها والانغماس في مكروهها .
جعل القوم أئمتهم فيما تأولوه رجالا قلّت مناصحتهم لأنفسهم ، ولم يصادفوا صواب الحقيقة فيما عمدوه . قالوا : للخلق إلينا فيما علمناه أشد الحاجة ، وعلمنا إقامة الحق في سائر الخلق . فمن ذلك تقديم الأئمة ، والمشورة عنهم ، والتقوي بهم ، وكذلك الأمراء والرووساء وعظماء أبناء الدنيا . فجعلوا السعي إلى الخلفاء والأمراء والحكماء وعظماء أبناء الدنيا عملا لهم يحتسبون به ، ويؤملون ثوابه وجعلوه من أجلّ الأعمال ، وأعظمها قدرا ، وأوفرها عندهم ثوابا . فحملوا العلم إلى الخلفاء والأمراء وعظماء أبناء الدنيا . وطرقوا به أبوابهم ، وسعوا بما حملوه منه إلى من لم يطلبهم له ، ولم يدعهم إليه ، ولم يعرفهم به .
فلحقهم في أول الأمر ذل السعاية ، والتوسل إلى الحجاب ، ومهانة الوقوف على أبوابهم .
فمن بين مأذون له ومن بين مردود ، قد لحقتهم المذلة ، وعلتهم العقوبة ، ولبستهم الذلة ورجعوا بخضوع المذلة . فلم يزالوا كذلك في نصب الغدو والرواح ، وذلك سبب الهلكة والاجتياح ، حتى وصلوا إلى الذي قصدوا ، ونسوا الإله الذي عبدوا . وأوردتهم الغفلة

والنسيان موارد الأموات ، وغمرتهم كثرة العلل والآفات ، واتصلت بأبصارهم وقلوبهم فتنة ما أعد أبناء الدنيا لأنفسهم ، وآثروه على أمور آخرتهم ، من بهجة رونقها ، ونضرة زينتها ، ولوعة زهرتها .
واعلم أيها الباحث عن واجب العلم وشرفه ، والطالب للمصافاة بخالص الأعمال لسيده ، أن أقدام القوم عن مناهج الحقيقة انحرفت ، وأن قلوبهم على صحيح الإرادات ما استوت ، وأنهم مالوا بخفي ما في النفوس على جميل ما أظهروه ، وإلى محبة علم الخلق به وتعظيمهم عليه وإجلالهم من أجله . وأحبوا اجتماع الخلق عليهم ، وإشارتهم إليهم ، حتى تصوب آراؤهم ، وتصدق أقوالهم ، وتكبر غايتهم ، ويتصل الثناء لهم ، وإن قصر الخلق في شيء من ذلك عنهم كرهوا ، وإن لم يقع لهم ما يحبون غضبوا ، ولا تسل عن فرط الغضب منهم ، والرضا والتعتب منهم على من خالف مواقع الهوى . ووصفهم بكل ما هم فيه يطول به الشرح ، ويطول به الكلام ، وقد شرحت لك من وصفهم ما انبسط به لساني ، وأجري لك من نعتي وبياني ، وفي ذلك كفاية .
فالبس الآن أنت جلابيب الحذر ، وتدرع بأدرع الخوف ، وخذ على نفسك جنة التقوى ، وقم لله تعالى على نفسك بدوام الرعاية ، ودوام التفتيش ، وشدة المحاسبة ، وجودة التحصيل ، وصدق البحث ، وصل سرك مع ذلك بدوام الذكر وقوي الفكر . فكن ممن جاهد في الله عز وجل حق جهاده ، وممن أثنى الله تعالى عليه من صالحي عباده ، مع ما يقع لك من الوعد الجميل والثواب الجزيل .
قال الله تعالى عز وجلّ :وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت : 69]
، وقال الله تعالى :وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً[النساء : 66] . فهاتان آيتان موجبتان لمنالات الخير ، ووقوع الهداية والرشد فخذ بحظك الأوفر من العمل بهما ، واللزوم لما أمر الله تعالى فيهما .
وكن على حذر من موافقة شيء مما تقدم به النعت ، من ذلك التأويل وخطأ الرأي ، فإن ذلك مؤد إلى إحباط العمل وشدة الندامة في المنقلب .
قال له العالم : أيها الحكيم ، قد أتيت على الذي في نفسي ، وبلغت مدى ما كان يجول في صدري ، وزدت على ذلك من الوصف أشياء عرفت فضلها ، وانكشف لي صواب

العلم به . وأرجو أن يكون ذلك من فضل الله تعالى علي ورحمته لي ، وقد جعلك الله تعالى سببا لتنبهي على أمور ، لولا منة الله تعالى علي بك فيها ، لذهب بي التقصير عن العلم بها حيث ذهب بمن تقدم وصفك له ، فأوقفتني حقيقة علمك بها على زلله وخطأ رأيه . وقد أنعم الله علي بما أيدني به منك ، وعظم عندي قدر ما جعلك الله له أهلا ، وموضعا من شرحك لما تقدم من نعته ووصفه ، من أحوال الطبقات الثلاثة المتأولين ، وما وقع لهم من الخطأ في القصد والميل بالعمل إلى غير منهجه ، وإلى الانحراف فيه عن سواء السبيل .

وقد احتجت أن تصف لي مقام العاملين لله تعالى بحقيقة العلم ، والقائمين بحقه ، الصادقين فيما حملوا فيه ، وفيما قلدوه من تأديته ، الممدوحين بنشره ، وبما نقلوا إلى من دونهم منه ، والمحتسبين في تعليمهم الناس على صحة الإرادة ، وإصلاح النية ، وجميل السيرة ، واللذين لم تمل بهم الأطماع ولم يفتنهم الاختداع ، ولم تعرج بهم الأهواء ، ولم تسترقهم إرادات النفوس ، ولم تعطف بهم الدنيا ، ولم يجر عليهم الزلل والخطأ ، وكانوا في ذلك كله على صحة المعنى .

قال الحكيم : أبشر بما فتح الله تعالى لك من باب السؤال ، ويسرك له من صحة المقال ، فإن ذلك إن شاء الله تعالى سبب إلى ركوب الأعمال ، ومباشرة جميل الأفعال ، ومؤديا لما أؤمله لك إلى تمهيد صدقك . فأخلص لإرادة لله تعالى في حقيقة قصدك ، واجعل توسلك إلى الحكمة ، واستدعائك لما تحب منها ، تحصين سرك من العلل المانعة عنها ، وأصلح الضمير بإجمامه لما يجب لها . فإن الحكمة لمن اشتملت عليه فيها الرغبة ، واستولت على خالص سره المحبة ، وأشد عطفا وحنينا وميلا منا للأم الشفيقة ، والأب الرفيق .

وكأني مع ذلك أرى سحابا من العلم غدقة منبسطة عليك ، مونقة قد أظلك غمامها ، وقويت لك الآمال باستتمامها . فاستمطر الغيث الكائن فيها ، بدوام الوقوف بحضرة فنائها ، وأدم الاستغاثة بمنزل الغيث ، ومنشر السحاب ، وكاشف الضر ومعتق الرقاب ، واعلم أنه جل ثناؤه يحيي بقطرة من غيث رحمته ، موات ما أنزلها عليه بريته . فتحرى طلب الحياة تكون السقيا ، فإن أوائل تلك الغمام توجدك الشفا ، وإن غدق ما بها يغسل عن سرك الميل إلى الدنيا ، ومباشرته بجسمك يغسل عنك سائر الأدواء ، وذوقك لسائغ طعمه يميت من نفسك الهوى .

واعلم أن الله تعالى إذا أراد عبدا سهل له السبيل ، ووطأ له التثقيل ، وأسرع به في

الترحيل ، وبلغه المنزل الفضيل ، ومنحه الحظ الجزيل . وإني أؤملك من الذي عرضك لنجاح السؤال ، وصحيح القصد في المقال ، أن يبلغك بفضله عليك ورحمته إياك منازل المنتجين من أوليائه والأصفياء المستخلصين من عباده .
وأنا واصف لك إن شاء الله تعالى ما سألت عنه من نعت أهل الحقائق من أهل العلم ، العاملين به ، والصادقين في القصد إليه ، المجتهدين في إقامة حقه ، المريدين للعلم لما وجب عليهم منه ، الذين لم تفتنهم فيما قصدوه أطماع الدنيا ، ولم تمل بهم عن الأخذ بحقيق ، ولم يستفزهم الغواة من الأعداء ،أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[المجادلة : 22] .
اعلم أن أول ما أوتي المحققين من أهل العلم من العمل في أول الطلب إصلاح النية ، وصحة المراد ، والموافقة فيه للنفوس فيما بدا من إرادة الطلب ، فلم يبيحوا أقدامهم السعي ولم يتحركوا في ذلك بالجوارح ، إلا من بعد ما أحكم جميل النظر لهم بالانبساط فيه فسعوا فيه على أصل ما أدبهم العلم به في أول الأمر ، ومضوا على صحبة الحال وشهادة العلم بذلك .
وألزم صحة ما يبدو به الحق قلوبهم المحققين من أهل العلم ، والإشفاق والحذر والتقية .
فضمهم وجود ذلك ، وألزمهم حصر الجوارح وضبط السرائر ودوام الصمت ، وخافوا مع ذلك أن يكونوا قد قصروا عن واجب حق السعي في طلب العلم ، واشتد تحصيلهم على النفوس ، وصحبتهم جميل الذكر ، ودوام الفكر في مواطن السعي ، فحماهم ذلك عن الانبساط عن معاشرة الطالبين له ، والساعين معهم فيه ، فكانوا بحال والحاضرين معهم بحال ،
كلما بدا من غيرهم لغو أعرضوا ، وكلما بدا من سواهم غفلة أو لعب خافوا وحذروا ، وكلما ظهر لهم من غيرهم مزعج يجري إلى تأكيد حالهم ، وتشديد ضبطهم لما عليهم يدعون لمن حضرهم بالسلامة ، ويحبون لهم الصلاح والاستقامة .
لا يؤذون الناس ، ولا يحقرونهم ، ولا يغتابونهم ، ولا يذمونهم ، بل يشفقون عليهم إذا رأوا منهم الزلل ، ويدعون لهم إذا بدا منهم الخلل ، يعرفون المنكر وينكرونه ويتجنبونه ، ويعرفون المعروف ويحبونه ويستعملونه ، ولا يزدرون المقصرين لكثرة وجوده ، ولا يغمصون من دونهم لما به من حالهم حمدوه ، بل يعرفون ذلك بدلالة العلم عليه ، ولا يخفى عليهم من القوم ما نسبهم الحق إليه . فصواب ذلك وخطؤه لهم بالعلم مميز ، والسلامة من رؤية مكروه ذلك لهم صاحب ، وفيها ألزمهم الإشفاق والتقوى شاغل ، ولهم على طلب العلم مقبل .

ألسنتهم بحمد ربهم عند سماع العلم ناطقة ، وقولهم إلى اعتقاد العمل به مبادرة ، وآذانهم بحسن الإصغاء إليه سامعة وأبدانهم بالخدمة لله تعالى ساعية ، أحسنوا على جميل السيرة جمعه ، وبالوفاء بفضل الله تعالى عليهم فهمه ، ولم يزالوا بدوام السعي إليه ، وشدة الإقبال عليه ،
وبكثرة اللزوم لمن العلم حاضر لديه ، حتى أخذوا منه بالخط الأوفر والنصيب الأكبر ، فلما بلغوا منه إلى ما به يستعينون ، وغاية ما إليه يحتاجون ، وبحقائقه في سائر الأوقات يعملون ، رجعوا إلى تفتيش ما كتبوا ، وإلى البحث عما منه طلبوا ، فكان ذلك مانعا لهم من السعاية ، جامعا لهم إلى الخلوة بالعبادة .
ووقفت بالناس إليهم الحاجة ، وعرف موضعهم بحمل الإرادة ، وعرفت أماكنهم من العلم ، وشرفت أحوالهم من الفضل ، وانبسط ذلك ونشأ ، وظهر ذلك وبدا .
فمن بين خال بعلمه ، متشاغل عن الخليقة بعبادته ، مؤثر للعمل فيما فتح الله تعالى عليه منه ، ولا يريد بإدامة الخدمة لله تعالى بدلا ، ولا بالخلوة بما فتح الله تعالى له من ذلك حولا .
ومن بين من حضرته في نشره العلم النية ، وقويت له على تعليمه العزيمة ، وسنحت له في ذلك رؤية الفضيلة ، فانبسط في نشر العلم محتسبا ، وكان في العمل من الله تعالى بذلك مخلصا ، يرغب إلى الله عز وجل في جميل الثواب ويؤمل من الله تعالى جميل العائدة في المآب ، مصحوبا في ذلك بمصادفة الصواب .
إذا قال ، نطق بقوة العلم . وإذا سكت ، سكت بوقار الحلم . وإذا قصد إلى البيان ، قرب منال الفهم .
وإذا كثروا عليه أحب نفعهم ، وإذا تفرقوا عنه نصحهم يؤدي إليهم ما حمل من العلم بلسان فصيح وبيان صحيح ، بقلب نصوح وقول صدوق ، ولا يعجل على من جهل ، ولا يكافئ من زل وأخطأ ، ولا يوافق بالمراءاة أحدا .
يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويحسن من أساء إليه ويتجاوز عمن يتعدى عليه ، ولا يريد على شيء من أعماله من الخلق أجرا ، ولا يميل إلى مدحة ولا ثناء ، يجتهد لله تعالى في إخلاص أعماله ، ويريد وجهه بجميل أفعاله .
لا يقبل الدنيا ممن يبذلها له ، ولا يعارج على من انبسط بها إليه . يضع الدنيا حيث وضعها خالقه ، ويغنيه منها ما قسمه له رازقه . لا يشغل منها بما يزول ، ولا يعمل فيها بما لا يدوم . منصرف بقلبه عن زينتها ، منحرف عن كل ما دعي إليه من بهجة رونقها . يكفيه

ما قل وصفا ، ويجزيه ما سلم واستوى . يقف منها عند الشبهات وينصرف عن الأمور المشكلات بل هو للحلال البين تارك ، وفي الأخذ لم لا بد له منه مقتصد . قد آثر فيها وفي كل ما دعي إليه الزهادة ، ولزوم الكد والعبادة .
يرحم من مال برغبته إليها ويرثى لمن أقبل بطلبه عليها لا يراها حظّا لمن طلبها ، ولا ثمنا لسعي من اشتعل بها ، ينظر إليها بعين زوالها ، وبقرب انتقالها . فهذا محل الدنيا عنده ، ومكانها في العلم بها لديه .
وهو مع ما وصفته لك دائم العزلة ، كثير الخلوة ، متصل الجد والخدمة . يجد راحة قلبه ، وقرة عينه ، وسرور فؤاده ، فيما خلص من صالح العمل على سيده ، وأمل عائدة ثوابه في معاده . فإذا ظهر للناس في وقت اجتماعهم عليه ، وطلبهم للعلم العتيد لديه ، ظهر بجميل النية وصحيح الإرادة .
فكان ذلك عنده بعض الأعمال المقربة الصالحة ، فهو لا يخلو من حال هو بها في الخلوة متعبدا ، وإلى الله تعالى فيما يقرب إليه مجتهدا ، ومن حاله أن تكون قد حضرته النية . ويبرز للخلق فيكون لعلمه ناشرا ، ولهم مما علمه الله تعالى معلما .
والوجل والخوف من الله عز وجلّ في أحواله ، والحذر والإشفاق دائما لا يفارقه ، يقوم بشرائط علمه ، ويعدل في قوله وحكمه .
هو من أقوم الناس بالأحكام ، وأعلمهم بالحلال والحرام ، وأبصرهم بشرائع الإسلام . يقع على آثار المرسلين ، ويتبع سنن الأنبياء والصالحين . لا يميل إلى بدعة ، ولا يقصر عن الأخذ بالسنة ، بعلم بارع محكم قويّ ، وحال واضح بيّن مستو متوسط بجميع المذاهب ، متحرّ لأقوم الآراء ، لا يميل إلى الكلام ، ولا يخطر به منه اهتمام ، لا يطعن على الأئمة ولا يذمها ، ويجب لها من الصلاح ما يعمها .
يرى السمع والطاعة ، ولا ينزع يدا من جماعة يرى أن الخروج على الأئمة من فعل الجهلة الفاسقين ، والغواة المارقين ، والذين يريدون الفتن ، ويبتغون الفساد في الأرض .
أولئك العداة والفساق ، والظلمة المرّاق ، الذين سلكوا غير سبيل الهدى ، واستصحبوا الغواية والردى ، ومالوا بالفتنة إلى الدنيا ، وقد رفع الله عز وجل عن ذلك أقدار العلماء ، وجعلهم أئمة هداة نصحاء أخيارا أبرارا أتقياء ، خلصاء سعداء نجباء ، وسادة أجلة عظماء ، حلماء كرماء أولياء جعلهم الله أعلاما من الحق منشورة ومنارا للهدى منصوبة ، ومناهج للبرية مضروبة .
أولئك علماء المسلمين ، وأمناء المؤمنين ، وأجلة المتقين . فبهم في نوائب الدين يقتدى ، وبنورهم في ظلمات الجهل يهتدى ، وبضياء علمهم في الظلماء يستضاء . جعلهم

الله عز وجل رحمة لعباده ، وبركة على من شاء من بريته يعلم بهم الجاهل ، ويذكر بهم الغافل ، ويرشد بهم السائل ، ويعطي بهم النائل ، ويزيد بهم العامل ، ويبلغ بهم إلى المحل الفاضل ، ويحث بهم الراحل ، ويمكن بهم القوي الكامل .
أولئك الذين عمّروا بالذكر لله تعالى أعمارهم ، وقطعوا بالعمل الفاضل الذكي آجالهم ، وبقوا بذلك للخليقة محمودة آثارهم ، ووضحت للبرية ضياء أنوارهم ، فمن اقتبس من سنا نورهم استضاء ، ومن قفا على آثارهم اهتدى ، ومن اتبع سير ما هم عليه سعد ، ولم يشق .
أحياهم الله تعالى حياة دائمة ويتوفاهم وفاة سالمة . وأنسوا بما قدموا به إلى الآخرة ، جعل الله خواتم أمورهم أفضلها ، وأحوالهم التي قبضوا عليها أجملها .
وبعد ، أيها السائل عن نعت المحققين ، من العلماء العاملين بالعلم في مدة البقاء ، فقد وصفت لك بعض أحوالهم ، ونعت لك كثيرا من جميل أفعالهم ، ولو أردت بلوغ الاستقصاء لوصفهم ، وذكر ما يستحقونه من نعتهم ، لطال بذلك كتابي ، واتسع به جوابي ، وفيما أجرى الله تعالى ذكره من ذلك كفاية لمن اهتدى ، وبلاغا لمن عمل بما هو أولى .
قال العالم للحكيم : أيها الأستاذ العطوف الرحيم ، والمعلم الناصح الحكيم لقد أزعجت بوصفك للقوم قلبي ، وملأت بالخيفة صدري ، وعرفت بذلك موضعي وقدري ، وخفت أن يعجز عن حمل ما عرفته صبري ، لما بينته من شدة تقصيري ، ودوام تخلفي ، فاحتقرت عند المعرفة نفسي ، وأيقنت بليتي ونقصي .
فكيف لي بما أكون به من ذل التخلف خارجا ، وعن مذموم أخلاق نفس راحلا وفي أوائل طريق القوم داخلا ، فإني أرى الوقوف عن ذلك مأثما ، والبقاء مع الحال التي أنا عليها مغرما .
قال له الحكيم : لقد سألت عن شأن عظيم ، وأمر عال جسيم ، يسهل على العالمين بفضله ، وركوب الأهوال في طلبه ، وحمل الأثقال ، والتغرّب من الأوطان ، والخروج عن الأموال ، وقلّ من قويت فيما عند الله تعالى رغبته ، وإلا سهل عليه بذل بدنه ومهجته ، ولم يعظم عليه شيء في بلوغ بغيته .
فكن أيها السائل عن منازل النجباء ، ودرجات العلماء ، وأحوال الأئمة العظماء ، المقفين على آثار الأنبياء ، على ترك لكل سبب عن منهاج القوم يعطفك عن سبيل الهداية والرشد ويمنعك .
فكن إلى الله تعالى راغبا فيما إليه يرفعك ، واعلم أن ملاحظتك بالرغبة إلى ما قل من الدنيا أو كثر ، حجاب لك عن

الآخرة ، وعلة على ملامحتك في حين نفاذ البصيرة . فنح عن ملاحظة الضمير ما يورثك رؤيته النقص والتقصير ، وصف الضمائر ، وطهر السرائر ، بتجريد الاعتزام ، وإجمام الاهتمام ، تفردا منك بما له قصدت ، وفي إدراكه رغبت ، فإن في إصلاحك لما بطن من سرك ، إحكام لما علن وظهر من جهرك . فإيّاك أن تميل إلى شيء وإن قل خطره ، فيميل بك عن محمود وضح لك أمره . فإن أغبن الغبناء من باع كثير ما يبقى ، بقليل ما يفنى ، ومن شغل نفسه عن أمور الآخرة بأمور الدنيا .
واجعل أيها الرجل الطالب لفضل الأحوال والمذاهب ، وأول ما تبدأ من عملك ، وتقرب بفعله إلى ربك ، الزهد في الدنيا ، والإعراض عن كل ما مالت إليه النفس من قليل أو كثير .
فإن قليل ما ملت له إليها ، يأخذ من سرك ، ويشغل من قلبك ويعترض على ذكرك . وعلى قدر قوة ما معك من مواد القليل منها وضعفه ، كذلك تكون قوة المعترض منه وضعفه ، وعلى حسب الواقع من ذلك يحتجب عنك فهم ما قصدت الهمة ، وإنما تؤثر الأعمال وتحصن القلوب ، إذا انقطعت عوارض الدنيا عنها ، فإذا اعترض منها شيء وإن قل ، فهو المراد والعمل معا ، وكان ذلك يبعد المحاضر والأفهام ، ويوقف الحال عن لحوق الاستتمام .
فاحذر ما عاطفك منها ، ومال بك وإن قل قدره إليها ، تخلص بتخلصك من ذلك إلى سوي الحال والفعل والمقال .
فقال له العالم : وضعت لنصحك خدي ، وجمعت له همي ، وفرغت له قلبي وتبينت فيه رشدي ، وقد أملت برشد هدايتك ، وحقيقة دعايتك ، وصدق مناصحتك ، أن يبلغني الله تعالى إلى كل ما أؤمله وغاية ما أطلبه .
وقد رأيت ينابيع الحكمة الجارية من مكنون سرك على لسانك ، واصلة إلي ببعض ما تقصدني به وقد ذقت سائغا من مائه ، فأوجدني انتعاش تبينه محبة نفعك لي به ، فزدني منه ما تقوي به الحياة الباعثة لي ، من موت ما مضى من الحال ، إلى مستقبل ما وقع من الانتقال ، فإني لم أجد شيئا أرجع به فيك إلى الله تعالى ، إلا مناجاتي له بجميل مجازاتك عني ، ومكافأته لك بما هو له أهل وأولى .
وبعد إيقاظك لي أيها الحكيم من رقدة الغفلة ، وإنباهك لي من وسن السهو والسنة فقد وجدت استقلالا إلى استدراك الفهم عنك ، يحملني ما وجدت منه إلى العمل ببعضه ، ووجدت مطالعات ما بقي على من التقصير ، يزجرني عن الوقوف عنها لمحكم بيان وعلم إيقان .
فإما ما بين ما سنح من تيسير الله تعالى للعلم ، وبين ما نبه العلم عليه من النهوض إلى ما بقي . . . .

* * *

رسالة الجنيد إلى أبي إسحاق المارستاني « 1 »

يا أبا إسحاق لا ضيع الله ميلي إليك ، ولا إقبالي عليك ، وأنا عليك عاتب واجد ، ولما تقدّم من فعلك غير حامد . أرضيت أن تكون لبعض عبيد الدنيا عبدا ؟
أو يكون بطاعاتك له عليك مهيمنا وربّا ؟
يتخولك ببعض ما يعطيك ، ويمتهنك بيسير ما يزريك ، مبتذلا لك .
ثم يدنسك بأوساخ وضره ، ويجتذبك بمأثور ضرره ؟
فسبحان من بسط إليك به رحمته ورأفته ، فاستنقذك بذلك من وبال ما اخترته لنفسك وملت إليه ! لقد كدت أن تغرق في خلجان بحرها ، أو تهلك في بعض مفاوزها ، لقد أوجب عليّ من الشكر لما جدّد من النعمة عليك ، ووهب لي من السلامة فيك ، ما لا أقوم به عجزا عن واجب حقه إلا يقوم به لي عني .
وأنا أسأل المنان المتطول بفضله ، المبتدي بكرمه وامتنانه ، أن يقوم لي عني بما قصر له به شكري ، بادئا في ذلك بالحمد والجود كما هو أهله ، بل ما لا أحصيه من نعمه .
فليت شعري أبا إسحاق ! كيف معرفتك بما جدد لك من نعمه وآلائه ، وزوى عنك من عطب فرط بلائك ، وكيف علمك بعد معرفتك ، فيما ألزمك المنعم عليك ، والمنّان بفضله وإحسانه فيما أسدى إليك ؟
ألك ليل ترقده ، أم نهار تمهده ، أم مستراح عن الجد تجده ، أم طعام تعهده ، أم سبب من الأسباب دون ذلك تقصده ؟
على أن ذلك غير نائب عنك في وجوب حق النعمة عليك ، فيما جدد به من عتيد البر لديك ، لكنه الغاية الممكنة من فعلك ، والاجتهاد في بلوغ الأجر من عملك .
فكن له بأفضل ما هيّأ لك عاملا ، وعليه به في سائر أوقاتك مقبلا ، ثم كن له بعد ذلك خاضعا مذعنا ضارعا معترفا ، فإن ذلك يسير من كثير وجب له عليك .
وبعد يا أخي فاحذر ميل التأويل عن الحقائق ، وخذ لنفسك بأحكم الوثائق .
فإن التأويل كالصّفاة الزلال ، الذي لا تثبت عليه الأقدام . وإنما هلك من هلك من المنسوبين إلى العلم ، والمشار إليهم بالفضل ، بالميل إلى خطأ التأويل ، واستيلاء ذلك على عقولهم ، وهم في ذلك على وجوه شتى .
وإني أعيذك بالله وأستعينه لك وأعيذك به من ذلك كله ، وأسأله أن يجعل عليك جنة من جنته ، وواقية من واقيته وإحسانه .

....
(1) من نشرة عبد القادر عن المخطوط رقم (227) ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (10 / 276) .

يا أخي كيف أنت في ترك مواصلة من عرّضك للتقصير ، ودعاك إلى النقص والفتور ، وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك ، وكيف إعراض سرّك ونبوّ قلبك وعزوف ضميرك عنه .
حقيق عليك على ما وهبه الله لك ، وخصك به من العلم الجليل والمنزل الشريف أن تكون عن المقبلين على الدّنيا معرضا ، وأن تكون لهم بسرّك وجهرك قاليا ، وأن تكون لهم في بلائهم إلى الله شافعا ، فذلك بعض حقك لك .
وحريّ بك أن تكون للمذنبين ذائدا ، وأن تكون لهم بفهم الخطاب على الله رائدا وفي استنقاذهم وافدا ، فتلك حقائق العلماء ، وأماكن الحكماء ، وأحب الخلق إلى الله انفعهم لعياله ، وأعمهم نفعا لجملة خلقه .
جعلنا الله وإياك من أخص من أخصه بالإخلاص إليه ، وأقربهم في محل الزلفى لديه .
أيحسن بالعاقل اللبيب ، والفهم الأديب ، الطالب المطلوب المحب المحبوب ، المكلأ المعلم ، المزلّف المقرّب ، المجالس المؤانس ، أن يعير الدنيا طرفة ، أو يوافقها بلحظة ؟ !
وقد سمع سيده ومولاه وهو يقول لأجلّ أصفيائه وسيد رسله وأنبيائه :وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ[طه : 131] ،
أفشاهد أنت لفهم الخطاب ، وإمكان ردّ الجواب ؟ فترك حظه من الله مما فاته ، ومصافاته ومكافأته ، ومكانه منه وموالاته ، أن يوادّ من لا يوادّه أو يألف من لا يوافقه .
غضّ يا أخي بصر سرّك ، وبصيرة قلبك عن الإيماء إلى النظر إليهم ، دون المواصلة لهم ، وصن بالمضمون من ضميرك عن أن يكون بالقوم مؤالف .
فوالله لا والى الله من يحادّه ، ولا أقبل على من يبغضه ، ولا عظّم من يعظم ما صغره وقلله إلا أن ينزع عن ذلك . فكن من ذلك على يقين ، وكن لأماكن من أعرض عن الحق مستهينا .
وبعد يا أخي فتفضل باحتمالي إن غلظ عليك مقالي ، وتجشم الصبر على أن يوافق قلبك ما في كتابي ، فإن المناصحة والمفاصحة خير من الإغضاء عن المتاركة ، وإني أختم كتابي واستدعي جوابي بقوله :الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ[الأعراف : 43] .
وصلّى الله على سيدنا محمّد المصطفى وعلى آله وسلّم تسليما كثيرا .

رسالة الجنيد إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي « 1 »

كشف الحقّ لك عن حقيقة أنبائه ، وتولاك بعظيم مننه وآلائه ، وتضمّنك في ضمه إياك إلى سوابغ نعمائه ، وجرت النعم عليك برفعه لك إليه وإعلائه لك ، فكنت بحيث لا تكون لك إليه سببا ، بل تكون بما يوجد به منك منتسبا .

قد أخلصك بما اصطفاك له من خلصاء صفوته ، وأوحدك بالانتحال ممن خصّه بولايته وتخيّرك بالاجتباء من كبراء أهل مودته ، والذين آثرهم بالاصطفاء لعظيم خلّته .

فكانت أوائل أقدامهم كبراء أهل المودة المصطفين للخلّة المجردة لديه ، الموضوعة على مناهج الورود عليه ، والنزوع عمّا دونه إليه ، فسبقت إليه به كل سابق ، وسمت إليه وحده عن سنيّات المطالب ، على أنوار فواتح البذل ، تخرّ الأنوار عليهم خريرا ، وتدرّ بمنائح الفضال عليهم درورا ، بسكب غيث هاطل منهمل ، ومدرار غلف بغرائب البر متصل ، يذهل ببوادي وروده عقول من لاحظه به ، ويبهر بأوائل شهوده من أراده له .

فإلى أين ، وبماذا يتخطى ذلك قلوب المكرمين به ، وكيف ، وأنى تتحاماه عقول المصادفين له ؟ !

وذلك لا يكون بفعل مكون وإن كان مكرما ، ولا ينفذ عنه بتخطيه سر ولي وإن كان ممكنا ، ولن يحمل ذلك عن أهل مجالسه وأنسه إلا الحامل بقوته وقدرته حملة عرشه ، فهو تعالى ولي المحاماة عمن اصطنعه لنفسه .

فعند ذلك إذا أراد تعالى ذلك دعا الخلق إلى إخلاص ذكره ، وأقبل بمن تفرد به عليه ، واوى بمن استأثر بمكنون سره إليه ، فكان ما جمعه لأهل الزلفى لديه والمقربين عنده لهم تبعا ، وسائر أوليائه فيما عاطفوا من ذلك شيعا .

لهم منه ما بذله من عظيم عطائه ، وجاد به من جليل مننه وآلائه ، فذلك حظهم المبذول ، وعطاؤهم الدائم الموصول . وذلك كله على عظيم قدره وجليل ما خصهم الله تعالى به من نفيس بره ، حجاب عما أخلص به المنفردين بخالص ذكره ، مع حقيقة وجود ذلك ، والكون بالنزول فيما هنالك يبدو أوائل علم من تفرّد به ، وأراده بالاختصاص لما يوجد له .

ولن يصلح لمعاينة ذلك عين بقيت عليها منها بقية ، ولن يلامح ذلك طرف مواقع لرزيّة ، جعلنا الله وإياك يا أخي ممن اصطنعه لنفسه ، واستأثر به عمن دونه كتابي إليك يا أخي ، وسبل الحق مسهلة المناهج ، وطرق الرشد زاهرة قد وطئت بالتمهيد لأقدام

....

(1) من نشرة عبد القادر عن المخطوط رقم (227) .

السالكين ، وفسحت بالتوسعة لسير الطالبين ، وزينت ببهجات الأنوار لقلوب الراغبين ، وهو مع ذلك لقلة القاصدين إليها ، ولقلة السائرين بالصدق عليها ، كالعشار المتعطلة ، والمواطن القفار الخربة ، ليس لها على ما عظم الله من قدرها ، ووعد من جزيل الثواب على سلوكها ، من أكثر الناس عامر ، ولا في عظيم خطرها من الخلق راغب .
وإني أرى العلم ، مع كثرة منتحليه وانتشار طالبيه بقلة صدقهم في قصده ، وتركهم العمل بواجب حقه ، كالعازب المتغرب البعيد المنفرد ، ورأى الجهل والدعاوي على كثير من الناس غالبا ، وقلة العلم للمنتحلين للعمل بينة .
وأرى هموم أكثر الخليقة على الدنيا عاكفة ، ولما تعجل من حطامها طالبة ، ولقليل ما تعجل منها مؤثرة ، وقد انكفّت العقول والقلوب بالانكباب على طلبها ، وانصرفت إلى الرغبة في القليل منها . وأراهم بسوء المراد ، وكثرة الفساد ، وقلة العمل للمعاد ، في غمرة سكرتها ، وحيرة هوالك ما استولى عليهم منها ، ليس فيهم لغلبة ذلك عليهم مفيق ، ولا راجع إليك إن وعظته بتحقيق ، قد اشتملت عليهم الفتنة بالعاجلة فتحيرت عقولهم عن أمور الآجلة .
والخلق يا أخي إذا كانوا كذلك أشد الحاجة إلى عالم رفيق ، ومؤدّب مناصح شفيق ، وواعظ يدلهم على الطريق ، وأنت يا أخي رضي الله عنك بقية ممن مضى ، وأحد يشار إليه من العلماء ، وجليل من أكابر الحكماء .
وقد علمت رضي الله عنك أن الله عزّ وجلّ قد أخذ الميثاق على أهل معرفته ، وأولى العلم به الذين آثرهم بكتابه ، وفتح لهم في الفهم عنه ، وخصهم بما استخلصهم به من تبيان ، وقلدهم من عظيم أماناته ، أن يبينوه للناس ولا يكتموه ،
وقال جلّ ثناؤه :وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ[آل عمران : 187] ، وقال جلّ ثناؤه :وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ[المائدة : 44] ، وقال جل ثناؤه :لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ[المائدة : 63] .
وأنت يا أخي أحد من بقي ممن قلّد من ذلك ما قلدوه ، وعرف من أبناء الحكم بعض ما عرفوه .
وعليك عندي تبيان ما وهبه الله جل ثناؤه لك ، والقول بعظيم ما أنعم به عليك .
فاعدل رضي الله عنك إلى المريدين بهمك ، وأقبل عليهم بوجهك ، وانصرف إليهم بحجتك ، واعطف عليهم بفضلك ، وأثّر على غيرهم بدلالتك ، وجميل دعايتك ، وابذل لهم منافعهم من علمك ومكين معرفتك ، وكن معهم في ليلك ، ونهارك ، وخصهم بما عاد به

عليك ولك ، فذلك حق القوم منك ، وحظهم مما وجب لهم عليك . أما سمعت الله عزّ وجلّ ثناؤه وذكره ، وهو يقول لأعظم خلقه عنده قدرا ، وأعلاهم لديه منزلا :وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً[الكهف : 28] .

فهذه وصية الله جلّ ثناؤه لنبيه المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى .

يا أخي رضي الله عنك لم أنبهكم على حظ كنت عنه غافلا ، ولا على أمر رأيتك عنه مقصّرا ، وأعيذك بالله من كل هفوة وتقصير ، وعن كل نقص وفتور ، لكن الله عز وجلّ يقول :وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ[الذاريات : 55] ،

وقد بدأتك بكتابي هذا متوسلا به على مواصلتك ، ومستزيدا به من إقبالك على ومؤانستك ، ومتسببا إلى مكاتبتك ، فكن حيث منك ، وزدني فيما رغبت فيه إليك .

جعلك الله سببا لنفع إخوانك .

ومع ذلك يا أخي هديت لرشدك ، فقد سنح لي شيء أريد أن أقوله ، بدأت بنفسي فيه قبلك ، وأحب أن أكون فيه تبعا بعدك ، وأقدم مع ذلك الاعتذار إليك ، إن لم يقع مقبولا لديك ، فخذه إن كان له في الحق موضعا ، وكن له على المناصحة مستمعا ، فهو لك مني على المناصحة مبذول ، وإن رددته عليّ فهو لدي مقبول .

يا أخي رضي الله عنك كن على علم بأهل دهرك ، ومعرفتك بأهل وقتك وعصرك ، وابدأ في ذلك أولا بنفسك ، وكن عاطفا بعد إحكامك فيه بحالك .

* * *

الرسالة الرابعة

من الجنيد إلى يحيى بن معاذ الرازي « 1 »

1 - لا غبت بك عن شاهدك ، ولا غاب شاهدك بك عنك . ولا حلت بتحويلك عن حالك ، ولا حال حالك بتحويله عنك . ولا بنت عن حقيقة أنبائك ، ولا بانت أنباؤك بغيبة الأنباء منك .

ولا زلت في الأزل شاهد الأزل في أزليّتك ، ولا زال الأزل يكون لك مؤيدا لما زال منك .

فكنت بحيث كنت ، كما لم تكن ثم كنت ، بفردانيّتك متوحدا وبوحدانيتك مؤيدا ، بلا شاهد من الشواهد يشهدك .

ولا غبت لدي الغيب من الغيب

....

(1) من نشرة عبد القادر عن المخطوط رقم (227) ، اللمع للسراج الطوسي (ص 434) .

بغيبتك ، فأين ما لا أين لأينه ، إذ مؤيّن الأيّنات مبيد لما أيّنه ، وإذ الإبادة مبادة في تأييد مبيد الإبادات ، وإذ الاجتماع فيما تفرق ، والتفريق فيما جمع ، فرق في جمع جمعه ، وإذا الجمع بالجمع للجمع جمع فيما جمعه .

2 - ثم أدمس شاهده الاندماس ، وأرمس مرمسه في غيب غافر الارتماس ، وأخفى في إخفائه عن إخفائه ، ثم قطع النسبة عن الإشارة إليه وعن الإيماء بما تفرد له منه به .

* * *

رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه « 1 »

صفا لك من الماجد الجواد جميل ما أولاك . وأخلصك بما خصّك به وحباك . وكشف لك عن حقيقة ما به بداك . وآثرك بما استأثر به عمّن سواك . وقرّبك في الزلفى لديه وأدناك . وبسطك بالتأنيس في محل قربه وناجاك .

وانتجبك بجميل أمره وصافاك .

وأيّدك في عظيم تلك المواطن وقريب تلك الأماكن بالقوّة والتمكين والهدوء والدّعة والتسكين ؛ لئلا تقوى عليك البداءة الواردة ، والأنباء الغريبة القاصدة .

فيلزمك لقوة ذلك عليك في ابتداء خلوصه إبهات الذّهل لما لا يجد لما لا يقال منه محتمل .

فكيف يحتمل ذلك ، أوتقف العقول بضبط ما هنالك ، إن لم يمسكها بالكلاية ، ويكتنف سرائرها بالرّعاية ؟ !

فأين أنت ؟ ! وقد أقبل بك كلّك عليه ، وأقبل بما يريده منك لديه . وقد بسط لك في استماع الخطاب ، وبسطك إلى رد الجواب .

فأنت حينئذ يقال لك وأنت قائل ، وأنت مسؤول عن أنبائك وأنت مساءل ، في درر الفرائد ، وترادف الشواهد ، بدوام الزوائد ، واتّصال الفوائد ، تهطل بعزّ من المجيد عليك من كلّ جانب .

فلو لا إحلاله عليك النعمة وتمسيكه لقلبك بالسكينة لذهلت عند كون ذلك القلوب ، ولتمزقت عند حضوره العقول .

لكنه جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه جاد بالفضل على من أخلصه ، وعاد بالعطف على من اصطنعه .

فحمل عنهم ما تحمّله إياه ، وحملوا ما أراده لهم ، وتفضّل به من إدراكهم له .

جعلنا الله وإيّاك من أقرب أوليائه لديه منزلا ؛ إن ربّي سميع قريب .

* * *

....

(1) من نشره عبد القادر ، عن المخطوط (226) .

من الجنيد إلى أبي العباس الدينوري « 1 »

من استخلصه الحق بمفرد ذكره وصافاه يكون له وليا منتخبا مكرما مواصلا ، يورثه غرائب الأنباء ويزيده في التقريب زلفى ، ويثبته في محاضر النجوى ، ويصطنعه للخلّة والاصطفاء ويرفعه إلى الغاية القصوى ، ويبلغه في الرفعة إلى منتهى ، ويشرف به ذروة الذرى ، على مواطن الرشد والهدى ، وعلى درجات البررة الأتقياء ، وعلى منازل الصفوة والأولياء .

فيكون كله منتظما ، وعليه بالتمكين محتويا ، وبأنبائه خبيرا عالما . وعليه بالقوة والاستظهار حاكما ، وبإرشاد الطالبين له إليه قائما ، وعليهم بالفوائد والعوائد والمنافع دائما ، ولما نصب له الأئمة من الرعاية لديه به لازما .

وذلك إمام الهداة السفراء ، والعظماء الأجلّة الكبراء ، الذين جعلهم للدين عمدا ، وللأرض أوتادا .

جعلنا الله وإيّاك من أرفعهم لديه قدرا ، وأعظمهم في محل عزّه أمرا ؛ إن ربّي قريب سميع .

* * *

رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه « 2 »

الحمد لله الذي استخلص لنفسه صفوة من خلقه ، وخصّهم بالعلم والمعرفة به ، فاستعملهم بأحب الأعمال إليه ، وأقربها من الزلفى لديه ، وبلّغهم من ذلك الغاية القصوى والذّروة المتناهية العليا ، وبعد :

فإني أوصيك بترك الالتفات إلى كلّ حال ماضية ؛ فإن الالتفات إلى ما مضى شغل عمّا يأتي من الحالة الكائنة . وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة ، وبترك المنازلة لها ، بجولان الهمّة لملتقى المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده ، ونسق ذكر موجوده . فإنّك إذا كنت هكذا ، كنت تذكر من هو أولى ، ولا تضرّك رؤية الأشياء . وأوصيك بتجريد الهم ، وتفريد الذكر ، ومخالصة الرب بذلك كله . واعمل على تخليص همّك من همّك لهمّك ، واطلب الخالص من ذكر الله جلّ ثناؤه بقلبك ، وكن حيث يراك لما يراد لك ، ولا تكن حيث يراد لك لما تريد لنفسك .

واعمل على محو شاهدك من شاهدك ، حتى يكون الشاهد عليك شاهدا لك بما خلص

....

(1) النص من الحلية (10 / 265) .

(2) النص من الحلية (10 / 279) .

من شاهدك . واعلم أنه إن كنت كلّك له كان لك بكل الكل فيما تحبه منه . فكن مؤثرا له بكل من انبسط له منك ، ومنه بدا لك ومنه به ، يبسط عليك ما لا يحيط به علمك ، ولا تبلغ إليه أمانيك وآمالك .
وإذا بليت بمعاشرة طائفة من الناس ، فعاشرهم على مقادير أماكنهم ، وكن مشرفا عليهم بجميل ما آتاك الله وفضّلك به .
وصلّى الله على سيدنا محمّد النبيّ الأميّ ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه « 1 »

من أشار إلى الله ، وسكن إلى غيره ابتلاه الله تعالى ، وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه ، كشف الله ما به من المحن والبلوى .
وإن دام على سكونه إلى الخلق ، نزع الله من قلوب الخلق الرّحمة عليه ، وألبس لباس الطمع ، فتزداد مطالبته منهم ، مع فقدان الرحمة من قلوبهم ، فتصير حياته عجزا ، وموته كمدا ، ومعاده أسفا ، ونحن بالله من السّكون إلى غير الله .

* * *

رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه « 2 »

إن الله جلّ ثناؤه لا يخلي الأرض من أوليائه ، ولا يعرّيها من أحبّائه ؛ ليحفظ بهم من جعلهم سببا لحفظه ، ويحفظ بهم من جعلهم سببا لكونه .
وأنا أسأل المنّان ، بفضله وطوله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سرّه ، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره ، تجميلا منه لنا بأعظم الرّتب ، وإشرافا بنا على كل ظاهر ومحتجب .
وقد رأيت الله تعالى وتقدّست أسماؤه زيّن بسيط أرضه ، وفسيح سعة ملكه بأوليائه وأولي العلم به ، وجعلهم أبهج لامع سطع نوره ، وعنّ لقلوب العارفين ظهوره .
وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها ، ونور شمسها وقمرها .
أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته ، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته ، ومنار نور

....

(1) النص من طبقات السلمي (ص 162) ، والحلية (10 / 278) .
(2) الرسالة من الحلية (10 / 280) .

على مدارج السّاعين إلى موافقته . وهم أبين في منافع الخليقة أثرا ، وأوضح في دفاع المضار عن البريّة خبرا ، من النجوم التي بها في ظلمات البر والبحر يهتدى ، وبآثارها عند ملتبس المسالك يقتدى .
لأن دلالات النجوم تكون بها نجاة الأموال والأبدان ، ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان . وشتّان ما بين من يفوز بسلامة دينه ، وبين من يفوز بسلامة دنياه وبدنه ! .

* * *

رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه « 1 »

اعلم رضي الله عنك أن أقرب ما استدعي به قلوب المريدين ، ونبّه به قلوب الغافلين ، وزجرت عنه نفوس المتخلّفين ، ما صدّقته من الأقوال جميع ما اتبع به من الأفعال .
فهل يحسن يا أخي أن يدعو داع إلى أمر لا يكون عليه شعاره ، ولا تظهر منه زينته وآثاره ، وألا يكون قائله عاملا فيه بالتحقيق ، وبكل فعل بذلك القول يليق ؟ !
وأفك من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين ، وأمر بالتّرك وكان من الآخذين ، وأمر بالجدّ في العمل وكان من المقصّرين ، وحثّ على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين ! ألا قلّ قبول المستمعين لقيله ، ونفرت قلوبهم لما يرون من فعله ، وكان حجة لمن جعل التأويل سببا إلى اتّباع هواه ، ومسهّلا لسبيل من آثر آخرته على دنياه ؟

أما سمعت الله تعالى يقول ، وقد وصف نبيّه شعيبا ، وهو شيخ الأنبياء ، وعظيم من عظماء الرسل والأولياء ، وهو يقول :وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ[هود : 88] ، وقول الله جلّ ذكره لمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلّم :قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ[سبأ : 47] ،
وأمر الله له بالدعاء إليه ، بقوله عز وجلّ من قائل :ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[النحل : 125] ، فهذه سيرة الأنبياء والرسل والأولياء .
والذي يجب يا أخي على من فضّله الله بالعلم به ، والمعرفة له ، أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال ، وأن يصدق القول منه الفعل بذلك أولا عند الله ، ويحظى من اتبعه آخرا .

....
(1) الرسالة من الحلية (10 / 260) .

واعلم يا أخي أن لله ضنائن من خلقه ، أودع قلوبهم المصون من سرّه ، وكشف لهم عن عظيم أثرهم به من أسره .
فهم بما استودعهم من ذلك حافظون ، وبجليل قدر ما أمّنهم عليه علماء عارفون . قد فتح لما اختصّهم به من ذلك أذهانهم ، وقرّب من المحل الأعلى بالإدناء إلى مكين الإيواء حبّهم ، وأفرد بخالص ذكره قلوبهم .
فهم في أقرب أماكن الزلفى لديه ، وفي أرفع مواطن المقبلين به عليه . أولئك الذين إذا نطقوا فعنه يقولون ، وإذا سكتوا فبوقار العلم به يصمتون ، وإذا حكموا فبحكمه لهم يحكمون .
جعلنا الله يا أخي ممن فضّله بالعلم ، ومكنه بالمعرفة ، وخصّه بالرفعة ، واستعمله بأكمل الطاعة ، وجمع له خيري الدنيا والآخرة .
* * *

رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي « 1 »

أخي أين محلك عند تعطيل العشار ؟ وأين دارك وقد خرجت الديار ؟
وأين منزلك والمنازل قاع صفصف قفار ؟
وأين مكانك والأماكن عواف دوارس الآثار ؟
وماذا خبرك عند ذهاب جوامع الأخبار ؟
وفيم نظرك عند اصطلام محاضر النظّار ؟
وفيم فكرك وليس بحين نظر ولا افتكار ؟
وكيف هدوؤك على ممر الليل والنهار ؟
وكيف حذرك عند وقوع فواجع الأقدار ؟
وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار ؟ .
فابك الآن إن وجدت سبيلا إلى البكاء ، بكاء الوالهة الحزينة الموجعة الثكلى ، بفقد أعزّة الآلاف ، وفناء أجلّة الأخلاف ، وإبادة ما مضى من الاكتناف ، وذهاب مشايخ الاعتطاف ، وورود بداية الاختطاف ، وروادف عواصف الارتجاف ، وتتابع قواصف الانتساف ، وبواهر قواهر الاعتكاف ، وثواقب ملامح الاعتراف .
فإلى أين موئلك ، وإلى ما يبلغ مصدرك ، والأحلام متمزقة ، والقلوب متصدّعة ، والعقول منخلعة ، والأنباء كلها مرتفعة ، وأنت في أوابد مندمسة ونجوم منطمسة ، وسبل ملتبسة ؟ قد أضلك في اختلاف مناهجها ظلماؤها ، وانطبقت عليك أرضها وسماءها ، ثم أفضى بك ذلك إلى لجّة اللجج ، والبحر الزاخر الغامر المختلع ، الذي كل بحر دونه أو لجة

....
(1) النص من اللمع (ص 311) .

فهو فيه كتفلة أو مجّة ، فقد قذف بك في كثيف أمواجه ، وتلاطم عليك بعظيم هوله وارتجاجه .
فمن مستنقذك من متلفات المهالك ، أو مخرجك مما هنالك ؟
كتابي إليك أبا بكر ، وأنا أحمد الله حمدا كثيرا ، وأساله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .
وصل إليّ منك كتب فهمت ما ذكرت فيها ، ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في وهمك ، وشقّ عليّ ما ذكرت من غمك .
وليس حالك عندي حال معتوب عليه ، بل حالك عندي حال معطوف عليه ، وبحسبك من بلائك أن أكون سببا للزيادة في البلاء عليك ، وإني عليك لمشفق .
وإنما منعني من مكاتبتك ، لأني حذرت أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك .
وذلك أني كتبت منذ مدة كتابا إلى أقوام من أهل أصبهان ، ففتح كتابي ، وأخذت نسخته ، استعجم بعض ما فيه عليّ قوم ، فأتعبني تخلصهم ، ولزمني من ذلك مؤنة عليهم .
وبالخلق حاجة إلى الرفق ، وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون ، ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون ، وربما وقع ذلك من غير قصد إليه ، ولا تعمّد له ، جعل الله عليك واقية وجنّة ، وسلمنا وإياك .
فعليك رحمك الله بضبط لسانك ، ومعرفة أهل زمانك ، وخاطب الناس بما يعرفون ، ودعهم مما لا يعرفون ، فقلّ من جهل شيئا إلا عاداه .
وإنما الناس كالإبل ، المائة ليس فيها راحلة . وقد جعل الله تعالى العلماء والحكماء رحمة من رحمته ، وبسطها على عباده . فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك ، وإن كان الله قد جعلك بلاء على نفسك .
واخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم ، وخاطبهم من قبلك على حسب مواضعهم ، فذلك أبلغ لك ولهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه « 1 »

لا زلت أيّها الموجود بباب الله راتبا ، وبه منه إليه لما يحبّه طالبا ، وله في آلائه وغريب أنبائه راغبا . فحبّك به عليه فيما يحبّه لك ويبلّغك إليه ، باصطفائه إلى ما يريده منك ، ليصطفيك فيما يولّيك ، بما ينتخبه لك ويجتبيك .
ثم يبديك فيما يولّيك ، ويخفيك في عزيز ما يبديك إعلاء لك عن مصادفة النواظر لحقيقتك ، وضنّا بك عن معرفة القلوب

....
(1) النص من طبقات السلمي (ص 162) ، والحلية (10 / 278) .

لمكانتك ، وضمّا لك بالاشتمال عليك إلى مصون منزلك .
فكنت عند ذلك بحيث أرمس المكان مكونه ، وطمس الدّلائل عليه من وهم متوهّمه ، فكنت فيما هنالك بغيب لغيب ، انتفت عن حقائقه الشكوك والريب .
كما أن الحقائق بحق اليقين تعلم ، وملاحظة العيان لها محتجبة لا تتوهّم . ومن وراء ذلك توحيد الموحّد ، وربّانيّة الألوهيّة المتفرّد ، على أوليّة أزليّة ، وبقاء سرمد الأبديّة .
وهنالك ضلّت مقاليد الفهماء ، ووقفت علوم العلماء ، وانتهت إليه غايات حكمة الحكماء . وهذه غاية لما هذه نعته وسنا ذروه ، وانتهت الصفة إلى صفته ، ومن وراء ذلك برزخ إلى يوم يبعثون .
وإذا بعث الخلق بعد انقضاء مدة برزخهم ، وأحيوا لحقيقة البعث بعد ميتتهم عرفوا إحياء الحيّ لمن أحياه ، وتركه في سرمد البقاء لمن أبقاه .
وفيما أشرت به من ذلك شرح يطول وصفه ، ولا يحتمل الكتاب نعته على كنهه .
يا أخي رضي الله عنك وصل كتابك السّارّ ظاهره وباطنه ، وأوّله وآخره . وسررت بما ضمّنته من علم غريب ، وحكم عزيزة ، وإشارات واضحة منيرة .
ولم يخف عليّ ما عرّضت به مع ما صرّحت به ، وكل ذلك على علمي به ، وسبقي إلى فهم ما قصدت له ، بيّن عندي إلى أين موئله ، وإلى أين نهايته ومصدره ، ومن أين أوّله وآخره ، وكيف جرى على من جرى الحكم به .
لا عدمت استعصامك به تعالى منه ، وقيام عصمتك به له .
غلبت غوالب قاهرة ، وبدهت بواده باهرة ، أودت بقوّة سلطانها ، تقاوم سلطانها بالتقاهر فيما قام منها ، ثم حمل بعضها على بعض ، فركدت متوارية ، وهي في الحقيقة بالقوة متظاهرة ، تحكمت بمنيع عز التصاول ، بلا أين ولا أين ، متكون بكنه نهاية ، ولا هو إلى مواضع محدودة ، فتعرف لها غاية ، إبادتها إبادة مستظلمة ، وسطوتها للكلّ منتظمة . هيه ثم ماذا بعد ذلك ، نصبهم غرضا للبلاء ، وعرضهم للحين والجلاء ، وأنفذ عليهم المكاره بماضي القضاء ، وجرّعهم الموت صرفا ، وأجرى عليهم بقدرته ما يشاء . فمن بين متمانع مستعصم مغلوب ، ومن بين مستسلم مسلوب .
فلا المستسلم فيها باستسلامه ناجيا ، ولا المتمانع بالاستعصام من طلبها خارجا .
حبست أنفاسهم ، فهم على فرط البلاء كاظمون .
وتغصّصوا بتجرع المرّ المتلف ، فهم على التلف مشرفون .
فلو أطلقت الأرواح أن تفيض لكان في ذلك راحتها ، لكنه في الموت ألم مذاق الموت حابسها .
لا يأملون بعد الموت

فرحا ، ولا لهم قبل الموت من فرط البلاء مخرج .
يا أخي هؤلاء قوم هذه بعض صفاتهم ، وكرهت الإطالة عليك في نعت حالهم ، وسمع سامعون ببعض نعت ما بلغ القوم إليه ، وما القوم من حقائق ذلك كائنون لديه ، فسموا بالهموم انتهاء إلى مطالبته ، قبل النزول بالكون في محض حقيقته .
وشبّه عليهم فيه كائنات المخطى ، وخفي عليهم المعزز من كون التولّي ، وجرت عليهم أحكام أولئك في أحكامهم ، واستمر مترادف الزّلل على مضي أيامهم .
وكان عندهم أنهم أولئك وليسوا بأولئك ، وقوي عليهم موهم حالهم أنهم فيما هنالك .
هيهات ، هيهات ، ما أبعد من ذلك منالهم .
وما أعظم ما يجري عليهم من الخلل في توهم حالهم .
أعاذنا الله وإياك يا أخي من كلّ حال لا تكون لمحض الحقيقة متصادفة ، ولا تكون لما أحكمه الحقّ مؤالفة .
ومع ما ذكرته من هذه الحال وما فيها ، فهي واسطة بين حالين ، والذي جرى منها فرق إذا انكشفت بين منزلتين ، وليس مراد الحق بها هي بعينها ، لكن ذلك على صحة كونه ليكشف بها ما وراءها . وعلم الأكابر ، ومنازل العظماء ، وأماكن الحكماء ، وصريح حقيقة فهم الفهماء ، بعد عبور ذلك ، وتجاوزها إلى ما لو سنح سانح لتعبيره ، وجرى الحكم ببعض وصف تفسيره ،وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً[طه : 111] .
يا أخي لا عدمت إشارتك بالحق على ما بسط الحق إليك ، وقرّت عيني فيك ببلوغ النهاية إلى ما أطلعك الحق عليه ، وأنت بعض أناسي ، وشركاء رغبتي ، وكبير من كبراء إخوتي ، وخلّ من أخلاء قلبي بخالص محبتي .
ألست أحد من بقي من كبراء إخواننا ، وأحد المشار إليهم من أبناء جنسنا ، ومن عظمت نعمة الله علينا فيه فيما وهبه لنا منه ؟ ! ،
لا تدع يا أخي متفضّلا متطوّلا محسنا ، مكاتبتنا ومواصلتنا نستريح عند ذلك إلى طيب خبرك ، ونتفرّج ببقاء أثرك ، ونبتهج بعظم ما وهبه الله لك ، فإن كان ذلك عندك مما نستحقّه فعلته ، وإلا جعلت ذلك تطوّعا منك علينا ، وامتنانا يصل منك إلينا .
وعليك سلام الله ، ورحمته ، وعلى جميع إخواننا .
* * *

رسالة الجنيد إلى علي ابن الأصبهاني « 1 »

اعلم يا أخي أن الحقائق اللازمة ، والقصور القوية المحكمة ، والعزائم الصحيحة المؤكدة ، لم تبق على أهلها سببا إلا قطعته ، ولا معترضا إلا منعته ، ولا أثرا في خفيّ السرائر إلا أخرجته ، ولا تأويلا موهما لصحة المراد إلا كشفته .
فالحق عندهم بصحة الحال مجرّدا ، والجد في دوام السير محددا ، على براهين من العلم واضحة ودلائل من الحق بيّنة .

* * *

رسالة الشبلي إلى الجنيد « 2 »

« يا أبا القاسم ، ما تقول في حال علا فظهر ، وظهر فقهر ، وقهر فبهر ، فاستتناخ واستقر ؟
فالشواهد منطمسة ، والأوهام خنسة ، والألسن خرسة ، والعلوم مندرسة ، ولو تكاثفت الخليقة على من هذا حاله ، لم يزده ذلك إلا توحشا ، ولو أقبلت الخليقة إليه تعطفا ، لم يزده ذلك إلا تبعدا ، فالحاصل في هذا الحال قد صفد بالأغلال والأنكال ، وغلبه على عقله فحال وحادّ الحق بالحق ، وصار الخلق عقالا ،
وكتب تحتها هذين البيتين :

يا هلال السّماء لطرف كليل * فإذا ما بدا أضا طرفيه
كنت أبكي عليّ منه فلمّا * أن تولّى بكيت منه عليه

فترك الجنيد الرقعة عنده من الأربعاء ، وكتب تحتها :
« أبا بكر ، الله الله في الخلق ، كنّا نأخذ الكلمة فننقشها ، ونقرظها ، ونتكلم بها في السراديب ، وقد جئت أنت فخلعت العذار بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة ، في أوّل طبقة يذهب ما وصفت » .

....
(1) النص من اللمع للطوسي (ص 310) .
(2) النص من اللمع (ص 305) .

فهرس المحتويات

